الحياة العلمية في جبل نفوسة

وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي

من القرن 2-8 هـ/8-14 م





تأليف

محمود حسين كوردي

الحياة العلمية في جبل نفوسة

وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي

خلال القرون: (2 – 8هـ/8 – 14م)

تأليف

محمود حسين كوردي

2008.

رقم الإيداع: (665/ 2008)
دار الكتب الوطنية - بنغازي - ليبيا

الوكالة الليبية للترقيم الدولي الموحد للكتاب
دار الكتب الوطنية
بنغازي - ليبيا

ردمك ISBN 978 - 9959 - 1 - 0318 - 5

هاتف: 9097074 - 9096379 - 9090509
بريد مصور: 9097073.
البريد الالكتروني: Nat – lib – Libya @ hotmail. com

جميع حقوق الطبع والنشر والترجمة والاقتباس محفوظة للمؤلف

(الطبعة الأولي: 2088)

بسم الله الرحمن الرحيم①

﴿ الحَمْدُ لله رَبِ العَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيم ③ مَلِكِ يَوْمِ الدّين ④ إيّاكَ نَعْبُدُ وَإيّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ إهدِنَا الصِرَاطَ المُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الّذِينَ أنْعَمْتَ عَلَيْهِم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ⑦ ﴾

صدق الله العظيم

سورة: الفاتحة، الآيات: 1 - 7.

الإهـــــداء

إلى روح والدي العزيز الذي رباني في الصغر وغرس في نفسي حب العلم تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته...

إلى أمي الحنون التي تبذل الغالي والرخيص من أجلي، أطال الله في عمرها ومتعها بالصحة والعافية...

إلى رفيقتي على درب الحياة اعترافاً مني بتضحيتها وتشجيعها، والتي أتمثل فيها قول رسولنا محمد صلي الله عليه وسلم عن المرأة الصالحة: " إذا نظرت إليهـــا سرتك وإن غبت عنها حفظتك في مالك وعرضك وإن أمرتها أطاعتك".

إلى كل أساتذتي الكرام الذين تلقيت على أيديهم طلب العلم والمعرفة.

وأخص منهم أستاذي الدكتور الهادي المبروك الدالي الذي أشرف على هـــذه الدراسة، أطال الله في عمره ومتعه بالصحة والعافية.

إلى كـــل محـــبي العلـــم والعلـــماء

أهـــــدي هـــــذا العـــــمل

كلمة شكر وتقدير

إن هذا العمل التاريخي في أساسه كان دراسة علمية قدمت لنيل الدرجة العالية (الماجستير) بجامعة الفاتح، وبعد إطلاع الأستاذ الفاضل الأديب علـى مصطفي المصراتي على هذا العمل، شجعني على نشره، كما أطّلع عليه أيـضاً الأستاذ الفاضل عمار جحيدر الذي كانت له بعض التوجيهات. وشجعني هـو الآخر على نشر هذا العمل وطباعته فلهذين الأستاذين أتقدم بخالص شـكري وجزيل امتناني. فقمت بتنقيح الدراسة وحاولت قدر الجهد أن أضـيف إليهـا معلومات ومواضيع أخرى تتماشي والسياق العام للدراسة.

كما لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل والاحتـرام العميـق لأستاذي الفاضل الدكتور الهادي المبروك الدالي الذي تولي الإشراف على هذه الدراسة وتعاهدها بالرعاية والتوجيه منذ أن كانت فكرة بسيطة حتى صارت ما هي عليه الآن. كما أعاود شكري مرة أخرى للدكتور الهادي الـدالي للفـت انتباهي لهذا الموضوع في مرحلة الليسانس عندما كلفني كتابة بحث عن أعـلام جبل نفوسة، فأسأل الله الكريم أن يطيل عمره في الخير والبركات وأن يجزيه عن العلم وأهله خيراً. والشكر موصول للدكتور خليفة البديري لمراجعته اللغويـة لهذه الدراسة.

كما أوجه خالص شكري إلى جميع الأساتذة الذين علموني ودرسـت على أيديهم في مختلف مراحل تعليمي وأخص منهم الأساتذة الأجلاء في مرحلتي الجامعة ودبلوم الدراسات العليا.

وهنا أريد أن أسجل عميق الشكر والعرفان للجنود المجهولين بمختلف المكتبات الليبية وأخص منهم موظفي: مكتبة مركز الجهاد للدراسات التاريخية، ومكتبة المعهد العقائدي بطرابلس، ومكتبة كلية الدعوة الإسلامية، ومكتبة السراي الحمراء، ومكتبة دار نويجي للثقافة، ومكتبة مصطفي قدري معروف، ومكتبة الآداب بجامعة الفاتح، والمكتبة القومية المركزية، والمركز الليبي التونسي بطرابلس.

وأحب أن أقدم الشكر والامتنان الكبير لعائلتي الكريمة لما قدموه لي من نصح وتشجيع وعون وأخص زوجتي الفاضلة التي عانت كثيراً من ظروف كتابة هذه الدراسة فجزاها الله العلي القدير عن صبرها وعونها خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أسجل هنا أيضاً شكر خاص وعميق إلى أولئك الأخوة الأعزاء من أهالي قري ومدن الجبل الحبيب الذين قدموا لي مساعدات كبيرة وجمة عند تجوالي في ربوع المنطقة من أجل تجميع المادة العلمية، وتوثيق المعالم التاريخية والأثرية بالصور الضوئية وفي الحقيقة كان لمعونتهم أكبر الأثر على هذه الدراسة وهم: الأستاذ سليمان عمرو يحمد، والأستاذ الهادي النامي، والأستاذ يحيى المقدمي (من نالوت)، والأستاذ علي منصور، والأستاذ عبد الله بو رقيبة والأستاذ خليفة العزابي (من فرسطا)، والأستاذ إبراهيم صكوح، وأبنه أيمن صكوح، والأستاذ سعيد طرف (من كباو)، والأستاذ محمد الهوفاري (من طمزين)، والأستاذ عمر المرعوش والأستاذ علي نزنوز (من تملوشايت)، والأستاذ إمحمد صالح التندميرتي (من تندميرة)، والأستاذ موسى شاكير (من مرقس)، والأستاذ عمر أيوب (من تترغت)، والأستاذ أحمد الساق (من أم الصفار)، والأستاذ عمر عبازة (من جريجن)، والأستاذ علي حامد لطيف (من

زعرارة: البدارنة الشرقية)، والأستاذ أبو بكر أحتيوش (من دجي: البدارنة الغربية)، والأستاذ صلاح مسعود الدبلي (من ونزيرف)، والأستاذ داود القلال (من إيجناون)، والأستاذ عادل الطرميسي (من طرميسة)، والأستاذ علي قليزة (من جادو)، ولهؤلاء جميعاً دين في عنقي لما قدموه لي من مساعدات جمة فجزاهم الله خير الجزاء وأحسن إليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدمة

إن المتتبع لتاريخ ليبيا الإسلامي يجد صعوبة في الوصول إلي غايته من المعلومات التاريخية، وتتضح هذه المسألة بصورة أكبر إذا كان المطلوب يختص بالدراسة الجزئية أي: دراسة بعض الأقاليم، وهذا ما يتضح من دراسة تاريخ جبل نفوسة الذي يعد جزءاً من تاريخ بلاد المغرب الكبير.

كما نلاحظ اهتمام الباحثين بدراسة التاريخ السياسي وإهمالهم للجوانب الثقافية والعلمية التي تعد جدّ مهمة في حياة الإنسان خاصة إذا ما توفرت بعض المصادر الأولية التي تؤكد على ذلك. كما أن أغلب الدراسات الحديثة تكاد لا تلتفت إلي هذه المنطقة في أيّة مرحلة من مراحلها العلمية، أو دورها في نشر الإسلام واللغة العربية، حيث كان لأهلها دور بارز في هذا المجال، من هنا انصب اهتمامي على **منطقة جبل نفوسة** من حيث نشاطها العلمي والثقافي الذي كان على قدرٍ ملحوظٍ من الأهمية والبروز، وهذه المنطقة من ضمن المناطق والبلدان التي كانت نهضتها العلمية والفكرية ــ خلال العصور الوسطى ــ أساساً تحت مظلة الحضارة الإسلامية، لأن الدين الإسلامي كان الحافز الرئيسي للإعتناء بالثقافة والفكر، واللغة العربية هي الإداة التي أتقنها سكان جبل نفوسة وعبّروا بها عن حضارتهم وآدابهم، فبلغة القرآن كتبت أغلب المؤلفات والمصنفات. وبذلك صارت المنطقة رافد من روافد الحضارة الإسلامية، وساهمت بدور بالغ في بناء تلك الحضارة، ووصل تأثير الحياة العلمية بالجبل إلي المناطق المجاورة مثل: (**غدامس،**

وفزان، وبلاد الزاب، وجزيرة جربة، وبلاد الجريد التونسي، وبلاد المغرب الاوسط)، وبلدان أخري بعيدةٍ عن منطقة جبل نفوسة مثل: (بلاد السودان الغربي والأوسط)[1].

ويُعدُّ جبل نفوسة (الجبل الغربي حالياً)، هو امتداداً جغرافياً لسلسلةٍ جبليةٍ طويلةٍ تبدأُ من جبل درن بالمغرب الأقصى (جبل أطلس)، مروراً بالمغرب الأوسط حيث (جبال الأوراس)، ثم جبل دمر ومطماطة بالمغرب الأدنى، الذي ينتهي بجبال طرابلس وتسمي مسافة منها بجبل نفوسة، وسكن الجبل عدة قبائل عرفت بـ(الأمازيغ) أو البربر [2] وتضاربت الآراء حول أصولهم، وتشعبت وجهات النظر في ذلك الأمر.

وكان للبيئة الجغرافية التي يتميز بها جبل نفوسة، تأثير على حياة السكان الحضارية . فأنشأوا القرى والمدن وعرفوا الزراعة على ضفاف الوديان وحول العيون، كما اشتغلوا ببعض الصناعات المحلية التي تخدم حياتهم اليومية، وتعاقبت الأديان على الجبل وتعاصرت، فمن الوثنية (عبادة الشمس والقمر)، إلي اليهودية ثم المسيحية، وبعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب عامة ومنها (منطقة الجبل)، اعتنق الأهالي الإسلام، واجتهدوا في اتّباع تعاليمه السامية التي تدعو إلي طلب العلم والأخذ بأسباب المعرفة، وهو ما أفضى بأهالي الجبل شيئاً فشيئاً إلى العناية بهذا

---

(1). تشمل هذه التسمية اليوم للدول الأتية: السنغال، وبوركينا فاسو، وغانا، ومالي، وشمال نيجيريا، والنيجر، وتشاد.

(2) . أطلق الرومان هذا الاسم على سكان بلاد المغرب الكبير واعتبروا كل الخارجين عن الحضارة الرومانية برابرة أي: متوحشين وهمجيين. وهذا طبعاً لا يتأتى قبوله مع تلك الشواهد الآثرية والتاريخية التي تؤكد على الحضارات القديمة التي ظهرت في بلاد المغرب الكبير، للمزيد انظر: رشيد الناضوري، تاريخ المغرب الكبير، ج1، بيروت: دار النهضة العربية، 1981، ص 51 ــ 113.

الجانب من الحياة الفكرية والعلمية، حيث قام عددٌ من أبنائه بالرحلات العلمية من أجل طلب العلم في مختلف بلاد العالم الإسلامي (**خاصة المشرق العربي**) الـــذي أستفادوا منه على نحو أوسع في نقل العلوم الإسلامية والعربية وكـــذلك طـــرق التدريس ومناهجه، إذ كانوا يعمدّون إلى نشر ما تعلموه واكتسبوه بمدن وقـــري الجبل بعد عودتهم. وقد بلغ بهم الحرص على التعلم والتحصيل في تلك الفتـــرة أن بعض المعنيين بهذا الأمر من الجبل كانوا يترصدون السابلة من العرب القادمين من المشرق إلي بلاد المغرب لتلقي سور القرآن منهم على الألواح لدراسته وحفظـــه، وبذلك توفرت الظروف لإنشاء (**الكتاتيب**) المعدَّة لتحفيظ القرآن الكريم، وتعلم مبادئ القراءة والكتابة، كما قامت المساجد بذلك الدور التعليمي، ثم تطـــورت بعض الكتاتيب إلى مدارس (**وسطي، وعليا**) في فترات تاريخية لاحقة، وأسهمت تلك المراكز التعليمية جميعها في ظهور العديد من العلماء والفقهاء الذين اضطلعوا بعبءٍ كبير في حركة النهضة العلمية، تعليماً وتدريساً، وتأليفاً في مختلف العلـــوم والفنون، فأُنشئت المكتبات (**الخاصة والعامة**)، مما ساعد على انجاح الحياة الفكرية واستمرارها. ولم يقتصر التعليم على الرجال بل أسهمت المرأة أيضاً في الحيـــاة العلمية ، وبلغت بعض النساء درجة من العلم والتفقه في شؤون الدين إلي درجـــة الاجتهاد.

وقد ارتبطت منطقة جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي بالعديد من الروابط والصلات (**الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية**) التي تمتُّ بجذورها إلي فتـــرات بعيدة تسبق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب كافة، وكانت هذه الصلات والعلاقات بارزة ومتمثلة في التجارة التي تربط بين أواسط وغربي إفريقيا وبين سواحل أفريقيا الشمالية عن طريق مجموعة من الواحات التي تعد محطات للقوافل التجارية .

عرفت مناطق بلاد السودان الغربي ظهور وتأسيس عدة ممالك وامبراطوريات منها: (**امبراطورية غانا الوثنية، ومملكة الصوصو، ومملكة مالي الإسلامية، ومملكة السنغاي وغيرها**)، و لم تشكلّ الصحراء الكبري حاجزاً وعقبة أمام التواصل الحضاري بين المنطقتين، فقد تمكن أهالي الجبل من الوصول إلى تلك الممالك والتعامل معها تجارياً وثقافياً واجتماعياً.

وعلى ذلك يمكن القول أن الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها في بلاد السودان الغربي خلال القرون (2 ــ 8هـ / 8 ــ 14م) جديرة بالدراسة والتحليل، وهو ما يسعى هذا البحث إليه من خلال دراسة تحليلية وصفية .

وتستهدف هذه الدراسة معرفة العوامل والأسباب المؤدية إلي ازدهار الحياة العلمية في منطقة جبل نفوسة، وكيفية بروز العدد الهائل من العلماء والفقهاء والعالمات في مختلف العلوم والفنون، والوقوف على دور العرب المسلمين الفاتحين للمغرب، في نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد المغرب الكبير، ومن ثم دور علماء المشرق العربي في ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة. والتفسير الشمولي العام للنهضة العلمية بالجبل ودورها في نقل المؤثرات الثقافية إلي منطقة السودان الغربي. والوقوف على دور المؤسسات التعليمية (**المساجد ــ المدارس ــ المكتبات**) في توفير مناخ علمي ساعد على النهوض بالحركة العلمية والثقافية في المنطقة.

والتركيز على علاقات منطقة جبل نفوسة بالمشرق العربي الإسلامي ودور الأخير في النهوض بالحياة العلمية في الجبل من خلال التبادل الفكري والثقافي، وكون المشرق العربي مهبط الديانات السماوية، ومنشأ الحضارات البشرية. ومعرفة وتحديد الزمن التاريخي لبعض الأحداث التاريخية، وكذلك لظهور

الأشخاص والأعلام. وتحديد موقع القري والمدن (**ذات العلاقة بالبحث**) جغرافياً، ووصفها من خلال زيارتها والوقوف عليها وتوثيقها بالصور، وإبراز مكانتها العلمية. وفهم العلاقات بين الأحداث التاريخية، ومعرفة وجوه ارتباطها بعضها ببعض من حيث التتابع والإتفاق الزمنيين، وذلك سواء ما يتعلق بالحركة العلمية بالجبل، أو من ناحية تأثيرها العلمي والثقافي في بلاد السودان الغربي. وملاحظة التطورات في الحركة العلمية عبر التغير في الزمن والإنسان.

منهج الدراسة:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج التحليلي النقدي الاستنباطي إذا لزم الأمر تحليل النصوص التاريخية، بالإضافة إلي المنهج الوصفي عند وصف القري والمدن.

أهم مصادر الدراسة :

إعتمدت في هذه الدراسة على العديد من المصادر المخطوطة والمطبوعة، فمن المصادر المخطوطة: (**مخطوطة السيرة وأخبار الأئمة**) لأبي زكرياء يحى بن أبي بكر الوارجلاني ق (**5 هـ / 11 م**) وهي من أقدم المخطوطات التي تناولت الأحداث التاريخية للجبل، ومخطوطة: (**سير أبي الربيع**) لأبي الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني، ق (**6 هـ / 12 م**) ويعد كتابه من الكتب السيرية التي تهتم بتراجم الرجال، فتناول آثار علماء الجبل وأشاد بأهميتها.

ومخطوطة: (**سيرة أهل نفوسة**) لمؤلفه مقر بن محمد البغطوري (أنهى تأليف كتابه سنة **599 هـ / 1202 م**) وهو من علماء القرن السادس ،

واهتمت هذه المخطوطة بالأحداث التاريخية للجبل والمناطق المجاورة مثل: طرابلس وجربة والقيروان وغدامس وغيرها، كما أهتم مؤلفها بسيرة علماء الجبل، ويؤخذ عليها أنّ صاحبها لم يهتم بذكر التواريخ للأحداث، و لم يحافظ على التسلسل الزمني للأحداث، وهذا مما يزيد مهمة الباحث صعوبة بالإضافة إلي اختصاره الشديد في سرد المعلومات، غير أنه يذكر معلومات جد مهمة ونادرة مثل تطرقه إلي نشاط تجار وعلماء الجبل في نشر الإسلام في بلاد السودان، كما أنه يعرض الكثير من الآراء في بعض المسائل ثم يقوم بترجيح أقواها حجة على الآخرى.

ومخطوطة: (**الألواح**) لمؤلفها أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي (**ت504 هـ / 1111 م**)، وهي تتناول مواضيع في الفقه، كما تهتم بالترجمة لعدد من العلماء وسيرهم العلمية والثقافية، ومخطوطة: (**أصول الدينونة الصافية**) لمؤلفها عمروس بن فتح المساكني عاش خلال ق (**3 هـ / 9 م**)، وهي في علم الكلام وتبين المستوى الذي وصل إليه علماء الجبل في علم الكلام في ذلك الوقت المبكر. وكتاب: (**الجواهر المنتقاة**) لأبي القاسم بن إبراهيم البرادي (**ت 810هـ / 1407م**)، وهو مطبوع طبعة حجرية ، ويهتم بتاريخ الجبل وخاصة بالمؤلفات التي صنفها علماء الجبل. وكتاب: (**السير**) لأحمد الشماخي (**ت 928هـ / 1521م**)، وهو مطبوع طبعة حجرية، ويعد هذا الكتاب من أهم الكتب والمصادر ألفه أحد علماء ومؤرخي الجبل، وأهتم بسرد العديد من الأحداث التاريخية في مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، وأهتم بتتبع علماء الجبل ودراساتهم ومؤلفاتهم ، وأهم أعمالهم، ولا غنى لدارس تاريخ المغرب الإسلامي عن دراسة كتابه والاعتماد عليه، ويؤخذ عليه عدم اهتمامه بتحديد الفترة الزمنية للأحداث التاريخية، وهذه المسألة لوحظت في أغلب المصادر الإباضية.

ومخطوطة: (**قصور وطرق جبل نفوسة**) لإبراهيم سليمان الشماخي (**1310هـ / 1892 م**) وهو مطبوع طبعة حجرية وهذا المصدر يهتم بجغرافية الجبل وكذلك يعتني بالدروب ومسالك جبل نفوسة، كما يسرد العديد من المعلومات الاجتماعية، ويشير للكثير من المواضع والأماكن التي لها إسهام علمي وحضاري في الجبل.

ومن المصادر المطبوعة، كتاب: (**بدء الإسلام وشرائع الدين**) لمؤلفه أبن سلام الإباضي، (**ت 273هـ / 887 م**) ترجمة وتحقيق: شفارتز وسالم بن يعقوب، ويعد هذا المصدر من أقدم المؤلفات التاريخية في المغرب، أهتم فيه بذكر بعض علماء الجبل وهو الذي اعتمد عليه أغلب مؤرخي الجبل فيما بعد كالوارجلاني والوسياني، والبغطوري، والدرجيني، والشماخي وغيرهم .

وكتاب: (**طبقات المشائخ بالمغرب**) لأحمد بن العباس الدرجيني (**ت750هـ / 1349م**)، ويعد هذا المصدر من المصادر الهامة والجيدة من حيث الأسلوب واللغة وكذلك لغزارة المعلومات، فاهتم الدرجيني بالحياة العلمية في جبل نفوسة، فيذكر أبرز العلماء والفقهاء الذين أسهموا في نشر العلم وتدريسه.

وكذلك استفدت من المؤلفات الجغرافية وكتب الرحالة مثل كتاب: (**البلدان**)، لأحمد اليعقوبي (**ت بعد سنة 292هـ**) وكتاب: (**المسالك والممالك**) لأبي عبيد البكري (**ت 487هـ / 1094م**) الذي تناول منطقة جبل نفوسة وتحدث عن المسافات وأبعادها الخاصة بالجبل مع المناطق الرئيسة الأخرى ، كما تناول أهم مدن الجبل وبيّن أهميتها السياسية والاقتصادية. وكتاب: (**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**) لأبي عبد الله محمد الإدريسي الذي فرغ من كتابه عام

(548هـ / 1154م)، كتبه لملك صقلية النورماني روجار الثاني، اهتم فيه بالمسالك الإستراتيجية، وأنواع النشاط الاقتصادي (تجارة ـ زراعة ـ صناعة). كما عُنِيَ في كتابه بالتضاريس والأبعاد والموانئ البحرية، ويعد من المصادر الهامة لمن يتعرض لجغرافيا العالم الإسلامي خلال العصور الوسطى.

وكتاب: (**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**)، لابن فضل الله العمري، ألفه في (738هـ / 1337م)، وفيه معلومات وفيرة عن مناطق الدراسة.

وكتاب:(**وصف أفريقيا**) لمؤلفه الحسن بن محمد الوزان، من مواليد مدينة غرناطة قام بعدة رحلات في البلدان الإسلامية ومنها دول الغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي والأوسط، ووصفها في كتابه المذكور.

قسمت الدراسة إلي مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، الفصل الأول وهو يمثل (**المدخل التمهيدي**) للفصول التي تلته، وتناول جغرافية منطقة جبل نفوسة (التحديد الجغرافي للجبل)، كما عني بالتطور الحضاري للمنطقة قبل الإسلام وتطرق إلي موضوع الفتح الإسلامي لمنطقة الدراسة، بالإضافة إلي الاهتمام بالأحداث التاريخية في مختلف الجوانب: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية بصورة موجزة.

أما الفصل الثاني: فكان بعنوان (**الحياة العلمية في جبل نفوسة**) فتناول المؤسسات التعليمية بالدراسة، وإبراز دور أهم المساجد والمدارس والمكتبات في نشر العلوم والثقافة بين ربوع الجبل، بالإضافة إلي دراسة للمراحل التعليمية ومناهجها الدراسية ، وطرق التدريس المتبعة في الجبل حينذاك وكيفية منح الإجازات العلمية.

أما الفصل الثالث : الموسوم بـ(**جهود علماء جبل نفوسة ودورهم في إثراء الحياة العلمية**)، فقد اهتم بدراسة أبرز العلوم والفنون التي كانت محل عناية العلماء وأغلبها في الدراسات الدينية الإسلامية، واللغوية والأدبية، وتطرقت إلى العلماء والفقهاء الذين ظهروا من ق (2 ـ 8هـ / 8 ـ 14م) متتبعاً لسير حياتهم وأهم أعمالهم ورحلاتهم، وآثارهم العلمية في المنطقة، كما عُنيَ هذا الفصل أيضاً بدراسة لأهم المؤلفات والكتب التي ألفت في الجبل وقتذاك وإبراز أهميتها في الحياة العلمية.

أما الفصل الرابع المعنون بـ (**التأثيرات العلمية والثقافية على بلاد السودان الغربي**)، وتطرق إلي جغرافية بلاد السودان الغربي، ودراسة التطور السياسي للمنطقة عبر نشوء عدة ممالك وإمبراطوريات منها : (**غانا ـ الصوصو ـ مالي**)، كما درس العلاقات والصلات بين جبل نفوسة وبلاد السودان الغربي، وطرق القوافل التجارية التي تربط بين المنطقتين، كما تطرق الفصل إلي قضية التأثير والتأثر في النواحي الثقافية والدينية).

وفي النهاية كانت خاتمة الدراسة وقد تضمنت أبرز النتائج التي تخص موضوع البحث (**الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراته على بلاد السودان الغربي**) في نقاط مختصرة.

ومع ما في هذه الدراسة من متعة البحث فقد واجهتها العديد من الصعاب والعقبات ، وسبب ذلك أنها ترجع إلي فترة تاريخية مبكرة من العصور الوسطى . وقد ضاع الكثير من المخطوطات والمصادر التي تناولت تلك الحقبة التاريخية لأسباب متعددة . بالإضافة إلي قلة المعلومات التاريخية المتعلقة بالجبل، بسبب كون أغلب المصادر التاريخية وخاصة المخطوطات (المحلية)، مازالت حبيسة

الخزائن الأهلية في الجبل ! بالإضافة إلي تشتت باقيها في أقطار مختلفة من بلاد المغرب الكبير. ولذلك قمت بعدة زيارات ورحلات متكررة إلى منطقة البحث لجمع المادة العلمية والتاريخية المشتتة بين بعض أهالي المنطقة، ولزيارة القرى والمدن التاريخية والوقوف على أماكنها جغرافياً، وتحديد أبعادها ومسافاتها عن بعضها البعض، ومعرفة أبرز معالمها الأثرية العديدة ذات الصلة المباشرة بموضوع الدراسة، وتوثيقها بالصور الضوئية، وأسفرت عن خمس رحلات ميدانية (علمية)، كانت على النحو الآتي:

1. الرحلة الأولي: وكانت خلال أيام: (**10 ــ 16/ 2/2004م**)، قصدت فيها (**مدينة نالوت**)، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 300كلم، وهي من المدن الكبيرة بالجبل وتقع في أقصي غربه. ومن أهم معالمها التاريخية: المدينة القديمة (**الأثرية**)، والقصر، ومصلي الشيخ محمد بن عبد الله بن جلداسن اللالوتي ق (4هـ/10م)، ومسجد الشيخ أبي زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي ق (4هـ/10م)، ومسجد الشيخ أبي زكريا يحيى بن جرناز اللالوتي ق (4هـ/10م)، ومسجد تيندرار، الذي لم أعثر على تاريخ تأسيسه، ولا مؤسسه. كما زرت عين تغليست بوادي تالة الشهير ومازالت مياهها جارية إلى اليوم. ثم توجهت في نفس الرحلة إلى: (**قرية فرسطا**)، القريبة من مدينة كباو، وتبعد عن طرابلس حوالي 270كلم، ومن أبرز معالمها التاريخية: القرية الأثرية وهي على قمة جبل عالي، وفي أعلى القمة يوجد قصر فرسطا، وتحيط به مباني ومساكن الأهالي كإحاطة الإسورة بالمعصم متدرجة نزولاً من الأعلى إلى الأسفل، حيث مسجد العالم والداعية الشيخ أبي يحيى الفرسطائي، الذي ساهم في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي.

2. الرحلة الثانية: وكانت خلال أيام: (1 ــ 2004/4/7م)، توجهت فيها إلى **(مدينة جادو وقراها القديمة)**، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 180كلم، وتقع في وسط الجبل وهي من أهم مراكزه الحضارية، ومن القرى التي زرتها بجادو: **(إيجناون، وتموجط، ويوجلين، وتلات أُغميران، وأُوشباري، وطرميسة، ومزغورة، وجماري، وتندباس، وتمزدا، ومزو، وأرجان، وتوكيت)**، وتحوي هذه القرى على أروع الأثار من مباني ومساكن للأهالي، ومساجد أثرية ترجع إلى عصور مبكرة من التاريخ الإسلامي، منها على سبيل المثال: **(مسجد عبد الحميد الجناوني)** ق (3هـ/9م)، بقرية إيجناون، وهو للأسف الشديد تم هدمه من قبل الأهالي عام 1972م وذلك لغرض بناء مسجد حديث، ولم يبق من المسجد الأثري سوى جدار مازال يزوره البعض من سكان الجبل بقصد التبرك. وفي مدخل قرية طرميسة يقابلك على اليمين مسجد أثري لشيخ وعالم جليل من علماء الجبل وهو: **(مسجد الشيخ أبو موسى عيسى الطرميسي)**، ق (7هـ/13م)، وربما بجواره أو بهذا المسجد كانت مدرسة الشيخ المذكور الشهيرة بكثرة طلابها وتلاميذها، وفي أعلى قمم جبل جادو تقع قرية مزغورة المشهورة بشيخها صاحب المسجد الأثري فيها :**(الشيخ أبو زيد المزغوري)**، ق (7هـ/13م).

3. الرحلة الثالثة: وكانت خلال أيام: (23 ــ 2004/4/27م) وفي هذه الرحلة رجعت مرة أخرى إلى الناحية الغربية، وتحديداً **(لمدينة الحرابة وما حولها)** ولإتساع هذه المنطقة زرت في هذه الرحلة بعض القرى والمدن على أمل أن أزور الأخرى في مناسبات لاحقة، وبالفعل زرت قريتي: **(زعرارة ودجي)**، في هاتين القريتين لاحظت عدم تواجد واستمرارية سكانها الأصليين ربما هاجروا في فترات قديمة

لظروف لم نعثر على معلومات تاريخية حولها[1]. ومازالت أثار القريتين قائمة منها قصر زعرارة ومن حوله المباني في أعلى قمة جبل زعرارة، وكذلك قصر قرية دجي، ومن معالم الأخيرة أيضاً: (**مسجد الشيخ شيبة الدجي، ومسجد الشيخ أبي عثمان المزاتي**)؛ وفي هذه الرحلة أيضاً قمت بزيارة (**لمدينة شروس**)، التي تعد من أكبر مدن الجبل وكانت تمثل العاصمة وقتذاك، وهي تشغل مساحة جغرافية كبيرة ويتضح ذلك من خلال ترامي آثارها، وهي متحصنة بين ثلاثة جبال عالية، ومن معالمها التاريخية: (**مسجد ومدرسة الشيخ ويدران بن جواد أبو معروف**)، وهو المبنى الوحيد تقريباً الذي مازال قائماً في المدينة، و(**خزانة نفوسة**) بـ (**قصر ولم**)، وكانت من أكبر المكتبات العامة بالجبل وأشهرها، حيث ضمت جنباتها أعداداً هائلة من الكتب والمصنفات.

كما زرت (**مدينة إيفاطمان**)، وهي أيضاً يبدو أنها كانت تشغل مساحة كبيرة ومتسعة وهذا يتبين من كثرة الأثار المترامية والمتناثرة، إلا أن أغلب أثارها قد تراكمت حجارته وتساقطت كما لوحظ في مدينة شروس، وعلى عكس قرى ومدن أخرى مازالت محافظة على أثارها[2] وبمدينةإيفاطمان تأسست أول (**مدرسة**)، لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم مباديء القراءة والكتابة في جبل نفوسة، على يد (**الشيخ المعلم عمرو بن يمكتن**)، إلا أنني للأسف لم أعثر على مكان هذه المدرسة، لقلة الدراسات والمعلومات الأثرية عن هذه المنطقة وغيرها من مناطق

---

(1) . أفادني صديقي الأستاذ المؤرخ علي حامد لطيف البدراني أن قبائل البدارنة الغربية والشرقية قد سكنوا في هاتين القريتين حتى أواخر السبعينيات من القرن الماضي،حيث أقامت البدارنة الشرقية بقرية زعرارة، والبدارنة الغربية سكنوا بقرية دجي. ثم قاموا بتأسيس قراهم الجديدة فيما بعد أسفل الجبل.

(2) .ربما يرجع السبب في ذلك إلى هجرة سكان تلك المدن إلى أماكن أخرى، ولم تكن بها إستمرارية تاريخية فتنهالك بفعل الزمن والطبيعة، بخلاف الأخرى التي تلاقي الاهتمام من قبل ساكنيها عبر الأجيال المتوالية.

الجبل. ومن القرى التي زرتها في الرحلة قرية (**ويـــغو**)، وهي أيضاً قرية مهجـــورة السكان، وبقيت أثارهم شاهدة على تاريخهم.

4. الرحلة الرابعة: وكانت خلال أيام: (11/22 ــ 12/3 / 2004م) وشملـــت الزيارة في هذه الرحلة (**مدينة كباو**)، من المراكز الحضارية بالجبل والتي ســـاهمت بوضوح في الازدهار العلمي والثقافي بالمنطقة خلال فترة الدراسة، وتبعد كباو عن مدينة طرابلس حوالي 270كلم، كما زرت بعض القرى ـــ المتواجدة حول مدينة كباو ـــ وهي كذلك لها دور تاريخي في ميدان العلم والمعرفة مثل: (**وادي إكراين وعلى ضفافه بعض القرى كآت بارون، وتصرار، وإيمزبـــولن، وأبـــو راوي**) بالإضافة إلى (**قرية إبانين**) التي تعلو قمة جبل إبانين، و (**قرية جليمت**) في أعلـــى قمة جبل عالي. ولكل من هذه القري معالمها التاريخية والأثرية التي تشتهر بها منها على سبيل المثال: (**قصر كباو**) الأثري الذي نال نصيبه من الترميم والصيانة مؤخراً بمجهود الأهالي، و(**مسجد أبو محمد الكباوي**) أحـــد مـــشائخ وعلمـــاء كبـــاو المشهورين، و(**مسجد أبوهارون التملوشايتي**) في إبانين، و لم أعثر في جليمت على مدرسة الشيخ أبو هارون الجلالمي. كما قمت بزيارة خلال هذه الرحلة (**لمدينـــة طمزين**) التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 250كلم، ولاحظت أن المدينة قـــد مرت بعدة مراحل قبل أن تصل إلى مرحلة البناء على حافة الجبل، وهذه الملاحظة تكاد تبدو عامة على أغلب مدن وقرى الجبل، التي بـــدأت الـــسكن في الغـــيران والكهوف، إلا أنهم على ما يبدو أنهم قد هذبوا تلك المغارات لتصبح صالحة الإقامة وهي فترة ترجع إلى التاريخ القديم، ثم تطورت الحيا ة بالمنطقة وبدأ السكان يبنون المباني لغرض السكن فاستخدموا: (**الطين والتراب والحجارة والجبس**)، والملاحظ

أنهم اختاروا البناء على حافة الجبل، ويرجع السبب في ذلك لأسباب استراتيجية وأمنية ليكونوا متحصنين ضد غارات الأعداء. ومن المعالم التاريخية بمدينة طمزين (**مسجد الشيخ أبي عثمان سعد بن يونس**)، كما زرت (**قرية تمصمص**)، الواقعة على بعد كيلو متر جنوب شرق مدينة طمزين، ويبدو أنها أقدم زمنياً من الأولى، كما أفادني بذلك بعض أهالي طمزين قائلين: " أن سكان تمصمص هجروا قريتهم في فترة تاريخية غير معروفة بالدقة، وقاموا بتأسيس مدينة طمزين التي كانت في منطقة بو خروبة أولاً، ثم أسسوا مدينتهم على الحافة حوالي عام 775هـ"[1].

ومن أبرز معالم تمصمص الأثرية: قصر تمصمص، الذي لم يتبقي من رسمه سوى حجارة متراكمة على بعضها البعض، و(**مسجد ومدرسة الشيخ أبي محمد خصيب التمصمصي**)، التي مازالت قائمة وبحالة جيدة، وفي هذه المدرسة درست أول فتاة من الجبل إلى جانب الفتيان وهي أم ماطوس من قرية جارإصرا، كما شدّت الرحال نحو (**مدينة تملوشايت**) الممتدة الأطراف بقراها السبع: (**ماجر، والقصر، وأميتار، وإمحيجل، وتوزنزرت، وتلات خرب، وأبدليل**)، وتبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240كلم، ومن معالم هذه المدينة: مسجد ومدرسة الشيخ والشاعر أبي نصر بن نوح التملوشايتي، ومسجد الشيخ عيسى بن زرعة بقرية ماجر، وقصر تملوشايت بقرية القصر، ثم توجهت ناحية قرية تندميرة التي انجبت علماء وأعلام عديدين من أبرزهم الشيخ إلياس أبو منصور، الذي لا يزال مسجده قائماً وبحالة جيدة. وفي هذه الرحلة أيضاً أكملت زيارة ما تبقي من قري مدينة الحرابة مثل: (**تترغت، وجريجن، وبقالة، وتمنكرت (بقيقيلة حالياً)، ومرقس،**

---

(1) . هذه الرواية سمعتها لأكثر من شخص منهم: د. مسعود الكوشلي: أ. محمد الهوفاري وغيرهم. ومنطقة بو خروبة زرتها وهي تحتوي على عدة معالم أثرية وأغلبها في شكل غيران، منها: مسجد أثري رائع تحت الأرض، معروف بمسجد تحارت، وغيرها من الأبنية الأثرية.

ودركل، والجزيرة)، وتزخر هذه القرى جميعها بالعديد من المشاهد، والمعالم التاريخية والأثرية التي تمثل قيمة بالغة وتراث حضاري عريق. كالأبنية التاريخية، من منازل وبيوت، ومعاصر وقصور، ومدارس، ومساجد، كمسجد دركل الذي ربما يكون للشيخ أبي خليل الدركلي الذي وجدت به تاريخ على أحد سقوفه يرجع إلى سنة (535هـ/1138م)، وهو أقدم تاريخ وجدت مدوناً في الأبنية الأثرية، ومسجد ومدرسة أبي المنيب محمد بن يانيس.

5. الرحلة الخامسة: كانت خلال أيام: (21 ـ 2005/1/23م)، وشملت هذه الرحلة القري الواقعة في نطاق **(مدينة الرحيبات)**، التي تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 195كلم، وهي: **(ونزيرف، وإمساكن (قطرس حالياً)، وإبديلان، وإمرساون (الحمران حالياً)، وتيميجار (أولاد بوجديد حالياً)، وميتيون، وجيطال)**، وتشتهر هذه القري بعدة معالم تاريخية وأثرية مازالت قائمة وبحالة جيدة منها على سبيل المثال: مسجد الشيخ أبي عبد الله محمد بن الخير الونزيرفي، ومسجد أبي يحيى السدراتي، ومسجد أبي الحسن الإبديلاني، ومسجد أبي حازم المرساوني، ومسجد الشيخ أبو علي بن يخلف التيميجاري، ومسجد الشيخ إسماعيل الجيطالي، وغيرها من المعالم والمشاهد من المصليات والأبنية مثل القصور والمباني. كما زرت مدينة يفرن بقراها الآتية: **(القلعة، وتاغمة، وتازمرايت، وأت غاسروا (القصير حالياً)، والشقارنة، وقصبة مادي، والمعانيين، والبخابخة، والقراديين، والمشوشيين، وتاقربوست)**، ونلاحظ الإتساع الجغرافي لهذه المدينة التي تحوي على العديد من المعالم الأثرية والأبنية التاريخية ومنها على سبيل المثال: قصر بقرية الشقارنة ويعد من أكبر قصور الجبل ولكن تم هدمه من قبل الأتراك أثناء ثورة غومة المحمودي ، وكان يحوي على ألف وثمانمائة غرفة، ويتكون من ثمانية طوابق، ومسجد ومدرسة الشيخ العلامة أبي ساكن عامر الشماخي، بقرية المعانيين،

الذي للأسف الشديد قد هدم الأهالي بعض ملحقاته مثل: (**خـــلاوي الطلبـــة**)، وكذلك أُزيلت (**مقبرة الطلبة الغرباء**)، وذلك في إطار بناء مسجد جديد ســـنة 1979م، ومسجد ومدرسة قديمة بقرية البخابخة التي قام بتجديدها الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني، ومسجد أمنا حواء بقصبة مادي، ومسجد تواتريوين بقريـــة أت غاسروا (**القصير**)، ومعبد لليهود في قصبة مادي، وأثار رومانية في منطقة صفيت بالقلعة.

وفي الحقيقة هناك بعض المواقع والأماكن الأثرية لم أتمكن مـــن زيارتهـــا والوقوف عليها، نظراً لضيق الحال والوقت، غير أنه لكل تلك المدن والقري أهمية تاريخية، حيث برز فيها عددٌ كبير من العلماء والفقهاء والمفكرين الذين أســـهموا بدور كبير في إثراء الحركة العلمية والثقافية في جبل نفوسة، وهي في حاجة ماسة إلى الرعاية والاهتمام من حيث أعمال الصيانة والترميم، وذلك فضلاً عن ضرورة إجراء الدراسات والبحوث الأثرية والتاريخية حولها من مختلف الجوانب، إسهاماً منا في الحفاظ على تاريخنا الحضاري العريق. وفي النهاية كانت خاتمة الدراسة وقد تضمنت أبرز النتائج التي تخص موضوع البحث (**الحياة العلمية في جبل نفوســـة وتأثيراته على بلاد السودان الغربي والأوسط**) في نقاط مختصرة، وبهذا العمل تبدأ خطواتي الأولي في درب العلم الطويل، وصدري منشرح لكل نقد بنـــاء ونـــصح أمين، والله المستعان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلف

محمود حسين كوردي

طرابلس ــ يفرن 2005 م

الفصل الأول

(التمهيدي)

1. التحديد الجغرافي لمنطقة جبل نفوسة.
2. التطور الحضاري في جبل نفوسة.
3. الفتح الإسلامي لمنطقة جبل نفوسة.
4. الدور السياسي والاقتصادي لجبل نفوسة في بلاد الغرب الإسلامي:

أ. الدولة الرستمية وجبل نفوسة.

ب. الأهمية الاقتصادية لجبل نفوسة.

1. التحديد الجغرافي لمنطقة جبل نفوسة:

لا شك أن للبيئة دورا مهما ومؤثرا في فكر الإنسان وحضارته فهي تشكل أسلوب حياته وثقافته، وبما أن البيئة تخضع لعامل الجغرافيا والمناخ فإن دراسة تاريخ جبل نفوسة تتطلب دراسة لموقعه الجغرافي، وأثر ذلك العامل في فكر وحضارة السكان.

ويعد هذا الجبل ضمن سلسلة جبلية طويلة تمتد تضاريسها من المحيط الأطلسي غرباً إلي مدينة (الخمس)[1] على البحر المتوسط شرقاً، و هو بذلك يمتد من المغرب الأقصى، فيمر بالمغربين الأوسط والأدنى، وهذا ما أشار إليه البكري في حديثه عن جبال أطلس قائلاً: " أنه أكبر جبال الدنيا وهو يتصل بجبل أوراس وبجبل نفوسة المجاور لطرابلس "[2]. والملاحظ أن لهذه السلسلة الجبلية تسميات محلية، في كثير من أقسامها عبر البلدان التي تمر بها وفق اعتبارات ودلالات خاصة: اجتماعية أو قبلية، أو بيئية. ففي المغرب الأقصي يطلق عليها (**جبال درن**)، وفي المغرب الأوسط يطلق عليها (**جبل الأوراس**)، أما في تونس فهي تعرف (**بجبل دمر**) وعندما تصل إلي إقليم أطرابلس تطلق على مسافة منها (**جبل نفوسة**)[3].

ويحيط الجبل بمنطقة طرابلس الساحلية من جنوبها الغربي متخذاً شكل هلال ويفصلها عن فزان، ولذلك تسمى الأقاليم الساحلية من طرابلس بـــ

---

(1) . الخمس: مدينة ليبية تقع على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 ك . م شرقاً، ينظر الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، طرابلس: دار مكتبة النور، 1968، ص 125.

(2) . أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، ج2، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، تونس: الدار العربية للكتاب، 1992 م، ص 852؛ الطاهر الزاوي، المرجع السابق، ص97 ؛ طه باقر ، عصور ما قبل التاريخ في ليبيا وعلاقتها بأصول الحضارات القديمة، (ليبيا في التاريخ) المؤتمر التاريخي، الجامعة الليبية ، 1968، ص 6 .

(3) .محمد عبد الله التجاني، رحلة التجاني، تقديم:حسن حسني عبد الوهاب، تونس: المطبعة الرسمية، 1958، ص 212.

(الجفارة)، والأقاليم الداخلية المرتفعة بـ (الجبل) والهضبة القاسية التي تنحدر بالتدريج نحو الصحراء بـ (الظهر)[1]. والملاحظ أن الجبل يرتفع من الشرق إلي الغرب فيبلغ ارتفاعه في يفرن 715 متر، وفي جادو 659 متر، وفي كباو 640 متر، ونالوت 650 متر، وتبلغ مساحته الكلية حوالي أربعة آلاف كلم ويبلغ عمقه حوالي عشرين كلم [2].

وجبل نفوسة يقع في بلاد المغرب الأدنى (بليبيا حالياً) وهو ما يعرف حالياً بـ(الجبل الغربي)، ولكن السؤال المطروح ما هو التحديد الجغرافي الدقيق للجبل؟ وما أثر التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على هذا التحديد؟ وإلي أي مدي يمكن أن نطلق تسمية نفوسة على أجزاء الجبل في إقليم أطرابلس ؟.

اختلفت الآراء وتباينت حول تحديد امتداد جبل نفوسة، فبينما يرى الرحالة ابن حوقل (4هـ/10م) والرحالة الإدريسي (6هـ/12م) والحميري (9هـ/15م) أن: طول الجبل يُقدّر بمسيرة ثلاثة أيام [3] ، نجد آراء أخرى تخالف ذلك مثل: شمس الدين الأنصاري (4هـ/10م)، والمؤرخ البكري

---

(1) .سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج 1، الأسكندرية: منشأة المعارف، 1979، ص 66.

(2) .عبد الجليل الطاهر، المجتمع الليبي: دراسات اجتماعية وانتربولوجية، صيدا ـ بيروت:المكتبة العصرية، 1969، ص 21.

(3) . أبو القاسم بن حوقل النصيبي، كتاب صورة الأرض، ج 1، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1979، ص 92؛ أبو عبد الله الشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مج 1، بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية، 1994، ص 279؛ محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط 2، مؤسسة ناصر للثقافة، 1975، ص 578 .

(5هـ/11م) وأبو الحسن المغربي (6هـ/12م)، والحموي (6هـ/12م) يرون: أن طول الجبل ستة أيام[1].

وبذلك يتبين أن هناك فرق شاسع بين الرأيين بمقدار مسيرة ثلاثة أيام وهي مسافة تؤثر في مسألة التحديد الجغرافي لموضوع البحث، وإذا ما تمت مقارنة المقاييس القديمة (المسير بالأيام) بالمقاييس الحديثة (بالكيلو مترات) على جغرافية الجبل، يمكن أن نستنتج طول الجبل بصورة تقريبية وفق الآراء السابقة، الرأي الأول: حدود الجبل من نالوت غرباً إلي تغرمين (الزنتان حالياً) شرقاً، وأن أصحاب الرأي الثاني يرون طول الجبل: من نالوت غرباً إلي يفرن شرقاً.

وتذهب بعض الدراسات المعاصرة إلي القول بأن جبل نفوسة يمتد من الحدود التونسية غرباً حتى مدينة الخمس شرقاً في هضاب النقازة حيث يلتقي مع البحر المتوسط[2]. وهذه المسافة تبلغ حوالي الخمسمائة كيلو متر والمعروفة بجبال طرابلس[3]. كما يلاحظ أن هناك آراء أخرى[4] تُقصّر المسافة بمائتي كيلو متر

---

(1) . أبوعبيد البكري، المصدر السابق، ص 655 ــ 656؛ شهاب الدين الحموي، معجم البلدان، ج5 ، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1979، ص 296 ــ 297؛ شمس الدين أبي عبد الله الأنصاري، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ج 2 ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (د . ت)، ص 239 ؛ أبو الحسن علي بن سعيد المغربي ، كتاب الجغرافيا ، حققه : إسماعيل العربي ، بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، 1970 ، ص145 ــ 146 .

(2) .الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ط 2، ليبيا: دار التراث العربي ، 1963 ، ص 55 ؛ عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم، بيروت: دار صادر، 1971، ص 10.

(3) .عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية، 1962، ص 107.

(4). إبراهيم سليمان الشماخي ، قصور وطرق جبل نفوسة، طبعة حجرية، 1892؛ C F. Despois. J.: Le Djebel Nefousa. Larore. Editcurs. 1935

تقريباً أي من الحدود التونسية وتحديداً من مدينة وازّن بالقرب من نالوت غرباً إلي مدينة يفرن[1] شرقاً.

كما تنبغي الإشارة إلى آراء تفيد أن حدود الجبل محصورة ما بين نالوت وتغرمين وهي (أرض الزنتان حالياً)[2]. وهي تعد أقصر مسافة للجبل بين جميع الآراء المطروحة سالفاً. أما من حيث العرض فإنه يقدر بحوالي (20 ــ 25 كم) ويندمج في جنوبه مع الهضبة الصحراوية التي تعرف بمنطقة الظاهر[3].

وبذلك يمكن إستنتاج التحديد الجغرافي لجبل نفوسة في تلك العصور الوسيطة ــ ولا نعتبره تحديداً ثابتاً ــ وإنما هو تحديد جغرافي متحرك حسب الظروف السياسية والاجتماعية من نزاعات وهجرات وسنن بشرية، وهذا الأمر تكرر من قبل والدليل على ذلك أن لفظ ليبيا الذي أطلقه الجغرافيون والمؤرخون على أماكن جغرافية مختلفة فلوحظ إمتدادها حينا وتقلصها حينا فمثلاً كان يعني بها هيردوت: منطقة برقة، واستعملها مرة أخرى على الشمال الإفريقي، وقصد بها أيضاً إفريقيا بكاملها[4]، وهذا ما تكرر أيضاً مع المؤرخ إسترابون عندما رأى أن

---

(1) . يفرن: وهي إحدى مدن الجبل في الناحية الشرقية منه، وتبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كلم ومن قراها القديمة: المعانيين، والبخابخة، والقصير، والقرادين، والشقارنة، والقصبة،وتاقربوست، والمشوشين، وتاغمة وتازمرايت، والقلعة. وتشتهر بغراسة الزيتون والتين والكروم والحمضيات واللوز، بالإضافة إلي زراعة القمح والشعير، ويوجد بها العديد من الأبنية والمعالم الأثرية، التي تحتاج إلي ترميم وصيانة، ودراسات أثرية، منها: مدرسة ومسجد الشيخ عامر الشماخي توفي عام 792هـ / 1390 م، ومدرسة البخابخة قام بتجديدها الشيخ عبد الله الباروني والد المجاهد سليمان الباروني. زارها الباحث عام 2004 ف.

(2) .صالح معيوف مفتاح، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية من منتصف ق 2 هـ / إلي أواخر ق3هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، الرباط: جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية (2002 ــ2003 ف).

(3) .عبد الحفيظ الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، طرابلس: مركز الجهاد للدراسات التاريخية 2001 ، ص 26.

(4) . محمد مصطفي بازامة، ليبيا هذا الاسم في جذوره التاريخية، ط 2، بنغازي: مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975، ص88؛ عبد اللطيف محمود البرغوثي، المصدر السابق، ص 22.

المعمورة مقسمة إلي ثلاث أقسام وهي: آسيا، وأوربا، وليبيا [1]، وهنا يلاحظ أن تسمية ليبيا تطلق على كامل القارة. ولا يختلف الأمر كثيراً عن تسمية جبل نفوسة المنتسب لأشهر القبائل التي استمر تواجدها التاريخي في الجبل جيلاً بعد آخر [2]. وكان الجبل ينقسم إلي ثلاث مناطق: الناحية الغربية ويطلق عليهـــا (إمينـــاج)[3] ومركزها مدينة لالوت، والمنطقة الوسطى مركزها جادو، والثالثة المنطقة الشرقية ومركزها يفرن. والمعروف أن الجبل تسكنه عدة قبائل منـــها: هـــوارة، وزناتـــة، ولواتة، سدراتة، مغراوة ونفوسة. وكانت الأخيرة مستوطنة في الناحية الغربية إلي جانب قبائل أخرى من أصل هواري أو زناتي، أو سدراتي، أما الأجزاء الـــشرقية من الجبل فكانت تسكنه عدة عشائر من زناتة وهوارة مثل: بني يفرن وبني زمـــور ومسكورة وماطوسة.

ومع بداية العصر الوسيط استطاعت قبيلة نفوسة أن تمد ســـيطرتها علـــى القبائل والعشائر المجاورة لها في الجبل (هوارة، ولواته، وزناتة، سدراتة، مغـــراوة) وانصهرت داخلها تدريجياً حتي امتدت تسميتها في مرحلة أولي إلي مدينة جادو، و لم يبق خارج إطار سيطرة نفوسة إلا قبيلة بني يفرن الزناتية التي عرف وطن يفرن باسمها والذي خضع للنفود النفوسى في مراحل تالية بعد التغلب على حركة خلف ابن السمح[4]. وعلى ما يبدو فان هذا الامتداد والتقلص لنفوذ نفوسة على أراضي

---

(1). إسترابون، الكتاب السابع عشر من جغرافية إسترابون، ترجمة: محمد المبروك الذويب، بنغـــازي: جامعـــة قاريونس، 2003، ص 92.

(2). Oric Bates. The Eastern Libyans: Frank Cass CO. P 71.

(3). كلمة أمازيغية وتعني: العلوي أو الأعلى، وسياقها هنا الجهة العليا.

(4). محمد حسن، حول إحدي القبائل البربرية: نفوسة (مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية)، مجلة كليـــة الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط: العدد 10، 1984.، ص 151.

الجبل هو الذي أنتج اختلاف الآراء في تحديدات الجغرافيين العرب حـــول طـــول الجبل.

أن وهذه الجغرافية لجبل نفوسة من نالوت (وازن = بالقرب من نالوت) غرباً إلي يفرن شرقاً هي المنطقة التي أرجحها في تحديد موضوع البحث جغرافيـــاً، فقد لاحظت من خلال بعض المصادر التاريخية أن هذه المنطقة كانت تشكل الإطار لحركة الطلاب والعلماء وتنقلاتهم العلمية .

ويتكون الجبل في أغلبه من صخور جيرية تعود إلي العـــصر الجوراســـي وتتجه هذه السلسلة من الجنوب الغربي إلي الشمال الشرقي وتتخللها مجموعة من الأودية بها مجموعة من الدروب والمسالك تربط مدن وقرى الجبل بعضها ببعض[1] وتتساقط الأمطار بكميات تتراوح ما بين (300 ــ 400 مم) سنوياً على منطقة الجبل، وهي تقل للمتجه من الشرق إلي الغرب وبالنسبة لمناخ الجبل فهو شبيه بمناخ البحر المتوسط معتدل في فصل الشتاء وحار جاف في فصل الصيف [2] وهذا مـــا يهيئ ظروفا طبيعية مناسبة تسمح بتجمعات سكانية، وخلق حضارة بشرية وفق البيئة الجغرافية.

---

(1) . للمزيد انظر: القصور والطرق لمن يريد جبل نفوسة من طرابلس، إبراهيم سليمان الشماخي، ترجمة: أحمد الفساطوي، طرابلس: منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2005.

(2) .محمد المبروك المهدوي، جغرافية ليبيا البشرية، بنغازي: المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع، (د . ت)، ص 75.

2. التطور الحضاري في جبل نفوسة:

(أ). التوزيع الجغرافي لقري ومدن الجبل:

كان جبل نفوسة مستوطناً ومأهولاً بالسكان منذ القدم، فهو يمثل حضارة مستقرة [1]، وتأسيساً على ذلك قامت فيه عدة مدن وقرى، منها ما اندثر وعفا عليها الزمن، واستمر بعضها الآخر خلال العصور الوسطى، وما تزال بقية منها حتى يومنا هذا في آثارها وأطلالها، وأسهمت أغلبها في التطور الحضاري والثقافي والبشري للمنطقة حسب موقعها وطبيعتها. وهي موزعة على طول جغرافية الجبل من الغرب إلي الشرق[2] على النحو الآتي:

بداية من ناحية الغرب مدينة لالوت (**نالوت حالياً**)، الواقعة في أقصى الغرب[3]، وهي مركز الجهة الغربية، تقع على جبل عال، وتطل على وادي لالوت الفسيح، وغابة تالة المشهورة بعين **تغليست**[4]، وإلى الجنوب الغربي من لالوت توجد قرية **تيغيت** (**أولاد محمود حالياً**)، وإلي الشرق توجد مدينة **كباو** وتطل على **وادي إكراين**، وشاهدت بوسط ذلك الوادي الكبير آثار لأبنية مطمورة تحت الأرض تدل على وجود قرية قديمة، ومن قرى الوادي العديدة : قرية **إيبانين**

---

(1) . عبد الجليل الطاهر، المرجع السابق، ص 11.

(2). انظر الخريطة رقم: (1)، تبين توزيع القري والمدن على طول الجبل من الغرب إلى الشرق.

(3) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 300 كلم، وزرت هذه المنطقة خلال أيام: (10 ــ 2004/2/15م) وأخذت معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ سليمان عمرو يحمد، والشيخ الاستاذ يحي المقدمي. وذلك بخصوص معلومات عن المدينة وسكانها، وموقعها، وأهم معالمها التاريخية والأثرية.

(4) . زرتها عام 2004م، ومازالت مياهها جارية .

التي تقع فوق قمة جبل إيباناين، وتقابلها إلي الجنوب منها قريـــة **جليمـــت** وإلي الغرب منها قرية **آت بارون** في وسط الوادي وفي وسط الوادي في ناحية الشمال تقع بلدة **تصرار**، وتجاورها **إيمزبولن** وقرية **أبوراوي** شمالاً. وفي غرب الأخيرة قرية **عبد الغني** وتعلو قمة جبل عال وإلي الغرب الجنوبي وادي الشيخ وتقع فيه مجموعة قرى منها: **كمزين، و وريوري**[1].

وفي الشمال الشرقي لمدينة كباو توجد قرية **فرسطا**[2] وتقع على قمة جبل وتطل على وادي فرسطا الذي يفصلها عن مدينة **طمزين**[3]، المقابلة لها من الشرق وإلي الجنوب من طمزين تقع قرية **تمصمص** القديمة والتي يعتقد الأهالي أن أهلـــها هجروها وكوّنوا طمزين على حافة الجبل، وتطل طمزين على وادي طمزين مـــن الناحية الشرقية وهو يفصلها عن مدينتي: **تملوشايت وتندميرة**، وتملوشايت يبدو من خلال آثارها أنها كانت مدينة متسعة الأرجاء، وتنقسم إلي عدة قرى منها: **ماجر، وقرية أبد ليل، وقرية أميتار، وقرية إمحيجل، وقرية توزنزرت، وتلات خرب، وقرية القصر** عرفت بهذا الاسم لوجود قصر تملوشايت بها[4]. وتطل علـــى وادي يعد أضيق من الوديان السابق ذكرها. كما أن مدينة تندميرة تقع على حافة الجبل

---

(1) . تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 270 كلم، زرت هذه القري والمدن خـــلال أيـــام: (22 ــ 11/ 3 ــ 2004/12م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ إبراهيم صكوح، الحاج سعيد طرف.

(2) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 270 كلم، زرت هذه المنطقة في: (16 / 2 / 2004م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ علي منصور، الأستاذ عبد الله أبو رقيبة، والاستاذ خليفة العزابي

(3) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 250 كلم، زرت هذه المنطقة خلال أيـــام: (24 ــ 2004/11/25م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخ: الأستاذ محمد الهوفاري.

(4) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم، زرت هذه القري خلال (25 ــ 2004/11/26م)، وأخذت عنها معلومات من الأخوة: الأستاذ محمد الهوفاري، والأستاذ عمر المرعوش.

وتطل على وادي تندميرة الذي يتجه جنوباً ويلتقي مع وادي **شروس الكبير**[1].
وإلي الشرق منها وادي شروس الكبير، حيث تقع إلي شرقه مدينة **شروس**[2]، عاصمة الجبل في العصور الوسطى ، وحول شروس تتناثر مجموعة قرى ومدن أخرى مثل : **ويغو، ومرقس وتزغت، وجريجن، وتمنكرت، وبغطورة ، وبقالة ، ودركل ، والجزيرة**[3]، وإلي شمال تلك القرى والمدن توجد قريتان: الأولي **زعرارة** وهي تتخذ من كهوف الجبال بيوتاً وتقع في أعلى قمة جبل وفي طرفها الشمال الغربي القرية الثانية وهي **دجي** وبيوتها منحوتة بشكل غريب في الجبال[4].

وإلي الشرق منها يفصلها واد عميق عن منطقة **الرحيبات** وهي تشمل عدة قرى ومدن قديمة منها: **إيفاطمان** الواقعة على جانبي روافد وادي تالة ويقابلها على الجانب الآخر من نفس الوادي ثلاث قرى: **الشياب وأبديلان، وإمساكن** وفي اتجاه الشرق والشمال الشرقي بعد اجتياز وادي أبو غنداس تكون قرية ونزيرف المطلة على وادي أوجنت ، ويفصلها وادي أمسين عن القرى: **إدوناط، وتيميجار وميتيون**، وكذلك من المدن والقرى القديمة ضمن هذه المنطقة: **إينر وجيطال وإمرساون** [5].وإلي الشرق من هذه المجموعة تأتي قرى مدينة **جادو**،

---

(1) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240 كلم ، زرت هذه المدينة بتاريخ (27 ــ 11 ــ 2004م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأستاذ: احمد صالح التندميري.

(2) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240كلم ، زرت هذه المدينة يوم الجمعة بتاريخ (23/ 4/2004م).

(3) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 240كلم، زرت هذه المدن والقرى خلال أيام: (28 ــ 11 /2 ــ12/ 2004م). وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ موسى شاكير، والأستاذ عمر أيوب، والأستاذ أحمد الساق، والأستاذ عمر عبازة.

(4) .تبعدان عن مدينة طرابلس حوالي 200كلم، زرت هاتين القريتين خلال أيام: (22 ــ 2004/4/24م)، وأخذت عنهما معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ علي حامد إلطيف البدراني، واحتيوش.

(5) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي187كلم ، زرت هذه المدن والقرى خلال أيام: (21 ــ 23 /2005/1م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخ: الأستاذ صلاح مسعود الدبلي.

وهذه المدينة أيضاً كانت من المدن الكبيرة في الجبل بل كانت تمثل أحياناً العاصمة في العصور الوسطى، وتعد هذه المنطقة الوسطي من الجبل ومن قرى جادو: ثلاث قرى تعلو قمة جبل وهي: **يوجلين، وتلات أونميران، وأوشباري** وتطل هذه القرى على وادي وعين تموجط وقرية **تموجط** التي تجاورها عند سفح الجبل قرية **أيجناون** التي يحدها جبل من الناحية الشمالية تعلوه ثلاث قرى أخرى وهي: **مزغورة، وتندباس وجماري**[1]، المجاورات لقريتا: **ويفات، ورقرق**. وإلي الشرق من مدينة جادو تتناثر مجموعة قرى هي اليوم ضمن منطقة **الرجبان** ومنها: **تيركت** (أولاد عطية)، **والغلت** (أولاد عنان)، **وتاردية** (أولاد عبيد)، **وإشارن** (أولاد جابر) **وسنتوت، وأشفي، وميري** وهي القرية التي أقام بها الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن سبع سنوات خلال زيارته للجبل، وفي الاتجاه الشرقي من هذه المجموعة تقع بلدة تاغرمين وهي حالياً ضمن مدينة الزنتان.

وفي أقصي شرق جبل نفوسة تقع مدينة يفرن[2]، وهي تأتي في القسم الثالث والأخير من جغرافية الجبل (**موضوع الدراسة**)، واكتسبت اسمها من بني يفرن فرع من قبيلة زناتة البترية كانوا قد استوطنوا المنطقة، قبل الإمتداد النفوسي عليها. وحاولت هذه المنطقة أن تستقل في فترة من فترات تاريخها عن الدولة الرستمية في ثورة خلف بن السمح[3]. وتتكون مدينة يفرن من عدة قرى

---

(1).تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم، زرت هذه المدن والقرى خلال أيام: (1 ــ 2004/4/7م)، وأخذت عنها معلومات شفوية من الأخوة: الأستاذ داود القلال، والأستاذ يحيي القلال، والأستاذ علي قليزة، والاستاذ عادل يخلف الطرميسي.

(2) .تبعد عن مدينة طرابلس حوالي 120 كلم ، زرت هذه المدينة وقراها خلال أيام: (15 ــ 2004/6/20م).

(3) . ثورة خلف بن السمح: قامت في الجهة الشرقية من الجبل وسيأتي الكلام عليها في صفحة: (51).

وهي:المعانيين، والبخابخة، والمشوشيين، والقرادين، وقصبة مادي، وآت غاسروا (القصير حالياً)، وديسير (الشقارنة حالياً)، وتاقربوست، وتازمرايت، وتاغمة، والقلعة[1].

(ب) بداية الإستقرار وأنواع السكن في جبل نفوسة:

تعد المنطقة ما بين ساحل البحر والواحات الصحراوية هي المنطقة التي يمكن للإنسان أن يعثر فيها على المياه خلال العصور القديمة [2] وبالتالي يمكن لإنسان تلك المناطق أن يفكر في الإستقرار، والاشتغال بالزراعة. وتشير بعض الدراسات الحديثة إلي أن الليبيين القدماء كانوا يعيشون في شكل قبلي يسوده الاستقرار، وقد عرفوا حياة الرعي والزراعة قبل مجيء الفينيقيين إلي هذه المنطقة كما زاولوا النشاط التجاري[3]. ويرى هيرودوت ق: (5 ق . م) أن الليبيين أسبق في هذه المنطقة من الفينيقيين ويتحدث عن اللوتوفاجيين، والجندانيين، والجارامنت في فزان، ويشير إلي الجيتول سكان الجبل متحدثاً عن أرضهم وما تحويه من سهول وجبال وبحيرات، وأن السكان حياتهم بسيطة، ولهم زوجات متعددة وأطفال كثيرون، وينهتمون بتربية الخيول والثيران والخراف. والسياق يطرح السؤال التالي:

---

(1) . في الحقيقة هناك بعض القرى والمدن التاريخية والتي وللأسف الشديد لم يسعفني الوقت من زيارتها والوقوف على معالمها، ومشاهدة أطلالها، ورأيت من الأنسب أن أذكرها هنا، وذلك لأهميتها التاريخية والأثرية، وأرجو من الله العلي القدير أن يوفقني بزيارتها في وقت لاحق، ومنها: قرية وازن في أقصي الغرب على الحدود الليبية التونسية، وإلى الشرق منها قرية تيغيت (أولاد محمود حالياً)، وإلى الشرق مجموعة قري تقع حالياً في نطاق مدينة الرجبان وهي: تاردية، وأصفو، وأشفي، وسنتوت، وتيميتي، وتيركت، وميري، وهي القرية التي أقام بها الإمام الرستمي عبد الوهاب سبع سنوات غند إقامته بالجبل، وقرية تيغرمين وهي حالياً مكان إستقرار قبائل الزنتان. والقري القديمة الواقعة اليوم في نطاق مدينة الرياينة، وكذلك القرى الواقعة إلى الشرق من مدينة يفرن وهي: ككلة وبابل وتاكبال.

(2) .خلال العصرين الحجريين القديم والحديث .

(3) .رشيد الناضوري، المغرب الكبير، بيروت: دار النهضة العربية، 1981 ، ص 154.

هل بقي الجيتول في الجبل واستمرت سلالتهم في نفس المكـــان، أم هـــاجروا إلي منطقة أخرى، أو أنهم اختلطوا بأقوام أخرى؟. ومن المحتمل أن تسميتهم قد تحورت إلي مسمى آخر. كما أشار إسترابون (عاش ما بـــين 66 ق.م ـــ 24 م) إلي أن سكان سهل الجفارة في القرن الميلادي الأول هم الليبيون والفينيقيون[1].

ومن المتفق عليه بين أغلب المصادر التاريخية القديمة أن منطقة جبل نفوسة كانت مأهولة بالسكان منذ القدم، وكانوا معرضين لغارات وغزوات قادمة مـــن البحر[2]. كما تؤكد مصادر أخرى على وجود آثار قديمة بمدينة شروس[3]. وهذا ما يفيد أن منطقة الجبل مستبحرة في العمران منذ القدم.

ومن الملاحظ أن تلك المدن والقرى مرت بعدة مراحل في نوعية الـــسكن واختيار المكان للبناء[4]، ففي المراحل الأولي على ما يبدو أن سكان الجبل اتخـــذوا من الكهوف والمغارات الطبيعية مساكن لهم بعد أن قاموا بتهذيبها وتسويتها وفق تقنيات تتماشى وتلك العصور، كما ينبغي الإشارة إلي أن الكهف أو الغار كـــان يوفر الأمان، بالإضافة إلي ميزاته وخصائصه فهو بارد صيفاً ، دافئ شتاءً. وبفعـــل التطور الحضاري عبر الزمن للمنطقة، ولأسباب أخرى توصل السكان إلي معرفـــة

---

(1) . استرابون ، المصدر السابق، ص 113 .

(2) . عبد الجليل الطاهر ، المرجع السابق، ص 15؛ تاديوش ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم (دراسة لسنية في الأنوميا والطوبونوميا الإ"مازيغية)، ترجمة: عبد الله رارو، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة توالـــت الثقافية، ص58.

(3) . الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص 144. .

(4) . من خلال زياراتي المتكررة للجبل لاحظت: أن أغلب مدن وقرى الجبل المبنية على حافة الجبل تجاورها قرية أو مدينة أخرى مساكنها وبيوتها ومساجدها عبارة عن غيران تحت الأرض كما لوحظ أن أغلبها قد مر بـــثلاث مراحل سابقة من البناء، والمرحلة الرابعة هي المساكن الحديثة والمعاصرة لنا، وأن منطقة الجبل تحتاج إلي دراسات أثرية مكثفة ومنظمة ليتمكن الباحث في التاريخ الاستفادة من المادة الأثرية. .

بناء البيوت بالحجارة والطين والجبس، وهي مواد طبيعية ومحلية متوفرة في ذات المكان، وبذلك انتقلت أغلب مدن وقرى الجبل إلى حواف الجبال متخذة منها تحصينات طبيعية تمكنها من الحماية وسهولة الدفاع، وهذا ما يعوضها عن بناء الأسوار كما هو معروف في المدن الساحلية، وهنا يتضح العامل البيئي والجغرافي في فكر سكان الجبل، وتطور حياتهم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والدينية التي مرت بها عبر العصور التاريخية.

(ج) أساليب وأنماط الحياة في جبل نفوسة:

بعدما أستقر أهالي الجبل بتلك المدن والقرى والأدشار بدأ تفاعلهم مع البيئة الطبيعية والجغرافية، التي تجمع ما بين ثلاثة أشكال جغرافية وهي: (**الجبل ، والجفارة ، والظاهر**)، حيث منحتهم أنماطاً وأساليب للعيش تميزوا بها، فكانت حضارتهم تجمع بين الاستقرار في الجبل لمعرفتهم الغراسة مثل: أشجار الزيتون، والنخيل، والتين، والكروم، والحمضيات، واللوز، وزراعة الخضروات، والفواكه في (**الجبل والظاهر**)، والترحال المؤقت في مواسم معينة في منطقة (**الجفارة**)[1]، التي تنبسط أمام انحدرات الجبل من الناحية الشمالية، وتشكل امتدادا طبيعيا وإقليميا يعتمد عليه السكان في حياتهم الاقتصادية حيث يتخذونها في بعض فصول السنة مراعي لماشيتهم، وفي بعضها الآخر للزراعة مثل زراعة الحبوب أهمها (**القمح والشعير**). أما منطقة جنوب الجبل والمعروفة: (**بالظاهر**) وهي الأخرى تعد منطقة مهمة اقتصادياً في الرعي والزراعة وغيرها. ومن خلال الزيارات المتكررة للمنطقة كشفت عن وجود إختلافات بين المناطق الشرقية والغربية من جبل

---

(1) . عبد الجليل الطاهر. المرجع السابق، ص 13.

نفوسة، ففي الشرق تسقط الأمطار بكميات أكثر منها في الغرب، كما أن أراضي الأولي رسوبية حمراء صالحة للزراعة أكثر[1]، ولهذا فإن التركز السكاني في المنطقة الإولي أكثر منه في الأخيرة[2].

ونتيجة لتساقط كميات الأمطار على الجزء الشرقي من الجبل بصورة أغزر منها في الجهة الغربية فقد أقيمت في المنطقة الأولي مزارع انتشرت فيها أشجار الزيتون والتين والكروم واللوز والحمضيات، في حين بقيت منطقة الظاهر في غرب الجبل منطقة رعوية بسبب قلة أمطارها. كما توجد منطقة بالجبل داخلية تعرف (بالزملة)[3] وهي الواقعة على رؤوس الجبال ويحدها من جانبيها الوديان ، وعادة ما تشتهر بغراسة الزيتون لتضاريسها المناسب لجريان مياه الأمطار . وهذه الموارد الاقتصادية هي التي ستقوم عليها تجارة الجبل سواء مع المناطق المحلية والقريبة كمدينة طرابلس أو التجارة الخارجية والبعيدة مثل المشرق الإسلامي أو بلاد السودان الغربي والأوسط ـــ وهذا ما سيتناوله الفصل الرابع من هذه الدراسة ـــ .

كما تتخلل الجبال عدة وديان وشعاب وتمر بسهل الجفارة متجهة ناحية البحر الأبيض المتوسط[4]، وتنتشر في أغلب الوديان عيون المياه الطبيعية التي يعتمد

---

(1) . وهذه الملاحظة مازالت واضحة إلى اليوم حيث أن معدل سقوط الأمطار في المنطقة الشرقية يقدر ب100مل بينما يقدر في المنطقة الغربية ب50 مل، كما نلاحظ أن منطقة الظاهر في الشرق حالياً أغلبها مزارع وبساتين مشجرة بمختلف أنواع الأشجار من: زيتون وتين وكروم ولوز وحمضيات وفواكه ونخيل وغيرها، وهذا غير موجود بمنطقة الظاهر في الغرب التي تكاد تنحصر في الرعي فقط.

(2) . وبالفعل فتباين عدد سكان المنطقة الشرقية عن المنطقة الغربية، تحدثت عنه المصادر التاريخية، مثل البغطوري، والشماخي، والوارجلاني، وخاصة في حديثهم عن ثور ة خلف بن السمح التي قامت في المنطقة الشرقية وتحديداً بمدينة يفرن وكان أتباعه يفوق أتباع خصومه الغربيين.

(3) .كما يطلق عليها الأهالي في الجبل تسمية أخرى وهي: الذراع .

(4) .باربرا باريش، الجيولوجيا الأثرية للجبل الغربي، ترجمة: مصطفي الترجمان، مجلة عربيا القديمة، العدد الأول، مصلحة الآثار، روما: مطابع " ليرما " دي برتيشنايدر، 1995، ص 10.

عليها الأهالي في الشرب والزراعة ومن أشهرها: عين تغليست بنالوت، وعين إيندل بشروس، وعين إينظز بطمزين، وعين أمسين، وعين نانا تالة (**أم القرب**)، وعين إجلازن بالرحيبات، وعين وليوجمي بالقرب من قرية أموساكن، (**قطرس حالياً**) والعين الزرقاء و عين تموجط بجادو، وعين الرومية، وعين تامديت بيفرن، وكانت هذه العيون عاملا أساسياً في استقرار الناس حولها فأسسوا القري والمدن عليها، واشتغلوا بالزراعة على مجاري مياهها، كما قاموا بحفر الصهاريج لتخزين مياه الأمطار، والاستفادة منها في الشرب ولسقي مواشيهم وحيواناتهم، كما اشتهرت وديان جبال نفوسة بغراسة النخيل وغيرها من الأشجار سوف نتطرق إليها عند الحديث عن الأهمية الاقتصادية للجبل. ونفهم من خلال ذلك الإستقرار لسكان الجبل أنهم تركوا تاريخ وأثار تدل على عمق حضارتهم.

(د) أثار وتاريخ جبل نفوسة القديم.

والدارس لتاريخ جبل نفوسة في العصر الوسيط يلاحظ أنه لا غني له عن الرجوع إلي الفترة السابقة لمجيء الإسلام للمنطقة لمحاولة الإلمام بطبيعة التطور الحضاري في جبل نفوسة، ومحاولتي هذه لا تتجاوز إبراز ملامح ذلك التطور نظراً لمحدودية المعلومات المضمنة في المصادر القديمة، ولهذا كله سيتم تركيزي بالأساس على أبرز ما توصلت إليه المكتشفات الأثرية في هذا المجال سيما تلك الأعمال التي قام بها عدد من الباحثين الغربيين بإجراء البحوث الأثرية التي أكدت وجود حضارة في منطقة الجبل بلغت درجة كبيرة من التقدم والازدهار ، فالرحالة الألماني بارث أول من عثر على النقوش الصخرية ثم توالت الاكتشافات من رسومات ونقوش،

وشملت منطقة واسعة من هضبة تاسيلي جنوباً حتى جبل نفوسة شمالاً [1]، بعضها ترجع إلي عصور ما قبل التاريخ وبعضها الآخر للعصر التاريخي[2].

أما الرسومات والنقوش فهي عبارة عن حيوانات متوحشة وحيوانات برية كان الصيادون يقومون بصيدها، ورسوم لرعاة يقودون قطعان الأبقار، ونقوش تمثل عربات وجيادا، ورجالا يركبون الجمال[3]. وفسرت تلك الرسومات لأسباب وشعائر دينية وطقوس سحرية[4].

ومن الآثار الدالة على ازدهار عمران جبل نفوسة وجود معاصر الزيتون المنتشرة في ربوع الجبل وهي تعود إلي فترات تاريخية قديمة، والملاحظ أن هذه المعاصر توجد داخل الكهوف وهذا النوع قديم جداً، وقد تبني الرومان تلك الطريقة المحلية في عصر الزيتون[5]، وكثرة المعاصر يفيد أهتمام الأهالي بغراسة أشجار الزيتون التي تتناسب ومناخ المنطقة ومن ثمّ اعتمدوا على زيتها بصفته غذاءً رئيسياً بالإضافة إلي اعتباره سلعة تجارية يمكن الاتجار بها مع المناطق الأخرى. ومما يؤكد أن المنطقة كانت غنية بزيت الزيتون ما تشير إليه النقوش الصخرية خلال

---

(1). فابريتشيو موري، تادرارت أكاكوس، ترجمة: عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، مراجعة: عبد الرحمن عجيلي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1988، ص 13.

(2). من خلال الزيارات المتكررة للجبل لاحظت وبشكل متكرر، وجود آثار لمباني مطمورة تحت الأرض وهي في حاجة ماسة ليد الأثري ليرفع عنها كاهل الزمن، وليظهرها مرة أخرى إلى النور، وتكون في متناول المؤرخ ليحاول إعادة حياة ماضٍ قد غبر.

(3) . محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، طرابلس: دار المصراتي للطباعة والنشر، 1969، ص 67 ــ 68؛ جمعة العناق، "ما قبل التاريخ في شمال افريقيا"، مجلة آثار العرب، (طرابلس ــ مصلحة الأثار)، العدد الأول، (1990)، ص44.

(4) . عياد موسى العوامي، "تأملات في فن الرسم على الصخور"، مجلة آثار العرب، (طرابلس ــ مصلحة الأثار)، العدد الثاني، (1991)، ص 13.

(5) . عبد الجليل الطاهر، المرجع السابق، ص 67.

القرن الرابع الميلادي من:"شكر الإله على النعم والخيرات لوفرة زيت الزيتون"[1]، كما اهتم أهل جبل نفوسة بتربية الإبل وتاجروا فيها هي الأخرى[2].

أما فترة حكم الوندال الذين سيطروا على أجزاء من الشمال الأفريقي فتندر المعلومات حول تواجدهم في الجبل، وإنما أغلب الروايات تتحدث عن الثورات المحلية ضد الوندال الذين اتبعوا أساليب قاسية في نزع ثروة الأهالي، فتزعمت طرابلس تلك الثورات، ولما كانت منطقة الجبل قريبة جغرافياً من طرابلس فهي تتأثر بها حتماً ولا شك أن سكانها شاركوا في هذه الثورات[3]. خاصة في الثورة التي قام بها كباوون (Cabaoon)، أحد الزعماء الليبيين المقيمين بضواحي طرابلس، الذي جمع المحاربين حوله وتمكن من إلحاق الهزيمة بالوندال على أحد سفوح الجبل[4].

---

(1) .ر . ج . جودتشايلد، دراسات ليبية، ترجمة: عبد الحفيظ الميار وأحمد اليازوري، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999، ص 33.

(2) . محمد سليمان أيوب، المرجع السابق، ص 205.

(3) . إتوري روسي، المرجع السابق، ص 42 .

(4) . المرجع نفسه، ص 43.

(و) الديانات السابقة للإسلام في جبل نفوسة:

أما الديانة في جبل نفوسة قبل الإسلام فتشير بعض المصادر إلي أن الديانة الليبية عرفت تقديس مظاهر الطبيعة[1]. وهذه المسألة اشتركت فيها أغلب الشعوب القديمة والمعروفة بعبادة الأوثان أي: الوثنية، حيث يشعر الإنسان القديم أنّ العالم ملئ بالقوي الروحانية، وأنّ الأشجار والعواصف والسحب تسكنها أرواح[2]. ومن هنا نجد تفسيرا لبعض الصخور التي كانت مقدسة في الجبل، التي يذكرها الشماخي منها على سبيل المثال: صخرة توكيت، وصخرة تينا ولوتين، وصخرة بقالة، وصخرة الوادي، وصخرة تسيليتن[3]. كما حاول الرومان إبان احتلالهم للمنطقة فرض ديانتهم على الليبيين بعبادة آلهتهم مثل: أوزير وإيزيس بالإضافة إلي عبادة الإمبراطور الروماني إلا أنهم رفضوا ذلك، وظلوا محتفظين بعبادة الآلهة المحلية (تانيت) والإله القرطاجي (بعل حمون)[4].

وانتشرت الديانتان اليهودية والمسيحية في منطقة الشمال الإفريقي، ومنها بطبيعة الحال جبل نفوسة، فعندما فتح عمرو أبن العاص الجبل وجد سكانه على دين النصرانية[5]. كما تتحدث بعض المصادر عن وجود عدد من الكنائس وانتشارها بالجبل وقام الباحث بحصرها في تسمية مشاهد الجبل فوجدها سبعة

---

(1) . البرغوثي، المرجع السابق، ص 203.

(2) . بازامة ، المرجع السابق، ص 260.

(3) . أبو العباس أحمد الشماخي، السير، طبعة حجرية، ص 599 .

(4) . الناضوري، المرجع السابق، ص 342 ــ 343 .

(5) . ابن عذراي المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج . س . كولان و برفنسال، ط 3، ليبيا ــ تونس: الدار العربية للكتاب، 1983، ج 1،ص8.

كنائس نذكر بعضاً منها على سبيل المثال: كنيسة فرسطأ، وكنيسة الجزيرة، وكنيسة أغرمينان، وكنيسة تمزدا، وكنيسة توكيت، وكنيسة نسيم، وكنيسة أبديلان[1]، وكنيسة البنية بونزيرف[2]. كما أن عدداً منهم اعتنق الديانة اليهودية، ويشير ابن خلدون إلي ذلك قائلاً: " وكان منهم من ثمود ومن تنصر وآخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام "[3]، ويتضح من ذلك وجود الديانات الوثنية في الجبل إلي جانب اليهودية والمسيحية. وبقي هكذا الحال إلي وصول الإسلام إلي جبل نفوسة. وفي الحقيقة تزامنت تلك الديانات السماوية (**اليهودية والمسيحية**)، مع الدين الإسلامي بمنطقة الجبل حتى بدأت تزول وتختفي تدريجياً بمرور الزمن والتاريخ.

---

(1). زرت هذه الكنيسة في إحدى رحلاتي العلمية للجبل وصحبني في تلك الرحلة الاستاذ الفاضل صلاح مسعود الدبلي عام 2005م، وكانت الكنيسة شبه منهارة تماماً سوى جدارين مازلا مقابلين بعضهما في إرتفاع حوالي 4أمتار.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، 599 ــ 600.

(3) . ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 110.

3. الفتح الإسلامي لجبل نفوسة :

تعد منطقة جبل نفوسة عند الجغرافيين ضمن بلاد المغرب الكبير[1]،الذي يشمل رقعة جغرافية واسعة من برقة شرقاً إلي المحيط الأطلسي في الغرب [2]، وهي من المناطق التي تعرضت للفتح الإسلامي في فترة مبكرة خلال خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت 23 هـ / 643 م) على يد قائد جيوشه عمرو بن العاص عام (23 هـ / 643 م) .

اتجه المسلمون عقب فتح مصر إلي بلاد المغرب استكمالاً للفتح ونشر الإسلام، فيذكر البلاذري أنّ عمرو بن العاص بعد أن فرغ من فتح الإسكندرية :"سار في جنده يريد برقة وهي مدينة أنطابلس فصالح أهلها على الجزية وهي ثلاثة عشر ألف دينار"[3]. في أواخر عام (21 هـ /641 م)، وفي الوقت الذي وجه فيه عمرو ابن العاص القائد عقبة بن نافع لفتح مناطق الداخل ، ففتح المناطق ما بين برقة وزويلة وصارت للمسلمين[4]، وسار هو بنفسه ناحية الغرب سالكا

---

(1) .أطلق الجغرافيون والمؤرخون العرب الذين كتبوا عن تاريخ المنطقة اسم (المغرب) أو (بلاد المغرب) أو (جزيرة المغرب)، ويقصدون بذلك المنطقة الممتدة من برقة شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبرى جنوباً، وقسم الجغرافيون العرب بلاد المغرب ثلاثة أقسام حسب قربها وبعدها من عواصم المشرق وهي: (المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى) والذي يهمنا هو المغرب الأدنى، لوقوع جبل نفوسة ضمن نطاقه، إضافة إلي أقاليم أخري منها: برقة وطرابلس، وتونس، للمزيد انظر: عماد الدين إسماعيل أبي الفداء، تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين ديسلان، باريس: دار الطباعة السلطانية، 1840، ص 122.

(2) . عبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، مج 6، ص 118 ــ 119؛ حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته، مج 1، بيروت: العصر الحديث للنشر والتوزيع، 1992، ص 21.

(3) . أبو العباس أحمد البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، بيروت: منشورات مؤسسة المعارف، 1987، ص 314؛ ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ص 8 .

(4). عبد الرحمن بن عبد الحكم ، فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق: عبد الله الطباع، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، 1987 ، ص 30 .

الطريق الساحلي حتى وصل إلي مدينة طرابلس عام (22 هـ / 642 م) وبعد حصار طويل تمكن من فتحها[1].

وتشير بعض المصادر إلي أن الذي أعان على فتح مدينة طرابلس هو حركة المد والجزر للبحر، فعند الجزر انحسرت مياه البحر عن أسوار المدينة وأعطت لبعض المسلمين مجالاً دخلوا منه للمدينة، والسياق يطرح السؤال وهو: كيف يتسنى لعدد قليل من الرجال أن يدخلوا مدينة فيها العدد الكبير من جيوش وعساكر الروم؟ !. والواضح يبدو أن المدينة فتحت عنوة وليست بهذه السهولة وهذا ما تؤكده رواية البلاذري عندما قال : " سار عمرو بن العاص حتى نزل اطرابلس في سنة 22 فقوتل ثم افتتحها عنوة "[2] . وبعد فراغ ابن العاص من فتح مدينة طرابلس أمر جنوده بالإسراع إلي صبراتة (صبرة) [3] في نفس الفترة بقيادة عبد الله بن الزبير عام (22هـ/ 642م) فوصلوها صباحاً ووجدوا أبوابها مفتوحة وأهاليها منشغلين بتسريح حيواناتهم إلي المراعي[4].

وتحرك الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص إلي جبل نفوسة . ويلاحظ أن القائد عمرو بن العاص في خط سيره الساحلي على البحر يتوجه نحو الداخل لمسافات بعيدة، وهذا الأمر لوحظ بعد فتحه لبرقة فأرسل عقبة (ت 63 هـ) إلي زويلة، وتكرر هنا مرة أخرى فبعد إتمام فتحه لطرابلس وصبرة يتوجه بنفسه نحو الداخل صوب جبل نفوسة، وكان يهدف من وراء ذلك توسيع مدي

---

(1) . المصدر نفسه، ص 30.

(2) . البلاذري، المصدر السابق، ص 316.

(3) . صبرة : ربما كتبت بسين مكسورة عوض الصاد، وهي كانت في القديم قاعدة ذلك الموضع كله، ولم يكن هناك أحصن منها. فتحها عمرو بن العاص. ينظر: التجاني، المصدر السابق، ص 212.

(4) . أبو محمد التجاني، المصدر السابق، ص 212.

المناطق المفتوحة بالإضافة إلي الحيلولة دون اعتمادها على الإمدادات الداخليـــة[1] وهذا ما حدث عندما كان عمرو محاصراً لمدينة طرابلس حيث اســـتنجد أهاليهـــا بنفوسة، والمقصود بهم أهالي جبل نفوسة، وليس كما ذهـــب أحـــد البـــاحثين المعاصرين حيث قصد بهم أهل ودان[2]، والمعروف أن قبيلة نفوسة تقطـــن منـــذ بدايات العصور الوسطى الجبل المعروف باسمهم إلي يومنا هذا، أما أغلب ســـكان مدينة ودان فهم من قبيلة مزاتة وليسوا نفوسة! . وأن ودان تم فتحها على يد بسر بن أبي أرطاة خلال محاصرة عمرو ابن العاص لمدينة طرابلس[3]. والملاحظ هنا (في **فتوح الجبل**) أن المصادر التي تناولت هذه الأحداث كانت بسيطة ونـــادرة مـــن ناحية، ومن ناحية أخرى لم تتطرق إلي التفاصيل مثلاً: كيف كان موقف أهـــالي الجبل من الزحف الإسلامي؟ هل أبدوا مقاومة وإلي إي مستوى؟، وهل فتح الجبل عنوة أم صلحاً؟ وإنما الروايات كانت مقتضبة جداً ومتضاربة أحياناً، حول من قام بفتح جبل نفوسة، فبينما يورد صاحب المؤنس في أخبار أفريقية وتـــونس ذلـــك الأمر مرتين الأولي: يسند فيها افتتاح الجبل لعمرو بن العاص، والثانيـــة في نفـــس الصفحة: " أن عمرو بن العاص أثناء محاصرته لمدينة طرابلس بعث بسر بن أرطأة ففتح ودان وجبال نفوسة "[4]. نجد من يقول أن: " عمرو بن العـــاص رحمـــه الله افتتح نفوسة وكانوا نصارى، ومن نفوسة رجع بكتاب عمر رضـــه "[5]. إلا أن الأرجح ما ذهب إليه البكري لأنه الأقدم زمناً، وهو الرأى الذي قالـــه صـــاحب

---

(1).إحسان عباس، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن 9هـ، بيروت: دار صادر، 1967، ص 23.

(2) . المرجع نفسه، ص 22.

(3) . البكري، المصدر السابق، ص 660.

(4) . محمد بن أبي القاسم القيرواني، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط3، بيروت: دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، 1993، ص 37.

(5) . المصدر نفسه، ص 656؛ الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 297.

المؤنس أولاً. ومن خلال النصين السابقين ندرك أن المسيحية كانت منتشرة في الجبل، وأن القائد عمرو بن العاص رجع من هناك على إثر كتاب الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ــ بعد استئذانه في إكمال العمليات العسكرية، والتوجه لفتح إفريقية فكتب إليه: " إنا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين إفريقية تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل"[1]، إلا أن عمر بن الخطاب كان له رأي أخر في هذه المسألة ورد عليه قائلاً: " لا ، إنما ليست بإفريقية ولكنها المفرّقة ، غادرة مغدور بها ، لا يغزوها أحد ما بقيت"[2]، ونفهم من ذلك أن عمر بن الخطاب كان يخشي على جيش المسلمين من التوغل بعيداً في مناطق مجهولة بالنسبة إليهم. ومن المرجح أن جبل نفوسة قد تم فتحه صلحاً ، وأن الأهالي أقبلوا على الدين الإسلامي و لم يقاوموه نظراً لسماحته وعدالته بين الناس، ويفهم ذلك من خلال ما كتبه المؤرخون عن حركة الفتوح فالمدن والبلدان التي فتحت عنوة وواجه فيها المسلمون العقبات والأخطار هي التي كثيراً ماتمتم بها المصادر التاريخية وهذا ما لم تتم ملاحظته مع فتوح منطقة الجبل من ناحية، ومن ناحية أخرى فمما يدل على صحة فتح الجبل صلحاً هو بقاء كنائس النصارى[3] دون المساس بها ، وأن سكان الجبل النصارى تحولوا تدريجياً إلي الإسلام فيما بعد .

ويرى جاك تيري أن فتح المسلمين لجبل نفوسة كان رمزياً ويدلل ذلك على أن الطريق التي يتبعها الجيش الإسلامي فيما بعد إلي افريقية هي التي فيما بين

---

(1) .عبد الحكم ، المصدر السابق ، ص 33 ؛ البلاذري، المصدر السابق، ص 316 .

(2). المصدر نفسه، ص 316؛ الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، ص 72 ــ 73.

(3) . شاهدت عند زياراتي لقرى ومدن الجبل مجموعة كنائس ما زالت آثارها دالة على وجودها، كما أنّ ملحقا بسير الشماخي بعنوان: (تسمية مشاهد الجبل) يذكر عدة كنائس في الجبل.

طرابلس جنوباً والجبال شمالاً [1]، وهذا ما يؤيد صحة فتح الجبل صلحاً وأن أهله أسرعوا إلي الدخول في الإسلام و لم يشكلوا عقبة لمرور الجيش الإسلامي لاستكمال فتح بلاد المغرب ، لأنهم صاروا مسلمين بالفعل .

وتهمل المصادر ذكر أحداث تاريخية عن جبل نفوسة بعد رجوع عمرو بن العاص منه فهل ترك به حامية؟ كما لا نجد أخبارا تتحدث عن كيفية دخول الأهالي في الإسلام؟ كما لا يدري الباحث ما هي المدن التي فتحت في الجبل؟ لأن المصادر التاريخية لا تشير إلي ذلك، إلا من خلال ما ورد في الكتابات المتأخرة أن مدينة شروس[2] تعد من مدن الجبل التي فتحها ابن العاص، كما أشار لذلك ابن غلبون قائلاً:" وارتحل عنها **[يقصد صبراتة]** لشروس مدينة نفوسة فافتتحها " [3].

ويتضح أن هذه المدينة التي تعد أهم مدن الجبل حينذاك، هي أقصى نقطة وصل إليها الجيش الإسلامي في أول مرحلة من مراحل الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، وأول اتصال لجبل نفوسة بالإسلام .

---

(1) . جاك تيري، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطي، ترجمة: جاد الله عزوز الطلحي، مصراته: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان، 2004 ، ص 210ــ 211 .

(2) . شروس: من أكبر مدن الجبل ويدل علي ذلك اتساع الرقعة التي يتناثر فيها خرائب وآثار المدينة ، ولم يتبق منها شئ قائماً سوى مسجد الشيخ أبو معروف ، وبقايا قصر متساقط، وكانت هي العاصمة خلال العصور الوسطى ، وتقع في أعالي وادي شروس الفاصل بين منطقتي مرقس وتندميرة بمنطقة الحرابة ، ويحيط بالمدينة الجبال من جميع الجهات ما عدا الجهة الشمالية الغربية حيث ممر الوادي ومدخل المدينة للقادم من الساحل، زرتها عامي: (2002 ــ 2004م)، ينظر الصورة رقم (1).

(3) أبو عبد الله محمد بن خليل غلبون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار ، تصحيح وتعليق : الطاهر أحمد الزاوي، طرابلس : مكتبة النور، 1967 ، ص 19.

4. دور جبل نفوسة في بلاد الغرب الإسلامي: (سياسياً، اقتصادياً).

تمهيد:

بعد أن تمكن عمرو بن العاص من فتح مدينة شروس بجبل نفوسة نلاحظ صمت المصادر التاريخية عن متابعة الأحداث في الجبل لتعود مرة أخرى خلال أوائل القرن (الثاني الهجري / الثامن الميلادي) مع انتشار المذهب الإباضي[1] في بلاد المغرب الأدنى، وإقبال أهالي الجبل عليه.

والفترة التاريخية المسكوت عنها من تاريخ الجبل دامت حوالي 120 سنة تقريباً !، وهي فترة طويلة أغلبها زمن الدولة الأموية في المشرق، ومن الطبيعي أن تزخر بأحداث سياسية واجتماعية وثقافية. إلا أنه من الواضح أن الأهالي قد ثبتوا على الدين الإسلامي وتغلغل في نفوسهم وأصبحوا مواطنين في الدولة الإسلامية من حدود الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، ولاشك أن منطقة الجبل تأثرت بمشاكل محيطها الجغرافي في بلاد المغرب عامة، وخاصة من حيث عدم رضاهم على سياسة بعض الولاة الأمويين التعسفية، وأخذت تسير نحو التأزم من جراء تلك السياسة الجائرة التي جرى عليها بعض خلفاء بني أمية وبعض الولاة في أغلب بلاد المغرب، ومنها على سبيل المثال: سياسة يزيد بن أبي مسلم (102 ــ 103 هـ)، والذي اعتبر المغاربة في مرتبة أدنى من العرب الفاتحين، وفيئاً للمسلمين، وقام بتخميسهم

---

(1) . المذهب الإباضي : هو أحد المذاهب الإسلامية ويعد من أقدمها نشوءً ا، وينسب إلى عبد الله بن إباض، إلا أن المؤسس الحقيقي للمذهب هو: أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي، أحد كبار التابعين ولد عام 21 هـ في عمان، إلا أنه عاش في العراق وتوفي سنة 92 هـ، وقد أثيرت في أواخر القرن الأول الهجري بعض القضايا الفقهية والكلامية وحصرها الشهرستاني في أربعة أصول رئيسية: (الصفات والتوحيد فيها ــ القدر والعدل ــ الوعد والوعيد ــ السمع والعقل والرسالة والأمانة)، ودرس علماء المسلمين تلك القضايا وكل منهم انتهى إلى رأى معين صار مذهباً فيما بعد من بينها مذهب الإباضية، وكل المذاهب الإسلامية تتفق في أصول الدين، واختلافهم كان في الفروع، ينظر: علي يحيى معمر، الإباضية في موكب التاريخ، الحلقة الأولى القاهرة: مكتبة وهبة، 1964، ص 59.

وأمرهم بالبقاء في مناطقهم، وفرض عليهم الجزية، و لم يقف الأمر عند هذا الحد فحسب، بل أراد وشم أيدي حرسه منهم تمييزاً عن غيرهم[1]، كما نلاحظ أن مثل تلك السياسة الجائرة تتكرر مرة أخرى مع عبيد الله بن الحبحاب (116 ــ 123 هـ)، عندما أراد واليه على طنجة عمر بن عبد الله المرادي: " أن يخمس مسلمي البربر وزعم أنهم من فيئ المسلمين، وذلك شيئ لم يرتكبه أحد قبله"[2] ويبدو أن مثل تلك السياسات التي ابتعد فيها بعض الولاة عن المباديء السامية التي جاء بها الإسلام والمتمثلة في اعتبار جميع المسلمين سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى، قد أثرت على مختلف مناطق المغرب ومن بينها منطقة جبل نفوسة التي استجاب أهلها لدعاة المذهب الإباضي[3]، الذي انتشر منذ أوائل القرن الثاني للهجرة، وذلك بدخول سلمة بن سعيد بلاد المغرب قادماً من البصرة لنشر المذهب سنة (105هـ / 720 م) تقريباً واستطاع كسب الأنصار والمؤيدين في طرابلس وجبل نفوسة[4]. وبذلك بايعوا في فترات لاحقة أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[5] في ثورته بالمغرب الأدني ، وكانت ولايته عام (140 / 758م)[6]. أي في السنوات الأولي لقيام الدولة العباسية وتقدم أبو الخطاب نحو مدينة طرابلس

---

(1) . أبو اسحاق أبراهيم بن الرقيق، تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1990، ص 64 .

(2) . ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مراجعة وتصحيح : محمد يوسف الدقاق، ط3، بيروت: منشورات دار الكتب العلمية، 1998، مج 4، ص 416؛ أبو إسحاق بن الرقيق، المصدر السابق، ص 73.

(3) .حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ط7، القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1964، ج2،ص 207

(4) . اسماعيل محمود عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب، الدار البيضاء: دار الثقافة، 1976، ص 54.

(5) . أبو الخطاب: هو عبد الأعلى بن السمح أبو الخطاب المعافري، أصله من اليمن، وأحد حملة العلم الخمسة الذين درسوا في البصرة على يد أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في النصف الأول من القرن الثاني الهجري. ينظر: أبو زكرياء يحي الوارجلاني، السير وأخبار الأئمة، مخطوط، ورقة 6 ــ 8. مكتبة كلية الدعوة الإسلامية، (ب.ت).

(6) . المصدر نفسه، ورقة 8 .

واستولي عليها ، وسمح للوالي العباسي بالمغادرة إلي المشرق وولي عليها عبد الله رحيم ، وزحف إلي القيروان وحاصرها، ثم تقاتل مع ورفجومة بقيادة عبد الملك بن الجعد، وتمكن من هزيمتهم سنة (141 هـ/759 م)[1] وولي عليها عبد الرحمن بن رستم، وبذلك صارت طرابلس كلها بما فيها (جبل نفوسة) من سرت[2] شرقاً إلي القيروان[3] غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلي الصحراء الكبرى جنوباً تحت سيطرة أبي الخطاب المعافري. والملاحظ هنا أهمية منطقة الجبل بمشاركتها في الأحداث التاريخية. وإسهامها في تشكيل الخرائط السياسية ببلاد المغرب. لما يتمتع به الجبل من أهمية جغرافية، ولوقوعه في نهايات الطرق التجارية القادمة من وراء الصحراء[4].

عزم أبو جعفر المنصور القضاء على إمامة أبي الخطاب التي أصبحت خطراً يهدده في المغرب، ولهذا أرسل قواته الواحدة تلو الأخرى، ومنها على سبيل المثال: جيش بقيادة العوام بن عبد العزيز البجلي الذي هزمه أبو الخطاب في منطقة سرت فأرسل جيشاً آخر بقيادة أبي الأحوص عمر بن الأحوص العجلي الذي هزم هو

---

(1) أبو إسحاق بن الرقيق، المصدر السابق، ص 104؛ أحمد الأنصاري، المصدر السابق، ص 53؛ محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، ج5 ، ط5، بيروت: المكتب الإسلامي، 1991، ص 134.

(2) . سرت:من المدن القديمة في ليبيا، وأغلب سكانها من قبائل مناسة وفنطاس، وتطلق سرت على المنطقة الواقعة بين قصور حسان والعقيلة، وهي من الأراضي الطرابلسية فتحها المسلمون عام 22 هـ،كان واليها زمن أبي الخطاب: عمرو بن يمكتن. ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 188.

(3) .القيروان: مدينة إسلامية في تونس، أسسها عقبة بن نافع في عهد الخليفة عثمان بن عفان، وتقع في سهل فسيح، وتبعد عن البحر المتوسط حوالي 36 ميلاً، وحوالي 100 ميل من تونس، يحيط بها سور جميل من الآجر، وأصبحت من المراكز الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي لإشعاع الثقافة العربية الإسلامية.ينظر: الحسن الوزان. وصف افريقيا، ج2 ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1983،ص 87.

(4) . جاك تيري ، المرجع السابق ، ص 408 .

الآخر أمام جيش أبي الخطاب بمغمداس[1] وأخيراً تمكن ابن الأشعث من هزيمة أبي الخطاب وقتله في معركة بتورغا* [2].

وبعد وفاة أبي الخطاب سنة (144 هـ / 762م)، تراجع واليه على القيروان عبد الرحمن بن رستم إلي المغرب الأوسط، ويشير الشماخي إلي ذلك قائلاً: " وقام عبد الرحمن بن حبيب يلتمس عبد الرحمن بن رستم وفر رحمه الله إلي المغرب ... وما معه إلا ابنه عبد الوهاب وغلام...حتى بلغوا بالمغرب سوفجج جبل منيع" [3]. وهناك قامت الدولة الرستمية . إلا أن جبل نفوسة ظل خارج سيطرة ابن الأشعث إلي أن انضم إلي الرستميين في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي .

---

(1) . مغمداس: تقع ناحية مدينة سرت، أقام به جيش عقبة بن نافع سنة 49 هـ قبل إنطلاقه إلي الجنوب الليبي، ومغمداس تمر بها طريق القوافل التجارية التي تربط بين المشرق والمغرب الإسلاميين. ينظر ابن خرداذبة، المسالك والممالك، تقديم : محمد مخزوم، بيروت: دار أحياء التراث العربي، 1988، ص 80.

* . تاورغا: بلد جنوبي مصراته بنحو 40 كم، بها نخل كثير، ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 79

(2) . الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 12 ، الشماخي ، المصدر السابق ، ص 132 .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 133 .

أ) جبل نفوسة والدولة الرستمية:

لم تشهد منطقة المغرب الأوسط قيام دول مستقلة عن المركز بالمشرق الإسلامي إلا بعد قيام الدولة العباسية، فبعد هزيمة الإباضيين بتاورغاء سنة (144 هـ / 762 م)، وبمقتل أبي الخطاب، تراجع عبد الرحمن بن رستم إلي منطقة المغرب الأوسط وهناك أقام الدولة الرستمية سنة (160 هـ / 778 م)[1].

وكانت عاصمتها تاهرت[2]، وحول تأسيسها أشار الدرجيني إلي ذلك قائلاً: "إن جماعة أهل الدعوة اتفقوا على أن ينتخبوا موضعاً يبنون فيه مدينة تكون حصناً لهم، فأرسلوا رجالاً من ذوي المعرفة، وفرقوهم في الجهات يتخيرون مكاناً يصلح لما حاولوه، ورجعوا وقد وقع اختيارهم على تاهرت، فدلوهم عليها، فاتفق جمهورهم مع أهل تاهرت القديمة على شيئ معلوم يأخذونه على غلتها، وقد كانت قبل ذلك رياضاً لا عمارة فيها إلا السباع والهوام "[3].

وتشير المصادر الجغرافية إلي الميزات الطبيعية التي تتمتع بها مدينة تاهرت مما سمح لها القيام بأنشطة اقتصادية هامة، ومنها على سبيل المثال: اعتدال مناخها ووفرة المياه وخصبة التربة، والأمر الثاني وقوعها على مفترق الطرق التجارية التي تربط الشمال بالجنوب والشرق بالغرب. فعلى المستوى الأول كانت تاهرت تتمتع بوفرة المياه فهي واقعة: " على نهر يأتيها من جهة القبلة ... ونهر آخر يجري من

---

(1) .الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 15.

(2).تيهرت: مدينة جزائرية، وهي اسم لمدينتين متقابلتين يقال لإحداهما تاهرت القديمة، وللأخرى المحدثة وهي مسورة ولها أربعة أبواب، اتخذها الرستميون عاصمة لدولتهم، وكان لها دور ثقافي وتجاري كبير لموقعها المميز حيث تتوسط الطرق العابرة للصحراء مما مكنها من الثراء، ينظر: الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص 256؛ جاك تيري، المرجع السابق، ص 210 ــ 211.

(3) . الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1، تحقيق: إبراهيم طلاى، قسنطينة: مطبعة البعث، 1974، ص 41.

عيون تجتمع تسمى تاتش شرب أرضها وبساتينها "[1]، ويؤيد ذلك قول الجغرافي الشريف الإدريسي: " بمدينة تاهرت مياه متدفقة، وعيون جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها ولهم على هذه المياه بساتين وأشجار تحمل ضروباً من الفواكه الحسنة "[2]. ونتيجة لتوفر المياه ازدهر النشاط الزراعي ويشير الأصطخري إلي خصوبة التربة واتساع الآراضي المزروعة[3].

وبالإضافة إلي عناية المصادر التاريخية بالأهمية الزراعية لتاهرت فقد أسهبت تلك المصادر في الإشادة بالنشاط التجاري الذي انعكس بشكل كبير على التطور العمراني للمدينة خلال فترة بسيطة من تأسيسها، فيذكر ابن الصغير أنه قد: "استعملت السبل إلي بلد السودان وإلي جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة فأقاموا على ذلك سنتين ... والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار تاجرون "[4].

والذي يعنينا من أمر هذه الدولة هو معرفة مدي علاقتها بجبل نفوسة في مختلف المراحل التاريخية؟ وهل استمر الجبل في ولائه للرستميين؟ وللإجابة على هذه التساؤلات نحاول إستقراء الأحداث التاريخية في المنطقة من خلال أبرز المصادر[5] التي تطرق البعض منها إلى المواقف الإيجابية الكثيرة للجبل تجاه دولة بني رستم

---

(1) . البكري، المصدر السابق، ج 2 ، ص 733 ــ 734 .

(2) . الإدريسي، المصدر السابق ، ج1 ، 256 .

(3) . ابن إسحاق إبراهيم الأصطخري، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر وشفيق غربال، بور سعيد : مكتبة الثقافة الدينية، 1961 ، ص 34 .

(4) . ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1986، ص 36 ــ 37 .

(5) . المصادر التي تناولت الأحداث التاريخية الخاصة بالحركات السياسية والاجتماعية المناوئة للرستميين: (النفاثية ــ الخلفية) أغلبها مصادر إباضية وهبية، ولم نعثر على مصادر أخرى تعبر على وجهة نظر أصحاب تلك الحركات حتى نتمكن من تقييم الموقف التاريخي بشكل أكثر موضوعية وحيادية.

ودعمها اللامحدود من أجل حمايتها والدفاع عنها بكل الأساليب، وفي الوقت نفسه تحدثت تلك المصادر عن المواقف المعارضة لبعض مواطني الجبل لحكام تاهرت (**سياسياً، واجتماعياً، وفقهياً**)، وسنعرج عليها في حينها. إلا أن أهالي الجبل الموالين لتاهرت، وخاصة المشائخ والعلماء وقفوا في وجه تلك الحركات، ومنعوا انتشار أفكارها بمختلف الصور والوسائل ومنها: (المراسلات، وتأليف الكتب، والحوارات العلمية، وبالقوة العسكرية إذا تطلب الأمر).

في الحقيقة لم ينضوي الجبل سياسياً تحت هذه الدولة إلا في عهد الإمام الثاني عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم[1] ، أما في عهد مؤسسها عبد الرحمن بن رستم كانت العلاقة فيما يبدو روحية، تجمعهم وحدة المذهب، لأنهم جميعاً أساساً كانوا يناضلون في معركة واحدة من أجل إقامة كيانهم السياسي. ودور الجبل في هذه المرحلة المبكرة من عمر الدولة يكاد ينحصر في رحيل عدد كبير من شيوخه وأتباعهم، من منطقة الجبل إلى المغرب الأوسط حيث إقامة عبد الرحمن الرستمي، وهم بذلك سيشكلون الخلايا الأولي للدولة الرستمية. وهذ ما عبر عنه عبد الوهاب بن رستم في مقولته: " إنما قام هذا الدين على سيوف نفوسة وأموال مزاتة "[2]، ويقصد بالدين هي قيام الدولة على قوة قبيلة نفوسة العسكرية ونفوذها السياسي لأنها هي القبيلة التي ساندت ثورة أبي الخطاب وإمامته في إقليم طرابلس وتستمر هنا لدعم دولة الرستميين. وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في قيام الدول،

---

(1) . عبد الوهاب بن رستم : هو الإمام الثاني للدولة الرستمية (171 ــ 208 هـ / 787 ــ 823 م) ، ودام حكمه حوالي 40 عاماً ، أقام في جبل نفوسة سبع سنوات ، وله كتاب (نوازل نفوسة) يرد فيه على المشكلات الفقهية النازلة في الجبل . وفي عهده امتدت الدولة الرستمية إلي أقصي حدودها من سرت شرقاً إلي تلمسان غرباً ، ينظر: ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 43 .

(2) . الوارجلاني ، المصدر السابق، ورقة 37.

فقبيلة نفوسة تمثل الشوكة والعصبية وهو المعبر عنه بالجند، وقبيلة مزاتة تمثل الجانب المادي (المالي) وهو قوام أولئك الجند[1]. كما كان لقبيلة نفوسة (الجبل) الدور البالغ في استمرارية الدولة الرستمية في مختلف عهود أئمتها، ففي أوقات الحرب قدمت الرجال والعتاد، ودافعت الأعداء، ونجدها تساهم في التنظيم الإداري، وتسيير الشؤون الداخلية في السلم، فوظائف: " أحكام بيوت الأموال، وعقد تقدم القضاء، وأحكام المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق إنما يلي أمرها نفوسة الجبل "[2]، وفي فترات تاريخية أخرى من عمر الدولة اهتموا بإصلاح الأسواق، وقمع كل من يحاول نشر الفساد والفسق، ويقول الشماخي في هذا الصدد: " فأصلح الله الفساد على أيديهم حتى عاقبوا القصاب على نفخ الشاة، ومنعوا الحمال على دابته أن يحمل عليها فوق طاقتها، وانقطعت مادة الفتنة وعمرت المساجد"[3].

وفي عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن الذي ضيقت عليه المعتزلة[4] في تاهرت وكثر القتل بين الطرفين: " فلما رأي الإمام شدة شوكتهم وكثرة عددهم أرسل إلي جبل نفوسة وإلي عامله بها أن يمده بجيش يتضمن شجعاناً وفرساناً عارفين بأبواب الحرب ومبارزة الأبطال، وعلماء بفنون التفسير والرد على المخالفين، والحلال والحرام " [5].

---

(1) . ابن خلدون، المقدمة، ط2، تقديم: محمد الأسكندري، بيروت: دار الكتاب العربي، 1998، ص 153.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 221.

(3) المصدر نفسه، ص221.

(4) .المعتزلة: اسم لإحدى الفرق الإسلامية، ولها مدرسة في علم الكلام، أنشأها واصل ابن عطاء، وعمرو بن عبيد وعُرفت الفرقة بهذا الأسم لاعتزالهما حلقة الحسن البصري لما خالفاه بالقول بأن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر ولكنه فاسق في منزلة بين منزلتين، وانشقت المعتزلة فيما بعد إلي 22 فرقة، ينظر: إسماعيل العربي، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، المغرب: دار الآفاق الجديدة، 1993، ص 342.

(5) الشماخي، المصدر السابق، ص 154، سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج 2، (د . ت)، ص 118.

وهذا النص يبين مدي اعتماد الرستميين على الجبل في مختلف المستويات العسكرية والعلمية. وهذه الملاحظة تتكرر دائماً مع أغلب الأئمة الرستميين في علاقتهم بجبل نفوسة، وهؤلاء الأخيرون كان لهم الإسهام البالغ في إجبار أبي العباس عبد الله الأغلبي[1] في رضوخه لمصالحة عبد الوهاب بن رستم عندما حاصره في مدينة طرابلس سنة (196 هـ / 812 م)، واتفق الطرفان على أن تكون مدينة طرابلس والبحر للأغالبة، وما كان خارج الأسوار حتى سرت للرستميين[2] وبذلك سيطر الإباضيون على كل دواخل البلاد أي الصحراء والجبل كما سيطروا على الطرق العابرة للصحراء من ليبيا نحو مصر وإفريقية وإلي بلاد السودان الغربي والأوسط.

ومن مواقف الجبل المعارضة للرستميين والتي أشرنا لها أنفاً، منها الحركة النفاثية: نسبة إلى الشيخ فرج بن نصر النفوسي المعروف بنفاث، وتعترف المصادر الإباضية بطول باعه في العلم والثقافة ودرايته بالهندسة والبناء[3]، وترى سبب معارضته طموحه السياسي، ورغبته في عمالة قنطرارة[4] بعد وفاة عاملها أبو يونس وسيم بن يونس النفوسي، إلا أن الإمام جعل سعد بن وسيم بن يونس النفوسي

---

(1) . أبو العباس عبد الله الأغلبي: ثاني أمراء الدولة الأغلبية (21 شوال 196 ــ 6ذي الحجة 201 هـ / 812 ــ 817 م) شارك أباه في تسيير أمور الدولة، وخلفه في الحكم بعد وفاته، ينظر: محمد الطالبي، الدولة الأغلبية، ترجمة: المنجي الصيادي. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1985، ص 177 ــ 180.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 160 ــ 161.

(3) أبوزكريا الوارجلاني. السيرة وأخبار الأئمة، مخطوط: ورقة33؛ أبو العباس الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، ج1. ص79 ــ 80؛

(4) قنطرارة: (تيجي حالياً) مدينة في وسط سهل الجفارة لها علاقات وطيدة مع جبل نفوسة، برزت في ميادين العلم والثقافة .كما اشتهرت بالازدهار العمراني والزراعي، ينظر : سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 196 ــ 197

عاملاً على قنطرارة[1]، الأمر الذي عجّل بخروج نفاث على الحكم الرستمي. وكانت له أفكار وآراء في الحكم والفقه ويبدو أنها لاقت قبولاً وإستحساناً في بعض القرى والمدن في الجبل وخاصة في الجهة الغربية. إلا أننا نلاحظ بروز بعض العلماء النفوسيين لصد آراء نفاث ومحاربتها منهم على سبيل المثال: الشيخ أبو نصر التمصمصي، الذي : " دار الجبل أربعين مرة يحذر الناس من فتنة نفاث "[2]، وكذلك الشيخ مهدي الويغوي الذي ألف كتاباً في هذا الخصوص سيأتي الحديث عليه في حينه، وأيضاً للشيخ عمروس بن فتح دور فكري لمحاربة نفاث. وهذه الجهود تحسب لصالح دور الجبل في الدفاع عن الدولة الرستمية.

والحركة الثانية التي زعزعت أركان بني رستم في الجبل هي **الحركة الخلفية**: نسبة إلى خلف بن السمح المعافري، وكان والده والياً من قبل الإمام الرستمي على جبل نفوسة، ولما توفي السمح رأي بعض الناس تولية أبنه خلف بعده، الأمر الذي لم يستحسنه الإمام عبد الوهاب دون إذنه وموافقته. وأرسل إليهم كتاباً جاء فيه: " ... والذي كتبتموني به من وفاة السمح وتولية بعض الناس خلفاً، خلفاً منهم ورد أهل الخير ذلك، فإن مولي خلفاً بغير إذن إمامه قد أخطأ سيرة المسلمين، ومن أبى توليته فقد أصاب، فإذا أتاكم كتابي هذا فليرجع كل عامل استعمله السمح إلى عمله الذي ولي عليه إلا خلف بن السمح، فحتى يأتيه أمري وتوبوا إلى ربكم لعلكم تفلحون"[3]. وكان رد فعل خلف واتباعه على كتاب الإمام عبد الوهاب هو المطالبة بإستقلال الجهة الشرقية من جبل نفوسة عن تاهرت والإعتراف بخلف إماماً بدل إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم

---

(1) . الدرجيني، المصدر السابق، ص78.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص .

(3) . الدرجيني، المصدر السابق، ج1،ص69.

وتعللوا ببعد المسافة بين البلدين[1]، ويبدو أن أفكار الخلفيين أنتشرت في مناطق: (يفرن وككلة وبابل وتاكبال)، وقام ولاة الجبل الموالين للرستميين بالجهة الشرقية بالتوالي محاربة خلف وحركته، منهم الشيخ أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني، الذي اصطدم مع خلف في أكثر من معركة. ولم يتمكن من القضاء على هذه الحركة حتى توفي، وخلفه في الولاية الشيخ العباس بن أيوب الذي شن حرباً طويلة على خلف واتباعه حتى مات خلف[2].

ونرجع مرة أخرى للحديث عن حاجة الرستميين لرجال الجبل وقوتهم العسكرية، فقد استنجد خامس الأئمة الرستميين الإمام أبو اليقظان بن أفلح في محنته بتاهرت مع أبي مسألة" فلما رأى طول الحرب ما رأى كتب إلي جبل نفوسة يستنفزهم "[3]. ولم يتوانى أهالي الجبل في تلبية النداء الرستمي وشاركوا في تلك الحروب. ولذلك ربما أدرك الأغالبة أهمية جبل نفوسة بالنسبة للدولة الرستمية فقاموا بالاستيلاء على بلاد الجريد(الجنوب التونسي) سنة (224 هـ / 838 م) لعزل جبل نفوسة عن الرستميين في تيهرت من ناحية، ومن ناحية أخرى للسيطرة على الطرق التجارية الصحراوية التي كانت محل صراع وقتذاك [4].

---

(1) . أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة28؛ الدرجيني، ج1، ص70؛ الشماخي،ص181.

(2) . سليمان الباروني، المرجع السابق، ص177.

(3).ابن الصغير، المصدر السابق، 86، كما يورد المحقق أن هناك رواية أخرى وهي (يستنفرهم)، وهي الأنسب والسياق اللغوي والتاريخي.

(4) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 228.

ولما كانت منطقة الجبل تابعة للدولة الرستمية فالأخيرة كانت تعين الولاة لتسيير أمور الولاية، ومن أبرز من تولي أمور الجبل، نذكر منهم على سبيل المثال: أبا الحسن أيوب بن العباس، وعبد الحميد أبو عبيدة الجناوني نسبة إلي **قرية إيجناون**[1]، والعباس بن أيوب، وإلياس بن منصور النفوسي، وغيرهم وسوف نتطرق لهذا الموضوع ببعض التفصيل في الفصل الثالث المعنون بـــ: (**الوظائف العامة للعلماء**).

وكان الأئمة الرستميون يشجعون حركة العلم والعلماء، ومن بينهم من كان له نشاط علمي واضح، وكما تشير بعض المصادر أن بيتهم: " احتوى على علوم كثيرة من فقه وإعراب ولغة وفصاحة وعلم نجوم وعن بعضهم قال: معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم أين بات القمر، وقيل إن عبد الوهاب بات مع أخته يتعلمان مسائل الفرائض فلم يطلع عليهما الفجر إلا وهما قد تعلماها جميعاً"[2]. وكان الإمام عبد الرحمن يهتم بالعلوم الإسلامية، وله تفسير للقرآن الكريم [3] وأقام الإمام عبد الوهاب بجبل نفوسة سبعة أعوام وأخذ يدرس العلوم الفقهية بمسجد ميري في بني زمور [4].

---

(1). إيجناون: من قرى الجبل وتبعد عن مدينة جادو حوالي 4 كيلو مترات، وعن مدينة طرابلس حوالي 180 كلم تقريباً، وهي محاطة بثلاثة جبال من: الشرق والغرب والجنوب وهي أقرب إلي جبال الشرق، ويحدها من الغرب جبل تقبع فوقه قرية مزغورة وتندباس وجماري، ومن الشرق جبل فوقه قرية يوجلين وأوشباري وثلات أموران وقريـــة تموجط وهي في الأسفل منهم، وقرية إجناون مرت عبر التاريخ بأكثر من مرحلة في بنائها الأولي كانت في(ســـيح أقمار) ومعناها: فضاء الحصان، والثانية تحت الجبل، وكانت تشتهر قديماً بصناعة الفخار أو القلال. زرتهـــا عـــام 2004 ف، ينظر الصورة رقم (2) .

(2) . المصدر نفسه، ص 162.

(3) .أبو الربيع الوسياني، سير أبو الربيع، مخطوط، ورقة 104، مكتبة: أحمد الفساطوي، طرابلس، بدون تصنيف.

(4) . الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 26 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 159.

وكان الإمام الثالث أفلح بن عبد الوهاب من الأدباء وله منظومة شعرية مشهورة، في ثمانية وثمانين بيتاً، تحث الطلاب على طلب العلم، والجد والاجتهاد، نقتبس[1] منها:

العلم أبقي لأهـــل العلـــم آثارا ... وليلـــهم بشمـــوس العـــلم قد نارا
يحيي به ذكرهم طول الزمان وقد ... يريـــك أشخاصـــهم روحاً وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع ... إن كان في منـــهج الأبـــرار ما مارا
أو أنما غبرت أشخاصهم ومضوا ... ما مات عبد قضي مـــن ذاك أوطارا
وذو حياة على جـــهل ومنقصة ... ولا يبـــالي أخـــيراً نـــال أم عـــارا
حياته عـــدم فـــي طـــول مدته ... كميت قد ثوى في الرمس أعصـــارا
لله عصبة أهـــل العلـــم أن لهم ... في كل أفـــق مـــن الآفـــاق أنـــوارا
نالوا الأماني به طراً وبان لهـــم ... فضل علـــى النـــاس غياباً وحضّارا

العلم علم كفى بالعلم مكرمة ... ومن يرد غير خـــير العلم ما اختارا
كم جاهل بأمور الدين مختبط ... والجهل جهل كفـــى بالجهل إدبارا
العلم عند اسمه أكرم به شرفاً ... للمرء إذ يكتسي بالعـــلم أطـــمارا
ما للفتى غير نور العلم من رتب ... والجهل عند أسمه أعـــظم به عـــارا
يشرف العلم للإنسان منزلـــة ... ويجتني مـــن جناه العـــذب أثمـــارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة ... ويرفع العلـــم للإنســـان أقـــدارا
العلم در له فضل ولا أحـــد ... محص له كل عـــقل دونـــه حـــارا

---

(1) . نقلاً عن الشيخ سليمان الباروني، المرجع السابق،ص190.

كما كان للإمام أفلح: " عدة مؤلفات ورسائل وأجوبة جامعة لنصائح ومواعظ وحكم دلت على ما له من الفضل والكمال والعدل من طول الباع وفي غزارة العلم وقوة الإدراك" [1]. ويستطرد الباروني في حديثه عن هذا الإمام: " أنه تصدر للتدريس وإلقاء العلوم على اختلاف فنونها قبل أن يبلغ الحلم وكانت عليه أربع حلق ... وقد بلغ في العلوم كلها حتى الرياضية والتنجيم مبلغاً لا يدرك شأوه"[2].

ولما كان الحكام الرستميون بهذا المستوى العلمي، والاهتمام بتطور الحركة الثقافية، فمن الطبيعي أن ينعكس على رعاياهم، ومنهم أهالي جبل نفوسة الذين كانوا على الرغم من ذلك يهتمون أساساً بالجوانب العلمية والثقافية حتى من قبل انضوائهم تحت الدولة الرستمية، واستمر ازدهار الحركة العلمية والثقافية بالجبل حتى بعد سقوط الدولة الرستمية، وعبر الشماخي عن ذلك بقوله: " نفوسة بلغت في العلم والتقي والعدل والورع مبلغاً عظيماً يكاد أن يكون حاكيه كاذباً " [3].

وتأكيداً على أهمية جبل نفوسة بالنسبة للدولة الرستمية أود الإشارة إلى أن: من نتائج إنهزام أهالي الجبل في معركة مانو[4] أمام جيش الأغالبة تراجع وإنهيار الدولة الرستمية، كما وصف الباروني ذلك قائلاً: " وكانوا [نفوسة]

---

(1). سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، ص187.

(2). المرجع نفسه، ص194.

(3) . المصدر نفسه، ص 267.

(4) . معركة مانو: وقعت هذه المعركة بين جبل نفوسة والأغالبة عام (283 هـ / 896 م) في ولاية أفلح بن العباس على الجبل، بالقرب من قصر مانو (مارث) جنوب قابس، عندما أراد إبراهيم بن أحمد الأغلبي الزحف بجيشه لمحاربة ابن طولون فاعترضته نفوسة وقبائل أخرى بجيشها فتمكن الأغالبة من إلحاق الهزيمة بجيش الجبل وقدر عدد القتلى باثني عشر ألف قتيل، أربعة آلاف من نفوسة والباقي من غيرها، ومات في تلك المعركة أربعمائة عالم من أهل الجبل، منهم على سبيل المثال: عمروس بن فتح المساكني، ومعبد الجناوني، وجانا التزغتي، وميال التلجامي، وشيبة الدجي، وماطوس وغيرهم. ينظر: سليمان الباروني، المصدر السابق، ج 2، ص 280 ــ 284 .

حصنها المنيع، وسيفها البتار، ودرعها المتين، ولما ضعفوا [أي بعد مانو] أخذت في التقهقر [أي الدولة الرستمية] بطمع الأعداء فيها وتسلطهم عليها حتى اضمحل أمرها " [1]. وتوارث البيت الرستمي حكم الدولة ــ التي كان من المفترض أن تكون دولة شورى وانتخاب ــ إلي أن سقطت في عام (296 هـ / 909 م) على يد العبيديين الفاطميين [2].

ويلاحظ بعد سقوط الدولة الرستمية، لم يدخل العبيديون الغالبون لولاية جبل نفوسة، وبقي خارج دائرة حكمهم بالمغرب، ونتيجة للمقاومة العنيفة التي لاقاها العبيديون من قبل أهالي الجبل اكتفوا منهم بالطاعة الاسمية[3]، وليس هذا فحسب بل ظلت منطقة الجبل بعيدة عن متناول أغلب الدول التي قامت في الغرب الإسلامي طيلة العصور الوسطى إلي مجيء الأتراك العثمانيين، الذين دخل الجبل تحت حكمهم في بداية العصر الحديث[4]. إلا أنّ الجبل تعرض خلال تلك الفترة لعدة غزوات وغارات كان لها الأثر البالغ على تاريخ المنطقة السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

---

(1) . المرجع نفسه، ص280.

(2) .الدولة الفاطمية في المغرب: (296 ــ 362 هـ / 909 ــ 972 م) قامت على يد عبيد الله المهدي الذي نزل بمدينةرقادة عاصمة الأغالبة في ضاحية القيروان في 29 ربيع الثاني 297 هـ بعد أن فتحها أبو عبد الله الشيعي في العام الفائت، فبويع له بالخلافة، وبذلك قامت الدولة الفاطمية ببلاد المغرب الإسلامي، ينظر: سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي، ج3، القاهرة: منشأة المعارف بالاسكندرية، 19، ص57 ــ 248.

(3) . حسين مؤنس، المرجع السابق، مج2 ــ ج3 ، ص 407؛ وإحسان عباس، المرجع السابق، ص83.

(4) . علي يحيي معمر، الحلقة الثانية، المرجع السابق، ص 145؛ جاك تيري، المرجع السابق، ص 360؛ محمود شاكر، المرجع السابق، ص 121. ولم أقف على أي مصدر حول ما ذكره الدكتور صالح مصطفي مفتاح: من أن إباضية ليبيا (وجبل نفوسة ضمنياً منهم) كانوا يتبعون للأغالبة من الناحية السياسية، في كتابه: ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ص270.

ومن ضمن ما تعرضت له منطقة جبل نفوسة من محن عام (310 هـ / 922 م) حيث يشير ابن عذارى: " أن نفوسة خالفت على عبيد الله وقدموا على أنفسهم أبا بطة، فاجتمع إليه عدد كبير واشتدت شوكته، فأخرج إليهم عبيد الله علي بن سلمان الداعي في جمع كثير "[1].

ومن خلال هذا النص نطرح بعض التساؤلات ونستخلص منه بعض المعطيات، فالتساؤل هو ماذا يعني ابن عذارى بقوله: " خالفت نفوسة على عبيد الله "؟ هل **خالفت** تعني: **ثارت** نفوسة على عبيد الله؟ وهذا ما ذهب إليه الاستاذ إحسان عباس[2]، إلا أنني أرى أن مخالفة نفوسة للعبيديين لا تعني الثورة، لأن الذين يثورون عادة ما تكون ثورتهم ضد قوى خارجية مسيطرة، ولا أعتقد ـــ حسب المصادر المتاحة ـــ أن العبيديين قد سيطروا على جبل نفوسة سيطرة عسكرية وسياسية بالمعنى الصحيح. فالمخالفة هنا لا تعدو أن تكون إلا صد لخطر داهم ومؤقت، ولذلك قاوم أهالي الجبل العبيديين وتمكنوا من إحراز النصر عليهم، إلا أن العبيديين عاودوا الكرة مرة أخرى بقيادة: **علي بن سليمان** الذي رجع في العام الموالي (311هـ / 923م) للجبل وتمكن من تحقيق النصر، وهدم أحد الحصون، وقام بأعمال التخريب والفساد، وقتل الرجال وسبى الذرية [3]، ولم يشر ابن عذارى إلي اسم الحصن الذي هدمه العبيديون، أو موقعه في الجبل[4]، كما نجد في نص ابن عذارى اسم لشخصية كانت على رأس المقاومة ألا وهي: شخصية أبا

---

(1) . ابن عذارى ، المصدر السابق، ج 1، ص 187 .

(2) . إحسان عباس، المرجع السابق، ص82.

(3) . المصدر نفسه ، ص 188 ؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، مج2 ، ص 407 .

(4) . أشار الدكتور إحسان عباس أن الحصن الذي تم هدمه بالجبل: (مدينة جادو)، ولا أدري ماذا يقصد بجادو، هل المقصود أن الحصن هو المدينة نفسها؟ وهذا لا يتأتى بداهة، أم أنه يعني: الحصن يقع في مدينة جادو، وهذا ما لم أقف عليه في المصادر التاريخية.

بطة!، وهذه الشخصية لم أقف عليها في المصادر الإباضية، وعلى الأرجح يكون أبو يحيي زكرياء الأرجاني هو المعني وكنيته أبو بطة، لأنه كان والياً على الجبل في ذلك الوقت، وهو أحق من يكون مدافعاً عن الجبل، وهذا ما أشار إليه الشماخي قائلاً: " أغارت كتامة على الجزيرة فخرج إليهم **[أبو يحيي الأرجاني]** فهزمهم الله، وخرج إليهم مرة أخرى قرب تيركت فهزمهم الله وفيها ضرب ومات "[1]. ويفهم من نص الشماخي أن المغيرين على الجبل قبيلة كتامة، وهم القبيلة التي قامت على أكتافها الدولة الفاطمية وكانوا جندها في بلاد المغرب.

ويبدو أن منطقة الجبل لم تتعرض كثيراً للضرر الناجم عن نزوح قبائل بني هلال وبني سليم إلي بلاد المغرب الكبير، بالإضافة إلي بقائها بعيدة عن الصراعات بين المطالبين بالعرش الزيري خلال ق: (5هـ/ 11م)، إلا أنها تعرضت في النصف الثاني من ق: (6هـ/12م) لغارات مَنْ سمتهم المصادر التاريخية بالمغامرين الذين أدخلوا بلاد الغرب الإسلامي عامة في دوامة من الحروب والقلاقل منها على سبيل المثال غارات **قراقوش الأرمني**[2] ـ وهو مولى لصلاح الدين الأيوبي ـ المدعوم من بني دباب قبيلة من بني سليم فغاروا على جبل نفوسة واستولوا على مغانم ضخمة [3]. كما تعرضت في نفس الفترة لغارات بني غانية ، بقيادة أبي يحيي بن غانية الميورقي الذي قام هو الآخر بأعمال التخريب والفساد في جبل نفوسة[4].

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 243 .

(2) قراقوش: مولى لصلاح الدين الأيوبي وأصله من أرمينيا.

(3) . التيجاني، المصدر السابق ، ص 113 .

(4) . ابن خلدون ، العبر ، مج6 ، ص 231 ـ 232 .

ب) الأهمية الاقتصادية لجبل نفوسة :

تشير كتابات البلدانيين والجغرافيين إلي الأهمية الاقتصادية والسياسية لمنطقة الجبل، وتبرز معلومات هامة، فيتبين الموقع الإستراتيجي للجبل المشرف على إحدى الطرق الهامة التي تربط ما بين الشمال الإفريقي على سواحل البحر الأبيض المتوسط وبلاد إفريقيا فيما وراء الصحراء.

ولكي تتضح لنا حياة الجبل الاقتصادية وأهميتها نرجع مرة أخرى ونذّكر بالبيئات الجغرافية الثلاث التي تحدثنا عنها سابقاً، وهي: (**الجفارة، والجبل، والظهر**)، فمن خلال هذا المثلث الجغرافي كانت تدور حياة السكان، وتقوم عليه معيشتهم، ومن هنا يتضح تأثير **العامل البيئي/ الجغرافي** في تشكيل وتكوين نمط الحياة بمختلف مناحيها، وسنركز هنا على الحياة الاقتصادية ــ **بعد إسلام الأهالي بصورة موجزة** ــ من خلال عناصرها التالية:

أولاً: الزراعة والرعي:

اتجه سكان الجبل للزراعة بفعل توفر شروطها من تربة خصبة، ووفرة مياه (**أمطار، عيون**)، وهذا ما أشارت إليه المصادر التاريخية: فقد وصف المؤرخ اليعقوبي (ت 248 هـ) المنطقة قائلاً: " أرض نفوسة ... ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع ، وقرى ومزارع وعمارات كثيرة "[1]، فالملاحظ هنا كثرة العمران البشري بالجبل وازدهار الاقتصاد .ويصف الرحالة ابن حوقل (ت 379 هـ / 988 م) جبل نفوسة بأنه: " جبل عالٍ منيف يكون نحو ثلاثة أيام في أقل

---

(1) . أحمد بن أبي يعقوب بن واضح اليعقوبي ، كتاب البلدان ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1988 ، ص 103ــ 104 .

من ذلك ، وفيه منبران لمدينتين تسمي إحداهما شروس في وسط الجبل ، وفيها مياه جارية، وكروم وأعناب طيبة وتين غزير ، وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون ... وبالجبل مدينة ثانية تعرف بجادوا من ناحية نفزاوة " [1].

كما يشير الجغرافي البكري (ت487 هـ / 1049 م) إلي نفس المعني قائلاً: " وفي وسط جبل نفوسة النخيل والزيتون الكثير والفواكه "[2]. ومن خلال هذه الإشارات بالاضافة إلى المصادر الاباضية، وما تذكره في هذا الصدد نستطيع أن نكون فكرة ولو بسيطة عن الزراعة والرعي بالجبل، والتي أدركنا من خلالها إشتهار الجبل بغراسة أنواع مختلفة من المغروسات مثل: الكروم والأعناب، والتين، والزيتون، وأشجار النخيل بمختلف أنواعها: الكركابي، والمغراسي، وتقنايت، والشبهاني، ويخزن إنتاجه من العام للعام في قلل كبيرة. وأشجار الفواكه. المتنوعة. بالإضافة إلى زراعة الحبوب وأهمها: (القمح والشعير).

ولما توفرت البيئة الجغرافية على مراعي شاسعة سواء في الجفارة أو منطقة الظهر، وحتى في الوديان بين الجبال، والتي تنبت بها النباتات الطبيعية بكثرة، أهتم السكان بتربية الماشية من: أبقار وماعز وأغنام بالإضافة إلى تربية الإبل، ويشير البغطوري إلى أبو عثمان المزاتي ـــ وهو من سكان قرية دجي ـــ الذي كان يمتلك ثروة كبيرة من الأغنام ومن كرمه أنه يذبح لضيوفه أشكال متنوعة من أجناس الغنم[3]. وسكان الجبل كما أشرنا سابقاً قسموا فصول السنة إلى شهور يقيمون فيها ببيوتهم، وأخرى يرحلون فيها إلى الجفارة وهي أيام الربيع خصوصاً. كما نوه

---

(1) . ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 94 ـ 59 .

(2) . البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، (د . ت)، ص 9.

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة121.

الإشارة إلى أن أغلب سكان الجبل أهتموا بتربية الأبقار، ونشير إلى الشيخ أبو ساكن عامر الشماخي الذي أرسله والده في صغره ليرعى بقرهم وجاز عليه أحد المارين فوجده ماسك بحبل البقرة، فقال له لما لا تتركها كبقية الأولاد، فرد عليه عامر الصغير وقتذاك: " خشية أن تغشى زرع الناس"[1].

وتتعدد الأغراض من تربية الحيوانات فمن الغرض الغذائي والإستفادة من لحومها وألبانها، إلى إستخدام البعض منها كمركوب للسفر والتنقل إلى الأماكن البعيدة، ولنقل بضائعهم التجارية، كما أشتغلوا بتجارة الحيوانات نفسها.

ونتيجة لتوفر تلك الغلال والمنتوجات الزراعية والحيوانية في الجبل، قام الأهالي ببناء ما يعرف (**بالقصور**)[2]، لتخزين ما أنتجته المزارع والحقول من: (**زيوت، وتمور، وقمح وشعير**)[3] وغيرها من الغلال، وكذلك انتاجهم الحيواني. بالإضافة إلى إستعمال تلك المنتوجات في أنواع مختلفة من الصناعة.

ثانياً: الصناعة:

كان لصناعات أهالي الجبل علاقة بما يحتاجونه في حياتهم اليومية، بالدرجة الأولي من (**مسكن، وملبس، ومأكل**)، بالإضافة إلى صناعات أخرى غالباً ما تكون ثانوية، أو يقتنيها البعض فقط. فمن دواعي الإستقرار في أي مكان هو توفير

---

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص561.

(2) . شاهدتُ خلال زياراتي المتكررة إلي الجبل عدة قصور، بعضها مازال بحالة جيدة، وبعضها الآخر في حالات سيئة، وأخري قد تحولت إلي أكوام من الحجارة، وللقصور استخدمات عسكرية إلى جانب وظيفتها الأولي كمخازن للغلال والتموين. ينظر الصورة رقم (3) .

(3) . سعيد علي حامد، قصور تاريخية منافعها شتى، مجلة تراث الشعب، العدد 2 ، السنة 1991 ، ص ؛ لمياء سالم شرف الدين، بعض ملامح أزمة أفريقية الاقتصادية ، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999 ، ص 18 .

السكن، ومن هنا أهتم الناس ببناء مساكنهم، الأمر الذي يقتضي صناعة بعض المتطلبات، وهو ما قام به الأهالي مثل: صناعة الجبس، وتحضير الطين والتراب، إلى تصنيع الأبواب من أغصان الأشجار وصنور النخيل. ومن أشهر المهندسين في بناء المنازل الفقيه والشيخ المهندس فرج بن نصر المعروف بنفاث، وفي هذا الصدد يقول أبو زكريا الوارجلاني: " وكان نفاث بناءً عظيماً، فأراد نفاث معاونة سعد في البنيان وصار يبني له"[1]. ويبدو بالفعل أن نفاث كان ماهراً في الهندسة والبناء لأن البناء هنا يخص أحد ولاة الجبل وهو سعد بن وسيم الطمزيني، وبالتالي من الطبيعي أن يكون بيته راقياً، ويحتاج إلى مهندس بارع.

ولما كانت الحاجة ملحة للباس، فمن ضمن ما أستخدمه أهالي الجبل في صناعة لباسهم وأغطيتهم الصوف الذي يقيهم برد الشتاء القارس. ويبدو أن هناك عمل جماعي بين النسوة في عملية تحضير الصوف وغزله، فقد أشار البغطوري لذلك في حديثه عن شخصية وهيلي من قرية تندميرة الذي استعانت زوجته بمجموعة من النساء لغزل الصوف[2]. ولأهمية صناعة وغزل الصوف في بيئة الجبل رخص الشيخ أبو حسان الفرسطائي للعجائز والنساء اللاتي يحضرن مجلسه العلمي بأن يشتغلن في الصوف[3]، ومن ناحية أخرى تشجيعاً لهن لحضور تلك المجالس.

ومن ضرورات الحياة، ودوام نشاط وحيوية الإنسان الإهتمام بغذائه، والغذاء على أنواع منه الطبيعي، والآخر الذي يصنّعه الإنسان، وعلى رأس المنتجات الغذائية التي قام بصناعتها سكان الجبل هي عصر الزيتون ليصير زيتاً وهو من أهم عناصر الغذاء، وهذه الصناعة تعد من أقدم الصناعات في الجبل، وهي

---

(1) . أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة33.

(2) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 69.

(3) . المصدر نفسه، ورقة48.

منتشرة بشكل كبير، لدرجة أن كل عائلة تمتلك معصرة[1] خاصة بها. كما استغلوا بعض أنواع الصخور المحلية في صناعة (الرحي) لطحن الحبوب وأهمها الشعير لصناعة الخبز، وكان لجبل نفوسة شهرة في ذلك حتى قال ابن حوقل: " وأكثر زروعهم الشعير وإياه يأكلون ، وإذا خبز كان أطيب طعاماً من خبز الحنطة، ولشعيرهم لذة ليس لخبز من أخباز الأرض لأنه ينفرد بلذة "[2]. ويبدو أن أهالي الجبل لهم دراية بصناعة واعداد الحلويات، التي ربما كانوا يهتمون بإعدادها وتقديمها في الأعياد والمناسبات، ونفهم ذلك من نص أورده البغطوري في سيره قائلاً: " فلما أصبحت من الغد **[أول أيام عيد الفطر]** قدمت العجوز ... لعيالها طبقاً من الحلاوة "[3]. كما عرفوا صناعة العسل ويقول المؤرخ البغطوري في ذلك: " وقد كان أعطى قبل ذلك لأبي مرداس بطة عسل "[4]. ومن الصناعات الغذائية التي أهتم بها كثيراً سكان الجبل هي تحضير (البسيسة)[5].

---

(1). وذلك لكثرة أشجار الزيتون بجبل نفوسة.

(2) . ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92 .

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة34.

(4). المصدر نفسه، ورقة45. وللأسف لم أعثر على معلومات تفصيلية عن طريقة تربيتهم للنحل وغيرها من المعلومات التي تخص هذا الموضوع، ولربما قال قائل: أن العسل المذكور في نص (البغطوري) كان مستوردا من خارج الجبل، وهذا إحتمال قائم، إلا أن ظروف وشروط تربية النحل ومن ثم صناعة العسل متوفرة في بيئة جبل نفوسة، وبذلك لا أستبعد معرفتهم لهذه الصناعة.

(5).الشماخي، المصدر السابق، ص 173. مازال إلى يومنا الحاضر يهتم أهالي الجبل بتحضير (البسيسة)، وهي تتكون من عدة بقوليات منها: القمح والشعير، والحمص، والفول المجروش، والعدس، والكمون الحلو، والسمسم، والينسون، والحلبة، واللوز والبندق، والكركم، كما يضاف إليها بعض الأعشاب مثل: الإكليل والزعتر، وطريقة تحضيرها هي بعدما تحمس كل تلك البقوليات على النار، يقومون بطحنها وتصير مسحوقاً مثل الدقيق، ثم يخلطونها مع بعضها البعض بإضافة زيت الزيتون، والتمر أو التين المجفف، وتقدم عادة مع فطور الصباح، كما يجهزونها في الأفراح والمناسبات. ونلاحظ مدى فائدتها الصحية من خلال مكوناتها الغذائية.

وبالإضافة لذلك وعلى مزروعاتهم وثروتهم الحيوانية، قاموا بأنشطة صناعية مختلفة: فاستغلوا أشجار النخيل وصنعوا من سعفها المرواح والقفاف وأوعية الحمل والحفظ، وأدخلوا جذوع النخل في سقف المباني من مساجد ومنازل، وغيرها واتخذوها جسوراً للعبور في أماكن أخرى. ومن الصناعات الواسعة الإنتشار صناعة الفخار لتجهيز الأواني والقدور، والأوعية لحفظ أنواع معينة من الطعام والتموين كالتمور والتين. ومن أغصان الزيتون الصلبة صنعوا المحاريث، وأدخلوا حطبه في صناعة الفحم. كما عرفوا دبغ الجلود، واستعملوه في صناعة الكتب.

ونتيجة لذلك الإنتاج الزراعي وتوفر الثروة الحيوانية، وما أنتجه عقل ويد ساكن الجبل، قام تجارهم بتبادل تلك السلع والمنتوجات مع المناطق الأخرى.

ثالثاً: التجارة:

يقع الجبل في منطقة جغرافية مميزة، جعلته يتوسط المراكز الحضارية الساحلية على البحر المتوسط وبين المراكز الحضارية فيما وراء الصحراء الكبري وما يقع بينهما من مدن وقري وواحات هامة، فمن تلك البلدان والأقاليم المجاورة له شرقاً برقة ومصر. ومدن بلاد الغرب الإسلامي غرباً مثل: جزيرة جربة، والقيروان، وتاهرت، وسجلماسة غرباً، وإلى شماله تقريباً مدينة طرابلس وصبراتة: وفي جنوبه مدينة غدامس، وزويلة، وفزان، بالإضافة إلى بلاد السودان الغربي، والأوسط. الأمر الذي مكن سكان الجبل الإشتغال بالتجارة مع تلك البلدان، والحواضر، بالإضافة إلي التبادل الفكري، كما توضح إشارات الجغرافيين معلومات، تفيد ما توفرت عليه منطقة الجبل من مقومات اقتصادية اعتمد عليها أهالي المنطقة في التجارة الداخلية والخارجية.

فتاجروا بكل ما ينتجونه مع المناطق القريبة، ومنها **درج**[1] التي تاجروا معها بزيت الزيتون وكانوا يخرجون إليها في قوافل ويبيعون ما لديهم من الزيت ويربحون من جراء ذلك الربح الكثير[2]. أما تجارتهم مع المناطق البعيدة فهم في الغالب وسطاء ما بين مناطق الشمال الإفريقي، وبضائع ما وراء البحر وبين مناطق ما وراء الصحراء (**السودان الغربي والأوسط**) ، وهذا ما سيتضح بصورة أكثر تفصيلا في الفصل الرابع من هذا البحث، إلا أن أهم الواردات من تلك المناطق: الرقيق والذهب.

وتبرز من خلال النصوص السابقة أهمية بعض المدن مثل: شروس وجادو حيث كانتا تشكلان مركزين حضاريين بالنسبة للجبل، ولا يعني هذا عدم وجود مدن أخرى بالجبل بل برزت مدن وقرى وأسهمت بأدوار اقتصادية وثقافية في الجبل خلال العصور الوسطى منها على سبيل المثال لا الحصر: مدينة نالوت، ومدينة كباو، ومدينة يفرن، وطمزين، وقرية إيجناون وويغو، وتندميرة، وغيرهما من المدن والقرى التي ذكرتها بالتفصيل أنفاً، والتي احتوت على تجمعات سكانية هائلة أقبلت على الدين الجديد عقيدة ومنهاجاً، وعنيت بتعلم اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم ، ومن هناك صار التوجه نحو العلم والتعليم فأخذت الحياة العلمية في جبل نفوسة بالنشؤ والتطور.

---

(1). درج: مدينة ليبية تقع جنوب جبل نفوسة وشمال مدينة غدامس.

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورقة60.

الفصل الثاني

(الحياة العلمية في جبل نفوسة)

1. المؤسسات التعليمية وطرق التدريس.
(المساجد ــ المدارس ــ المكتبات).
2. التعلم في البيوت والتعليم المتنقل.
3. الحلقات والمجالس العلمية.
4. المراحل التعليمية ومناهجها الدراسية.
5. الرحلات العلمية (الدراسة خارج الجبل).
6. الرحلات العلمية للجبل (طلاب وافدون للجبل).
7. الإجازات العلمية.

1 .المؤسسات التعليمية وطرق التدريس:

حينما استقرت الأوضاع السياسية والعسكرية ببلاد المغرب الكبير عامة، وجبل نفوسة خاصة بعد الفتح الإسلامي ق: (1هـ/7م)، ودخول الأهالي في الدين الإسلامي شهدت المنطقة تغييرات شاملة لمختلف نواحي الحياة فيها، لاسيما التغييرات التي شهدتها الحياة الفكرية[1]، بحيث توجه اهتمام الأهالي للعلوم والفنون، وخاصة الدراسات العربية والإسلامية [2]، وكان لهم دور كبير في هذه المجالات ، ولم يقل مجهودهم العلمي عن مجهودات باقي المراكز الحضارية في العالم الإسلامي، محاولين تفهم الدين الجديد بصورة واضحة، بحيث أثارتهم تعاليم الإسلام في حب العلم والتعلم ، فقد تعددت الآيات القرآنية الدالة على تلك المعاني، ومنها على سبيل المثال : قوله عز وجل : في أول سورة نزلت على سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم : ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق** ﴾[3]. وقال سبحانه وتعالي : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير** ﴾[4]. وقوله عز وجل: ﴿ **رب زدني علماً** ﴾[5].وقال جل ذكره:﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء** ﴾[6].

---

(1). في الحقيقة لم اتطرق في هذه الدراسة إلى الحياة العلمية والفكرية عند سكان جبل نفوسة، وبلاد المغرب عموماً في الفترة قبل الإسلام، الأمر الذي يوضح الكثير من المسائل في هذه المواضيع الفكرية: وربما في دراسات لاحقة يتسني لنا ذلك إن شاء الله تعالى.

(2) . أحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، طرابلس: منشورات الجامعة الليبية، 1971، ص 129.

(3) . سورة: العلق، الآية 1 .

(4) . سورة: المجادلة، الآية: 11.

(5) . سورة: طه، الآية: 114.

(6) . سورة: فاطر ، الآية 28 .

كما أوردت السنة النبوية الشريفة، عدة أحاديث في هذا الصدد منها قوله صلي الله عليه وسلم : ﴿ **إني بعثت معلماً ولم أبعث تاجراً ، فتعلموا العلم لوجه الله وعلموا الناس لوجه الله تكونوا ورثة أنبياء الله** ﴾[1]، وقال أيضاً صلي الله عليه وسلم : ﴿ **من يرد به الله خيراً يفهمه وإنما العلم بالتعلم** ﴾[2]. وقوله صلي الله عليه وسلم : ﴿ **خيركم من تعلم القرآن وعلمه** ﴾[3]، ولكي يرسخ الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم حب العلم لدي المسلمين، والسعي لتعليمه للآخرين قال: ﴿ **مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخري إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدي الله الذي أرسلت به** ﴾[4].

كما يرجع الفضل إلي جهود العرب المشارقة في تشكيل النواة الأولي للحياة العلمية والثقافية ببلاد الغرب الإسلامي عامة فقد دخل إلي إفريقية عدد كبير من صحابة رسول الله صلي الله عليه وسلم، نذكر منهم على سبيل المثال: عبد الله بن عمر ابن الخطاب، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحمزة بن عمرو الأسلمي، وسلمة بن الأكوع، وبلال بن الحارث المزني، وكعب ابن عمرو، وعبد الله بن

---

(1) حديث شريف.

(2) . أبو عبد الله محمد البخاري، صحيح البخاري، ج 1 ، دار إحياء الكتب العربية، (د . ت)، ص 27 .

(3) . أبي عيسي محمد الترمذي، الجامع الكبير، ج 5 ، ط 2 ، تحقيق: بشار عواد معروف ، بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1998 ، ص 30 .

(4) . أبو عبد الله البخاري، المصدر السابق ، ج 1، ص 30 .

العباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق [1]. كما لحق بهم في فترات لاحقة عدد آخر من التابعين [2]، إلا أن المصادر التاريخية لم توضح بالتفصيل ما قاموا به من مجهودات علمية، ولكن لا شك في أن مثل هؤلاء الرجال لابد أن يتركوا أثراً علمياً بين أهالي إفريقية، كما ينبغي الإشارة إلي جهود البعثة العلمية والمتكونة من عشرة أشخاص وهم: (**موهب بن حي المعافري، وحبان بن أبي جبلة، وإسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي، وإسماعيل بن عبيد، وطلق بن حابان، وبكر بن سوادة الجذامي، وعبد الرحمن بن رافع التنوخي، وأبو عبد الرحمن الحبلي، وسعيد بن مسعود التجيبي**)، أرسلها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلي إفريقية (100 ــ 101 هـ)[3]، لترسيخ الدين الإسلامي، ونشر العلوم الدينية واللغوية بين الأمازيغ.

ولا ندري ما هو نصيب جبل نفوسة من تلك الجهود الدعوية والعلمية وما هي الأسماء والشخصيات التي استقرت هناك لإرشاد الأهالي وتعليمهم، إلا أن الوسائل كانت ــ **فيما بعد** ــ متنوعة ومتعددة أمام طلاب العلم، فمنهم من شد الرحال خارج الجبل لطلب العلم في الحواضر الإسلامية المختلفة شرقاً وغرباً، ومن أقعدته ظروفه المعيشية والمادية كان يكفيه العلماء المستقرون بالجبل في مختلف القرى والمدن الذين يقومون بالتدريس في المساجد والكتاتيب وفي فترات لاحقة أسست المدارس وانتشرت على طول الجبل للقيام بمهام التعليم، كما تعد الحلقات العلمية

---

(1) . أبو العرب محمد القيرواني: طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق: علي الشابي ونعيم حسن اليافي، تونس: الدار التونسية للنشر، 1968 ، ص 73 ــ 78 .

(2) . المصدر نفسه، ص 79 ــ 83 .

(3) . أبو بكر عبد الله المالكي، رياض النفوس، ج1، ط 2 ،تحقيق: بشير البكوش، مراجعة: محمد العروسي المطوي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1994 ، ص .

من وسائط التعلم والتعليم، حيث كان لبعض المشائخ حلقاتهم العلمية والتي تعقد في مختلف الأماكن في المساجد أو منازل العلماء أو حتى في الساحات، كما لاحظت بعض الحلقات يتجول بها شيخها بصحبة طلابه في مختلف مدن وقرى الجبل، بالإضافة إلى المجالس العلمية فهي الأخرى فرصة من الفرص المتاحة لطلاب العلم والمعرفة.

وأمام كل هذا المناخ العلمي الذي يشجع الطلاب على الحوار والمناقشة والسؤال، وقول آرائهم دون تردد، ويروي البغطوري محاورة بين الطالب أبي الربيع بن أبي هارون الملوشائي وشيخه أبي زكريا يحيى بن أبي سفيان، الذي أخذ يفتي بالرخص في إحدي مجالسه العلمية، الأمر الذي لم يروق لأبي الربيع فقام من المجلس بعد أن أعطاه شيخه الإذن بالقيام، ثم طلب الشيخ من الطلاب أن يردوه لتميزه وقوة فهمه، إلا أنه ما لبث أن رجع لوحده[1]. كما يشجع العلماء طلابهم على طرح الأسئلة ويقولون في ذلك: " السؤال نصف العلم، وقيل العلم كله، معنى ذلك أن السؤال سبب العلم ومفتاحه "[2]. ويبدو أن بعض العلماء والمشائخ بالجبل قسموا شهور السنة كما يشير لذلك المؤرخ البغطوري قائلاً: " إن الماضين يحرثون شهرين، ويحصدون شهرين، ويتفرغون لطاعة الله ثمانية أشهر، وقالوا أيضاً: لولا تلك الأربعة ما تصح هذه الثمانية، فصار ذلك كله عبادة "[3]، ونفهم من هذا النص أن التفرغ لطاعة الله تعني العبادة وطلب العلم في نفس الوقت، وهذا التقسيم من شأنه ينظم حياتهم العلمية والعملية، وهو كذلك من تقديرهم لأهمية الوقت

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة17.، ورقة10.

(2). أبو العباس أحمد الفرسطائي، الألواح، مخطوط، ورقة46.

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة6.

الذي لم يضيعوه هدراً حتى في وقت أسفارهم وترحالهم كانوا يتناقشون في المسائل الدينية والعلمية، ويشير البغطوري إلى جماعة من جبل نفوسة كانوا مسافرين وفي طريقهم كانوا يتذاكرون مسائل التوحيد والفقه[1]. والأهم من كل هذا وذاك أنهم وظفوا كل علمهم وثقافتهم في إصلاح المجتمع، والوصول به إلى بر الأمان، مهما كلفهم الأمر ولا يخشون في ذلك لومة لائم، وكان بعضهم: " يتتبع الأمراء ويشدد عليهم في أمور الإسلام "[2]، وفي نفس الوقت كان هناك العديد من الأمراء يستمعون إلى أراء العلماء، ويتقبلون نقدهم ومنهم: " أبو زكريا بن أبي عبد الله حين تولي الأمور، فقال له أبو محمد الدرفي: إذا نزلت عليك مسألة فعليك بأبي يحيى الفرسطائي، وأبي محمد الكباوي، فكل ما أتفقا عليه فأحكم به وما أختلفا فيه فاتركه، فكان يمشي إليهما "[3].

ولم يكن طلب العلم مقصوراً على الرجال فحسب بل أسهمت النساء أيضاً بنصيب وافر في إنعاش الحياة العلمية ، وبلغت مراتب عالية إلي درجة الاجتهاد، وتزخر المصادر التاريخية بالعديد من الشواهد الدالة على نشاط النساء العلمي والثقافي ومنها: تلاقي إمرأتين بشكل دائم واحدة من (توغرت) ، والأخرى من (إكراين)[4] في إحدى المصليات وتثار بينهما المسائل والقضايا

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة33.

(2). المصدر نفسه، 41.

(3) . المصدر نفسه، ورقة65.

(4) . إكراين: هو في الواقع اليوم وادي ينحدر من جبل كباو ويتجه ناحية الشمال صوب الجفارة وبه عدة قرى قديمة قمت بزيارتها عام 2004 وهي: إيمزبولن، تصرارت، وآت بارون، ولاحظت وجود آثار لأبنية مطمورة تحت الأرض تحتاج إلى دراسات أثرية وتاريخية.

العلمية ويتذاكرونها ثم ترجع كل منهما إلى منزلها[1]. ويبدو أن الرجال في مجتمع جبل نفوسة أدركوا قيمة المرأة وأهميتها فكانت محل استشاراتهم في مختلف الأحوال والمسائل، وهذا الشيخ أبو هارون الملوشائي كان دائم الزيارة لعجوز في قرية إيبناين، وعلى ما يبدو أنه كان يستشيرها في قضايا علمية وفقهية[2].

كما يذكر أبو العباس الفرسطائي رواية تشير لنفس المعنى السابق، وهي أن : " عجوز بجبل نفوسة أتي إليها العزابة ليزورها فقالوا: أوصنا يا عجوز، فقالت: وكيف أوصيكم وأنتم الرجال، منكم الرسل والأنبياء، ومنكم الأمراء والوزراء، ومنكم المؤذنون والأئمة، قالوا: ولابد فإن الذكرى تنفع المؤمنين، فقالت: إياكم وكثرة الكلام لئلا تكذبوا، وإياكم وكثرة الأيمان لئلا تحنثوا، وإياكم وكثرة الدلالة لئلا تسرفوا، وإياكم والتهمة لئلا تظلموا، قالوا: زيدينا، قالت: زيادتكم طلب حوائجكم، ومصافحتكم مقارعة وأكلكم أكل النهما ومشيكم مشي المرضى، ونومكم نوم الموتي، ... ثم ذكرت كلاماً بالبربرية يرجع معناه إلى قول بعض الحكماء: نق العمل فإن النافد يسير، جدد السفينة فإن البحر عميق، كثر الزاد فإن السفر بعيد، خفف الحمل فإن العقبة كؤود "[3].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل حتى الإماء والخدم كانت لهم اهتمامات بالعلم والمذاكرة خلال فترات زمنية لاحقة[4]. وكان بعض المشائخ يعطي وقته لتعليم بعض الخدم ويُروى أن أبو محمد التغرميني: " لقى يوماً آمة فقال: ما أحسن هذه الآمة لو أنها تعرف توحيدها، فقالت الآمة: علمني يا شيخ، فوقف

---

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة19.

(2) . المصدر نفسه، ورقة20.

(3). أبو العباس الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة99 ــ 100.

(4) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 13.

يعلمها توحيدها "[1] وليس هذا فحسب بل سمح العلماء لأبناء الأقليات الدينية الأخرى من الدخول في مدارس المسلمين حيث يفيدنا أبو عمران الشماخي في هذا المعنى بقوله: " **وأنه لا بأس بترك اليهودي يدخل أولاده عند معلم أهل القبلة ليتعلموا الخط** " [2].

وهذا يدل على رقي الحضارة الإسلامية التي تتعايش فيها كافة الأقليات الدينية والعرقية وغيرها. وهذا الاهتمام بطلب العلم لم يأت من فراغ وإنما جاء نتيجة أن المنطقة كان يسودها الاستقرار السياسي والاقتصادي من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت على قدر من العمران البشري كما يشير ابن خلدون: " في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتعظم الحضارة"[3]. وتأسست مجموعة من المساجد والمدارس في منطقة الجبل فكان لها إسهام بارز في احتضان طلبة العلم على فترات متتالية.

أولاً) المساجد [4] :

إهتم أهالي الجبل ببناء وتشييد المساجد، في مختلف مدنهم وقراهم، وذلك لما يمثله المسجد من أهمية دينية للمجتمع الإسلامي، فهو المكان المخصص للعبادة من صلاة وذكر لله ودعاء، بالإضافة لذلك اتخذت أماكن للتعليم والتدريس

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة169.

(2) . أبو عمران موسى بن عامر الشماخي، لقط أبو عمران، طبعة حجرية، ص 119 .

(3) . ابن خلدون، المقدمة، ص 402 .

(4) .تنتشر المساجد الأثرية على طول الجبل في مختلف القرى والمدن، واتخذت أغلبها أماكن للدراسة والتعلم في القرون الوسطي، حيث تخرج منها فحول العلماء الذين أثروا الحياة الفكرية في جبل نفوسة، وتلك المساجد في حاجة ماسة إلي الصيانة والترميم من قبل مصلحة الآثار، وحمايتها من الاندثار والضياع، كما هي في حاجة إلي الدراسات الأثرية والتاريخية، لأنها تمثل ثروة وطنية في غاية الأهمية. وقد زرت أغلب المساجد القديمة في الجبل ووقفت عليها، وهي تفوق الستين مسجداً أثرياً. انظر الملحق ص 290.

فالمسجد يعد المكان الأول لذلك الغرض وتكاد لا تخلو مدينة أو قرية في الجبل من وجود مسجد أو أكثر، وأغلبها تم تأسيسه في وقت مبكر بعد الفتح الإسلامي لجبل نفوسة. وكان علماء الجبل يرون أن للمساجد حقوقا على الناس وهي: " الصلاة فيه، والآذان، **وأخذ المعلم** "[1].

و بنهاية كتاب السير للشماخي (ت **929هـ / 1522م**)، ملحق بعنوان "**تسمية مشاهد الجبل**"[2]، ورد فيه أسماء للأماكن الدينية في جبل نفوسة، وقد أحصى الباحث المساجد المذكورة فوجدها اثنين وعشرين مسجداً، إلا أنها في الواقع تفوق هذا العدد بكثير فالمساجد التي زرتها أكثر من ستين مسجداً أثرياً[3].

نلاحظ أن المساجد اتخذت مجالس للعلم والدراسة، وكانت النساء تحضر تلك المجالس العلمية في أماكن خاصة بهن في المسجد يفصلهن عن الرجال ستار[4] وهذا يدل على انتشار العلم في المنطقة، واهتمام كافة الشرائح الاجتماعية بطلب العلم. وينبغي الإشارة إلي أنّ أول مسجد أذن فيه المؤذن بجبل نفوسة كان في موضع يسمى **أجلمم** [5] بقرية ويغو[6].

---

(1) . أبو عمران موسى بن عامر، المصدر السابق، ص 42، هكذا وجدتها في الأصل: " وأخذ المعلم" ولعل صوابها: (أخذ العلم).

(2).الشماخي، المصدر السابق، ص 598 ــ 600.

(3).انظر: الملاحق ص: 290 أسماء لبعض مساجد جبل نفوسة التي زرتها خلال الرحلات العلمية.

(4) .الشماخي، المصدر السابق، ص 636. لاحظت هذا الستار الفاصل في أغلب مساجد مدن وقرى الجبل. وهو في الغالب مبني بالحجارة وطوله من المتر ونصف إلى المترين تقريباً.

(5) .الوسياني، المصدر السابق. ورقة 13.

(6).ويغو: تقع فيما بين قرية بقالة بالحرابة شرقاً ووادي شروس غرباً وقرية مرقس بالحرابة شمالاً ومنطقة الظاهر جنوباً، و يبدو أن ويغو كانت تشغل مساحة كبيرة وهذا يتضح من خلال آثار البناء الذي ما زال قائماً ويحتاج =

كانت هناك العديد من المساجد التي أدت دوراً كبيراً في الحياة العلمية في الجبل وارتادها الطلاب، ويمكن أن نتساءل عن أبرز تلك المساجد؟ وكيف كانت طرق التدريس والتعليم المتبعة فيها؟ وإلي أي حد نجحت في ذلك؟ ولعل من أبرزها:

1) مسجد أبي خليل صال الدركلي ق: (2هـ/8م).

عاش أبي خليل صال الدركلي خلال ق: (2هـ / 8م)، وينتسب إلي قرية دركل[1]، وبعدما أنهي أبو خليل تعليمه على مشائخه قام بتأسيس مسجد بقريته، قصده العديد من طلاب العلم الذين تعلموا على يديه، ومن تلاميذه الذين التحقوا بهذا المسجد: أبان بن وسيم الويغوي، وأبو صالح الدركلي.

وهو عبارة عن بناء تحت الأرض (غار) أسفل ربوة دركل[2]، طوله من الغرب إلي الشرق حوالي 10 أمتار، وعرضه حوالي 6.5 متر، وبابه يفتح جهة الجنوب الغربي، وهناك باب آخر في نفس الإتجاه غير أنه مسدود، والمسجد متسع وينقسم إلي بيتين، وتوجد به ثلاث أعمدة كبيرة وقوسان، وتوجد على سقفه في البيت الثاني كتابة وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم [...] [3] على محمد عمل له

= إلي صيانة وترميم من قبل مصلحة الآثار، كما هي في حاجة لدراسات تاريخية وأثرية. قمت بزيارتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (4).

(1) . دركل: قرية من قري الجبل القديمة، تقع فوق ربوة عالية وكبيرة وآثار مساكنها متناثرة حول الربوة وفي أعلاها يوجد القصر، ويحدها من الشرق والغرب وادي أم صفار ومن الشمال امتداد مجري وادي شروس، ومن الجنوب وادي يفصل دركل عن جبل قرية الجزيرة، زرتها عام 2004، ينظر الصورة (5) .

(2) . بنيتُ نسبة هذا المسجد للشيخ أبي خليل الدركلي على إعتبار قدم المسجد الذي يعود إلى فترة كانت المساجد عبارة عن غيران تحت الأرض بعد أن يتم تسويتها من الداخل وإقامة الأقواس فيها وبناء المحراب وغيره، وهو الأمر الذي يتوافق وكيفية بناء المساجد في زمن الشيخ أبو خليل ق: (2هـ/8م). زرت هذا المسجد عام 2004، ينظر الصورة رقم (6).

(3) . كلمة غير واضحة .

هدية المسجد في سنة خمس مائة وخمس وثلاثين [...] [1] الله من عمل يوم الثلاثاء) . ونستخلص من هذا التاريخ أنه يرجع إلي النصف الأول من ق: (6هـ/ 12م)، وهو ربما يكون تاريخ صيانة وترميم وبذلك يكون تاريخ البناء أقدم. وعلى ظهر المسجد توجد بقايا آثار وهي أساسات لبناء ربما تكون مدرسة تعليمية أو مسكن أحد المشائخ.

2) مسجد أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني[2]:

يعد أبوعبيدة عبد الحميد الجناوني ـــ وينتسب إلي قرية ايجناون ـــ من علماء ق: (3هـ/ 9م)، وكان مسجده متسعاً حتى ورد أنه: " اجتمع به سبعون عالماً من كبار علماء إجناون في وقت واحد "[3].

وهذا النص يفيد الأهمية العلمية للمسجد، بالإضافة إلي ظهور هذا العدد الكبير من العلماء في قرية واحدة الأمر الذي يفسر ما أورده الشماخي بأن هذه القرية لا تحتاج الدار فيها إلي فتوى دار أخرى[4]، وكأنه يقول : إن لكل عائلة عالما قادرا على الإفتاء في المسائل العلمية والدينية . ونفهم من هذا النص أيضاً أن تواجد هذا العدد الكبير من العلماء يدل دلالة واضحة على ازدهار الحركة العلمية

---

(1) . كلمة غير واضحة، ربما تكون (هجرية) حسب السياق اللغوي للعبارة.

(2) . يعد هذا المسجد من أقدم مساجد الجبل وللأسف تم هدمه وبُنى على أنقاضه مسجد جديد من قبل الأهالي عام 1971 ف ، ولم يبق من المسجد القديم سوى جدار مازال تحت البناء الجديد في قرية إجناون على بعد 5 كلم من مدينة جادو ، ومساحة المسجد القديم حوالي 80 متر مربع على حسب ما رواه لي أحد مواطني القرية ، وكان يقال له مسجد جامع ، زرته سنة 2004، ينظر الصورة رقم (7) .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 545 .

(4) . نفس المصدر والصفحة .

في الجبل ، والمصادر لا تعطينا معلومات كافية عن كيفية التدريس بهذا المسجد ، ومن هم العلماء الذين درّسوا به ! .

3) مسجد سعد بن أبي يونس الطمزيني[1]:

أسسه الشيخ سعد بن أبي يونس في مدينة طمزين[2] خلال ق: (3هـ / 9م)، وذلك بعدما أنهي تعليمه على يد الإمام عبد الوهاب الرستمي بتاهرت، وتوجه طلاب العلم إلي هذا المسجد الذي امتد نشاطه التعليمي إلي نهاية ق (8هـ / 12م) [3]. ويقع هذا المسجد في منطقة أبي خروبة بطمزين وهو متسع إلي حد ما، فطوله حوالي 9 أمتار وعرضه 8 أمتار ونصف، بابه من الناحية الشرقية، وفوق سطحه مئذنة صغيرة ، مازال بحالة جيدة لاهتمام الأهالي بصيانته.

4) مسجد أبي معروف[4]:

يعد هذا المسجد من أقدم المساجد بجبل نفوسة ويرجع بناؤه إلي القرن (3هـ / 9م)، وهو يقع في مدينة شروس حاضرة الجبل وقتذاك، وأسهم بشكل كبير في تجذير الحياة العلمية وخاصة الدراسات الإسلامية واللغوية ، ومن العلماء

---

(1) . مسجد الشيخ أبي عثمان سعد بن أبي يونس : زرته عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (8) .

(2) . طمزين : مدينة من مدن جبل نفوسة ، وتقع على حافة جبل عرف باسمها ، وتأسست في أواخر القرن الثامن الهجري تقريبا، وذلك لوجود تاريخ مكتوب (775هـ) على صخرة بجانب قصر طمزين ، وقبل تأسيسها كان الأهالي يسكنون الجنوب منها في ما يعرف (تحارت) ومازالت بقايا آثارهم دالة على ذلك مثل: بقايا القصر، ومسجد صغير يعرف بمسجد تحارت وهو بناء قديم تحت الأرض (غار)، كما تتناثر مجموعة غيران في المنطقة كانت تتخذ مساكن، زرتها في عام 2004، ينظر الصورة رقم (9) .

(3) . الهادي الدالي، مملكة مالي الإسلامية، ط 2، الزاوية: مطابع الوحدة العربية، 1999، ص 168.

(4) زرت هذا المعلم التاريخي سنة 2004 ف، ينظر الصورة رقم (10) .

الذين درّسوا به الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد (كان حيا بعد سنة 283هـ / 896 م)، ومازال المسجد يحمل أسمه إلي اليوم والعلماء الذين تعلموا وتخرجوا من هذا المسجد كثر، من أبرزهم على سبيل المثال: الشيخ أبو مسور يسجا اليراسني، الذي قدم من خارج الجبل، (ت 350هـ/ 96 م)[1].

ونلاحظ تضارب المصادر التاريخية حول وجود الجوامع في مدينة شروس من عدمها ففي حين يصف **ابن حوقل** ق: (04هـ / 10م) مدينة شروس، بأنها: " يوجد بها منبر وأنها تقع وسط جبل نفوسة" [2]، نجد **البكري** ق: (5هـ/11م) يقول: عن مدينة شروس: " ليس بها جامع ولا ما في حولها من القرى وهي أزيد من ثلاثمائة قرية آهلة "[3]. ويتضح وجود الجوامع من خلال السبق الزمني لابن حوقل عن البكري، كما إنني لا أستبعد وجود الجوامع في مدينة شروس أو غيرها من مدن وقرى جبل نفوسة في ذلك الوقت المتأخر عن زمن البكري، والإسلام دخل إلي الجبل منذ أكثر من أربعة قرون فكيف يستقيم عدم وجود الجوامع إلي ذلك الزمان. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هناك قائمة مساجد مذكورة في **ملحق سير الشماخي**[4]، وهي تقريباً اثنان وعشرون مسجداً. كما نجد كل من **صاحب الاستبصار**[5]، (ق: (6هـ/12م)، **ياقوت الحموي**[6]، ق: (7هـ/

---

(1) .الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 157.

(2) . ابن حوقل، المصدر السابق، ص 92 .

(3) . البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 656 .

(4) قد يتبادر للذهن لأول وهلة أن عصر مؤلف: (الملحق بسير الشماخي) وهو: أبو زكريا إبراهيم الباروني متأخر عن البكري، هذا صحيح من الناحية الزمنية، ولكن المساجد المذكورة بالملحق ترجع أسماء مؤسسيها إلى فترات سابقة لعصر البكري.

(5) .مجهول، الاستبصار، المصدر السابق، ص 144.

(6) .الحموي، المصدر السابق، ج 5، ص 297.

13م)، ينكرون وجود الجوامع بشروس ويبدو أنهما نقلا عن البكري، و لم يقوما بزيارة الجبل [1]!.

ومازال هذا المسجد / الجامع قائماً وبحالة جيدة، وهو متسع وكبير، طوله حوالي 15 متر وعرضه 15 متر، وله بابان شرقي وغربي، وهو حالياً المبنى الوحيد القائم في شروس وبقية المباني خرائب وأطلال دارسة، وبجانبه بقايا قصر فوق ربوة عالية، وذكر لي بعض أهالي الجبل أن جدران المسجد وأركانه كانت مقسمة على القرى والقبائل المجاورة لشروس، وكل منها مسؤولة عن صيانة المسجد والاهتمام به، وهو السبب الذي منع المسجد من الخراب وحافظ على بقائه طوال العصور، كما توجد كتابة على أحد سقوف المسجد تدل على أن المسجد قد قام بإصلاحه وصيانته: محمد بن فرج الوزاني أو الوازني، يوم الخميس أوائل شهر ذي الحجة عام 1275 هـ[2]، كما كانت توجد فوق الباب الغربي من الخارج كتابة عربية بالخط الكوفي إلا أنها سقطت، كما توجد فوق المسجد مئذنة صغيرة من الناحية الجنوبية ، والمسجد يحتاج إلي صيانة وترميم واهتمام.

---

(1) . من خلال زياراتي للجبل شاهدت عدة مساجد وجوامع قديمة بعضها مبني تحت الأرض وأقدم تاريخ مكتوب شاهدته هو 535 هـ بمسجد نسبته: لأبو خليل الدركلي، وربما يكون هذا التاريخ للصيانة والترميم، وتاريخ البناء أقدم منه، على أساس أن أبو خليل عاش قبل هذا التاريخ بوقت طويل، راجع ص75 ــ 76.

(2) .1275هـ / 1858م، ربما في هذه السنة كانت آخر صيانة لمسجد شروس.

5) مسجد أبي منصور إلياس[1]:

أسس أبو منصور مسجده في قرية تندميرة[2]، خلال ق: (3هـ/ 9م)، وأسهم بدوره في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بجبل نفوسة .وتم إنشاؤه قبل أن تنتقل القرية إلي حافة الجبل ، ويعد من المساجد الكبيرة في الجبل فطوله حوالي (18.5 متر أما عرضه 16 متر)، ويتألف من خمسة بيوت، والمسجد له بابان شرقي وشمالي ، وتوجد به عشرة أعمدة.

كما توجد به (لوحة حجرية، حمراء اللون، مربعة الشكل، وصغيرة الحجم، مقاسها: 15سم × 15سم تقريباً) مثبتة على أحد الجدران على يسار المحراب عليها كتابة واضحة وهي: (بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً [...] [3] المسجد في شهر الله المبارك محرم عام خمس وسبعين سنة بعد ثمن مائة في القرن التاسع، وكتب سعيد ابن مصباح ابن إبراهيم رحمه الله رحمه الله).

---

(1) . مسجد أبو منصور إلياس: زرته عام 2004، ينظر الصورة رقم (11). وأخبرني شاهد عيان أحد أهالي القرية (الحاج المحمد صالح التندميري) أن آخر صيانة تمت للمسجد كانت في سنة 1946 ف، قام بها أهالي قرية تندميرة.

(2) . تندميرة: من قرى جبل نفوسة القديمة ، وتقع فوق قمة جبل يطل على وادي تندميرة وهو أحد فروع وادي شروس، ومساكن القرية تتجه ناحية الشرق، وأنها كانت في مراحل سابقة تقع إلي الشمال من موقعها الحالي وسكن أهلها حينها الغيران ثم اتجهت ناحية الجنوب على حافة الجبل، ويحدها من الشرق غابات الزيتون والتين والكروم، وكذلك من الغرب حتى مدينة تملوشايت، أما الشمال فهو امتداد لقرية تندميرة القديمة، ومن الجنوب وادي تندميرة. زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (12).

(3) . طمس في الكتابة، ربما: (بني هذا) أو (جدّد هذا)، تمشياً مع السياق اللغوي للعبارة.

6) مسجد عمروس بن فتح المساكني[1]:

قام الشيخ عمروس ق: (3 هـ/ 9 م) بتأسيسه بقرية إمساكن (قطرس حالياً)، وكان لهذا المسجد إلي جانب المساجد والمدارس الأخري في الجبل الدور الكبير في نشر العلوم والفنون الإسلامية، إلي جانب نشر الثقافة واللغة العربية، وكثيراً ما كان الشيخ عمروس يعقد فيه المجالس العلمية ويحضرها علماء قريته.

والمسجد يتوسط القرية، وهو من المساجد الكبيرة طوله من الشرق إلي الغرب (15 مترا وعرضه من الشمال إلي الجنوب 7 أمتار) له بابان من الناحية الغربية أقفل أحدهما، والمسجد يتكون من بيتين تفصلهما مجموعة أعمدة وأقواس.

7) مسجد إيباناين[2] :

الذي بناه الشيخ أبو هارون موسى التملوشايتي بقرية إيباناين[3] خلال القرن (4هـ / 10 م)، وتحديداً بعدما تولي أمور الجبل[4]، وهذا المسجد يأوي إليه طلاب العلم بأعداد كبيرة فصار كهفاً ومأوي لهم [5]، ومن الطلاب الذين دَرسوا فيه : أبو محمد عبد الله بن مطكود ، وأبو زكرياء يحيي الجناوني (هـ/ م) ، اللذان درسا على الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون التملوشايتي .

---

(1) . مسجد عمروس بن فتح : زرته عام 2005 ، ينظر الصورة رقم (13) .

(2) . مسجد إيباناين : زرته عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (14) .

(3) . إيباناين : قرية قديمة تقع فوق جبل عال يعرف باسمها ، ومازالت آثارها باقية منها : بقايا القصر الذي يعلو قمة الجبل وحوله وأسفل منه تنتشر المساكن والبيوت ، وهي حالياً مهجورة ، وينبسط وادي إكراين غرب القرية ، ومن الشرق وادي إكراين وجبل كباو ، ومن الشمال سلسلة جبلية تفصل القرية عن سهل الجفارة ، ومن الجنوب ملتقى وادي إكراين ووادٍ آخر يفصلانها عن قرية جليمت الواقعة فوق قمة جبل ، زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (15) .

(4). الشماخي، المصدر السابق، ص20.

(5) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 20 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 301 .

يقع هذا المسجد في وسط جبل القرية، طوله حوالي 8 أمتار وعرضه 10 أمتار له بابان أحدهما للرجال والآخر للنساء، والمسجد مشيد على أعمدة وأقواس وبجواره في الخارج توجد ساحة فسيحة، ومصطبة على جانبي المسجد وماجل لحفظ مياه الأمطار.

8) مسجد أمسراتن[1]:

يبدو أن الذي قام ببنائه أو شارك في بنائه الشيخ أبو المهاصر جعفر بن موسى الأفطماني كما أورد الشماخي ما ذكر من أن أبا المهاصر كان يحمل الخبز في الفخار من منزله وقت أن كان يبني مسجد امسراتن[2]، يوجد هذا المسجد في مدينة جادو ، وقام بدوره العلمي في منطقة الجبل وكان يفد إليه طلاب العلم طيلة القرون الوسطي ، ودرّس به العديد من العلماء والمشائخ منهم على سبيل المثال : الشيخ أبو سهل البستوني (ق هـ) وكان يدّرس التلاميذ في أوقات منتظمة من بعد صلاة العصر إلي غروب الشمس[3]، و لم يذكر البغطوري (ق 6هـ / 12 م) ، مرحلة التعليم ولا ماهية العلوم التي كان يدّرسها هذا الشيخ غير أنها لا تخرج عن العلوم الإسلامية كما هو سائد في ذلك الوقت. ويعطينا البغطوري صورة واضحة للبرنامج اليومي للشيخ أبو سهل البستوني حيث يقول: " وكانت عادته إذا صلى الفجر واستفتح مضى لشغل دنياه إلى وقت القائلة فيرجع فيقيل، فإذا قرب الظهر

---

(1) . مسجد امسراتن : وهذا المسجد ضمن مساجد مدينة جادو ، وتم هدم المسجد القديم أكثر من مرة، وبني مكانه مسجد جديد ، زرته عام 2004 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 ــ 335 .

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 154 ــ 155 .

قام وأغتسل للصلاة، ويلبس قميصين معقودين بطوق واحد وعمامة حسنة وكسأة سجلماسية، ثم يمضي إلى مسجد مصراتن، فيؤذن المجلس للتلاميـــذ إلى غـــروب الشمس ويصلي، ويشتغل في العبادة والصلاة حتى يصلي العصر، ثم يجعل المجلـــس لتلاميذه إلى غروب الشمس، ثم يصلي المغرب حتى العشاء"[1].

9) مسجد أبي يحيي زكريا ء بن يونس الفرسطائي[2]:

يعد مسجد الشيخ أبي يحيي زكريا بن يونس الفرسطائي من المساجد الهامة في الجبل لما قام به من أدوار في التعليم والتدريس ونشر العلوم العربية والإسلامية، أنشأه الشيخ أبو يحيي الفرسطائي خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، بقرية فرسطا[3] وذلك بعدما أجازه عدة مشائخ من أبرزهم الشيخ أبو هارون موسى الجلالمي . ويقع هذا المسجد في وسط جبل القرية، أسفل البيوت بساحة واسعة ، وهو من المساجد الكبيرة طوله 11 متر، وعرضه 14 مترا، له بابان شمالي وجنوبي أقفل أحدهما ، والمسجد مازال بحالة جيدة.

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة154 ــ 155.

(2) مسجد أبي يحيي زكرياء الفرسطائي: زرته عام 2004، ينظر الصورة رقم (16).

(3) قرية فرسطا القديمة تبعد عن مدينة كباو حوالي 2 كلم، وبها قريتان قديمتان الأولي: بن غوري على غربهـــا، والأخرى تمايلت على شرقها، زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (17) .

ثانياً) المدارس :

أدت المدارس في جبل نفوسة دوراً كبيراً في إثـــراء الحركـــة الفكريـــة وتنوعها، وكانت في الأصل موصولة بالمساجد وكان هدفها تحفـــيظ الـــصبيان القرآن الكريم وتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة ومبادئ الـــشريعة الإســـلامية[1]، ويطلق عليها : (**الكـــتّاب**) ، أو (**المكتب**)، ثم تطورت فيما بعد إلي المدرسة بمفهومها المتعارف عليه . كما أن هناك مدارس أسست منذ بدايتها مستقلة عن المسجد ، والمدرسة عموماً : " تمثل أسمى إنجازات النظام التربوي الإسلامي "[2].

ومن الملاحظ أن العديد من العلماء بمجرد تفرغهم من مرحلة الـــتعلم، يتوجهون بدورهم إلى مهنة التدريس وتعليم غيرهم من الطلاب، ويبدو أن هنـــاك تفاهماً وإنسجاماً كبيراً بين بعض الطلاب وأساتذهم، كما كان الأســـاتذة علـــى معرفة بمستويات وقدرات طلابهم، ونعطي مثال على ذلك ما حدث بين التلميـــذ أبان بن وسيم وشيخه وأستاذه الشيخ أبو خليل الدركلي، حيث كان أبان مـــن الطلاب المجتهدين عند شيخه المذكور بقرية دركل أو (**درشل**) : " وطلع ذات مرة من درشل حتى خرج من الجبل، فعد سبعين مسألة فنسى منها أربعة مـــسائل أو خمسة، فعاد كما هو، ولما رآه أبو خليل شيخه، قال له: نسيت مسائل كذا وكذا، فقال له أبان: من أخبرك بها، فقال أبو خليل: يعرف الراعي النفورة من غنمه "[3]..

ومن أبرز المدارس التي اشتهرت في المنطقة : ـــ

---

(1) . دبوز :المرجع السابق، ج3 ، 369 .

(2) منير الدين أحمد، تاريخ التعليم عند المسلمين، ترجمة: سامي الصقار، الرياض: منشورات دار المريخ للنـــشر، 1981، ص 11.

(3) . البغطوري. المصدر السابق، ورقة96 ــ 97.

1. مدرسة عمر بن يمكتن : ق: (2هـ/8م):

ويعد الشيخ عمرو بن يمكتن، من علماء القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وحفظ القرآن وتعلم العلم بطريقة عجيبة تذكرها المصادر التاريخية عندما كان في منطقة مغمداس حيث يجلس بالقرب من طريق القوافل المارة ما بين المشرق والمغرب ، ويلتقي بالمسافرين فيكتب عنهم القرآن في لوحته ثم يذهب لحفظه ويرجع للكتابة مرة أخرى ، وهكذا حتى تمكن من حفظ القرآن الكريم وتعلم العلم[1].

بعدما أنهى الشيخ عمر بن يمكتن تعليمه وحفظه للقرآن الكريم بمنطقة مغمداس ورجع إلي موطنه بالجبل، في وقت كانت يخلو فيه الجبل من وجود المدارس والمعلمين فرأى ضرورة إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مباديء القراءة والكتابة، وأنشئت بالفعل هذه المدرسة في حدود عام(140هـ / 758م) بمدينة إفاطمان[2] وتعد مدرسته من أولي المدارس بالجبل لتحفيظ القرآن

---

(1) .الشماخي، المصدر السابق ، ص 142.

(2) إفاطمان : تقع مدينة إفاطمان الأثرية على قمة رافد من روافد وادي تالة (أم القرب) ويحدها من الشرق وادي تالة ، وكذلك من الغرب ، أما من الشمال فيحدها جبل خشم الجرارة ، ومن الجنوب منطقة الظاهر ، وتبعد عن مدينة الرحيبات حوالي 25 كلم تقريباً، و كانت قديماً تشغل مساحة كبيرة وهذا يلاحظ من خلال آثارها الماثلة للعيان، وفي الحقيقة أغلب أثارها قد تساقط وتمالك ما عدا قصبة ما زالت تعاند الزمان بشموخها، والمنطقة في حاجة إلي دراسات تاريخية وأثرية ، وتعد من أهم مدن جبل نفوسة في التاريخ الوسيط ، لم أتمكن من تحديد مكان المدرسة وسط ركام الآثار، زرت هذه المدينة عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (18).ولم يجانب الصواب الدكتور الفاضل صالح الصادق السباني في تحديده لمنطقة إفاطمان بدقة عندما قال: " افاطمان الواقعة بين الرحيبات والرجبان"، والصواب أنها تقع بين الرحيبات والحرابة، وجاء ذلك في كتابه القيّم: ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006، ص553 .

الكريم ، ويشير المؤرخ ابن سلام الإباضي(ت بعد 273هـ / 887 م) ، إلي ذلك قائلاً : " أن أول من علم القرآن بجبل نفوسة عمر بن يمكتن بمترل يقال لـه إفاطسان "[1]، وهذه المعلومة كررها أبو العباس الشماخي في كتابه السير[2]، بدون الإتيان بمعلومات جديدة بالرغم من الفارق الزمني بينهما حوالي أكثر من خمسة قرون .

نفهم من النص السابق أن هذه المدرسة سبقت في إنشائها كثيرا من المدارس التي أنشئت في منطقة الجبل، من الناحية الزمنية وأن هذه المدرسة قد تكون الأولي من نوعها في تحفيظ القرآن الكريم، ولكن في نفس الوقت هناك معلومة أخرى تفيد: أن الشيخ محمد بن مغطير الجناوني هو أول من جمع القرآن الكريم كله في جبل نفوسة وحفظه[3]. والسياق هنا يطرح السؤال التالي: إذا كان ابن مغطير هو أول من جمع القرآن وأتم حفظه لماذا لم يقوم بتدريس القرآن الكريم بالجبل، في وقت كانت المنطقة بكاملها تخلو من معلمين للقرآن؟![4]، هذا إلا إذا كانت هناك معلومات تاريخية تفيد قيام ابن مغطير بذلك ومازال لم يكشف عنها بعد. والمتاح لنا حالياً أن مدرسة ابن يمكتن هى من أول المدارس التي أنشئت من أجل تحفيظ القرآن الكريم وذلك من ضمن اهتمامات أهل الجبل التي تفرعت عنها

---

(1) ابن سلام الإباضي ، بدء الإسلام وشرائع الدين ، تحقيق فيرنر شفارتس و سالم بن يعقوب ، بيروت : دار صادر ، 1986 ، ص 126 ؛ حسن حسني عبد الوهاب ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الأول ، تونس : مكتبة المنار ، 1972 ، ص 80 .

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص 142 .

(3) أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 133 ــ 134 . صالح معيوف ، المرجع السابق ، ص 90 . ليست هناك إحالة إلي مصدر معين لإثبات تلك المعلومة من قبل كلا الباحثين .

(4) . في الحقيقة ليس لدي حالياً إجابات وافية، أو بالأحرى معلومات تاريخية دقيقة نستدل من خلالها على الحقيقة العلمية. أرجو من الله أن نتمكن مستقبلاً من العثور على ما يفيد في هذا الخصوص.

الدراسات الإسلامية واللغوية الأخرى فيما بعد مثل: الحديث، والفقه، والتفسير، وأصول الدين، وعلوم اللغة العربية، من نحو وصرف وبيان وشعر وأدب وعلم المنطق والجدال، والحساب، وغيرها في المدارس الأخرى التي ظهرت في فترات متتالية بالجبل. وبذلك تكون شخصية عمر بن يمكتن من الشخصيات العلمية والتربوية البارزة في المنطقة لإسهامه في إبراز أهمية الثقافة والتعلم .

2) مدرسة أبي المنيب محمد بن يانس الدركلي[1]:

أنشأها الشيخ أبو المنيب خلال **القرن الثاني الهجري / القرن الثامن الميلادي** ، في قرية الجزيرة[2] ومن الملاحظ أنه لم يؤسسها في قريته بدركل وذلك على عادة علماء الجبل حيث يؤسسون المدارس ويبنون المساجد خارج قراهم وبلداتهم إسهاماً منهم في نشر العلوم في ربوع الجبل . وهو من تلاميذ إسماعيل ابن درار الغدامسي (**2 هـ /8 م**)[3] ويعد بذلك من الطلاب الأوائل الذين تفرغوا للعلم ، وكذلك من العلماء الرواد في نشر العلوم وذلك من خلال مدرسته التي أنشأها بالجبل، واستمر إشعاعها الثقافي إلي القرن الحادي عشر، كما كان لها مجموعة فروع في مختلف مدن وقرى الجبل[4]، ويبدو أنه كان مهتماً بتدريس علم

---

(1) . مدرسة الشيخ محمد بن يانس الدركلي : تقع هذه المدرسة في قرية الجزيرة وهي عبارة بناء تحت الأرض موصولة بالمسجد ، وهذا يدل على قدم المسجد والقرية ، زرتها عام 2004 .

(2) . الجزيرة : قرية من قرى الجبل ، سميت بالجزيرة لوقوعها فوق جبل ويحيط بها الوديان من كل الجهات ماعدا شريط ضيق من جهة الشرق حيث مدخلها ، ويحيط بها وادي شروس من الغرب ، ووادي دركل من الشمال ، ووادي إيندل من الجنوب الشرقي، وهي شبه مثلث في شكلها قاعدته عند الغرب ورأسه إلي الشرق، وطولها حوالي كيلو متر ونصف من الشرق إلي الغرب، وعرضها يبدأ من المدخل بحوالي من 15 ــ 25 متر وكلما توغلت إلي الداخل زادت المساحة حتى تبلغ في القاعدة حوالي نصف كيلو متر. زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (19).

(3) . أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 116 .

(4) المرجع نفسه والصفحة.

التفسير إلي جانب العلوم الأخرى . وهذا يستنتج من نص أورده الشماخي حيث يقول : " وهو أحد الأربعة الذين تكفلوا رد الواصلية[1] الباغين على الإمام ، وهو خصوصاً تكفل علم تفسير كتاب الله "[2]. ومن العلماء الذين تخرجوا على يـــدي الشيخ أبي المنيب، الشيخ أبي خليل صال الدركلي عاش خلال (ق 3هـــ/ 9 م).

3) مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الو يغوي :

أسس مدرسته في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي في قرية ويغو بعدما أفى أبان الو يغوي تعليمه على شيخه أبي خليل الدركلي توجه إلي نـــشر رسالة العلم والمعرفة ، وتخرج على يديه علماء كان لهم الأثر البالغ في الحياة العلمية بالجبل أمثال : أبي القاسم سدرات بن الحسن البغطوري (ت 313 هـــ / 925 م) وأبي محمد عبد الله بن الخير (عاش ما بعد 283هـــــ / 896 م) وأبي معروف ويدران بن جواد ، وأبدين الفرسطائي ، والعالمة زورغ الأرجانية، وكذلك العالمة أم يحيي[3].

4) مدرسة أبي القاسم سدرات البغطوري:

أسس مدرسته في ق: (3هـــ/9م)، لم تشير المصادر إلى مكان المدرســـة وعلى الأرجح تكون في قرية بغطورة التي ينتسب إليها الشيخ أبو القاسم، وكـــان

---

(1). الواصلية: يقصد بهم المعتزلة وهي إحدي الفرق الإسلامية، وتنسب إلي واصل بن عطاء (80 ــ 131هـ / 700 ــ 751م)، وسبب تسميتهم بالواصلية اعتزالهم جماعة الحسن البصري بسبب خلاف فكري، ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 397 ــ 401.

(2) . الشماخي، المصدر السابق. ص 166.

(3) معجم أعلام الإباضية، محمد بابا عمي و آخرون، ج 2، بيروت: دار الغرب الإسلامي،(د.ت)، ص 7 .

يحث طلابه على الكتابة، أي كتابة المعلومات التي يلقيها عليهم، وتدوين الأفكار التي يشرحها لهم، ويبين لهم أهمية التدوين. فقد سأله التلامذة : " أنكتب عنك ما سمعنا، قال: أكتبوا ولو بأقلام النحاس، صمت أذن نسيت ما سمعت منـــذ أربـــع سنين"[1]، ومن طلابه الذين درسوا عليه منهم:

4) مدرسة أبي عثمان سعد بن أبي يونس الطمزيني[2]:

أسس مدرسته في ق: (3هـ/9م) بمدينة طمزين التي ينتسب إليها، ودرس بها عددٌ كبير من الطلاب، ويشير بعض الباحثين المعاصرين أن نشاط هذه المدرسة أمتد حتى القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[3].

4) مدرسة أبي يحيي ماطوس الشروسي :

أسست هذه المدرسة في **النصف الأول من القرن الرابع الهجـــري / العاشـــر الميلادي** ، في مدينة شروس ، وكانت مدرسته على درجة علمية عالية وأسهمت بشكل كبير في نشر العلوم والفنون في مختلف بقاع الجبل[4]، وسبب ذلك راجع إلي ازدهار تلك الفترة التاريخية من الناحية العلمية ، وليس ذلك وحـــسب وإنمـــا يكون للمكان الجغرافي والبيئة دور و تأثير على الأهالي ، فمدينة شروس حينـــذاك هي عاصمة الجبل ، وكانت على درجة كبيرة من النشاط الاقتصادي .

---

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة114.

(2) هذا الأسم الصحيح لمؤسس هذه المدرسة وهو من علماء طمزين، وليس كما ذهب الدكتور: صالح السباني حيث قال: " مدرسة أبي عثمان المزاتي، ، (ليبيا أثناء العهد الموحدي والدولة الحفصية)، المرجع السابق، ص554.

(3). قناطر الخيرات هامش: (1)، ص161.

(4) . محمد بن بابا عمي ، المرجع السابق ص 157 .

كما أشار إلي ذلك الـرحالة ابن حـوقل (ت 379هـ /988 م) : " شروس في وسط الجبل وفيها مياه جارية وكروم وأعناب طيبة وتين غزير وأكثر زروعهم الشعير "[1] بالإضافة إلي تكتلها البشري كما ذكر الحموي (هـ / م) قائلاً : " سروس ... مدينة جليلة في جبل نفوسة من ناحية أفريقيـة وهـي كبيرة آهلة بالسكان ، وهي قصبة ذلـك الجبـل "[2]. وعنـدما أراد أبي يحيـي الفرسطائي (ت مابين 300ـ 50 هـ/ 912 ـ 961 م) الذهاب إلي شروس للتعلم في مدرسة أبي يحيي ابن ماطوس لم يجد بيتاً يسكن فيه على كبر المدينة، فقال : ما أوسع شروس وما أضيقها نظراً لازدحامها بالسكان[3]. فالملاحظ أن مدينـة شروس كانت من أغزر مدن الجبل علماً وكانت مقصد طالبي العلم ، وهذا مـا سيتضح في أوراق البحث التالية .

5) مدرسة أبي هارون بن يونس الجلالي :

أسسها صاحبها في القرن الرابع الهجري / العاشر المـيلادي ، وكـان، الشيخ أبوهارون من التجار المعروفين في منطقته بالإضافة إلي كونه من المـزارعين، الكبار ، وكانت مدرسته تحوي مبيتا يؤمه الطلاب الذين يأتون من أماكن نائية ،، فاستطاع الإنفاق عليهم وذلك بأن خصص لهم نصيباً مما تنتجه مزارعه، وأرباح تجارته[4].

---

(1) . ابن حوقل ، المصدر السابق، ص 94 ـ 95 .

(2) . الحموي، المصدر السابق، ج3 ، ص 217 .

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 50 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 310

(4) . المصدر نفسه ، ص 278 .

وتخرج العديد من العلماء على يدي الشيخ أبي هارون الجلالمي ومن أبرزهم أبـــو يحيي زكرياء بن يونس ، وأبو الربيع سليمان بن هارون، وغيرهم من العلماء.

6) مدرسة أبي الربيع سليمان اللالوتي :

ويرجع تأسيس هذه المدرسة بالجبل إلي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بمدينة لالوت[1]، على يد الشيخ أبو الربيع اللالوتي ، وكان يتبع طريقة في التعليم مغايرة لما هو موجود في ذلك الزمان ، فكان يصطحب تلاميذه في رحلات علمية لدراسة البيئات المتنوعة[2]، ولاختبارهم في مختلف الظروف والمناسبات ليعد كلا منهم مستقبلاً للمكان الذي يناسب قدراته وإمكانياته[3]، وقتل في إحـــدى رحلاته العلمية كما تشير المصادر : " أنه خرج هو وتلاميذه في الخصوص في أيام الربيع فصادفهم بنو تيجين ... فقتلوه هو وعزابته ... وبلغنا أن أبا الربيع مـــات وهو ابن سبع وعشرين سنة والتلاميذ يتعلمون عنده "[4]، وتخرج على يدي الشيخ أبي الربيع العديد من العلماء الأعلام .

---

(1) . لالوت: من المدن القديمة والكبيرة في جبل نفوسة، وتكتب حالياً (نالوت) تقع في أقصى غرب الجبل، مرت لالوت بثلاثة مراحل من البناء والسكن عبر العصور إلي أن استقرت على حافة الجبل، وتنقسم إلي لالوت العليـــا والسفلي ويفصل بينهما القصر الذي ما زال قائماً وبحالة جيدة، زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (20) .

(2) . إن هذه الطريقة في التدريس أو الأسلوب ، توحي أن بعض علماء الجبل لهم دراية واسعة بالنفس البشرية ، وكيفية التعامل معها ، وهذا الأسلوب يعد في وقتنا الحالي من أساليب التربية الحديثة ، فمثلاً يرى جان بياجيه : " أن من أول مبادئ التربية والتعليم هو أن يكون التعلم شيقاً نشيطاً ... وإتاحة الفرصة أمام الطفل ليقوم بتعلم ذاتي ، وهذه الطريقة مبنية على الاكتشاف ، بمعني أن الاكتشاف ما يريد المعلم أن يكتشفه المتعلمون " ينظر : مريم سليم ، علم تكوين المعرفة ابستمولوجيا بياجه ، بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1985 ، ص 238 .

(3) . علي يحيي معمر، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 90 .

(4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 8 .

7) مدرسة أبي محمد خصيب التمصمصي[1]:

أسس مدرسته في قرية تمصمص[2] خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وكانت هذه المدرسة مختلطة من الجنسين الذكور والإناث ، ودرست بها أم ماطوس ، وأشار الشماخي إلي ذلك قائلاً : " أم ماطوس كانت تتعلم عند أبي محمد خصيب وهي بكر "[3]. وهي من أوائل الفتيات اللاتي تعلمن في مدارس الفتيان ، كما يدل دلالة واضحة على أن طلب العلم كان شائعاً في منطقة جبل نفوسة وبشكل مزدهر ، فلم يقتصر الأمر على الرجال فقط بل حتى النساء شاركن فيه وبلغن درجة الاجتهاد . ومن أبرز طلاب هذه المدرسة أيضاً أبو زكرياء يحيي بن سفيان اللالوتي (عاش ما بين 350ـ 400 هـ / 961 ـ 1009 م) م) ، وأبو هارون موسى بن هارون (هـ / م) ، اللذان صارا من العلماء فيما بعد .

---

(1) . مدرسة ومسجد أبو محمد التمصمصي : تقع في قرية تمصمص وهي موصولة بالمسجد وطولها 9 أمتار وعرضها 6 أمتار بابها من الشمال الشرقي ، والبناء مربع الشكل تقريبا وهو يقع في الطرف الغربي للقرية وهي مازالت بحالة جيدة ، زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (21) .

(2) . تمصمص : وهي من القرى القديمة في الجبل من المحتمل أن تكون تأسست خلال القرن الثالث أو الرابع الهجري ، وتقع إلي الجنوب الشرقي من مدينة طمزين ، وتبعد عنها بحوالي كيلو متر تقريباً ، ولم يبق من آثارها سوى الغيران التي كانت تستعمل لغرض السكن ، ويبدو أنها كانت كبيرة المساحة ويتضح ذلك من خلال الآثار المتناثرة على رقعة جغرافية ممتدة ومتسعة ، كما يوجد بها مسجد ومدرسة الشيخ أبو محمد التمصمصي ، وإلي الجنوب من المسجد يوجد بقايا آثار قصر تمصمص وهو عبارة عن ركام من الحجارة والتراب يبدو أنه تعرض إلي دمار وتخريب مقصود ، وتحيط بالقرية من مختلف الجهات غابة زيتون ، ولم يعثر الباحث عن مآل سكان القرية هل هاجروا إلي مكان آخر ؟ أم هم الذين أسسوا مدينة طمزين فيما بعد على حافة الجبل ؟ زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (21) .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 56 ـ 57 .

8) مدرسة أم يحيي (أمسين)[1]:

أسست هذه المدرسة في منطقة أمسين بالرحيبات ، أسستها أم يحيي خلال **القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي** ، وهي خاصة بتعليم البنات ، وكان بها مبيت تأوي إليه الفتيات القادمات من أماكن بعيدة ، وأما الفتيات اللاتي يسكن بالقرب من المدرسة يحضرن الدروس ثم يرجعن إلي أهاليهن[2].

9) مدرسة أبي يحيي زكرياء الباروني :

أسسها صاحبها في **القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي** في منطقة وكان الشيخ أبو يحيي الباروني يملك ثروة طائلة ينفق منها على الأقسام الداخلية في مدرسته العامرة ، وكانت تشتمل على عدد كبير من الطلاب في حدود المائة طالب ، وتذكر بعض المراجع حادثة مفادها : أنه في بعض سنوات الجفاف الصعبة همّ طلاب المدرسة بالرحيل ليخففوا الوطأة على شيخهم ، غير أنه صمم على بقائهم ، واضطر إلي الكشف لهم عن ثروته المخبأة ، وكل ذلك في سبيل بقائهم والاستمرار في مواصلة التعلم التعليم[3]. ومن أبرز تلاميذه الذين تخرجوا من مدرسته : يحيي ابن وجدليش ، وابن أخته الفقيه والشاعر أبو نصر فتح ابن نوح الملوشائي (ق 7هـ / 13 م) .

---

(1) . أمسين : تقع نطاق هذه التسمية في مدينة الرحيبات حالياً ، وتعرف أيضاً بوطن أمسين ، تمتد من قرية إمساكن (قطرس حالياً) إلي قرية توكيت، وهناك وادي أمسين الذي يجري من خربة إمرساون القديمة ويتجه شمالاً ناحية سهل الجفارة ، وتقع في نطاق هذا الوطن قرية تيميجار ، وعين إجلازن . زرت هذه المناطق عام 2005 .

(2) . أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 117 .

(3) . علي يحيي معمر ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 197 ــ 199 .

10) مدرسة أبو عبد الله محمد بن سليمان الأبديلاني النفوسي:

أسس الشيخ أبو عبد الله محمد الإبديلاني ق: (هـ/ م) ـ ينتسب إلى أبديلان[1] ـ مدرسة واستقبل فيها طلاب العلم من مختلف بقاع الجبل، كما كان يهتم بالتلاميذ اهتماماً بالغاً إلى درجة أنه ينفق عليهم من ماله الخاص ، ويشتري لهم الأطعمة والأكسية، فإذا دخل فصل الشتاء اشترى لهم ملابس ثقيلة تقيهم البرد والصقيع ، وإذا أقبل فصل الصيف اشترى لهم ملابس خفيفة تناسب حرارة الصيف[2]. وعلى ما يبدو أن هذه المدرسة كانت تحوي على قسم داخلي لإقامة الطلاب الذين يقطنون بعيداً عن المدرسة

11) مدرسة أبو موسى عيسى الطرميسي[3]:

تأسست هذه المدرسة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي في قرية طرميسة[4] وهي موصولة بأحد المساجد، ومازالت المدرسة بحالة جيدة طولها 14

---

(1) . إبديلان : من المدن الكبيرة في جبل نفوسة، ويدل على ذلك اتساع وامتداد خرائبها وآثارها، وهي واقعة مابين وادي إبديلان ووادي تالة، تحيط بها غابات الزيتون من جميع الجهات تمتد المدينة من ناحية شمالها الشرقي وتطل على وادي إبديلان كما تمتد ناحية الجنوب الغربي باتجاه قرية إمساكن، ويحيط بها من الجنوب غابة زيتون وتمتد إلى منطقة الظاهر ، كما تحدها قريتا الشياب والسلامات من الشمال الغربي، وهي حالياً عبارة عن خرائب وأطلال دارسة، لم يبق منها سوى مسجد من المحتمل أن مسجد أبي الحسن الأبديلاني، كما يوجد أثار لكنيسة مازال أجزاء منها قائماً. زرتها عام 2005 .

(2) . الوسياني، المصدر السابق ، ورقة 181 ؛الشماخي ، المصدر نفسه ، ص 406 .

(3) . مدرسة عيسى الطرميسي : زرتها عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (22) .

(4) . طرميسة: وهي من قري مدينة جادو وتبعد عنها 5 كلم تقريباً ، تقع طرميسة على قمة جبل في موقع يعتبر استراتيجيا بالنسبة للعصور الوسطي ، تحيط بها حافة الجبل من جميع الجهات وكأنها جزيرة يحيطها الفضاء ماعدا الناحية الجنوبية التي تعد المدخل الرئيسي للقرية وبالمدخل أقام الأهالي خندقاً لغرض الدفاع والتحصين =

متر، وعرضها 5 أمتار تحيط بها غابات الزيتون من كل ناحية. قصدها الطلاب من مختلف مناطق الجبل، وكان الشيخ عيسى الطرميسي يوجههم نحو تأليف الكتب والمؤلفات وعدم الوقوف على الرواية الشفوية ، ويشجعهم على ذلك ومن ثمرة عطائه وتوجيهه أن أنجبت مدرسته عالمين اتبعا نصائح أستاذهما هما الشيخ إسماعيل الجيطالي ، والشيخ عامر الشماخي، اللذان كانت لهما عدة مؤلفات سيأتي الحديث عنها[1].

12) مدرسة أبي زيد المزغورتي[2]:

أنشأها الشيخ أبو زيد المزغورتي في قرية مزغورة[3]، وهي عبارة عن بناء تحت الأرض (غار)، وقد بني فوقها حديثاً مسجد سمي على اسم الشيخ أبي زيد، وطول المدرسة حوالي 10 أمتار وعرضها تقريباً 6 أمتار، وتتكون من حجرتين توافد عليها العديد من طلاب العلم من مختلف قرى ومدن الجبل، كما درس بها عدة علماء ومشايخ مثل: الشيخ أبي موسى عيسي الطرميسي انتقل للتدريس فيها عام(700 هـ/ 1300 م)، فور تخرج كل من الشيخ عامر الشماخي، والشيخ إسماعيل الجيطالي من مدرسة طرميسة على يد الشيخ أبي موسى قاما بالتدريس في مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي، بالإضافة إلي الشيخ أبي عزيز الشماخي قام بالتدريس أيضاً .

= وبذلك تكون القرية محصنة بشكل طبيعي . ويوجد بها مسجد تحواريت ، وتشتهر بغراسة أشجار الزيتون ، زرتها في سنة 2004 ، ينظر الصورة رقم (23) .

(1) . إسماعيل الجيطالي، قناطر الخيرات، ج 1 ، تحقيق عمرو النامي ، ص 11 .

(2) . مدرسة الشيخ أبي زيد: زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (24) .

(3) . مزغورة: من قرى مدينة جادو، وتقع في قمة الجبل تجاورها قرية تندباس وجماري، زرتها عام 2004

13) مدرسة عامر بن علي الشماخي (الأولي) :

بعدما تخرج الشيخ عامر الشماخي من مدرسة شيخه الطرميسي سنة (756 هـ/1355م)، انتقل للتدريس بمدرسة المزغورتي فترة من الزمن، ثم توجه نحو قرية ميتيون[1] وأسس بها مدرسة سنة 743 هـ وأقام يدّرس بها حوالي ثلاثة عشرة عاماً[2]، وتخرج منها العديد من الطلاب الذين أسهموا في الحياة العلمية في داخل الجبل وخارجه .

14) مدرسة عامر الشماخي (الثانية):

بعد إن اطمأن الشيخ عامر الشماخي على أحوال مدرسته في أتميتيون قرر العودة لمدينة يفرن في أقصى شرق جبل نفوسة، وهي مسقط رأسه، ومرتع صباه وبها أخذ أول تعليمه، فأنشأ مدرسة بقرية المعانيين[3] حوالي عام (756 هـ /

---

(1) . ميتيون : تقع على قمة الجبل تحيط بها غابات الزيتون من جميع الجهات، وهي إلي الشمال الشرقي من وادي أمسين وقرية تيميجار ، يوجد بها آثار لغيران يبدو أنها كانت تتخذ للسكن، وبها مسجد يعرف باسم (الميتيونية) يبدو أنه اسم لأحد نساء القرية لم نعثر على اسمها بالكامل، زرناها عام 2005 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 559 ــ 560.

(3) . المعانيين : قرية من قرى مدينة يفرن تقع فوق ربوة عالية، وهي تتوسط باقي القرى إذ تحدها من الشرق قرية البخابخة، ومن الغرب قرية الشقارنة ويفصل بينهما وادي عيسي الذي تنتشر فيه أشجار الزيتون والتين ، ويوجد به بئر ماء كانت تشرب منه القرية قديماً، ومن الشمال قرية قصبة مادي والقصير، ومن الجنوب قريتي القرادين والمشوشين، ومن معالمها التاريخية مدرسة ومسجد الشيخ عامر الشماخي وللأسف فقد هدم الأهالي جزءا مهما من المدرسة وهي الخلاوي التي كان يدرس بها الطلبة كما أزيلت مقبرة الطلبة الغرباء في إطار توسيع المسجد . وهذا ناتج عن عدم تقدير واهتمام ، وقد جددت المدرسة في الوقت الحالي في صورة منارة عامر الشماخي لتحفيظ القرآن الكريم، ومن المعالم الأثرية مشهد زكوان، ومعاصر الزيتون القديمة، ومازالت خرائب أتمعان وآثارها قائمة وفي حاجة ماسة إلي الصيانة والترميم، وترجع أصول كاتب هذه السطور لهذه القرية ينظر الصورة رقم (25).

1355 م)[1] ، ودرّس بها حتى وفاته عام (792 هـ / 1425م)، وتخرج من هذه المدرسة العديد من الطلاب، الذين صار البعض منهم علماء وفقهاء كبار منهم على سبيل المثال: ابنه أبو عمران موسى (807 هـ / 1439 م)، وابن ابنه سليمان ، وأبوالفضل بن إبراهيم البرادي[2] (حي في عام 810 هـ / 1407 م)، ونوح ابن حازم المرساوني (806هـ / 1403 م)، الذي طلب من شيخه عامر أن يؤلف كتاباً في العقيدة فقام الشيخ بتأليف: متن الديانات، وغيرهم من طلاب العلم والمعرفة.

ويلاحظ إسهام أغلب العلماء الذين درّسُوا في مختلف المساجد و المدارس التي تم ذكرها أنفاً نتاج علمي غزير ومؤلفات متنوعة ، يكون مآلها عادة أرفف المكتبات .

---

(1) هذا الصواب وهو ما تؤكده المصادر التاريخية، وليس كما قال الدكتور صالح السباني: أن الشيخ عامر الشماخي بعد تخرجه من مدرسة شيخه أبي موسى الطرميسي رجع إلى مدينة يفرن وأنشأ بها مدرسة ثم انتقل إلى مدرسة مزغورة وشارك في إدارتها، ثم انتقل إلى الرحيبات وأسس في ميتيون مدرسة. المرجع السابق، ص570.

(2). أبو الفضل بن إبراهيم البرادي الدمري: كان حياً في سنة:(810هـ/1407م)، ولد بجبل دمر في الجنوب التونسي، درس في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقي العلوم فيها على عدة مشائخ منهم: يعيش بن موسى الزواغي، ثم انتقل إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الشيخ عامر الشماخي، [ونلاحظ هنا اختياره منطقة جبل نفوسة لمواصلة تعليمه بعد دراسته في كلا من: الجنوب التونسي وجزيرة جربة، وهذا يؤكد على أن الدراسة في الجبل وقتذاك كانت على درجة عالية من الإزدهار العلمي والثقافي، وإلا لاختار البرادي مكان آخر أو أكتفي بذلك وتفرغ للتدريس]، ثم رجع إلى دمر ومنها إلى جربة، وأخذ ينشر ما تعلمه وقام بالتدريس، كما تولى رئاسة حلقة العزابة، وترك البرادي عدة كتب منها: الجواهر المنتقاة، رسالة الحقائق، رسالة في تقييد كتب أصحابنا، البحث الصادق، جواب لبعض أهل الخلاف، شرح الطهارات، وغيرها من الكتب. للمزيد انظر: معجم أعلام الإباضية، ج2،ص340.

ثالثاً) المكتبات:

كان من ثمار ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة تراكم الكتب والمؤلفات والتي منها ما جاء عن طريق تجارة الكتب التي كانت معروفة آنذاك، ومنها ما جاء من المشرق العربي في إطار حركة التبادل الثقافي ما بين المشرق والمغرب الإسلاميين خلال العصور الوسطي، والقسم الأخير انتاج قرائح علماء الجبل الذين أكثروا من التأليف في فترة كانت فيها المنطقة العربية والإسلامية على قمة التطور الحضاري في العالم قاطبة.

وهنا يطرح السياق السؤال التالي: ما هي أول مكتبة تأسست في المنطقة؟ وكيف جاءت الفكرة؟ وكيف تطورت؟ قبل تتبع نشوء المكتبات وتطورها **تنبغي الإشارة إلي وجود نوعين من المكتبات في الجبل كما هو الحال في أي مكان آخر وهي:**

أ) **المكتبات الخاصة:** وهي التي يملكها شيوخ وعلماء يتوارثها أبناؤهم جيلاً بعد جيل، وربما تؤول بعضها إلي المكتبات العامة بفعل تنفيذ وصايا بعض المشايخ والعلماء بعد وفاتهم بأن تورث وتوهب مكتباتهم لطلبة العلم ، وهذا ما فعله الشيخ أبو الربيع ابن أبي هارون عندما أوصى وقال: " مصاحفي وكتبي وجبابي كلها حبس لوجه الله تعالي، لا تورث ولا تباع ولا توهب حتى يرثها الله وهو خير الوارثين "[1].

وكذلك الأمر مع الشيخ أبي موسى عيسي الطرميسي الذي حبس مكتبته على طلبة العلم وفقهاء نفوسة[2].

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 28 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 552 ــ 553 .

ب) **المكتبات العامة:** وهي مفتوحة أمام القراء وطلاب العلم، وملكيتها لجميع أفراد المجتمع. وهي إما تكون في المساجد، بمعني بعض المساجد تحتوي على مكتبة أو تكون المكتبة في بناء مستقل وسيأتي الحديث عن هذا لاحقاً.

إن المصادر التاريخية ، وكذلك المراجع الحديثة لا تتحدث باستفاضة عن ظهور المكتبات في الجبل ، ولا عن تطورها وما يتعلق بها من معلومات تفصيلية . سوى أن هناك من يشير إلي كثرة المكتبات بالجبل والحاوية للكتب النفيسة إلا أن معظمها تعرض للضياع والحرق، بسبب الفتن والقلاقل التي شهدها الجبل بعد القرن العاشر الهجري[1]، فلذلك سوف يتلمس الباحث معلوماته بهذا الصدد من بطون المصادر .

يشير الوسياني (كان حيا عام 557 هـ / 1161 م) إلي وجود مكتبة بالجبل حيث يقول : " وكان الديوان [المكتبة][2] في نفوسة "[3]، وهذه المكتبة تعد من المكتبات الكبيرة وتحوي على عددا هائلا من المؤلفات كما أشارت بعض المصادر التاريخية : أن الشيخ أبا العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد بن بكر (ت 504 هـ / 1111 م) ، اجتهد في قراءة الكتب بهذه المكتبة لفترة أربعة أشهر لم ينم خلالها سوى ساعات بسيطة ويقدّر عدد الكتب التي رآها بثلاثة وثلاثين ألف كتاب .[4]، وذلك العدد الكبير من الكتب نفسه مشار إليه في رواية الباروني (ت 1359هـ / 1940 م) ، عندما تحدث عن مكتبة بمدينة

---

(1) . دبوز، المرجع السابق، ج 3 ، ص 388 .

(2) . جاء عند الشماخي الديوان بمعني المكتبة حيث يقول على لسان أبي العباس الفرسطائي : " فدخلت إلي الديوان، وكان بجبل نفوسة ديوان اشتمل على تآليف كثيرة " ص 424 .

(3) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 282 .

(4) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 282 ؛ الدرجيني ، الطبقات ، مصدر سابق ، ص 445 .

شروس المشهورة بخزانة نفوسة ، ورأى أنها جامعة للآلاف المؤلفة من الكتب[1]. ويتضح من خلال لغة الأرقام (ثلاث وثلاثون ألف كتاب) في مكتبة واحدة ، ناهيك عن الخزائن والمكتبات الأخرى المعروفة وغير المعروفة وما تحتويه من مؤلفات ومصنفات لذلك يعد الجبل على درجة من الرقي العلمي والازدهار الفكري.

كما تشير المصادر التاريخية إلي مكتبة أخرى موجودة في (قصر ولم)[2]، التي مكث فيها الشيخ أبو محمد بن مهدي وارسفلاس (النصف الأول ق: 5 هـ/ 11 م)، مدة طويلة قدّرت باثني عشرة سنة ، للدراسة وطلب العلم[3]. وأن هذه المكتبة موجودة داخل (قصر ولم)، في مدينة شروس، وربما تكون هذه المكتبة هي نفسها المكتبة الآنفة الذكر التي ذكرها الباروني والمشهورة (بخزانة نفوسة) ، لأن كلتيهما بمدينة شروس ، والأولي تحتوي على أعداد كبيرة من الكتب ، والأخيرة تبدو في نفس المستوى ، بدليل مكوث الشيخ أبي محمد وارسفلاس مدة اثنتي عشرة سنة يدرس بداخلها .

---

(1) . سليمان عبد الله الباروني، المصدر السابق، ج2 ، ص 209 .

(2) . قصر ولم : يقع هذا القصر في أعلي قمة جبل (ولم) الذي سمي القصر على ما يبدو باسمه، ومازالت آثار القصر باقية ، ومن خلال بناء القصر يتضح أنه كان يستعمل كغيره من قصور الجبل لتخزين قوت وتموين الأهالي، إلا أن هذا القصر على حسب ما ذكرت المصادر استعمل جزء منه مكتبة عامة للقراءة والمطالعة والتأمل، لأن موقعه النائي والبعيد عن حركة المدينة وضجيجها يوفر الهدوء والسكون: كما يبدو أنه يحوي على حجر للإقامة تسمح لطلاب العلم والقراء المكوث لفترات طويلة دون الحاجة للنزول من قمة الجبل، ويطل القصر على مدينة شروس إلي الشمال الشرقي منها، وتعد هذه المكتبة من أكبر المكتبات العامة في جبل نفوسة قاطبة، زرت هذا القصر عام 2004 . ينظر الصورة رقم (26) .

(3) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 104 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 327.

من هنا نستنتج إن جبل نفوسة احتوت مدنه وقراه مكتبات (خاصة وعامة)، امتلأ معظمها بالكتب والمؤلفات ، واستفادت منها طبقة المتعلمين والفقهاء وغيرهم من القراء ، في دراساتهم وبحثهم عن العلوم والمعارف .

وهذه الحركة العلمية، والنهضة الثقافية التي انتشرت في ربوع الجبل بفعل نشاط المراكز الثقافية والتعليمية من (**مساجد، ومدارس، ومكتبات**)، اعتمدت على الموروث العلمي والثقافي الذي خلفه العلماء السابقون للأجيال اللاحقة، من مناهج تعليمية وطرق تدريس، وكم هائل من المؤلفات والكتب النفيسة وكل ذلك شكّل ركائز الحياة العقلية في الجبل على مر القرون . كما نشط علماء الجبل في حركة الترجمة وتعريب عدة مؤلفات فارسية ورومية وغيرها[1]. كذلك استفاد علماء الجبل من مكتبات المناطق المجاورة مثل : مكتبات مدينة طرابلس الملحقة بمساجدها، والمكتبة المعصومة بتاهرت ، بالإضافة إلي مكتبات تونس في كل من جربة والقيروان[2]. وبذلك يتضح وجود مناخ علمي مزدهر ساد مدن وقرى الجبل ، مما ساهم في انتشار العلوم، وتعدد مصادر وأنواع التعليم والتعلم.

---

(1) . دبوز، المرجع السابق، ج3 ، ص 495 .

(2) . أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 109 .

2. التعلم في البيوت والتعليم المتنقل:

وتشير بعض المصادر إلي أن هناك العديد من الطلاب من تعلم العلم في بيته وصار من العلماء فيما بعد ، و لم يدرس في المساجد أو المدارس وذلك راجع إلي أن العلماء يمكثون في بيته لفترات طويلة. كما حدث مع أبي محمد عبيدة بن أفلح (ق 4 هـ / 10 م) : " قيل: يمكث عنده بعضهم أربعة أشهر، وقيل :ستة يطعمهم من ماله "[1]، ومن العلماء الذين يكثرون الإقامة عنده أستاذه الشيخ أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي[2].

وكذلك نجد أبا موسى عيسي ابن زرعة التملوشايتي، نسبة إلي مدينة تملوشايت[3]، عاش خلال (ق 4 هـ / 10 م)، الذي كان كريماً وسخي الكف ، تعلم العلم هو الآخر في داره لكثرة ما يتردد عليه العلماء والمشائخ ويقيمون عنده[4]. والتعليم في المنازل إذا جاز لنا التعبير هو أمر يحدث في نطاق ضيق ، للذين لهم قدرة مادية تمكنهم من إطعام المشائخ والصرف علي ما يحتاجونه . وهذا ما يتضح و يتوفر في كل من الشخصيتين السابق ذكرهما : أبي محمد عبيدة بن أفلح الذي كان يطعم شيوخه ويؤويهم ، وكذلك الأمر مع أبي موسى عيسي بن زرعة الذي وصف بالسخاء والكرم، ويوجد بمدينة تملوشايت مسجد يعرف

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 158 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 335 .

(3) . تملوشايت : من مدن الجبل، كانت قديماً تشغل مساحة كبيرة جداً ويتضح ذلك من آثارها فهي تتكون من سبع قرى : قرية القصر نسبة لقصر المدينة، وقرية ماجر، وقرية آبدليل، وقرية أميطار، وقرية إمحيجل، وقرية توزنزرت.قرية ثلاث خرب، ويحدها من الغرب مدينة طمزين، ومن الشرق تندميرة، ومن الشمال جبل أبو نصر، ومن الجنوب شعبة السانية ويليها جبال ووديان، زرقا عام 2004، ينظر الصورة رقم (27).

(4) . المصدر نفسه، ص 316 .

باسمه[1].وكذلك الشيخ أبوعلي النفوسي من فساطو، وهو من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، كان يقصده المشايخ وطلاب العلم ويمكثون عنده فترات طويلة من الزمن، ويقوم بإطعامهم والإنفاق عليهم[2].

كما لاحظت من خلال المصادر التاريخية **وجود أساليب وطرق أخرى للتعلم والتعليم في الجبل تمثلت في تنقل بعض العلماء برفقة طلبتهم** أحياناً، يطوفون بين القرى والمدن بالجبل من أجل تعليم الآخرين، ونشر العلم والثقافة، وربما تطول فترة التجوال لسنين قبل أن يعود الأستاذ إلي موطنه وأهله، وتشير بعض المصادر التاريخية إلي ذلك المعنى : " ومنهم أبو النجاة يونس التملوشايتي ، وكان عالماً ورعاً وله حلقة ، وكان يطوف بطلبته في جبل نفوسة غادياً ورائحاً ، يُذكر ، ويوعظ[3]، ويأمر ، وينهي ، وقيل رجع مرة إلي بلده على سبعة أعوام ، وقيل أقام بيفرن عاماً "[4]. وهذه المسألة تتكرر مع علماء آخرين قاموا بنفس الدور، فالشيخ أبو زكريا يحى بن سفيان اللالوتي، ويبدو أنه كان يخرج بحلقته ومعه تلاميذه ويطوف بهم في مختلف أرجاء الجبل ويذكر البغطوري:" أنه بات وتلاميذه في تمايلت"[5]. وكذلك الشيخ أبو عبيدة جلدين البغطوري المنتسب لقرية بغطورة، وأخذ علومه عن الشيخ أبي عبد الله محمد ابن جلداسن اللالوتي، وكان معروفاً بكثرة الأسئلة إلي شيوخه لشغفه بالعلم والثقافة، عاش جلدين في بداية حياته فقيراً وخصوصاً فترة التعلم فكان لا يأكل الطعام المطهي سوى مرة كل

---

(1) . مسجد الشيخ أبي موسى عيسي بن زرعة : مازال بحالة جيدة، زرته عام 2004 .

(2) . البغطوري، المصدر السابق ، ورقة 158 .

(3) . الصواب : يعظ .

(4) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 555 .

(5) البغطوري، المصدر السابق، ورقة12.

أسبوع ، أما في سائر الأيام فاقتصر طعامه على الشعير يبله في الماء ثم يصره ويأكله ، كما كان يأكل بعض أنواع النباتات وخاصة ما يعرف بالخبّيز[1]. غير أن إصراره على مواصلة تعليمه وحبه للعلم والعلماء جعله يتحمل كل الظروف المادية الصعبة ، حتى صار عالماً كبيراً فيما بعد وممن يشار إليه بالبنان. ودرس عليه عدد من الطلاب نذكر منهم على سبيل المثال: توزين بن أبي محمد عبيدة بن زارود التغرميني.

كانت له حلقة علمية، ويتبع نظام التجوال بحلقته وطلابه في مختلف قري ومدن الجبل " وكثيراً ما ينزل بأصحابه الذين يتعلمون عنده إلي أوتلجام[2] عند أبي يعقوب فيمكث عنده شهراً "[3]. والشيخ أبو يعقوب هذا كما يصفه الشماخي: " كان غنياً يمكث عنده أبو عبيدة شهراً في بعض الأوقات هو وأصحابه وهو مع ذلك من العماء المشار إليهم"[4] ويمكن أن نطلق على هذا النوع من التعليم نظام (الحلقات المتجولة) حيث كان يطوف الشيخ أو العالم بحلقته وطلابه في مدن

---

(1) المصدر نفسه ، ورقة 115ـــ 116؛ الجيطالي، المصدر السابق، ص 147؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 328 ـــ 329 .

(2) . أوتلجام: من القرى القديمة بالجبل، وتقع فوق ربوة في وسط واد عميق محاطة بالجبال، مازالت آثار مساكنها باقية حول الربوة وفي أعلاها آثار قصر القرية الذي كان يستعمل للتخزين، ويقابله من الجهة الجنوبية آثار بناء آخر يبدو أنه قصبة كانت تستعمل للحراسة والمراقبة، كما توجد بها آثار مقبرة تقع إلي الشمال من القرية، ويحدها من الشمال مجرى وادي أوتلجام الرئيسي، ومن الجنوب جبل عال فوقه قصر الباروني، ومن الغرب قرية تزغـت في أعلي جبل تزغت وتبعد عنها حوالي 4 كلم، ومن الشرق وادي مجري وادي أوتلجام، وتبعد عن قريـة دجـي إلي الغرب حوالي 6 كلم تقريباً، وأقرب مياه الشرب للقرية آبار آوزقر إلي الجنوب الغربي منها، زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (28).

(3) الشماخي، المصدر السابق، 228 ـ 229.

(4) . المصدر نفسه، ص331.

وقرى الجبل ويجلس إليهم الناس من مختلف الأعمار رجالاً ونساء وبذلك ينتشر العلم في البقاع.

ويمكن للدراسة أن تتساءل عن أسباب ذلك التنقل والترحال بين المدن والقرى ؟ لوحظ أن بعض علماء الجبل لا ينتظرون مجيء الطلاب والتلاميذ للجلوس عندهم لتلقي العلوم ! بل كانوا يرون ضرورة الخروج إلي الناس عامة ، ومشاهدة ما يجري بينهم حتى يتسني لهم تقييم الأوضاع عن قرب ، ومن ثم يتمكنون من محاربة الجهل ، ويُقوّمون الانحرافات والأخطاء . خاصة في المناطق والأحياء التي ينعدم فيها وجود العلماء والمعلمين والمدارس ، ومن ناحية أخرى ليتمكن الذين لم تتوفر لهم الإمكانية للسفر وطلب العلم وخاصة النساء والعجائز ، كما فعل **الشيخ أبو حسان خيران بن ملال الفرسطائي**: " عادته التنقل في المنازل [**القرى**] لإحياء الدين ، وتقوية الضعفاء، وتعليم الجهال، وتنبيه الغفال وربما مكث في ذلك زماناً لا يرجع إلي أهله، وتحضر العجائز والنساء مجالسه "[1] ومن عادته أيضاً زيارة إحدي نساء الجبل وكانت معروفة بالعلم والكرم، وهي أم الربيع من قرية وريوري[2] ويمكث عندها فترات طويلة ويقيم مجالسه العلمية في بيتها، وليس هذا فحسب بل كانت تساعده من الناحية المادية في بعض الظروف والمناسبات[3]، وهنا يتضح دور المرأة العلمي والاجتماعي في الجبل إلي جانب

---

(1) .المصدر نفسه، ص 309 .

(2) . وريوري : من قري الجبل القديمة، وهي تقع في وادي الشيخ، إلي الغرب من مدينة كباو .

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة18. ومن تلك المناسبات يذكر البغطوري في نفس الورقة:" أن الشيخ أبا حسان كان فقيراً، وفي إحدى زيارته لأم الربيع الوريورية، وكان الوقت قريب من عيد الأضحى، وفكر هو أن يمكث عندها في هذه المناسبة، إلا أنها وبدون علمه أرسلت مع خادمها إلى أهل بيته شاة ومعها كل مستلزمات العيد، وفي يوم الوقوف بعرفات، قالت للشيخ قم وألحق بأهلك، ولما رجع إلى بيته كارهاً، وجد لديهم كل ما يحتاجه الناس في عيدهم".

الرجال دون أي تحرج. كما أن الشيخ أبا زكرياء يحيى بن أبي يحيى[1] ق: (5هـ/11م) الذي يتنقل بحلقته وطلابه في مختلف بلاد يفرن[2] لنشر العلم، ولتذكير الناس ووعظهم[3].

ويفهم من خلال ما تقدم أن نزول العلماء إلي الناس والذهاب إليهم، وعدم انتظارهم تعد سمة حسنة لأولئك العلماء، ودلالة على تواضعهم، ورغبتهم الصادقة في بذل الجهد من أجل نشر العلم وتعميمه بين الناس، وأن هذا الأسلوب لوحظ تكراره مع أكثر من عالم على مختلف القرون الوسيطة، وبذلك يمكن أن نقول أن التعليم المتنقل يعد ظاهرة إيجابية تسير في خط ازدهار الحياة العلمية في جبل نفوسة. كما أن تنقل العلماء في أرجاء الجبل يتيح
لهم فرصة لقاء علماء آخرين، ومن الطبيعي أن تثار بينهم المسائل العلمية، والنوازل الفقهية والكلامية، فيقومون بالمناقشات والحوارات، وبذلك تتلاقح الأفكار وتنتشر العلوم والفنون، وتزدهر الحلقات والمجالس العلمية.

---

(1). لم تتحدث المصادر الإباضية عن هذه الشخصية سوى الشماخي في سيره، وروى عنه المؤرخ أبو زكريا يحيى الوارجلاني في كتابه: (الأخبار وسير الأئمة). محمد بابا عمي، المرجع السابق، ص453.

(2). لا يقصد بيفرن هنا (مدينة يفرن الحالية) فقط، وإنما على كل المناطق المجاورة لها التي يطلق عليها وقتذاك (وطن يفرن)، أو (جزيرة يفرن)، وتحدد حوزتها من سفيط إلي هنشير البحيرة، ومن زارة إلي حجرة مزغورة وهي تمثل القسم الثالث والشرقي لجبل نفوسة. ينظر: حبس لأملاك معتوق بن سالم بن جراد الميكاطي الشقروني الورسطفي، وثيقة، مكتبة الاستاذ عبد الله الشماخي، يفرن، بدون تصنيف. ورقة 1.

(3) الشماخي، المصدر السابق، ص 553 ــ 554.

3. الحلقات والمجالس العلمية:

وتعد الحلقات والمجالس العلمية من الوسائط التعليمية والثقافية المتوفرة أمام طلاب العلم في جبل نفوسة، إضافة للوسائط الأخرى التي ذكرناها سابقاً والمتمثلة في: (**الكتاتيب، والمدارس، والمساجد، والمكتبات**)، وإلى الرحلات العلمية لمن تسمح لهم ظروفهم وإمكانياتهم المادية وغيرها للسفر إلى المراكز الحضارية الإسلامية المعروفة وقتذاك. وكانت تلك المجالس مفتوحة أمام الجنسين رجالاً ونساءً ويشير البغطوري إلى هذا المعنى قائلاً: " أن المشائخ كانوا قد اجتمعوا بموضع يسمى **تين درشل**[1]، فوجهت **[أي آمة الواحد]** أبا عامر وضارتها، وقالت لهما: احضرا انتما مع الجماعة ... ثم أرسلت إليهما أن أجتهدا فيما كنتما فيه من الخير "[2]. وفي الحقيقة هناك العديد من الأمثلة التاريخية التي تؤكد على مشاركة المرأة في المجالس العلمية إلى جانب الرجال، وليس هذا فحسب بل إنها كثيراً ما تشارك بآرائها وأفكارها.

وهناك نص آخر للبغطوري يشير إلى أهمية المكان في (**تين درشل**) المذكور في النص السابق، ويبدو أنه كان من الأماكن المعروفة لإنعقاد المجالس العلمية حيث يقول البغطوري: " أن جماعة اجتمعوا بموضع يسمى تين درشل في طلب العلم، وفيهم أبو نصر من أهل تمصمص وكان هو المفتي لهم، وفيهم نفاث بن نصر، وكان يلقي عليهم مسائل ولم يعلم بها أبو نصر حتى جاءهم مهدي وعمروس بن فتح ولما وصلا سكت نفاث "[3]، ونستنتج من هذا النص أن بعض المجالس العلمية كانت تعقد من أجل المناظرات والمحاورات العلمية والكلامية خاصة

---

(1). تين درشل: هي نفسها قرية: دركل التي ذكرناها فيما سبق، راجها صفحة 75، هامش (1).

(2) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة84.

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة108 ــ 109.

هنا وبحضور الشيخ نفاث بن نصر وهو المعروف بمعارضته لمشائخ وعلماء الجبل في العديد من المسائل الفقهية والكلامية.

إذن فالحلقات والمجالس العلمية برزت في المنطقة وأثرت بشكل كبير في الحياة الفكرية، ومن خلال المصادر التاريخية نلاحظ تنوع واختلاف الأماكن التي تعقد بها تلك الحلقات والمجالس[1]، فتارة تكون في المدارس والمساجد وتارات أخرى في منازل العلماء والمشائخ، وحتى في الساحات العامة والغابات. وكان يقصدها من يرغب فيها دون قيود، ومن المشائخ الذين كانت له حلقة علم، **الشيخ يحيى بن يونس السدراتي أبو زكريا الونزيرفي، ق: (3هـ/9م)**، وينتسب إلى قرية ونزيرف، تحدثت عنه كتب السير والطبقات مشيرة إلى صلاحه وتقواه، وأدائه للمعروف، قال عنه الدرجيني: " أبو زكريا يحيى بن يونس رحمه الله كان من أهل الورع والزهد، وممن أخذ نفسه بالمعهود والجهد ساعياً في الصلاح، داعياً إلى طرق الفلاح، هادياً إلى الرشاد، مغيراً للفساد "، ويذكر له أثار تدل على كرم أخلاق، ورفعة نفس وطهارة قلب. وشيخنا أبو زكريا هذا كانت له حلقة للتعليم درس عليه فيها طلاب صاروا فيما بعد علماء أجلاء لهم شأنهم في التاريخ العلمي والثقافي ببلاد الغرب الإسلامي منهم تلميذه: **أبو مسور يسجا بن يوجين** اليهراسني، ذلك العالم الكبير الذي قدم من الجنوب التونسي، وفور تخرجه رحل لجزيرة جربة وكان له فيها شأن علمي كبير.

---

(1). لاحظت في المصادر التاريخية أن هناك داراً يطلق عليها: دار بني عبد الله، وهي دار أبو محمد الدرفي، وكانت بمدينة جادو، والدليل على أنها بجادو ما أورده البغطوري قائلاً: " ورورى أنه [الشيخ ابن اكبت]، لما وقع في مرضه الذي مات فيه في دار بني عبد الله في سوق جادو "، وفي هذه الدار كان يجتمع فيها العلماء والمشائخ من الجبل ويقيمون فيها مجالسهم العلمية، وبعض العلماء كان يطلق عليها دار الجهاد، وموضع الرباط، وذلك لدورها العلمي والثقافي في جبل نفوسة. البغطوري، المصدر السابق، ورقة27؛ الشماخي، المصدر السابق، ص ؛

ومن حلقات العلم بالجبل، حلقة **الشيخ أبو ميمون بن أحمد الجيطالي** (ت: 283هـ/896م)، وهذه الحلقة لا تعرف الإنقطاع أو الفتور في مختلف الأحوال في الإقامة والترحال[1]. ومن العلماء الذين كانوا يعقدون مجالس علمية **الشيخ أبو الشعثاء السنتوتي** نسبة إلى قرية **سنتوت**[2]، وكان عالماً عاملاً ورعاً، وكانت النساء تحضر مجالسه ليلاً ومعهن أولادهن، ويأتون إليه من مسافات بعيدة تقدر بعضها بأربعة وعشرين ميلاً[3].

ويبدو أن لمعركة مانو آثر كبير على الحركة العلمية والثقافية بالجبل، كيف لا، وقد مات فيها عددٌ هائل من العلماء قدره البعض بأربعمائة عالم ولهذا السبب كان على عاتق العلماء والمشائخ الناجين في هذه الموقعة عبء كبير في الحفاظ الجانب الفكري والعلمي: من إستمرار المجالس العلمية، وإنشاء الحلقات الدراسية وغير ذلك. ومن أولئك العلماء الشيخ أبو القاسم البغطوري الذي صار: " يصل بهم مجلس الليل مجلس النهار، فيمد رجليه، فيقول: أذنوا أن أمد رجلي فإن الكبير ذو عيوب، وكان له من العمر مائة وعشرون سنة "[4].

ومن خلال كل تلك الوسائط التعليمية المتعددة أمام طلاب العلم في جبل نفوسة اختار كل طالب ما يناسبه ويلائم ظروفه الاجتماعية والاقتصادية، للوصول إلى تحقيق أهدافهم العلمية والثقافية تدرجاً في مراحل التعليم والتعلم.

---

(1). الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص294 ــ 295.

(2) . سنتوت: من قرى جبل نفوسة، وحالياً من ضمن مدينة الرجبان، وصيغة الإنتساب إليها السنتوتي، وموقعها بالنسبة للشماخي هي: قصر يقع في قمة صخرة ضخمة يوجد بها مسجد، وهذا الموضع من أقدم المواقع بالجبل.

(3) . الشماخي، المصدر السابق، ص246.

(4). البغطوري، المصدر السابق، ورقة114.

4. المراحل التعليمية ومناهجها الدراسية :

تعد المؤسسات التعليمية: (**مساجد، مدارس، مكتبات**) هي اللبنة الأولي التي أسهمت بشكل كبير في تجدير وترسيخ الحركة العلمية في بداياتها خاصة وإبراز أهمية الثقافة والتعلم في المنطقة طيلة القرون الوسطى عموماً. وكان التلاميذ والطلاب يجتازون ثلاث مراحل تعليمية وهي: مرحلة التعليم الابتدائي ، فمرحلة التعليم المتوسط، ثم مرحلة التعليم العالي، وبين المراحل الثلاث تناسق وترابط من حيث المواد المدروسة لكل مرحلة ومناهجها .

ويشير الشماخي إلي تلك المراحل التعليمية: فيبدأ الطلبة بتعليم السير وآداب الصالحين، ثم ينتقلون إلي مرحلة تالية ومتوسطة فيدّرسون فيها قراءة القرآن واللغة العربية والإعراب ، وأخيراً يصلون إلي المرحلة العالية ويدّرس فيها الطالب علم الكلام وأصول الدين والمنطق[1]. وتلك المراحل التعليمية الثلاث شبهها العلماء والمشائخ ، بعمل ثلاث نجارين الأول يقطع الأخشاب من الغابة ، والثاني يشقها ثم ينشرها ، والثالث يركب الألواح ويدق مساميرها، وأخيراً تكون في صورة شيء يصلح استعماله[2]. والعلوم التي ذكرت سابقاً ليست هي فقط ما درسه طلاب الجبل في مراحل تعليمهم ، وإنما هناك علوم أخرى سيأتي ذكرها .

ومن طرق التدريس المتبعة في مساجد ومدارس الجبل، التي هي نفس الطريقة المتبعة في أغلب مدارس ومساجد العالم الإسلامي، وهي طريقة الإملاء، أي أن يملي الشيخ على طلابه وهم يكتبون في كراريس خاصة بهم، ثم يقوم المعلم أو الشيخ بتصحيح ما كتبه التلاميذ[3].

---

(1) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 397 ــ 398 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 517 .

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 37 .

1) مرحلة التعليم الابتدائي :

وهي المرحلة الأساسية والأولي للتلاميذ، وحرص الأباء في ذلك العهد ـــ كما هو في وقتنا الحالي ـــ على أن يبدأ أولادهم التعليم في سن مبكرة، كما يقول الشاعر : (بسيط)

علّم بَنِيكَ صِغَاراً قَبْلَ كِبْرَتِهِمْ
إذْ لَيْسَ يَنفَعُ بَعْدَ الكِبْرَةَ الأدبَ
إنّ الْغُصُونَ إذَا قوّمتَهَا اعْتَدلَتْ
وَلنْ تلِينَ إذَا قوّمتهَا الْخَـشبَ .

وتتضح أهمية التعليم في الصغر من خلال تلك الأبيات، التي يرى ابن خلدون أنها فترة أشد رسوخاً، وهي أصل وأساس لما بعدها من مراحل تعليم الإنسان[1]. ويتعرّفون فيها مبادئ القراءة والكتابة ، وغالباً ما تتراوح أعمار تلاميذ هذه المرحلة ما بين الخامسة والخامسة عشرة ، وهي مرحلة الصبا ، ويطلق على أستاذها معلم الصبيان ، وكان أهالي الجبل يحرصون على تحفيظ القرآن الكريم لأبنائهم منذ صغرهم، وهذا ما تعارفت عليه أغلب بلدان العالم الإسلامي كما أشار لذلك ابن خلدون قائلاً : " واعلم أن تعليم الولدان للقرآن شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلي القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده ... وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصّل بعد من

---

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 494 .

الملكات "[1]. وبذلك تتبين أهمية تعليم القرآن للصغار ليتربوا على تعاليمه، ويتخلقوا بأخلاقه الفاضلة ، في تلك المرحلة التعليمية المبكرة ، ومن أجل ذلك أنشأ عمرو ابن يمكتن مدرسته بالجبل لتحفيظ القرآن الكريم في وقت قلّ فيه المعلمون[2]، ويتم التعليم في هذه المرحلة في مختلف المساجد بقرى ومدن الجبل .

2) مرحلة التعليم المتوسط :

يبدأ الطالب هذه المرحلة المتوسطة من تعليمه بعد اجتيازه المرحلة الابتدائية بنجاح ، وليس هناك سن محددة لولوجها وإنما هي مفتوحة للجميع ، ويتم التعليم فيها بمختلف مدارس ومساجد الجبل ، وغالباً ما تكون الدراسة في فترات المساء مثل ما يقوم به الشيخ أبو سهل البستوني مع طلبته بمسجد امسراتن حيث يبدأ في التدريس بعد صلاة العصر وإلي صلاة المغرب[3]. وبرنامج الدراسة يقتصر على الكتب المبسطة في اللغة والنحو والفقه والحديث والمنطق وغيرها . ومن بين الكتب الفقهية التي يدرسونها كتاب الوضع لأبي زكرياء يحيي الجناوني[4]، وكتاب ديوان العزابة الذي أُلف من أجل أن يكون سهل الحفظ على المبتدئين في دراسة الفقه[5] ومن الكتب اللغوية التي يدرسها الطلاب على سبيل المثال : كتاب جمل الزجاج في النحو، ومقامات الحريري، وكتاب الدعايم، والأشعار الستة . وكان بعض أغنياء

---

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 493 ــ 494 .

(2) . ابن سلام الاباضي ، المصدر السابق ، 126 .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 .

(4) ا لشماخي، المصدر السابق، ص 551 ، والشماخي يذكره الجادوي ، وأظنه تصحيفا من النساخ ، لأن كتاب الوضع ألفه أبو زكرياء يحي الجناوني .

(5) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 455ــ 456 .

البلد ومياسيرها يصرفون على الطلبة ما يحتاجونه من متطلبات وأحياناً يقوم المعلمون أنفسهم بذلك ، وهذا يكون دافعا كبيرا للذين تكون حالتهم المادية صعبة لإتمام دراستهم وتعليمهم .

3) مرحلة التعليم العالي :

وتعد هذه المرحلة هي أعلى مراحل التعليم في الجبل ، ولم تكن هناك سن معينة لدخولها ، وغالباً ما يصل إليها الطلاب الأذكياء والراغبون في مواصلة تعليمهم ، والملاحظ أنها غير محددة بسنوات للدراسة ، فقد ظل أبو هارون الجلالمي، يتعلم عند الشيخ أبي القاسم البغطوري، مدة ثلاثين سنة[1]. ومكث ابن معبد الجناوني (ق 3هـ / 9 م) ، يتعلم عند سعد بن أبي يونس الطمزيني، مدة عشرين سنة[2]. وكذلك ظل أبو يوسف يجدول الترغيتي (ق 4 هـ / 10 م)، في تعليمه على يد شيخه أبي محمد الكباوي (ق4 هـ / 10 م) ، خمس عشرة سنة وبعد وفاة شيخه المذكور انتقل إلي الشيخ أبي محمد الدرفي (ق 4 هـ / 10 م) ، وتعلم عنده مدة سبع عشرة سنة[3]. فالملاحظ أن فترات الدراسة في هذه المرحلة تطول سنين عديدة وذلك راجع إلي نوعية العلوم التي يدرسونها من ناحية، ومن ناحية أخرى للتخصص في اتجاهات علمية معينة ، فكل ذلك يحتاج إلي دراسة التفصيلات بشكل موسع ، ومناقشة المسائل على مستوى أمهات الكتب المعروفة لديهم حينذاك .

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 278 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة ، 141 .

(3) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 92 .

وكانت المدارس وكذلك المساجد هي الأمكنة التي يتعلم بها طلاب هذه المرحلة ومنها على سبيل المثال : مسجد أبناين الذي يعد مدرسة للتعليم العالي ومن أشهر من درّس به الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون التملوشايتي (ق 4 هـ / 10 م) ، وتخرج على يديه علماء كثيرين منهم : أبو زكرياء يحيي بن الخير الجناوني، الذي كان طالباً بتلك المدرسة ويقوم بالتدريس في نفس الوقت[1]. وأيضاً من المدارس التي كانت على مستوى عالٍ في التعليم هي مدرسة أبي موسى عيسي الطرميسي، ونهجت مدرسته نهجاً فريداً بين المدارس الأخرى بكونها تشجع الطلاب والمتميزين منهم على التأليف وعدم الاكتفاء بالراوية ، وقد استجاب عدد منهم لتوجيه شيخهم، منهم على سبيل المثال : الشيخ أبو ساكن عامر ابن علي الشماخي الذي ألف كتاب الإيضاح في الفقه ، والشيخ إسماعيل الجيطالي، صاحب كتاب قناطر الخيرات وغيرهما من المؤلفات لكلا الشيخين .

ومن ضمن العلوم التي تدرس في تلك الفترة هي : أصول الدين وعلم الكلام ، والمناظرة ، والمنطق وغيرها . وفيما يتعلق بنماذج من الكتب التي تداولها طلاب المرحلة العليا : كتاب العدل في أصول الفقه للشيخ أبي يعقوب بن إبراهيم الورجلاني[2]، وكتاب مختصر ابن محبوب (ت 260هـ / 873 م) في

---

(1) . دبوز ، المرجع السابق ، ص 408 .

(2) . هو أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الوارجلاني: ولد بمدينة وارجلان (500 هـ/1106 م) جنوب شرقي الجزائر، تعلم بها على يد مشائخها مثل : الشيخ أبي سليمان أيوب بن إسماعيل، وأبي زكريا يحيي بن أبي زكريا، وأبو عمار عبد الكافي التناوتي الوارجلاني، وتعده المصادر الإباضية من أبرز العلماء وخاصة في علم الكلام، وكان شغوفاً بطلب العلم فشد الرحال إلي الأندلس وأقام بقرطبة متعلماً، كما سافر إلي بلاد السودان في رحلة علمية وتجارية. ووصل إلي منطقة خط الاستواء، له عدة مؤلفات منها : تفسير القرآن الكريم، كتاب الدليل والبرهان، كتاب العدل والإنصاف، كتاب مرج البحرين، كتاب فتوح المغرب في تاريخ بلاد المغرب، القصيدة الحجازية وغيرها من الكتب . ينظر : محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 481 ــ 483 .

أصول الدين، وكان الطلاب يستعينون في مذاكرتهم وبحثهم في العلوم بمكتبات الجبل التي تزخر بأنواع التصانيف والمؤلفات ويبقون فيها لفترات طويلة للدراسة والتعلم [1].

وبذلك يلاحظ الازدهار العلمي والثقافي لجبل نفوسة الأمر الذي جعله مركزاً من مراكز العلم والحضارة في العالم الإسلامي ، ومن ثم توجه طلاب العلم من مختلف المناطق المجاورة إلي الجبل للدراسة وطلب العلم .

(1) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 445 .

5. الرحلة العلمية خارج الجبل:

يعد جبل نفوسة من ضمن بلدان العالم الإسلامي، وكانت تربطه بـــذلك المحيط الكبير علاقات مختلفة سيما الثقافية منها، وعلى ذلك شد بعـــض العلمـــاء وطلاب العلم الرحال لأهم الحواضر الإسلامية، طالبين للعلوم والمعارف، وناشرين في نفس الوقت ما لديهم في هذا الحقل الإنساني. والبعض منهم بعد أن ينهي مهامه (**معلماً أو متعلماً**) يرجع إلى وطنه ليساهم في نهضته الفكرية، والبعض الآخر يتنقل بين عدة أماكن وفي النهاية يحط رحاله في مكان معين يتخذه مستقراً ومقاماً وربما يتزوج في تلك البقاع وينجب أولادً فينتسبون لذلك المكان. وهناك تثمر إبداعاته وتنضج ويحين أُكلها، بمعنى أن البعض من العلماء كان لجبل نفوسة دور التكـــوين والمخاض، والبقاع الأخرى تشهد مرحلة إنتاجهم وعطائهم. ولنا أمثلة كـــثيرة في هذا الصدد سيأتي الحديث عنها لاحقاً.

وتعد رحلة **الشيخ محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني**[1] (كان حياً عام 160هـــ/778م)إلى مدينة البصرة[2] بالعراق، أول الرحلات العلمية الـــتي خرجت من جبل نفوسة. وتتلمذه هناك على يد **الشيخ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة**[3] (ت: 145هـــ/762م)، فدرس عليه الفقه وغيرها من العلوم، وبعدما أنهى

---

(1) .لم تتوفر لدي معلومات حالياً حول المدة التي بقي فيها أبن مغطير بالبصرة طالباً للعلم. واسمه بالكامل هو: محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني النفوسي، وليس كما ذكره الدكتور: صالح مفتاح بأنه: محمد بن عبد الحميـــد مفيطر النفوسي الجذاوي، صالح مصطفي مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مـــصر، طرابلس: الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، 1978م، ص251.

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 140 .

(3) . أبو عبيـد ة مسلم بن أبي كريمة: من أبرز علماء الإباضية في المشرق وهو تلميذ الإمام جابر بن زيد.

ابن مغطير تعليمه بالعراق قفل راجعاً إلي موطنه في حدود عام (135هـ/ 753م)، ونقل أساليب التعليم التي عرفها بالبصرة لنشرها بين سكان الجبل، وصار مفتياً إلي رجوع البعثة العلمية[1] لبلاد المغرب فسكت عن الفتوى[2]. وبذلك يكون ابن مغطير الجناوني هو رائد الرحلات العلمية في جبل نفوسة، " وتعد الرحلة من أعلى مراحل التعليم الإسلامي، وأسهمت بشكل كبير في توحيد ثقافة العالم الإسلامي "[3].

ويبدو أن ابن مغطير كان يتمتع بمكانة علمية واجتماعية عالية في مجتمعه إلي درجة أن الامام عبد الوهاب بن رستم (ت211هـ / 829م)، أثناء تواجده بالجبل أوكل إلي ابن مغطير أن يحكم بين متخاصمين في حضوره[4]. وهذا يشهد على المستوى العلمي والفقهي الذي بلغه ابن مغطير الجناوني. وهذا ليس بغريب على شخص فقيه، وجاد، يرى فيه بعض الباحثين المعاصرين إلي أنه: أول من جمع

---

(1) .البعثة العلمية وتتكون من: أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري من: (اليمن)، وعبد الرحمن بن رستم، (أصله فارسي) من:القيروان، وإسماعيل بن درار الغدامسي من: (غدامس)، وأبي داود القبلي النفزاوي من: (نفزة) بالجنوب التونسي، وعاصم السدراتي من: (سدراته) غربي الأوراس، سافر هؤلاء الخمسة إلي البصرة من أجل طلب العلم، فتتلمذوا على يد الشيخ أبي عبيدة مسلم ابن أبي كريمة، ومكثوا عنده خمس سنوات من (135هـ / 752م – 140 هـ / 757م)، وهي أول رحلة علمية جماعية اتصل بها المغرب بالمشرق لنشر الثقافة العربية الإسلامية والفكر الإنساني، ينظر: الورجلاني، المصدر السابق، ورقة 6 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 143 .

(3) . محمد عيسي، تاريخ التعليم في الأندلس، القاهرة: دار الفكر العربي، 1982، ص 409. وللتأكيد على توحيد ثقافة العالم الإسلامي، والرموز التي ناضلت من أجل ذلك الهدف النبيل ستظل الأجيال القادمة تذكر دوما رحلة هذا العالم الليبي الذي قطع المفاوز والقفار في ظروف شديدة الصعوبة من أجل المعرفة والثقافة.

(4) . الورجلاني، المصدر السابق، ورقة 26.

القرآن الكريم كله في جبل نفوسة وحفظه[1]، وفي الحقيقة لم أقف على هذه المعلومة في المصادر التاريخية، وكتب السير والطبقات الإباضية المعروفة[2].

ومن كبار علماء جبل نفوسة الذين فضلوا الرحلة لطلب العلوم ونشر الثقافة الإسلامية في ربوع المعمورة، الشيخ الجليل: **لواب بن سلام الأغرميماني التوزري** ق: (3هـ/9م)، يرجع أصله إلى قرية أغرميمان نشأ وتربي في أحضان عائلة تهتم بالعلم والثقافة، ومن مشائخه الذين تتلمذ عليهم في أول أمره الشيخ: أبي كبة التنكنيصي، ويبدو أنه أستقر في توزر[3] وهذا نفهمه من خلال اللقب الأخير (التوزري)، وكان عالماً بالأصول والفروع كما أهتم بعلم الكلام، سافر للحج وألتقي هناك بعلماء من عمان، له كتاب في السير والتاريخ ومسائل في الفقه والكلام وهو: (**بدء الإسلام وشرائع الدين**). كما يبدو أن ابن سلام قد راسل خلف بن السمح، وألتقي به في جندوبة (27هـ/884م). ونفهم من ذلك أهمية شخصية ابن سلام في الأحداث التاريخية وقتذاك، بالاضافة إلى كثرة أسفاره ورحلاته.

---

(1) . أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 133 ــ 134. صالح معيوف، المرجع السابق، ص 90. ليست هناك إحالة إلي مصدر معين لإثبات تلك المعلومة من قبل كلا الباحثين .

(2)).كتب السير والطبقات التي اهتمت بتاريخ الجبل وعلمائه مثل : كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي بكر الوارجلاني (ق 5 هـ / 11م)، وسير أبي الربيع الوسياني (ق 6هـ / 12م)، وسير البغطوري (ق 6هـ / 12م)، وطبقات الدرجيني (ت 750هـ)، وسير الشماخي (ت 928 هـ / 1521م)، جواهر البرادي (ق8هـ/14م) ..

(3) . توزر: عاصمة بلاد الجريد وهي مدينة في أقصى أفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، وهي معمورة، وأرضها سبخة، بها نخل كثير، وعليها سور مبني بالحجر والطوب، انظر: صالح باجيه، الاباضية بالجريد، تونس: دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، 1976، ص9.

ومن علماء الجبل الذين شدوا الرحال من أجل طلب العلم ونشره بين الناس في مختلف الأوطان، **الشيخ أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي**، ق: (4هـ/9م)، وهذا الشيخ الجليل من قرية تابديوت النفوسية، ودرس في تعليمه بقرى الجبل ، ولما وفد الشيخ ابن الجمع من المشرق سافر بصحبته إلى توزر بتونس أولاً، ثم رافقه إلى مدينة **سجلماسة**[1] فيما بعد، وخلال تلك الرحلات والتنقلات مع شيخه كان يجلس عند للتعلم. ومكث بسجلماسة حتى وفاة شيخه، فعاد إثر ذلك إلى قصطالية وعين مفتياً فيها. وكان شيخه معجباً به لكثرة علمه وذكائه، فأوصى له بجميع كتبه، وتصدر للتدريس فتخرج على يديه علماء كبار أمثال: أبو القاسم يزيد بن مخلد، وأبو خزر يغلي بن زلتاف. ترك ديواناً مشهور بديوان أبي الربيع.

ومن علماء جبل نفوسة الذين هاجروا إلى مدينة وارجلان، **الشيخ أبو عمرو عيسى بن سجميمان النفوسي**، ق: (4هـ/10م)، وكان معاصراً للمؤرخ أبو الربيع الوسياني، وروى عنه في كتابه التاريخي: (**سير أبوالربيع**)[2]، بعض

---

(1) . سجلماسة: مدينة وسطة من حد تاهرت إلا أنها منقطعة لا يسلك إليها إلا في القفار والرمال، وهي قريبة من معدن الذهب، بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة، انظر: ابن إسحق الأصطخري، المسالك والممالك، تحقيق محمد الحيني، مصر: وزارة الثقافة والارشاد القومي، 1961، ص34.

(2) . سير أبي الربيع الوسياني: مؤلفه أبو الربيع سليمان بن عبد السلام ابن حسان بن عبد الله الوسياني، الذي لم يعرفنا للأسف بنفسه، يرجع إلى بني وسيان من قبائل بني يفرن، وهو يعد من علماء ومؤرخي الاباضية المشهورين خلال القرن (6هـ/12م)، وكتابه في السير والمناقب، ومعروف بسير الوسياني، كما يمكن أن يصنف ضمن كتب الفقه، وبالإطلاع على المخطوط تبين أنه يحتوي على ثلاث أجزاء يبدأ كلاً منها بمقدمة وينتهي بخاتمة. للمزيد انظر: سعد زغلول عبد الحميد، هامش على مصادر تاريخ الاباضية في المغرب (دراسة لكتاب السير)، أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج1، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، 1979، ص53 ـ 91.

الروايات التاريخية، كما عاصر الشيخ العالم الكبير أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي وتلقي عنه بعض علومه[1].

وهناك أسرة بجبل نفوسة لها شأن كبير في العلم والثقافة، وهي (**أسرة بكر الفرسطائي**)، وترجع أصول هذه الأسرة إلى قرية فرسطا، وأختارت الرحيل والهجرة من الجبل على ما يبدو في (أوائل ق: 4هـ/10م) إلى الجنوب التونسي ومنه الإستقرار بالجنوب الجزائري، (**بلاد أريغ**)، ومن أفراد تلك العائلة جدهم: **بكر بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي** ق: (4هـ/10م)، الذي تلقي تعليمه أولاً بجبل نفوسة على يد الشيخ سليمان بن ماطوس الشروسي، ثم رحل من الجبل واستقر بأريغ وصار من أعلامها وفقهائها الكبار، ويذكر المؤرخ أبو الربيع الوسياني: أن للشيخ بكر عدة مسائل فقهية وله حكم وفتاوي تحويها بطون الكتب[2]. انجب ولداً سيكون من أقطاب العلماء وأبرز المصلحين والمفكرين. وهو الشيخ أبو عبد الله محمد الفرسطائي.

ومن العلماء الذين هاجروا من الجبل وذاع صيتهم في الآفاق، **الشيخ أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي** ولد: (345هـ/956م)، بقرية فرسطا، أي قبل رحيل والده من الجبل، وفي تلك القرية تلقي تعليمه الأول، ثم أخذ في التنقل والترحال بين القري والمدن طالباً للعلم، فمن القيروان إلى جربة فالحامة، وفي كل مركز حضاري أقام فيه نهل منه ما يروي عطشه الثقافي والفكري، ففي الأولي أخذ علم اللغة العربية (الإعراب والنحو)[3]، والمنطق، وفي

---

(1). الوسياني، المصدر السابق، ورقة ؟

(2) . المصدر نفسه، ورقة ؟

(3) . يورد المؤرخ الوسياني في هذا الصدد رواية تبين كيف وصل أبو عبد الله إلى القيروان، والطريقة التي أستقبل بها قائلاً : " توجه ... إلى القيروان يتعلم الإعراب والنحو، فقصد مؤدباً يعلمه قبل ذلك، فقال له المؤدب أوصي بك

الثانية أهتم بعلوم الشريعة من فقه وحديث وتفسير وغيرها، متتلمذاً على يد الشيخ أبي زكريا فصيل بن أبي مسور، وفي الأخيرة جلس إلى شيخه أبي نوح سعيد بن زنغيل. ثم سافر إلى قصطيلية عازماً الأخذ عن الشيخ أبي عمران موسى بن زكريا، إلا أن الوفد القادم من جربة أقنعه بضرورة التفرغ لتأسيس **نظام العزابة**[1]، وبالفعل قام بهذه المهمة خير قيام وهي التي جعلته كثير الأسفار والتنقل في بلاد المغرب من جبال نفوسة شرقاً إلى **وادي ميزاب**[2] غرباً، ومن المناطق التي استقر بها لتعليم الناس أمور دينهم ولنشر الثقافة والمعارف: جبل نفوسة، طرابلس، لماية، جربة، **تين يسلي**، قصطالية، تفاجالت، وادي أريغ، وغلانة، **قنطرارة**[3]، وارجلان، بادية بني مصعب، ولهذا عرف بين العامة (**بسيدي محمد السائح**)، ومن

إلى مؤدب أعلى مني في هذا الباب، فكتب إليه كتاباً ... ودخل أبو عبد الله محمد فسلم إلى المؤدب الكتاب، ووقف أبو عبد الله بعتبة الباب، فصار المؤدب يقرأ الكتاب حتى سمع أبو عبد الله قول السلام عليكم خاتمة الكتاب، فدخل أبو عبد الله فسلم على المؤدب، فوجد أبو عبد الله صبيانه يتعلمون في علة العلل" للمزيد انظر: أبو الربيع الوسياني، المصدر السابق، ورقة65.

(1) . نظام العزابة: يعد الشيخ أبو عبد الله محمد الفرسطائي المؤسس لنظام العزابة وهو نظام تربوي: (ديني اجتماعي)، وجاء تأسيسه بناء على طلب من شيخه أبو زكريا فصيل بن مسور، ويسير نظام العزابة وفق قوانين وأنظمة صارمة، ومعنى العزابي: من العزوب عن الدنيا والإقبال على الآخرة، وحلقات العزابة مقسمة إلى ثلاث مجموعات وهي: الأصاغر والأواسط والأكابر.

(2) . وادي ميزاب: يقع في جنوب الجزائر (اليوم) وفي شمال الصحراء الكبرى في ناحية تسمى الشبكة وهي منطقة جميلة تتخللها الأودية، وتبعد ميزاب عن العاصمة الجزائر حوالي 600كلم، ويتكون الوادي من سبع مدن وهي: العطف، وبنورة، ومليكة، وبني يزقن، وغرداية، وبريان، والقرارة، ولفظ ميزاب يعني: اسم آلة، وزوب الماء: أي إنحداره وانصبابه كالميزان آلة الوزن، جرى تسمية أهل القرى السبع ببني ميزاب وذلك نسبة إلى ميزاب الكعبة.
www. Google. Com.

(3) . قنطرارة: يري الشيخ سليمان الباروني أن قنطرارة هي تيجي الحالية، بينما يري صالح باجيه أن قنطرار أو قنطرارة هي بنفطة (شرقي درجين)، ببلاد الجريد التونسي، هاجر إليها عددٌ من إباضية جبل نفوسة بعد معركة مانو وازدهرت فيها الحركة العلمية، وبقيت زمناً مقصداً للعلماء إلى أواسط ق: 5هـ/11م.

الأعمال التي انجزها بناؤه مسجد بقريته فرسطا بجبل نفوسة، محاوراته لفرقة السكاكية، جهوده الاصلاحية لقبيلة بني وزمار، وله تلاميذ عديدون في مختلف البلدان ونذكر أبرزهم على سبيل المثال: زكريا ويونس أبناء أبي زكريا بن فصيل، وأبنه أبو العباس أحمد، وأبو بكر بن يحيى، ويعقوب بن يعدل، ومصالة بن يحيى، وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، وتذكر المصادر التاريخية أنه خلف عدة مؤلفات، فيقول أبو زكريا الوارجلاني: " وله في كل فن تآليف كثيرة "[1]، كما أكد هذه المعلومة كل من الدرجيني في طبقاته، والشماخي في سيره[2]. غير أنهم أشاروا للموضوعات التي أهتم بها، وهي: " وأكثرها الحجج والبرهان "[3]، وأغفلوا عن ذكر عناوين تلك الكتب ولو البعض منها. إلا أن المتصفح لكتب التراث الإباضي يلاحظ أنها مليئة بآرائه وأفكاره وفتاويه.

ويعد **الشيخ أبو يعقوب يوسف بن نفاث التيميجاري النفوسي** (ت: 440هـ/1049م) من العلماء الذين شدوا الرحال خارج الجبل للإستزادة في العلم ونشره في البلدان والأقاليم. نلاحظ أنه استقر **ببلاد أريغ**[4]، وتشهد له المصادر التاريخية أنه كان شيخاً فقيهاً عالماً، وكانت له مراسلات علمية مع غيره من العلماء، وله فتاوي كثيرة في بطون الكتب والمؤلفات. وعاصر علماء كبار أمثال: الشيخ سعيد بن زنغيل، وأبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، وتبوأ بينهم مكانة علمية رفيعة وكانوا يرجعون إليه في المسائل الصعبة[5].

---

(1) . أبو زكريا الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة .

(2) . الدرجيني، المصدر السابق، ج2، ص377؛ الشماخي، المصدر السابق، ص .

(3) . الدرجيني، المصدر السابق، ص377.

(4) . بلاد أريغ: تقع اليوم ضمن نطاق الجمهورية الجزائرية.

(5) . معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص494.

كما نشير إلى **الشيخ إبراهيم بن مطكوداسن أبي إبراهيم بن يخلف بن مالك الدجمي الغرماني** ق: (5هـ/11م) أصله من قرية **تغرمين**[1] بجبل نفوسة، ومن هناك رأى الرحيل ناحية الغرب ويبدو أن أول استقراره كان ببلاد أريغ ثم انتقل إلى قرية تين ماطوس بالقرب من وارجلان، أخذ علومه على عدة مشائخ من أبرزهم: الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف (ت: 471هـ/1078م)، وكان مهتماً بالتاريخ ورواية السير، روى عنه المؤرخ أبو زكريا يحيى بن أبي بكر. ويرى المؤرخ أبي الربيع الوسياني أن إبراهيم الغرماني واحد من العلماء الذين أشتركوا في تأليف ديوان العزابة المشهور. بعد وفاته ترك مكتبة كبيرة تحوي العديد من المؤلفات والمصنفات، قدرت بحوالي أربعين مخلاة، أوصى بها جميعها للشيخ أبي العباس أحمد الفرسطائي.

ومن العلماء الذين ترجع أصولهم لجبل نفوسة إلا أن ظروف الزمان جعلتهم يضربون في الآفاق، **الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي**، ق: (5هـ/11م)، وهو سليل بيت العلم والحكمة، أصوله ترجع إلى فرسطا، إلا أنه عاش أغلب حياته في وارجلان لإستقرار والده بها، وأخذ علومه على والده وكذلك على الشيخ أبو الربيع سليمان المزاتي وأبي محمد ويسلان، وسعد بن ييفاو. ويبدو أنه سافر لجبل نفوسة قصد التعلم حيث يذكر: أنه جلس في مكتبة (**خزانة نفوسة**) ووجد بها كتب كثيرة، تفوق الثلاثة وثلاثين ألف

---

(1) . قرية تغرمين: من قري جبل نفوسة، (وهي حالياً في الزنتان)، وحدودها من قصر شماخ شرقاً إلى وادي متلالة (وادي الآخرة) غرباً، ومن الشمال إلى ما يعرف أرض الطابو. وتغرمين: جمع توغرمت، وتوغرمت تعني: القصبة أو القصر أو القرية، ومن هنا يمكن أن أن نقول أن تغرمين هي مجموعة قري. رواية شفوية، الاستاذ إلحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26م.

كتاب[1] ــ هذا الرقم للكتب التي جاءت من المشرق فقط، ناهيك عن الكتب الأخرى فالمكتبة تحوى كتباً يفوق بكثير هذا الرقم المذكور ــ وقام بمهام التدريس ودرس عليه تلاميذ كثيرون منهم: أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، وصالح بن أفلح، وأبو عبد الله بن محمد النفوسي، ويحيى بن زكريا، وعبد السلام بن عبد الكريم، وابنه إسحاق بن أبي العباس، وغيرهم كثيرون. وأهتم الشيخ أبو العباس بتأليف الكتب سوف نذكرها في الفصل الثالث في مبحث الإنتاج العلمي. توفي في قرية تصوانت بأريغ، وذلك يوم الخميس من شهر ذي الحجة من عام (504هـ/1111م).

كما نذكر أحد الشيوخ الذين ترجع أصولهم إلى جبل نفوسة، وهو **الشيخ يخلف بن يخلف التيميجاري النفوسي** ق: (6هـ/12م)، المنتسب إلى قرية **تيميجار**[2] ورحل منها إلى **بلاد الجريد**[3] (بتونس)، وهو فقيه، وقاض، ونسّابة. ــ وهو جد المؤرخ المشهور الشيخ: أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ــ تعلم على مشائخ أريغ ووارجلان أمثال: الشيخ أبي سليمان أيوب بن إسماعيل بوارجلان. وكان

---

(1) . الدر جيني، المصدر السابق، ج2، ص445.

(2) . تيميجار: من مدن الجبل القديمة (أولاد أبو جديد حالياً) تقع في صدر الجبل من الجهة الشمال شرقية لوادي أمسين، ومن الغرب يحدها مجري وادي أمسين، ومن الجنوب قرية إمرساون والكرومة، ومن الشمال منطقة أولاد أبو جديد الحديثة، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ علي بن يخلف التيميجاري، وقصرا: المالطي وأولاد أبي جديد . زرتها عام 2004.

(3) . بلاد الجريد: ويشمل مدينة توزر وضواحيها، ونفطة وضواحيها، قنطرار، الحامة، سدادة، تقيوس، وهو تقريباً المفهوم الذي يطلقه البكري على (قسطيلية)، وهو في سهل مستطيل بين شط الجريد (سبخة تاكمرت)، وشط الغرسة. وهو مجموعة من الواحات الجميلة يسميها الاباضية (القصور) أو بلاد قسطيلية، وكانت عاصمتها الاباضية تسمى (قنطرار) أو (قنطرارة)، للمزيد انظر: صالح باجيه، المرجع السابق، ص6.

فقيهاً بارعاً وأشتغل بالقضاء، ويبدو أنه كان مهتماً بالزراعة والفلاحة ويمتلك جنان في نفطة يتقوت منه، وفي نفس الوقت كانت له حلقة علمية يقيمها للطلاب في ذلك الجنان.

ويعد **الشيخ علي بن يخلف بن يخلف التيميجاري** ق: (6هـ/12م) من أعلام الجبل الذين عاشوا خارجه بسبب رحيل العائلة التيميجارية إلى بلاد الجريد التونسي، ويبدو أن استقراره كان **بدرجين**[1]، وسيأتي الحديث عن هذه الشخصية في الفصل الرابع ودوره في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية ببلاد السودان الغربي.

وكذلك من أفراد عائلة التيميجاري الراحلين من جبل نفوسة إلى بلاد الجريد (بتونس)، **الشيخ سليمان بن علي بن يخلف التيميجاري** ق: (6هـ/12م)، وكما هو معلوم أن هذه الأسرة (**التيميجارية**)، بعد رحيلها من الجبل استقرت بكنومة وهي من قري **تقيوس**[2] بوادي أريغ بالمغرب الأوسط، أما الشيخ سليمان فقد حط رحاله بقرية **نفطة**[3]، ومنها انتقل إلى درجين ومنها أخذ في التنقل والترحال لطلب العلم والمعرفة فسافر إلى وارجلان وجلس للتعلم عند الشيخ أبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي، كما ألتقاء بكبار علماء وارجلان وقتئذ، منهم: الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني، وأبي عمار عبد الكافي، وأبي عمرو عثمان السوفي، وتتلمذ عليهم، وكان اهتمامه بتعلم

---

(1) . درجين: مدينة من ضمن مدن بلاد الجريد الواقعة في الجنوب التونسي.

(2). تقيوس: بالفتح ثم بالسكون، وياء مضمومة، وواو ساكنة، وسين مهملة: مدينة بالريفية قرية من توزر، بالقوت الحموي، المصدر السابق، ج2، ص37.

(3). نفطة: تلي بلدة توزر في الأهمية، وكانت تعرف بثغر الصحراء وهي مدينة بالريفية من أعمال الزاب الكبير وأهلها شراة إباضية ووهبية، المصدر نفسه، ص304.

علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية، كما كان شاعراً مفوهاً، وإلى جانب أشعاره التي تركها ترك معها مؤلفات في علم الكلام والفقه. ومن خلال تنقلاته بين بلدان المغربين الأدني والأوسط قام بمهام التدريس وتعلم عنده تلاميذ عديدون.

ومن علماء الجبل الذين رحلوا خارج حدوده **الشيخ أبو جعفر مسعود الزناتي** (ت: 563هـ/1167م) وهو من فساطو، رحل مع أخيه **الحاج محمد** سنة (470هـ/1084م) إلى الجنوب الجزائري (وادي ميزاب) وقام بمهام التدريس والتعليم في كل من: العطف (لمدة سنتين)، ثم أستقر بغرداية وكان يذهب يومياً لقرية مليكة للتدريس. وفي سنة (485هـ/1092م) خلف الشيخ أو عيسى في المشيخة العلمية والاجتماعية والسياسية لبلدة مليكة[1]. ويرجع (بني ويرُّو) في ميزاب إلى الشيخ مسعود الزناتي. وفي الفترة التي غاب فيها الشيخ مسعود تولي أخوه **الحاج محمد الزناتي** تسيير شؤون غرداية فسار بين الناس بالعدل والمساواة، وكان له حلقة يلقي فيها دروسه بالعطف وغرداية.

ومن نفس العائلة التيميجارية الراحلة من جبل نفوسة، **الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني التيميجاري** (ت: 670هـ/1271م)، ينحدر من أسرة نفوسية كانت تقطن بقرية تيمجيار ثم هاجرت إلى الجنوب التونسي، عندما نزح جده الأعلى يخلف بن يخلف التميجاري إلى بلاد الجريد وأقام في نفطة، ثم انتقلت الأسرة زمن والد أحمد، سعيد بن سليمان إلى درجين وفيها نشأ أبو العباس أحمد وإليها ينسب[2] وفيها تلقي علومه أولاً ثم رحل إلى وارجلان سنة (616هـ/1219م)، متتلمذاً على الشيخ أبي سهل يحيى بن،

---

(1) . معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص415.

(2). الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، بيروت: دار الطليعة، 1980، ص93 ــ 94.

إبراهيم بن سليمان، ثم رجع إلى موطنه درجين. ويعد أبو العباس الدرجيني من الفقهاء، وأهتم بالتاريخ والسير وألف كتاب: (**طبقات المشائخ بالمغرب**)[1]، كما كان شاعراً، وله قصائد كثيرة، منها: (**أجوبة، وألغاز**). وقام أحد علماء قرية جيطال وهو الشيخ أبو طاهر إسماعيل الجيطالي بجمعها في كتابه: الفرائض والحساب.

ومن الذين قاموا برحلة علمية **الشيخ أبو عبد الله محمد بن سليمان الإبديلاني النفوسي**، ق: (6هـ/12م)، ويرجع أصله لقرية إبديلان من قرى الرحيبات، ونشأ في أسرة ضيقة الحال، ويبدو أنه تعلم على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي (ت: 440هـ/1049م) الذي شجعه على إتمام علومه في **وارجلان**[2] فتوجه إليها وتعلم على بعض شيوخها منهم: الشيخ محمد بن بكر المذكور، وأبنه أبو العباس أحمد (504هـ/1110م)، ومن زملائه في طلب العلم هناك محمد بن غمرة، ودرس في غيران بني أجاج قرب وارجلان، وأهتم بدراسة الفقه وغيره من العلوم الدينية [3] وفي حين إقامته بوارجلان طلب من أستاذه الشيخ أبي العباس الفرسطائي تأليف كتاب، فلبى طلبه بتأليفه كتاب: أبو مسألة. ويبدو أنه كان ناشطاً ثقافياً حيث كانت له أسئلة فقهية أجاب عنها أحد علماء وارجلان

---

(1) . كتاب طبقات المشائخ بالمغرب: مؤلفه أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، ترجع أصول أسرته إلى قرية تيميجار بجبل نفوسة، ولقب الدرجيني نسبة إلى درجين في بلاد الجريد قرب نفطة، ويعد من أشهر مؤرخي الاباضية وألف كتابه الطبقات هذا بناء على طلب من إباضية المشرق ليتعرفوا على أحوال إباضية المغرب، قام إبراهيم طلاى بتحقيق الكتاب ونشره في جزئين: الأول يعرض فيه الدرجيني: تاريخ الاباضية في المشرق والمغرب، والثاني رتب فيه علماء الاباضية حسب تسلسلهم الزمني في أثني عشر طبقة.

(2) . وارجلان: مدينة تقع في الجنوب الجزائري وكانت تربطها علاقات ثقافية بجبل نفوسة.

(3) . معجم أعلام الاباضية، ص378.

وهو الشيخ أبا يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (500 ــ 570هـ/1106 ــ 1176م).

من خلال ما تقدم تبينت لنا أهمية جبل نفوسة العلمية، وكيف نبغ فيه عددٌ من علمائه ــ وسنتعرف عليهم بشكل أوسع في الفصل الثالث ــ وكما أدركنا دورهم الثقافي والفكري في المناطق المجاورة، وبذلك يمكن أن نقول أن الجبل في العصر الوسيط كان يعد من المراكز الحضارية الإسلامية، ومن هنا صار قبلة علمية يتوجه إليها طلاب العلم من مختلف البقاع.

6. طلاب من خارج جبل نفوسة :

نتيجة لانتشار المساجد والمدارس التي أسهمت في نشر العلـــم في الجبل صار قبلة ومنارة علمية ، فقصده الطلاب من مختلف المناطق المجاورة . كما أشار إلي ذلك أبو العباس الفرسطائي متحدثاً عن أحد الطـــلاب الذين درسوا في مدارس الجبل وهو يوسف بن يعقوب بن تميال الـــذي يقول : " وكنت بجبل نفوسة أقرأ عند وارسفلاس من أهل ويغو "[1].

وهناك بعض طلاب العلم من جعل جبل نفوسة مكاناً علمياً يقـــصده في أوقات يحتاج فيها إلي المزيد من طلب العلم ، وهذا ما يلاحظ مع أبي الخير الزواغي ، ويرجع أصله إلي زواغة[2]. وعندما يكون مع أهله يضع السكين في مكان معين من البيت ، وعندما يلاحظ تراكم الصدأ على السكين يسافر إلي الجبل لحـــضور حلقات العلم ، ويقول : " هكذا قلبي "[3]. فلكي يزيل ما تراكم على قلبه مـــن هموم الدنيا وشواغلها ، فإذا ما فكر في طلب العلم لم يجد أفضل من جبل نفوســـة يسافر إليه ويحقق مطلبه .

---

(1) .أبو العباس الفرسطائي، الألواح، مخطوط، ورقة 75، مكتبة الاستاذ أيوب محمد، إيجناون، بدون تصنيف.

(2) . زواغة : بلدة قديمة تقع غربي مدينة طرابلس بنحو 72 كلم تقريباً، وهي قريبة من البحرالأبيض المتوسط، وسميت باسم قبيلة ليبية، لم يذكرها المؤرخون العرب عند الفتح الإسلامي، ووصفها الرحالة التيجاني بأنها مدينـــة ضخمة وبها نخل كثير، ومدح أهلها، كما أشار إلي وجود آثار قديمة، ينظر : التيجاني ، المصدر السابق ، ص 211 – 212.

(3) . الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة 93 .

ويشير الدرجيني إلي عالم من أبرز علماء جزيرة جربة قائلاً : " كان **أبو مسور**[1] أول من اشتهر من بني يراسن بالعلوم والفضل ، وكان تعلمه بجبل نفوسة ، قرأ على أبي معروف وأبي زكرياء يحيي بن يونس السدراتي رحمهما الله ، وكان حينئذ مقلاً من المال ... فضاعف الاجتهاد ولازم القراءة حتى حصل من العلم ما قدر له ، ولما أراد المسير إلي أهله اشتغل بانتساخ الكتب " [2].

ويفهم من هذا النص أن أبا مسور أو والده فضّل جبل نفوسة لتعليم ابنه دون أي مكان آخر ، وهذا دليل على ازدهار الحياة العلمية في الجبل ، من حيث كثرة العلماء ، وانتشار المساجد والمدارس التي تعتني بالتعليم هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن أبا مسور عقب إكماله التعليم بالجبل وعزمه للرجوع إلي أهله أخذ ينسخ الكتب ، وهذا ما يشير إلي احتواء الجبل على الكثير من الكتب ، وأن هذه الثروة العلمية هي التي ستشكل فيما بعد النواة الأولي للحركة العلمية في جزيرة جربة [3] . وبالفعل عندما استقر أبو مسور في جربة قام بتأسيس جامع

---

(1) . أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني : يرجع إلي قبيلة بنو يهراسن التي كانت تقيم ما بين مطماطة وجبل نفوسة ، أي على الحدود الليبية التونسية حالياً . درس في جبل نفوسة ، وكان طالباً فقيراً معدماً، فأمر شيخه ويدران بن جواد أهالي نفوسة من يتكفل بمؤنته، وبذلك تفرغ لطلب العلم، وكان من المجتهدين ، كما تتلمذ على الشيخ أبي زكرياء يحي بن يونس السدراتي الونزيرفي على ما يبدو في قرية ونزيرف بجبل نفوسة . ينظر : سالم بن يعقوب، تاريخ جزيرة جربة، تونس: دار الجويني للنشر، 1986 ، ص 70 ــ 74 .

(2) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 157 ــ 158 . ويبدو أن لهذا التكوين العلمي لأبو مسور وانتساخه للكتب في بيئة الجبل المزدهرة ثقافياً، سيكون له أكبر الأثر في جزيرة جربة من الناحية الثقافية والعلمية حيث ستكون إقامة أبو مسور ، وتأسيسه مدرسة بحومة الحشان.

(3) . فرحات الجعبيري، ملامح عن الحركة العلمية عند الاباضية بجربة، أعمال الملتقي حول تاريخ جربة، جربة: جمعية صيانة جزيرة جربة، 1982 ، ص 26 .

ومدرسة[1] في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي بفضل هذا الجامع والمدرسة دخلت الجزيرة طوراً مجدداً من أطوار تاريخها[2] .

وهذه إشارة إلي الإشعاع العلمي والثقافي لجبل نفوسة من حيث كونه مركزا من مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد الغرب الإسلامي. وإذا كانت هذه أهمية جبل نفوسة في تلك العصور بالنسبة لجزيرة جربة فما مدي صحة ما يراه أحد الباحثين المعاصرين الذي يقول : " ونحن لا نبالغ إذ نقول إن جربة كانت تمثل بالنسبة للجنوب التونسي ولجبل نفوسة وللجريد ، ما كانت تمثله مدينة القيروان بالنسبة لأفريقية من حيث الإشعاع الثقافي والفكري "[3] .

ومن ضمن الطلبة الذين رحلوا إلي الجبل وأقاموا فيه لمواصلة تعليمهم العالي ، أبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي ، الذي بدأ تعلمه في موطنه عند الشيخ أبي القاسم يزيد بن مخلد ، ولما عزم على مواصلة دراساته العليا، رأى السفر إلي الجبل وهذا يشير إلي أن الجبل بلغ درجة عالية من التعليم ، وأشار إلي ذلك الشماخي قائلاً : " وأراد استكمالَ العلوم والعلو فيها إلي أعلى المراتب ، فاستأذن أمه في الطلوع إلي الجبل ... وظنت رجل يقريه ، وهو يعني نفوسة ، فلما بلغها اشتغل بتحصيل العلوم ... وأقام بالجبل سبع سنين ، وحصل ديواناً عظيماً فكان

---

(1) . مدرسة الجامع الكبير : بعد أن أنهى الشيخ أبو مسور اليهراسني دراسته وتعليمه بجبل نفوسة سافر إلي جزيرة جربة، وأسس هذه المدرسة في حومة الحشان في أواخر القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وأصبحت فيما بعد جامعة علمية قصدها الطلاب من جميع الأنحاء عملت على نشر العلم ونور المعرفة في ربوع الجزيرة، قصدها الشيخ إسماعيل الجيطالي وأقام بها مدرساً إلي أن وافته المنية هناك وقبره بجوارها، زرتها يوم الأحد 2004/2/2، أول أيام عيد الأضحى المبارك، ينظر الصورة رقم (29).

(2) محمد قوجة، الأبعاد الحضارية لجامع أبي مسور في جربة، جربة: جمعية صيانة جزيرة جربة، 1995، ص 78 .

(3) . المرجع نفسه ، ص 78 .

يقرأ فيه ويدرسه "[1] . كما درس الشيخ أبو القاسم البرادي الدمري ، الذي يرجع أصله إلي جبل دمر بالجنوب التونسي ، في مدارس جبل نفوسة ، وتحديداً على يد الشيخ عامر الشماخي[2] . بمدرسة المعانيين بيفرن ، وبعد تخرجه عاد إلي وطنه ، وصار من العلماء الكبار ، وله عدة مؤلفات منها : الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات[3]، وكتاب البحث الصادق، ورسالة الحقائق،وكتاب الاستكشاف عن حقائق أسرار معاني، وكتاب الإنصاف والعدل، وجواب لبعض أهل الخلاف، ورسالة في تقييد كتب أصحابنا، وفتاوي وأجوبة، وشرح الطهارات، ورسالة في كيفية إنفاق أوقاف المساجد وغيرها ، وترأس نظام العزابة في جربة بعد وفاة شيخه يعيش بن موسى الزواغي[4].

هكذا تبيّن مدى ازدهار النشاط التعليمي في مختلف مراكز الجبل التعليمية، بوفود الطلاب من شتى الأقطار، ونهلهم من معين العلم، إلي جانب طلاب الجبل، وبلغ معظمهم أعلى المراتب العلمية ليتصدروا مناصب دينية واجتماعية، بشهادة وإجازة علمائهم ومشائخهم .

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 377 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 560 .

(3) . كتاب الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات لمؤلفه أبي القاسم ابن إبراهيم البرادي الدمري أصله من جبل دمر بتونس، كان حياً في عام 810 هـ / 1407 م، وسبب تأليف كتابه: هو إتمام ما رآه ناقصاً في كتاب طبقات المشائخ ، للشيخ أبو العباس أحمد الدرجيني كما جاء على لسان المؤلف في مقدمة كتابه : " فإني رأيت كتاب الطبقات ضالة عز ناشدوها ومنشدوها ومنهلاً عذباً ... وفيه ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين إلا أنه غفل عن ذكر الصدر الأول وأخل بذكر ما عليه المعول ... فجمعت في ذلك من آثار أصحابنا وغيرهم كتاباً سميته بالجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتاب الطبقات " ، ينظر الجواهر المنتقاة ، لأبي القاسم البرادي ، طبعة حجرية ، ص 3 ــ 4 .

(4) . محمد قوجة ، المرجع السابق ، ص 87 .

7. الإجازات العلمية :

إن نظام الإجازة العلمية المعروف في التعليم بمختلف مناطق وبلدان العالم الإسلامي ، وهو أن الأستاذ أو الشيخ يجيز لأحد الطلبة بصلاحية التعليم للآخرين ، وذلك بعد ما يثبت الطالب أهليته التامة لأي فرع من فروع العلم ، فهل كان هذا النظام معمول به في جبل نفوسة ؟ .

إن المصادر التاريخية (**السير والطبقات**) التي تناولت سير العلماء وتراجمهم ، لم تهتم كثيراً بمسألة الإجازات العلمية و لم تتحدث عنها بصراحة ! وبذلك فإن الباحث يجد صعوبة في إثبات ذلك الأمر ، إلا من خلال التلمس في بطون الكتب لاستنباط الأفكار من الروايات التاريخية ، يورد بعض المؤرخين رواية مفادها : أن أبا ذر أبان بن وسيم بعدما أنهى تعليمه عند شيخه أبي خليل الدركلي الذي أجاز له الفتوى، وقال له: يا أبان أفت للناس، وأنت نذير زمانك يا أبان[1]، فهذا الأمر يتضمن الإجازة بالفتوي وهي أعلى مراتب التمكن من العلم،غير أن المصادر لم تذكر تفاصيل هذه الإجازة، ما إذا كانت مكتوبة أم لا؟ أو ما هو العلم المجاز فيه؟ والمرجح أن العلم هو علم الفقه لأنه العلم الذي كثيراً ما تقع فيه الفتوى. وهذا ما لوحظ في المصادر أن أبان أغلب فتاويه فقهية.

كما أن البغطوري يورد رواية مفادها أن عمروس بن فتح المساكني سافر إلي المشرق للحج، وحضر مجلس علم للشيخ محمد بن محبوب[2]، وقام عمروس

---

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 6 ؛ الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 301 ــ 304 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 215 .

(2) . هو أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل بن هبيرة القرشي وهو من علماء الاباضية بالمشرق العربي، كان يقيم بمكة المكرمة ، ثم انتقل إلي عمان ، له إسهام كبير في نشر العلوم ، ينسب إليه كتاب : سيرة محمد بن محبوب إلي أهل المغرب ، ومختصر ابن محبوب، وكتاب في الفقه في سبعين جزءاً ، توفي بعمان في صحار عام(260 هـ/ 873 م) ينظر : البرادي ، المصدر السابق، ص 218 .

بسؤال ابن محبوب، وعندما عرفه الأخير قال له:" أنت أولي بهذا الموضع فنزل لـه عن المنبر فرجع هو عليه، وقعد ابن محبوب قدامه، فجعل عمروس يفتي للناس"[1]. وعلى الرغم من وقوع هذه الحادثة خارج الجبل، إلا أن المجاز له بالفتوى والتدريس من علماء الجبل ، وكذلك فإن الرواية لم تتحدث عن الإجـازة صـراحة إلا أن معناها يدل على ذلك. كما أن زورغ الأرجانية إحدى عالمات الجبل ، التي قالوا فيها : " الشطر لها كثير ، والثلث قليل "[2]. هذه الشهادة لزورغ مـن علمـاء عصرها هي بمثابة إجازة علمية ، إلا أنها لا تفصح كثيراً عن التفاصيل ، فمـادام يشهد لها العلماء بالثلث ، والمقصود به ثلث العلم كما أشار لذلك المـؤرخ أبـو الربيع الوسياني : " قالوا معها [زورغ] ثلث علم الجبل "[3] . يتضح أنها كانت تتقن الكثير من فروع العلم .

وكان منصب الإفتاء لا يتصدره إلا من بلغ درجة عالية في العلم بشهادة كبار العلماء ، وقد أجاز أحد العلماء وهو أبو زكرياء ابن أبي عبـد الله[4]، لأبي هارون التملوشايتي بالإفتاء[5] . ذلك المنصب الخطير ، والإجازة للإفتاء هي ضمناً تسبقها إجازة علمية استحقها أبو هارون لعلو علومه وقوة حجته .

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق، ورقة 131، الوسياني، المصدر السابق، ورقة 3 ــ 4 .

(2) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 137 .

(3) . المصدر نفسه ، ورقة 168 .

(4) . أبو زكرياء بن أبي عبد الله بن أبي عمرو بن أبي منصور إلياس التندميتي (300 ــ 350 هـ / 912 ــ 961 م) حكم الجبل بعد سقوط الدولة الرستمية حوالي ستين عاماً، وكان قاضياً في نفس الوقت ، وهو سليل بيت اشتهر بالعلم والحكم، وقبره بمدينة جادو بقرية تمزدا، زرت هذا القبر عام 2005، ينظر: معجم أعلام الاباضية ، مرجع سابق ، ص 156 .

(5) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 301 .

كما يلاحظ عبارة كثيراً ما تتكرر في المصادر الإباضية عندما تترجم لأحد الشخصيات العلمية وهي : (**وجازت عليه نسبة الدين**)[1] وكلمة (جازت) أي هناك من أجازه ليقوم بمهام التدريس والإفتاء ، ومن أمثلة ذلك ما ذكره أبو العباس الشماخي : " ومنهم أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي ... وهو ابن سبع وعشرين سنة وقد جازت عليه نسبة الدين "[2] .

والملاحظ أن إجازة العلماء لطلابهم ، وإجازة هؤلاء الطلاب لتلاميذهم فيما بعد عندما يصيرون أساتذة ، الأمر الذي ترتب عليه وجود سلسلة إسناد علمية طويلة فيما بين الأجيال ، ذكرها الشيخ عبد الله الباروني وهي تبدأ مع : " الشيخ عامر الشماخي عن الشيخ أبي موسى عيسي بن عيسي الطرميسي عن الشيخ يحيي ابن وجدليش، عن أبي يحيي زكرياء بن إبراهيم الباروني، عن أبي يوسف وجدليش الأمليلي، عن أبي الربيع سليمان بن هارون، عن أبي زكرياء يحيي بن سفيان اللالوتي عن أبي محمد بن خصيب ابن إبراهيم، عن أبي يحيي الفرسطائي، عن أبي هارون بن يونس الجلالمي، عن أبي القاسم البغطوري، عن أبان بن وسيم، عن أبي خليل الدركلي، عن أبي المنيب محمد بن يانس "[3] . ونلاحظ أن هذه السلسلة تبدأ من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي وتنتهي في القرن **الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي**[4]. واتصل سند تعليم العلماء السابقين بتلاميذهم اللاحقين

---

(1) . نسبة الدين عند علماء إباضية جبل نفوسة تعد نوعاً خاصاً من الإجازة العلمية التي يمنحها العلماء والمشائخ لأبرز طلابهم ، وكذلك هؤلاء الطلاب يمنحوها لتلاميذهم فيما بعد عندما يصيرون شيوخاً، وبذلك تكونت سلسلة نسب الدين جيلا بعد جيل. وهي بمعنى أخر: السند العلمي، ينظر : عبد الله الباروني، سلم العامة والمبتدئين إلي معرفة أئمة الدين، مصر : مطبعة النجاح، 1290 هـ ، ص 31 ــ 41 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 299 .

(3) . عبد الله الباروني، المصدر السابق، ص 38

(4) . وهي الفترة الزمنية التي تناولتها هذه الدراسة .

جيلاً بعد جيل و لم تنقطع عبر تاريخ المنطقة التي كثيراً ما كانت تمـــر بالأحـــداث الصعبة مثل الكوارث الطبيعية متمثلة في (**الجفـــاف والقحـــط**) ، أو الحـــروب والمنازعات البشرية مثل (**معركة مانو**)، وغارات الفاطميين، وقبائـــل صـــنهاجة وزناتة، ثم غارات المغامرين أمثال : قراقوش، ويحيي بن غانية الميورقي وغيرهـــا ، وهذا ما سنلاحظه من خلال ظهور العلماء في جبل نفوسة والعلوم والفنون الـــتي أهتموا بها دراسة، وتدريساً، وتأليفاً.

الفصل الثالث

(جهود علماء جبل نفوسة ودورهم في إثراء الحياة العلمية)

1. العلـــوم والفنـــون
   (وأبرز العلمـــــاء).
2. الوظائف العامة للعلماء.
3. الإنتـــاج العلـــمي.

1. العلوم والفنون وأبرز العلماء:

من ثمار الحركة العلمية والثقافية في منطقة جبل نفوسة اهتمام علمـــاء/ فقهاء الجبل بدراسة بعض العلوم والفنون والبحث فيها واستخلاص الفوائد منـــها للصالح العام ، وتنقسم العلوم في الحضارة الإسلامية خلال العصور الوســـطى إلي نوعين: وهي علوم نقلية، وأخرى علوم عقلية، كما أشار إلي ذلك ابن خلـــدون قائلاً: " اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمـــصار تحـــصيلاً وتعليماً هي على صنفين، صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه "[1]. وهذا الأمر ينسحب على العلوم التي اعتني بها علمـــاء الجبـــل ، شأنهم في ذلك شأن علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ولكن التساؤلات المطروحة هي : كيف نشأت العلوم في الجبل ، ومـــا هـــي تطوراتهـــا ؟ وإلي أي مستوى وصل علماء الجبل بتلك العلوم ؟ وهل كان لهم إبداع / ريادة في علـــوم معينة ؟. ومن هم أبرز العلماء والفقهاء الذين ظهروا في جبل نفوسة؟ وهل كـــان للمرأة دور ونشاط علمي أثرى الحركة الفكرية؟

تنشأ العلوم وتكثر كما يشير ابن خلدون في الأمصار على نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة ، ويذهب إلي أبعد من ذلك قائلاً : ان المجتمعـــات تهـــتم بالعلوم بعدما تنهي مسألة توفير المعاش[2]. فهل هذا ما حدث في جبل نفوسة؟ من ناحية نشوء العلوم في الأمصار والمدن، أعتقد أن هذا الأمر ينطبق علـــى الجبـــل لاحتوائه العديد من القرى والمدن وكان الجبل في تلك الفترة من القرون الوسطي تقطنه أعداد كبيرة من البشر: " أن نفوسة ... يعدون خيلهم بتسعة وتسعين ألف

---

(1) . ابن خلدون، المقدمة، ص 403.

(2) . المصدر نفسه، ص 402.

فارس، وأما الرجال فمما لم يحصر عدده "[1]. ويبدو أن ذلك هو عين ما حصل خاصة بعدما أنضوت المنطقة تحت الحضارة الإسلامية، ويمكن أن تعد الفترة ق: (2هـ / ق 8م) مرحلة تأسيسية في ترسيخ الحركة العلمية والتعليمية، التي أخذت تنتشر وتتوسع مع مرور الزمن لتنجب الطلاب والعلماء. كما ينبغي الإشارة إلي أنّ من العلماء من عاش بين قرنين: ولد في أواخر قرن، وعاش فترة من القرن الذي تلاه.

وبحلول ق: (3هـ/9م) الذي شهد قفزة علمية وثقافية كبيرة ليس على مستوى منطقة الجبل فحسب وإنما هو تطور حضاري في أغلب العالم الإسلامي وهي نتيجة حتمية للفترة السابقة خلال التأسيس العلمي في الجبل، فيلاحظ بروز أسماء عدة لعلماء وعالمات في مختلف قرى ومدن الجبل اشتغلوا بأنواع مختلفة من العلوم والفنون. وهذا يفهم من خلال المصادر التاريخية المتاحة، وبدون شك فإن هناك أسماء أخرى لم نتمكن من التعرف عليها بسبب ضياع الأصول التاريخية من مخطوطات ومؤلفات مختلفة لم تصل إلينا نتيجة الأزمات والقلاقل التي مر بها الجبل عبر التاريخ، وكذلك بسبب الفارق الزمني الذي يفصلنا عن تلك الأزمان المبكرة .

إذن شهدت المنطقة العربية والإسلامية عموماً تطوراً ملحوظاً في الحركة العلمية، والثقافية وأسباب ذلك راجعة لعدة عوامل أهمها:

(1) كفالة حرية التفكير لأهل العلم، فالعالم المسلم حر في تفكيره، لا يضيره أحد بسبب تأييده أو معارضته لفكرة معينة، وليس كما حصل في أوربا مثلاً ـــ في فترات متأخرة زمنياً عن فترة الدراسة ـــ عندما حوكم (جاليلو جاليله) عام

---

(1) . عبد الله الباروني ، المرجع السابق ، ص 18 .

(1610م) بسبب قوله بدوران الأرض، هذه النظرية التي كانت موضع أخـــذ ورد بين علماء المسلمين في العصور الوسطي، ويتناقشون فيها بكل حرية.

(2) رخاء دول العالم الإسلامي، بحيث إنّ العلم يحتاج في ازدهاره إلي النـــشاط الاقتصادي، لتهيئة الجو المناسب للدراسة وطلب العلم.

(3) تقدير الدولة للعلم وأهله، فكثير من الخلفاء والحكام اهتموا بالعلم والعلماء وشجعوهم على ذلك، بل إن بعض الحكام المسلمين من كان هو نفسه عالماً[1].

وتبين المصادر التاريخية العلوم التي درسها علماء الجبل واهتموا بهـــا، وهي نفس العلوم التي لاقت عناية العلماء في مختلف البلدان الإسلامية، وهي:

أ. العلوم النقلية : -

1. علم الفقه :

أطلقت كلمة الفقه زمن الرسول ﷺ والصحابة الكرام على العلم بشكل عام، وتبعاً لذلك فكل من يتدرج في مراتب العلوم ويعيها يسمى فقيهاً، ونستدل بهذا ما جاء في الحديث الشريف: " **نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له**"[2]، وقال أيضاً الرسول ﷺ " **إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين**"[3] ويضع المؤرخ ابن خلدون تعريفاً للفقه فيقول: "هو معرفة أحكام الله تعالي في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة، وهي مُتلقاة من الكتاب والسنة، وما نصّبه الشارع لمعرفتها من الأدلة،

---

(1) توفيق الطويل، العرب والعلم، القاهرة: دار النهضة العربية، 1968، ص 66 ــ 69.

(2) . حديث شريف.

(3) . حديث شريف.

فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه "[1]. على أن التفاوت في فهم النصوص الشرعية يؤدي إلي التعدد في الآراء الفقهية، واهتم علماء الجبل بعلم الفقه اهتماماً كبيراً، كغيرهم من علماء المسلمين شرقاً وغرباً، إلي درجة أن بعض الدراسات المعاصرة ترى أن الحضارة الإسلامية يمكن أن نطلق عليها حضارة الفقه وهو إحدي منتجاتها المتعددة[2]. وهذا ما لوحظ بالفعل في الإنتاج العلمي بالجبل سواء من حيث الدراسة والبحث، أو على صعيد التأليف، فإن علم الفقه يحتل الصدارة بين العلوم الأخري، إلي درجة أن العلماء في مختلف تخصصاتهم لابد وأن يكون لأي واحد منهم نصيب وافر في ميدان الفقه.

كما ويعد علماء الجبل من الرواد ببلاد المغرب في الاهتمام بعلم الفقه[3]، حيث رحلوا إلي بلاد المشرق العربي للدراسة على الفقهاء والعلماء المشارقة، ونشروه في بلادهم، وبلاد المغرب عموماً بعد عودتهم، ومن الأمثلة على ذلك: **رحلة ابن مغطير الجناوني (التي ذكرناها سابقاً في الرحلات العلمية)**.

وكذلك من الفقهاء الأوائل الذين كان لهم الأثر البالغ في ترسيخ علم الفقه خاصة وغيره من العلوم الدينية بمنطقة جبل نفوسة، **حملة العلم الخمسة** الذين خرجوا في رحلة علمية جماعية إلى مدينة البصرة فدرسوا الفقه وغيره من العلوم الدينية على الشيخ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة.

---

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 412 .

(2). محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط6، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1994، ص96.

(3) . أود الإشارة إلى أن الفقه الذي انتشر في جبل نفوسة، هو الفقه الإباضى خلال ق: (2هـ/8م)، كما انتشر في مناطق أخرى من بلاد الغرب الإسلامي، (تونس، والجزائر اليوم)،وقام تجار وعلماء من الجبل بنشره فيما وراء الصحراء الكبر ي (تشاد، والنيجر، ومالي، اليوم)، ومازال إلى يومنا إباضية بجبل نفوسة.

ومن فقهاء الجبل خلال ق: (2هـ/8م)، الشيخ أبوخليل صال الدركلي

الذي ينتسب إلي قرية دركل، والشماخي ينسبه إلي أهل مرجس[أ] [1] ، ويعد أبو خليل من علماء الجبل الذين جرت عليهم نسبة الدين ، وكانت أقواله وفتواه تملأ الكتب الفقهية والدينية ، ومن أهم أقواله في تحريض الطلبة على طلب العلم أينما كان وحيثما وجد : " كان يقول للتلاميذ سيروا إلي الحلقة واقصدوها حيثما كانت يا كسالي ، فإن رجلاً قد سار من الجبل[2] إلي فزان[3] وإلي غدامس[4]

أ . أهل مرجس : ينتسبون إلي قرية مرقس، وهي حالياً إحدى قرى مدينة الحرابة ، وتقع فوق تلة تشرف على فروع وادي بقالة، ويحدها من الشرق دخلة زوبة، ومن الغرب شعبة أم رقيبة، ومن الشمال فرع وادي بقالة (السدود)، ومن الجنوب شعبة مادي، ومازالت آثارها باقية، زرتها عام 2004.

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، 213 .

(2) . الجبل : يقصد جبل نفوسة .

(3) . فزان :هي عبارة عن منطقة كبيرة ومأهولة بالسكان وأهلها أغنياء وبها عدة واحات، تقع جنوبي مدينة طرابلس بنحو 1000 كلم تقريباً، وأرضها خصبة ومياهها الجوفية كثيرة وقريبة، تشتهر بغراسة النخيل، أحتلها القرطاجيون سنة 795 ق.م، ثم الرومان سنة 19 ق.م، كانت عاصمتها جرمة قبل الفتح الإسلامي، فتحها المسلمون بقيادة عقبة بن نافع سنة 49 هـ ، تعد فزان من المراكز التجارية الهامة بين بلاد السودان وساحل البحر المتوسط؛ وكانت فزان في العصور الوسطي ترتبط بعلاقات تجارية وثقافية مع جبل نفوسة، ينظر : الحسن الوزان ، وصف إفريقيا، ترجمة : محمد حجي و محمد الأخضر ، ج 2 ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1983 ، ص 146 ــ 147 ؛ الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 208 .

(4) . غدامس : من الواحات الليبية التي تقع على الحافة الغربية للحمادة الحمراء، تبعد عن طرابلس حوالي 500 كلم، تتميز بموقع جغرافي استراتيجي، بحيث شكلت نقطة تواصل واتصال بين مراكز الشمال الافريقي وحواضر أفريقيا فيما وراء الصحراء، ومنها انطلقت القوافل التجارية ونشرت معها الثقافة العربية الإسلامية صوب المدن الافريقية، فمدينة غدامس أنجبت العديد من العلماء الذين كان لهم إسهام كبير في النهضة العلمية والحركة الفكرية بإنشاء المساجد والمدارس، وتأليف الكتب، ونشر العلوم، وكانت غدامس ترتبط بعلاقات تجارية وثقافية مع جبل نفوسة، الذي تبعد عنه بسبعة مراحل جنوباً ؛ ينظر : الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ص 146 ؛ إصلاح محمد البخاري، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء (تنبكت ــ غدامس نموذجاً) الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 2004 ، ص 16 ــ 19. زرت هذه المدينة وواحتها البهيجة أكثر من مرة عام 2005م.

وإلي الساحل رغبة في الحلقة وفيما يستفيده "[1]. تلاميذه: ودرس على يدي الشيخ أبي خليل العديد من التلاميذ، منهم على سبيل المثال: أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي ، وأبو معروف ويدران بن جواد ، فكفاه أن خرّج مثل هذين العلمين اللذين كان لهما الدور الكبير في مسيرة الحركة العلمية والثقافية في المنطقة . ومن علماء الجبل الذين اهتموا بالفقه **الشيخ أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي:** وقد عده الدرجيني في الطبقة الخامسة[2]. يشير الشماخي أن أبان بدأ متأخراً في طلب العلم، ويبدو أن إستفزاز الناس له هو ما حثه على التعلم[3]، والجلوس إلى الشيخ أبي خليل صال الدركلي، بقرية دركل ، وكان من أبرز تلاميذه لمواظبته على الدرس واجتهاده في طلب العلم حتى قال له شيخه أبو خليل : " لكل زمان نذير وأنت نذير زمانك "[4] كما أجاز له أن يفتي الناس وأوصاه بأن يرخص لهم ليكون ذلك عذراً لهم[5]. وهذا يفيد الغاية العلمية التي بلغها أبان بن وسيم نتيجة للأرضية الثقافية والعلمية السائدة بالجبل. وكان أبان يتصف بالفهم وسرعة البديهة، جاءه رجل من شروس يريد أن يختبره في مسألة فقهية، وقال له: إن أفتيتها فأنت أبان وإن لم تفتها فأنت أباش فسأله عن من حلف لزوجته بالطلاق إذا تزوجت ابنته لرجل يحبه أو لرجل يكرهه، فرد الشيخ أبان ببساطة: يزوجها لرجل لا يعرفه

---

(1) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301 .

(2) . المصدر نفسه، ص 301 .

(3) . الشماخي، المصدر السابق، ص215 ــ 216.

(4) .الوسياني، المصدر السابق ، ورقة 6 ؛ البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 96 .

(5) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 301 ــ 304 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص216 ؛ سليمان الباروني ، المرجع السابق ، ص 220 ؛ علي يحيي معمر ، المرجع السابق ، ص 113 ــ 114 .

البته[1]. ونتيجة لباعه الطويل في العلم والثقافة قام هو الآخر بمهام التعليم والتدريس، وكانت تساعده في ذلك زوجته: بملولة التي قال فيها الشماخي: " ممن وافقه وطابقه علماً وعملاً وحسن عشرة"[2] وتخرج من مدرسته طلاب عديدون، منهم أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري، وأبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرني ، وأبو معروف ويدران بن جواد،وزورغ الأرجانية،وتكسليت أم يحي[3]. هذا بخلاف الطلبة الذين لم تذكرهم المصادر ، وهذا ما أُلمح إليه آنفاً من أن العلماء يأخذ بعضهم عن بعض ، ومن ثم ينشرون بدورهم العلم والثقافة في ربوع المنطقة ، وخاصة في المناطق التي يندر بها التواجد العلمي، وهذا يدل دلالة واضحة على الترابط الديني والثقافي في جبل نفوسة عبر الأجيال .

ومن شيوخ الفقه بالجبل **الشيخ سدرات بن إبراهيم المساكني النفوسي:** ق: (هـ/ م) يرجع أصله إلي قرية إمساكن، لم تشير المصادر إلي مكان دراسته ولا عن شيوخه الذين تعلم عليهم، إلا أن الشماخي قال عنه: " كان شيخاً عالماً "[4] ، ويبدو أنه كان يترأس حلقة علم تتم فيها إثارة المشكلات والتساؤلات العلمية والفقهية وتحضر النساء هذه المجالس ومن بينهن أخت عمروس.

ومن فقهاء الجبل البارزين الذين تركوا بصمات واضحة وجلية في هذا المجال، **الشيخ أبو حفص عمروس بن فتح المساكني**، وهو من قرية أموساكن[5]

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة؟

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص218.

(3) . محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 7 .

(4) . المصدر نفسه ، ص 230 .

(5) .إمساكن: (قطرس حالياً)، قرية من قري الجبل القديمة، تقع وسط غابات من الزيتون، يحدها من الشرق مدينة إبديلان، ومن الغرب وادي تالة، ومن الشمال غابة زيتون، وكذلك من الجنوب حتى منطقة الظاهر، سكن أهلها قديماً الغيران في مراحلها الأولي، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ عمروس بن فتح المساكني، زرتها عام 2005.

وتذكر المصادر التاريخية بأنه: ولد في طريق الحج، وهناك العديد من صبيان الجبل ولدوا في طريق الحج، ويذكر أنه ولد في ركب واحد ثلاثمائة صبي ذكر ناهيك عن الإناث إلا أن المصادر لم تذكر تاريخ ميلاده .

شيوخه : وتلقي العلم على مشايخ الجبل، كما تشير المصادر التاريخية إلي أن عمروس بن فتح مكث بالمغرب عشرين عاماً يطلب العلم[1]، إلا أن الشماخي لا يحدد المكان بالضبط ويورده (المغرب)!، كما تولي القضاء في ولاية أبي المنصور إلياس (**كان حيا في الأعوام :** 261 ــ 281هـ / 874 ــ 894م) في أواخر الدولة الرستمية. واهتمت كتب الطبقات والسير بشخصية عمروس بن فتح وتحدثت عنها مطولاً لما تتمتع به من شهرة علمية ودور ثقافي هام في المنطقة. ويتضح أن علماء الجبل كانت لهم حظوة ومكانة علمية في نفوس العلماء المشارقة، نفهم ذلك من خلال اللقاء العلمي الوثيق بين الشيخ ابن فتح والعلامة أبي عبد الله محمد بن محبوب رحمه الله وذلك بمكة المكرمة في أحدى مواسم الحج، وكان اللقاء في مجلس من مجالس العلم التي يقيمها ابن محبوب، وتقدم عمروس طارحاً سؤاله، فأعجب الشيخ ابن محبوب الذي أدناه منه وقربه إليه وسمح له بالتدريس في مكانه، فسرد مجموعة مسائل فقهية كانت على درجة عالية من النضوج العلمي، حتى قال له ابن محبوب: " هذا من مكنون العلم لا يسأل في قوم جهال "[2].

جهوده الفقهية: اهتم الشيخ عمروس بالنشاط الفقهي، دراسةً و تأليفاً، فقد أشارت المصادر لعزم ابن فتح إلي تأليف كتاب في الفقه، فوضع له تصميماً، وجعل له منهجاً لم يسبقه إليه أحد، على أساس أن يبين فيه الأحكام الدينية وفق مصادرها

---

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 130؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 229 .

(2) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 3 ــ 4 .

التشريعية الثلاثة: (الكتاب، السنة، الرأي) إلا أن الموت كان أسبق من عزم ابن فتح المساكني[1]، فلم يتم إنجاز ذلك المشروع العلمي غير أن النتيجة التي نخلص لها هي قدرة عمروس على العطاء والإبداع الفكري الذي تتأسس عليه النظريات والأفكار. ومن جهوده الفقهية التي بقيت أثارها إلى يومنا هذا نسخه لكتاب فقهي يعرف باسم: (**مدونة أبو غانم الخراساني**)[2] وكان حينها مازال شاباً حدثاً، عندما استودعه أبو غانم بشر الخراساني رحمه الله نسخة من مدونته لما اجتاز الجبل في طريقه إلي مدينة تيهرت، وكانت أخته تساعده في الإملاء حتى تم نسخها جميعاً، وهي تقع في اثني عشر جزءاً [3]. ويرجع إلي عمروس الفضل لنسخه مدونة الخراساني لأنها بقيت النسخة الوحيدة بعد إحراق النسخة الأخرى في مكتبة تيهرت، أثناء السيطرة الشيعية، وإسقاط الدولة الرستمية سنة: (296هـ/ 909م). وفاته: توفي العلامة عمروس بن فتح سنة (283هـ / 896م)، بعدما أخذ أسيراً في معركة مانو.

لم يكن أمر العلم والتفقه في الدين مقتصراً على رجال جبل نفوسة فقط دون نسائها، وهذه حسنة أخرى تسجل للرجال لمنحهم المرأة حقها في طلب العلم، وبهذه البيئة العلمية المزدهرة برزت مجموعة من النسوة أسهمن بدور هام ومثمر في الحياة العلمية والفكرية بالجبل، فهذه **أخت عمروس بن فتح المساكني**: (كانت حية عام: 283 هـ / 896 م) وللأسف لم تذكر لنا المصادر التاريخية

---

(1) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 35.

(2) مدونة أبي غانم الخراساني: كتاب في الفقه، دونه بشر بن غانم الخراساني عن تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وفيه أقوالهم ورواياتهم واختلافاتهم في بعض المسائل. ينظر: البرادي، رسالة في كتب الاباضية، ص 57.

(3) الوسياني، المصدر السابق، ورقة 2؛ الدرجيني المصدر السابق، ص 323؛ الشماخي، المصدر السابق،ص 228.

اسمها، ولا سنة ميلادها، والمعلومات التي جاءت بشأنها بسيطة جداً، ويبدو أنها استفادت كثيراً من أخيها العالم الشيخ عمروس، فكثيرا ما ساعدته في نسخ الكتب ولاشك أن تتناقش معه في المسائل العلمية والنوازل الفقهية. أشار إليها أبو زكريا بن يحيي الوارجلاني في كتابه قائلاً: " كانت عالمة فقيهة "[1]. ومن هذا النص يتضح لنا أنها كانت تشتغل بالفقه وتمتم به إلى درجة أنها صارت عالمة فيه.

شيوخها: درست على يد أخيها الشيخ عمروس بن فتح، كما درست على الشيخ أبي حمزة سدرات بن إبراهيم، وكانت تشارك الرجال في مجالسهم العلمية والفقهية، وليس هذا فحسب بل تناقشهم وتجادلهم، كما أشارت إلي ذلك بعض المصادر التاريخية حيث ذكرت: أن أحد العلماء وهو أبو حمزة سدرات بن إبراهيم كان في مجلس علم وأثار الحاضرون مسألة فرد الشيخ سدرات بالإيجاب على تلك المسئلة، فقال أحد الحضور لقد نعس الشيخ، فردت عليه أخت عمروس: إن نعس فلم ينعس كلامه[2]. والذي يستنتج من هذا النص هو مشاركة وتواجد امرأة إلي جانب الرجال في مجالس العلم ولها رأيها الذي تدافع عنه .

ومن فقهاء الجبل، **الشيخ أبو ذر صدوق الفرسطائي** ق: (2هـ/8م)، ينتسب إلى قرية فرسطا، وتتلمذ على يد الشيخ أبي مرداس مهاصر، وكانت له جهود طيبة في نشر العلم بالجبل، كما يعد ضمن سلسلة نسب الدين، وقام بمهام التدريس كأغلب علماء الجبل، ومن تلاميذه: العالم أبو يونس أبدين الفرسطائي.

ومن فقهاء الجبل المشهورين، وخاصة بعد **معركة مانو** (283هـ/896م)، التي قتل فيها عدداً كبيراً من أهالي الجبل، ومن العلماء

---

(1) . الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 38.

(2) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 130 ــ 131.

والفقهاء قدروا بحوالي: أربعمائة عالم، مما أثر على مسار الحركة الفكرية والعلمية. ولولا وجود هذين العلمين لسارت الأمور في اتجاه آخر كما يشير لذلك أحد المؤرخين قائلاً: " ولم يبق من علمايهم وفقهايهم إلا أبو القاسم البغطوري وعبد الله بن الخير، وهما اللذان يفتيان لأهل الجبل نوازلهم من تلك الوقعة، ولولاهما لعطلت إلي يوم القيامة "[1].

ولد الشيخ أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري عام (163هـ / 776م) وينسب إلي بغطورة[2] وليس كما جاء في معجم أعلام الإباضية أنه: من أهل ميري ومولده عام (163هـ / 776م)[3]. لإشارة بعض المصادر أن عمره بعد معركة مانو في عام (283 هـ) 120 سنة[4]، فعملية طرح 120 من 283 = 163 وهي سنة ولادته تقريباً . ونسبته لقرية بغطورة تتضح من خلال اللقب .

شيوخه: وتعلم عند الشيخ أبان بن وسيم الويغوي، وتخرج من مدرسته بويغو حيث كان يقطع كل ليلة المسافة ما بين بغطورة وويغو من أجل طلب العلم والتعلم[5]. وهو يعد من العلماء الذين بقوا بعد معركة مانو، إذ لم يشارك فيها

---

(1) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 38.

(2) . بغطورة : قرية من قري الجبل، يذكرها الشماخي أحياناً بقطورة (بالقاف)، ومن بقايا الآثار (غيران وبقايا المباني المتساقطة)، تبدو أنها كانت كبيرة إلي حد ما وتقع بغطورة على مجموعة هضاب تفصل ما بينها الشعاب، ويحدها من الشرق قرية تمكرت، ومن الغرب والشمال تحيط بها غابات الزيتون، ومن الجنوب وادي بغطورة الذي يتجه جنوباً ثم يلتف شمالاً ويلتقي مع وادي أبو الرصف، ومن المعالم التاريخية : قصر القرية الذي يقع فوق ربوة عالية ويشرف على القرية من الجهة الغربية، كما يوجد بها مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري المعروف حالياً (أبو قفة)، يقع في وسط القرية مازالت أساسات المسجد قائمة، ويبدو أنه كان كبيراً حيث قدر طوله 14 مترا وعرضه 17 مترا، وهناك بيت أول وآثار المحراب غير واضحة تماماً، زرتها عام 2004، ينظر الصورة رقم (30).

(3) معجم أعلام الاباضية ، المرجع السابق ، ص 169 .

(4) الشماخي ، المصدر السابق ، 235 .

(5) الشماخي ، المصدر السابق ، ص 235 .

أصلاً لكبر سنه فقد بلغ عمره وقتذاك مائة وعشرون سنة، ووقع عليه عبء كبير ومسئولية علمية وفقهية فقيل: " قعد يفتي بعد وقعة مانو ثلاثة أيام بلياليها، وقيل يوم وليلة وهو يقول الكبر عيب وهو يومئذ له من العمر مائة وعشرون سنة"[1].

تلاميذه: استمر الشيخ أبو القاسم في التدريس، والنهوض بالمسيرة التعليمية من جديد، فتخرج على يديه عدد من العلماء أعادوا النشاط الثقافي و العلمي لسابق عهده، منهم على سبيل المثال: أبو هارون موسى بن يونس الجلالي.

والعالم الفقيه الأخر الذي بقي بعد معركة مانو وواصل مسيرة العطاء الفقهي، هو **أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي:** ينتسب إلي قرية ونزيرف[2]، لم تشر المصادر إلي سنة ولادته.

شيوخه: درس في مدرسة أبي ذر أبان بن وسيم الويغوي، الذي كان من أبرز شيوخه، وبرع في تلك المدرسة، حتى صار من علماء الجبل الكبار، وكانت تضرب به الأمثال فقيل فيه:" من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبدالله بن الخير"[3]، ونفهم من هذا النص والمثل أن ابن الخير بلغ درجة عالية من النضوج العلمي والثقافي حتى صار يشبّه بالموسوعة العلمية المتحركة.

ويشير أحد الباحثين المعاصرين إلي أن الشيخ أبا محمد عبد الله بن الخير والشيخ أبا القاسم البغطوري قد سبقا الشيخ أبا عبد الله محمد ابن بكر الفرسطائي

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2)) .ونزيرف : إحدي قري الجبل، تقع بين واديين وادي أوجنت من جهة الشرق، ووادي أبو غنداس من الغرب، ومن الشمال نهاية وادي قويام الذي ينحدر من وادي أمسين ومن الجنوب منطقة الظاهر، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ أبو محمد عبد الله الونزيرفي، ومسجد الشيخ أبو زكريا يحي السدراتي، ومدرسة تعليمية قديمة لم نعثر عن معلومات تفيد: من بناها أو من درس بها من المشائخ، وبالإضافة إلي قصر القرية الذي يقع على ربوة مرتفعة يفصله خندق للحماية، زرتها عام 2005، ينظر الصورة رقم (31) .

(3) الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 316.

في وضع الجانب الاجتماعي والديني في نظام العزابة[1]، وعلى الرغم من المكانة العلمية والاجتماعية التي بلغها الشيخ عبد الله إلا أنه كان دائم الاستعداد من أجل زيادة معارفه فهو:" علق زاده لنية السير إلي تعلم العلم وهو الحاكم والقاضي بين الناس"[2]. **تلاميذه:** كان للشيخ أبي محمد حلقة علمية ومجلس للذكر، وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم نذكر منهم على سبيل المثال: غزالة الأمة السودانية، يوجد بقرية ونزيرف مسجد مازال يحمل اسمه[3]، مات وعمره مائة وعشرون عاماً.

كما كان للمرأة في جبل نفوسة إسهام علمي واضح لا سيما في الفقه إلى درجة أن أطلق على هذا العلم، (**علم العجائز**)، وقد عبر الشماخي عن ذلك المعني بقوله: "وللعجائز بالجبل وغيره شأن عظيم"[4]. ومن بين تلك النسوة العالمات: **بهلولة النفوسية** ق: (3هـ/9م)، التي كانت توصف بالصلاح والتفقه في الدين، درست العلوم على يد الشيخ إبان بن وسيم الويغوي، وكانت حلقات العلم تعقد في بيتها ثم ما لبث أن تزوجها الشيخ أبان تقديراً لجهودها في نشر العلم. و لم تذخر جهداً بعد الزواج بل تعاونت معه في التدريس والاهتمام بالنساء الطالبات للعلم. ونشير إلى عالمة أخرى وهي: **أم الخطاب الأغرميمانية** ق: (3هـ/9م)، من قرية أغرميمان، كانت مسيحية الدين، ثم أسلمت بعد زواجها من الشيخ أبو يحيى الأزدالي، وتوجهت بنشاط إلى طلب العلم والمعرفة، فحفظت القرآن الكريم ثم

---

(1) . سالم بن يعقوب، المرجع السابق ، ص 94 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 237 .

(3) . مسجد الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي : مازال المسجد بحالة جيدة لاهتمام الأهالي به، طوله 10 أمتار وعرضه 9 أمتار تقريباً، زرته عام 2004 ، ينظر الصورة رقم (32) .

(4) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 260 .

درست علوم الشريعة حتى أصبحت مرجعاً للنساء في الإستشارة والفتوى. ومـــن نساء الجبل المجتهدات: **زورغ الأرجانية**: ق: (هـــ/ م)وتنتسب إلي قرية أرجان، وهي امرأة عابدة صالحة عالمة، وبلغت درجة عالية من العلم والـــصلاح والورع حتى قالوا فيها إن: " معها ثلث علم الجبل "[1].

شيوخها: تتلمذت على الشيخ أبان بن وسيم وتخرجت في مدرسته، وينسب إليها مصلي يعرف باسم " مصلي زورغ "[2]، كما درست على يد الشيخ مصلوكن المرساوني .وفاتها: لا يُعرف على وجد التحديد متى توفيت، لكن يقدّر أنها عاشت في الفترة ما بين الأعوام :(200 ــ 250هـــ / 815 ــ 465م).

وكذلك من عالمات الجـــبل الشهيرات في الفقه **أم يحيي تكسليت**: ق: (هـــ/ م)وذكرها أصحاب معجم أعلام الإباضية مرتين وفي كل مرة نسبوها إلي قرية من قرى الجبل الأولي نسبت فيها إلي أهل جليمة[3]، والثانية إلي قرية" تيمصليت "[4]. لم تذكر المصادر تاريخ مولدها، ولا تاريخ وفاتها، غير أنها كانت حية عام (283هـــ/ 896 م). شيوخها: تتلمذت على عدة شيوخ منهم : أبو غلبون من أهل كزين وجندول من تمنكرت[5]، وأخيراً عند أبان بن وسيم بويغو،

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 137 .

(2) .مصلي زورغ: هو عبارة عن بناء من الحجارة مستطيل الشكل، بابه يفتح ناحية الجنوب، ويعد الآن البنـــاء الوحيد في أرجان (الرحيبات) لوجود أكثر من قرية اسمها أرجان، وطريقة بناء الواجهة فيها فن وروعة معمار، البناء ما زال بحالة جيدة، وكان قائماً في ق 10هـــ / 16م، زرته في 2004.

(3) . معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 105. وهذا ما قاله المؤرخ البغطوري، ورقة 32.

(4) المرجع نفسه، ص 465.

(5) تمنكرت: هي إحدي مدن الجبل وتعرف حالياً (بقيقيلة)، وقد هجرها سكانها وتقع في الضفة الشمالية لوادي تمنكرت، يحدها شمالاً جبل تمنكرت، ومن الجنوب مجري وادي تمنكرت، ومن الشرق والغرب نفس المجري لوادي تمنكرت، ويوجد بالوادي أكثر من مائة سانية، كما تكثر به أشجار النخيل بأنواع مختلفة منـــها: الكركـــابي =

وتزوجت من أحد علماء الجبل وهو أبو ميمون الجيطالي وسلكت طريقته نفسها بعد وفاته في استقبال العلماء في بيته، وفتح مجالس العلم والذكر للنقاش والمذاكرة كما تشير بعض المصادر: " كانوا يجتمعون عندها عزابة أمسين في ليلة الجمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم في العبادة "[1]. وكانت تتصف بالذكاء وسرعة الحفظ وروي أن كتاب الخليل الصالح أول ما وصل جبل نفوسة عند رجل من أمسين فطلبوه منه للنسخ فرفض . فتحيلت عليه أم يحيي وأقنعته بأن يعرضه عليها مرة واحدة، ومن قراءتها الأولي للكتاب قالت للأهالي : من أراد أن ينسخ فليكتب[2]. كما يرجع إليها الفضل في تأسيس أول مدرسة خاصة بالنساء في منطقة أمسين (وتعرف بمدرسة أمسين) وألحقت بها محل إقامة للفتيات القادمات من أماكن نائية تلاميذها: ومن أبرزهم: شكرت الزغوارية، وأم زعرور.

كما نذكر في هذا الصدد أم زعرور الجيطالية: ق: (هـ/ م) إحدى نساء الجبل العالمات وهي من قرية إيجيطال[3]، بلغت درجة عالية في العلم والورع والتقي، ومن أقوالها المأثورة:" من فاتته ثلاثة فقد فاته خير الدنيا والآخرة، من فاته الحرث، وحضور مجالس العلم، وجماعة الأخيار"[4]. فنلاحظ تركيزها على الجانب

= الشبهاني، والمغراسي، كما كان الأهالي يقومون بزراعة الخضروات على ضفاف الوادي ويستخدمون الأبقار في عملية السقي، ومازالت آثار المدينة قائمة، زرتها عام 2004.

(1) الشماخي، المصدر السابق، ص 233 ـــ 235.

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 36 .

(3) . إيجيطال : من قري مدينة الرحيبات، تقع في سفح الجبل، في وسط غابات من الزيتون، تحدها من الشرق قرية الخربة، ومن الغرب نهاية الجبل، ومن الشمال وادي بازينة، ومن الجنوب وادي قويام، ومن معالمها التاريخية : مسجد أبي ميمون الجيطالي، ومسجد إسماعيل الجيطالي ، وقصر جيطال، يرى المستشرق تادبوش ليفيتسكي أن تسمية ايجيطال مشتقة من الاسم الذي كان يطلق على الشعب الليبي [جاوتولي Gaetuli] زرتها عام 2004 .

(4) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 177.

العلمي، ووعيها بأهمية الاقتصاد وضرورته في الحياة البشرية، كما وصفت بالذكاء والفهم فقد حاول الشيخ أبو محمد التغرميني أن يمتحنها ــ **قبل أن تصير زوجته** ــ ووجدها تملأ الماء من البئر، فقال لها: " يا جارية هل لله زرع بل مزرعة، فقالت: نعم، فقال لها: هل من يحرث تلك المزرعة، فقالت: نعم، فقال لها: هل له من يحصد، قالت: نعم، فقال لها: هل له المخازن، فقالت: نعم بيوت الشعير وبيوت القمح، فقال لها: ما معنى هذا كله، فقالت له: أما المزرعة فهي الدنيا، وأما الحارثون فالناس الذين في الدنيا، والحصّاد ملك الموت، وأما الأندر فالقبور، وأما المخازن فالجنة والنار، فالقمح هو الجنة والشعير هو النار "[1].

ومن علماء الجبل في الفقه **الشيخ ابن معبد الجناوني**: ق: (هـ/ م)، وينتسب إلي قرية إيجناون، أمضي سنوات طويلة من عمره في طلب العلم خارج قريته حتى بلغ غايته في التعلم. **شيوخه**: درس عند الشيخ سعد بن أبي يونس بقنطرارة، وتشير المصادر أنه مكث أربعين عاماً في التعلم! وهنا يثور سؤال: لماذا تطول فترات تعليم بعض الطلاب إلي مثل تلك السنين؟ ويبدو أن الشيخ ابن معبد قد تخصص في علم المواريث حيث يقول حين رجوعه إلي قريته بعد إكمال تعليمه: " لو ماتوا جميعاً وفصلوا أعضاء لأورثتهم بعضهم من بعض من كثرة علمه "[2].

كما برز خلال هذا القرن عالم وفقيه له مكانته العلمية والاجتماعية وهو **الشيخ أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني**: ق: (3هـ/9م)وينتسب نسبة إلي قرية اجناون، أسهم في الحركة العلمية والثقافية بشكل كبير، وكان والياً على الجبل من

---

(1) . المصدر نفسه، ورقة171.

(2) .الشماخي، المصدر السابق، ص 242.

قبل الإمام عبد الوهاب الرستمي، وكان موصوفاً بالأخلاق الحسنة زاهداً ورعاً[1]. وينسب إليه مسجد في قريته وكان محل دراسة وعلم حتى قيل اجتمع به سبعون عالماً[2]، مما يدل على النبوغ العلمي والازدهار الثقافي بالمنطقة. كما يتضح من خلال النصوص التاريخية عمقُ علاقات جبل نفوسة ومنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء في فترة أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني الذي كان يتقن عدة لغات من بينها اللغة الكانمية[3]. فتلك الدرجة التي يتقن فيها علماء منطقة لغة مناطق أخرى تعني مدي عمق الجذور التاريخية للعلاقات، وتشعب فروع التعاون والتواصل في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية. وفاته: توفي الشيخ أبو عبيدة الجناوني بعد 211هـ/ 826م.

وظهر العالم الفقيه ويدران بن جواد أبو معروف: ق: (3هـ/9م)في مدينة شروس، وقد أسهم في ازدهار العلم ونشره في ربوع الجبل. درس الشيخ ويدران عن أبي ذر أبان بن وسيم، كما أخذ عن الشيخ أبو خليل صال الدركلي، ويعد ضمن سلسلة نسب الدين بالجبل، ونتيجة لإطلاعاته الواسعة للكتب الأمر الذي جعله ذا ثقافة عالية وإلمام بالعلوم وخاصة علم الفرائض، مما أهله للقضاء بين الناس وبخاصة في مسائل الميراث والديات، كما يبدو أنه اشتغل بالتدريس ومن تلاميذه البارزين: أبو مسور يسجا اليهراسني الذي بدوره نقل المؤثرات العلمية والثقافية من الجبل إلي جزيرة جربة[4]. وهذا يضاف إلي أهمية الجبل العلمية وتأثيراته في مناطق

---

(1) .الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 70 ــ 71.

(2) .الشماخي، المصدر السابق، ص 545.

(3) . الباروني ، المصدر السابق ، ص 170 .

(4) لمرحات الجعبيري، ملامح عن الحركة العلمية عند الإباضية بجربة، المرجع السابق ، ص 26 ؛ لمرحات الجعبيري نظام العزابة عند الأباضية الوهبية في جربة، تونس: المطبعة العصرية،1975، ص 155 ــ 157 .

الجوار. ويبدو أن ورع وتقوي هذا الشيخ قد أثرت عليه في أعماله الدنيوية، فقد روى عنه البغطوري: أنه كان تاجراً ولكي يحتاط في التعامل التجاري فكان إذا باع بضاعة يزيد للشاري في الميزان، وإذا اشترى لنفسه كان ينقصها، وقال البغطوري أيضاً: " لما حضرته الوفاة أوصى بأربعين ديناراً لإحتياط الميزان "[1].

وكما نوهنا سابقاً لإسهامات المرأة في طلب العلوم وخروجها ومشاركتها للرجال في مختلف حلقات العلم ومجالس الذكر، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تفوقت بعض النساء في جوانب علمية على الرجل، ووصلت إلي درجة الاجتهاد والإبداع . ومن بين تلك النساء **غزالة السودانية:** من عالمات الجبل في أواخر ق: (3هـ/9م)، ويرجع أصلها إلي بلاد السودان[2]، ولم تحدد المصادر بدقة المكان الجغرافي الذي جلبت منه، وإنما المعروف عنها أنها جلبت إلي الجبل ضمن تجارة الرقيق التي كان معروفة وقتذاك وفي نفس الرحلة التي قدمت فيها لوحظ عند سماعها تلاوة القرآن الكريم كانت تجلس ولا تتحرك حتى تنتهي التلاوة[3]. وهذا مما يعني أنها كانت تفهم اللغة العربية لغة القرآن الكريم وتتدبر معانيها ، وذلك ناتج لعمق التواصل بين الشمال الإفريقي وإفريقيا فيما وراء الصحراء . وكانت غزالة تقيم في مدينة ويغو عندما اشتراها أحد الأهالي .

شيوخها: درست على الشيخ أبي محمد عبد الله بن الخير الوتزيرقي، وكانت تسير إليه كل يوم وذلك من قريتها ويغو إلي قرية وتزيرف للدراسة وطلب العلم، وهذا

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة 81.

(2) يقصد ببلاد السودان : إما الغربي أو الأوسط ، لأنهما المنطقتان اللتان تعامل معهما جبل نفوسة تجارياً وثقافياً .

(3) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 22 .

مؤشر على أن الحياة العلمية بلغت من الشيوع والازدهار في تلك القـــرون حـــتى يسمح للخدم والإماء بحرية طلب العلم والتعلم في ذلك الزمن المبكر ، الأمر الذي لم تفكر فيه أوربا حتى بتعليم أحرارها حينذاك وهذا عين ما أشار إليه الوسياني : " أن العلم فشا في الجبل وشاع حتى إن خدمهم وإماءهم إذا خرجن إلي الاستسقاء لا يرجعن حتى يذاكرن بينهم مسايل كتاب ماطوس وفيه ثـــلاث مائـــة مـــسئلة ومواعظ ، وكتاب الإخوان "[1]، ويوجد بالجبل بقرية ويغو غار يحمل اسم العالمة غزالة[2].

ويعد **الشيخ أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي**: من العلماء الذين اشـــتغلوا بالفقه، ويرجع أصله إلي مدينة لالوت (نالوت حالياً)، عاش في أواخـــر القـــرن الثالث هـــ / التاسع م.

شيوخه: أخذ العلم من الشيخ أبي هارون موسى بن يونس الجلالمي، وبعد تخرجه قام بتأسيس مدرسة قصدها العديد من طلاب العلم في الجبل، وكان يتبـــع فيهـــا طريقة في التعليم تختلف عن المدارس الأخرى حيث يخرج بطلابه خارج حجرات الدراسة.

تلاميذه: ومن الطلاب الذين تعلموا على يديه : الشيخ أبو محمد خـــصيب بـــن إبراهيم التمصمصي[3]. **وفاته**: لم تذكر المصادر سنة وفاته، وإنما توفي في إحـــدى الرحلات العلمية بصحبة تلاميذه، وعمره سبع وعشرون عاماً .

---

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة ، 13 .

(2) . غار العالمة غزالة : يقع الغار وسط قرية ويغو بجانب مجموعة غيران كانت تتخذ للسكن في ذلك الوقت، وهو غار متسع طوله حوالي 15 متر وعرضه 10 أمتار، توجد به من الداخل ركابة ومحراب للصلاة وخزائن على جدار الغار ، وعدد من الكوات كانت تستعمل للإضاءة ، زرته عام 2004.

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 299 .

ومازال الجبل ينجب الفقهاء على مر الزمن وتعاقب القرون و هـا هـو القرن (**الرابع الهجري / العاشر الميلادي**) والمساجد تعج بالتلاميذ والمدارس تدفع بالخريجين إلي ساحات العلم وميادينه، ويتميز هذا القرن أيضاً بالنشاط الفكـري والثقافي ببروز علماء وعالمات من مختلف القرى والمدن في مجالات شتى من العلوم والفنون المعروفة حينذاك.

ومن أعلام ذلك القرن (4هـ/10م) نذكر **أم سحنون اللالوتية**، إحـدى نساء مدينة لالوت، وتعد من العالمات الناصحات، وفي الجبل لاحظت عادة حسنة كثيراً ما يتبعها العلماء والفقهاء، ألا وهي زيارة العجائز من النساء لإستشارتهن في مسائل هامة تتعلق بالدين والدنيا، وأم سحنون من النساء اللاتي كثيراً ما يزورهـا المشائخ للإستفادة من علمها ونصحها، والشماخي يقول عنها في سيره: " أفـضل عجوز بالجبل "[1]. وتركت أقوالاً مأثورة في الحكمة والأدب في العديد من بطون الكتب. ومن نساء الجبل كذلك **أم الربيع الوريورية** ق: (4هـ/10م)، كانـت إمرأة فاضلة، اشتهرت بالعلم والكرم، وكانت من الطبقات الغنية بالجبل فأنفقت جلّ ثروتها على العلم وطلابه. وكثيراً ما كان العلماء يستريحون في الإقامة عندها للمشاورة ومناقشة مختلف القضايا الدينية والعلمية التي تهم الناس وحياتهم. كمـا نذكر **تبركانت السدراتية** ق: (4هـ/10م)، وهي زوجة الشيخ أبـا هـارون موسى الباروني، وكانت تكنى: بـ(**جدة الشيوخ**) لأن أغلب أولادها وأحفادها علماء وشيوخاً، وذاعت شهرتها في مجال العلم والفقه، وتركت العديد من الأقوال والحكم والوصايا في بطون الكتب والمؤلفات، ومن أقوالها في الوصـايا: " شـر

---

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص .

الصدور صدر لا رأفة فيه، وشر الأقدام قدم لا تزور في الله، وشر البيوت بيت لا يدخله المسلمون، وشر المال مال لا ينفق منه "[1]. ونلاحظ كثرة نبوغ النساء بالجبل، وكانت لهن مكانة بين العلماء إلى درجة أن يقول المؤرخ البغطوري: " أن الماضين خافوا على أحكامهم من مشائخهم، ومشائخهم خافوا من عزابتهم، وعزابتهم خافوا من عجائزهم"[2]. والمرأة بلغت تلك المكانة بسبب المناخ الفكري المزدهر، الذي شجع عليه الدين الإسلامي، وبذلك حفظت لنا كتب التاريخ نماذج من أقوال مأثورة، وحكم لبعض النساء، مما يدل على رقي المرأة علمياً وثقافياً، ومنها: " أن عجوزاً من نفوسة مرضت فجاءتها أخوات في الله يزرنها، فقالت إحداهن: ليس المحب للحبيب الذي يشق عليه فعل حبيبه، وقالت الأخرى: ليس بالحبيب الذي لا يصبر على فعل حبيبه، فقالت لهن المريضة: ليس الحبيب الذي لا يفرح لفعل حبيبه "[3].

ومن أعلام الجبل: **الشيخ أبو الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي:** ويرجع نسبه إلي مدينة شروس، لم تذكر المصادر سنة ولادته، ولا المشايخ والعلماء الذين درس عندهم، وهو يعد من العلماء الناجين من معركة مانو (283هـ / 896م) وكان له دور كبير في إنعاش الحياة العلمية بالجبل خاصة بعد الركود الذي أصابها نوعاً ما من جرّاء معركة مانو ، قام بافتتاح مدرسة أثرت في الحركة الفكرية والثقافية، ونشرت العلوم في جميع الربوع[4]، وكان بعض الطلاب يترددون عليه في مدرسته ويتعلمون عنده ، ثم يسافرون إلي بلاد إفريقية بموضع يقال له

---

(1) . أبو العباس الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة 100.

(2) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة190.

(3). أبو العباس الفرسطائي، المصدر السابق، ورقة100.

(4) . علي يحيي معمر ، المرجع السابق ، ص 157 ـــ 158 ؛ أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، 144 .

(سلام عليك)[1] ويقيمون هناك فترة للدراسة ثم يرجعون إلي مدرسة ابن ماطوس ليعرضوا عليه ما درسوه في رحلتهم العلمية ، ثم يقوم معهم بالمراجعة والتصحيح لمختلف المسائل والمشكلات، وتطول بهم تلك المراجعات فترات تصل أحياناً إلي ستة أشهر، وأخيراً يرجع الطلاب إلي أهاليهم[2]. وهذا يبين مدى أهمية مدارس الجبل بالنسبة للمدارس الأخرى في المناطق المجاورة.

كما أن العلامة ابن ماطوس ذاع صيته في الأقطار ، وانتشرت فتاويه خارج منطقة جبل نفوسة:" وشاع علمه في البلاد بل البلدان وبورك في فتياه حتى قيل إن فتيا ابن ماطوس بلغت جربة[3]، وفي أمسنان، وفي وارجلان، حتى لحقت فتياه أرضاً يقال لها سلام عليك في المغرب "[4]. ويشير الشماخي إلي نفس المعني السابق قائلاً : " ذكر أبو زكرياء يحيي الجناوني عن أبي محمد وارسفلاس عن أبيه عن أبي يحي الفرسطائي أنه قال : اجتمعت مع بعض العلماء بناحية زويلة[5] ـــ

---

(1). سلام عليك: إحدي مدن بلاد الغرب الإسلامي.

(2) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة ، 27 ـــ 28 ؛ الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 350 ؛ أبو العباس الفرسطائي ، المصدر السابق ، ورقة 58 .

(3) . جربة : جزيرة في البحر المتوسط على السواحل التونسية، فتحها الصحابي رويفع ابن ثابت عام 46 هـ ، سكنها الإنسان منذ القدم، طولها من المشرق إلي المغرب ستون ميلاً، وهي مربعة الشكل، تكثر بها مزارع النخيل والزيتون والعنب والتين انتشر فيها المذهب الإباضي بفرقتيه : الوهبية والنكارية، وموقعها أعطاها أهمية تجارية تربط بين مختلف المناطق، ارتبطت بعلاقات علمية وثقافية مع جبل نفوسة، طوال العصر الوسيط ، ينظر : التيجاني، المصدر السابق، ص 124 .

(4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 80 .

(5). زويلة: من المدن الصحراوية الليبية تبعد عن طرابلس حوالي 1300 كلم، وهي مدينة قديمة فتحها عقبة بن نافع، وهي كثيرة النخيل والثمار، وشهدت ازدهاراً كبيراً في القرن الثالث الهجري، وهي ملتقي التجارية القوافل التجارية، ومنها تتفرع الطرق التجارية إلي كافة مدن افريقيا فيما وراء الصحراء، وفي هذه المدينة قامت دولة بني الخطاب الإباضية. ينظر: الطاهر الزاوي، معجم البلدان الليبية، ص 177.

وانظر البعد الجغرافي بين كل من منطقة جبل نفوسة ومدينة زويلة ـــ فقـــال : إن فتوى ابن ماطوس كلها حسنة "[1].

تلاميذه: ومن أبرز التلاميذ الذين تخرجوا عنده: أبو صالح بكر بن قاسم، وأبـــو موسى اليراسني، وأبو يحيي الفرسطائي.

ومن علماء الفقه بالجبل **الشيخ يصليتن أبو محمد الكباوي:** وينتسب إلي مدينة كباو[2]. لم تذكر المصادر تاريخ ولادته. **شيوخه:** أتم تعليمه عند الشيخ أبي هارون موسى بن يونس الجلالمي زوج أمه التي لم تهتم به كثيراً ، إلا أن الشيخ الجلالمي اهتم به وضمه إلي تلاميذه وكان تلميذاً نشطاً وبرع في العلم وصار من أفضل تلاميذه[3]، ونفهم من بعض الروايات التاريخية أن الشيخ أبو محمد الكباوي لم يكن متعصباً لرأيه وخاصة إذا بانت له الحقيقة من غيره، فقد ذكر البغطوري أحدى مواقف أبو محمد التي يذعن فيها لرأى الشيخ أبو محمد ونتين الوريوري في مسائل فقهية حول الحيض ونواقض الوضوء طرحها الشيخ أبو نصر زار التيفيستي[4].

---

(1). الشماخي ، المصدر السابق ، ص 276.

(2) . كباو : تعد من المدن الكبيرة في الجبل، وتطل على وادي إكراين الذي يشتهر بغراسة النخيل والتين، كما يوجد به آثار سواني مياه قديمة وهذا دليل على شهرته الزراعية وكباو تقع على قمة الجبل ويحدها من الشرق قرية فرسطا، ومن الغرب قرية تلات، ومن الشمال سلسلة جبال خلفها سهل الجفارة ـــ (مدينة تيجي)، ومن الجنوب منطقة الظاهر، وآثار المدينة مازالت باقية وأهلها لايزالون ساكنيها حيث انتقلت مدينة كباو الحديثة إلي الشرق من القديمة، ومن معالمها التاريخية:قصر كباو الذي تم ترميمه وصيانته مؤخراً في عام 2000، وكان القصر لتخزين قوت وتموين الأهالي . كما يوجد بها مسجد الشيخ أبي محمد الكباوي وهو عبارة عن غار صغير بنيت جدرانه من الحجارة والطوب، وكذلك يوجد بها بيت المجاهد سليمان عبد الله الباروني. زرتها عام 2004.

(3) .محمد بابا عمي ، المرجع السابق، ص 471.

(4) .والسؤال جاء من أبو نصر لأبي محمد الكباوي وهو: عن المرأة التي تنزل منها ثلاث علقات من الدم، في كل يوم علقة؟، فقال له أبو محمد: يكون لها ذلك ووقتاً للحيض، ثم عرض أبو نصر المسألة على شيخ آخر وهـــو: =

كما تعلم علم التفسير على الشيخ أبي علي الحسن الكباوي. ويبدو أن الشيخ أبا محمد صار من علماء الجبل الكبار فيما بعد ويتضح ذلك من خلال اعتماد أبي زكريا بن أبي عبد الله ـــ والي الجبل وقتذاك ـــ على فتاوي الشيخ أبو محمد الكباوي عندما تستعصى عليه المسائل الفقهية والعلمية[1]. وتذكر كتب التاريخ: أن أبو محمد كان كثير العطاء بماله وعلمه وصحته[2]، ولما توفي حضر جنازته أبو زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي، وعندما رأى منازل وشوارع مدينة كباو قال: " السلام عليك يا كباو أنت الآن مثل المنازل "[3]، ويعني بكلامه بعد وفاة الشيخ أبو محمد صارت كباو كغيرها من الأماكن التي تفتقر للعلماء الكبار، والفقهاء الجهابذة. وهو نوع من التأبين والتحسر على موت عالم من علماء جبل نفوسة.

تلاميذه: عكف الشيخ أبومحمد على تعليم غيره من طلاب العلم وتخرج على يديه جمع من العلماء منهم: أبو نصر زار بن يونس التيفسيتي، وأبو يوسف مجدول التترغيتي، وأبو يحيي يوسف ابن زيد الدرفي.

ويعد **الشيخ أبو محمد زيد بن أفصيت الدرفي:** نسبة إلي قرية أدرف، هو الأخر من فقهاء جبل نفوسة، و لم تذكر المصادر العلماء الذين درس عليهم وربما يكون تعلم هو الآخر عند أبي هارون موسى الجلالمي نظراً لأنه زامل الشيخ أبا محمد الكباوي ، وكذلك لكون مدرسة الجلالمي من أكبر المدارس في ذلك الوقت .

= أبو محمد ونتين الوريوري، الذي ذهب بدوره إلى الشيخ أبو محمد الكباوي، وقال له: ما تقول فيمن وقع من أنفه علقة هل ينقض وضوئه؟ فقال له: لا، فرد عليه الوريوري: وإن وقعت أخرى؟ فقال الكباوي: لا ينقض وضوئه، فزاده: وإن وقعت الثالثة، فأجاب الشيخ أبو محمد الكباوي: تبت أيها الشيخ!!!، البغطوري، المصدر السابق، ورقة17.

(1) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 37.

(2) . المصدر نفسه والورقة نفسها.

(3) . المصدر نفسه، ورقة38.

وكان أبو محمد زيد من العلماء والمفتين الكبار، واشتغل بالتعليم وتخرج عليه ابنه أبو يحيى يوسف بن زيد الدرفي ، وأبو يوسف مجدول التترغتي .

كما ظهر الفقيه **أبو يحيي زكرياء بن يونس الفرسطائي:** وينتسب إلي قرية فرسطا ، وبها بدأ تعليمه الابتدائي على يد مشائخها وفقهائها، ثم رحل إلي مدينة شروس لإكمال تعليمه العالي على الشيخ : أبي يحيي سليمان بن ماطوس ولكنه لم يتحصل على مسكن بالرغم من كبر المدينة وقال قولته المشهورة : " ما أوسع شروس وما أضيقها " ![1]. ونفهم من النص أن مدينة شروس كانت مكتظة بالسكان ومزدحمة إلي درجة يصعب فيها إيجاد مسكن بسهولة ويسر . وذلك أمر طبيعي في مدينة هي عاصمة الجبل وقتذاك يفد إليها المسافرون والتجار من كل حدب وصوب ، بالاضافة إلي شهرتها العلمية التي تجذب طلاب العلم من مختلف البقاع .

شيوخه : أشار ابن ماطوس على زكرياء الفرسطائي الذهاب إلي لالوت للتعلم عند الشيخ أبي هارون الجلالمي ، قائلاً له : " أدلك على رجل لو عرفه الناس لوقفوا ببابه كما وقفوا على باب أبي عبيدة مسلم بالمشرق "[2]. وبالفعل درس على الشيخ أبي هارون الجلالمي، ويذكر أول مسألة تعلمها عند هذا الشيخ كانت حول نزول الدم من الأنف ونواقض الوضوء[3].

رحلاته: اهتم أبو يحيي الفرسطائي بالرحلة خارج جبل نفوسة من أجل طلب العلم والتجارة، وكانت أغلب رحلاته إلي منطقة السودان الغربي، حيث كان له الفضل والسبق في نشر الإسلام واللغة والثقافة العربية في ربوع إفريقيا فيما وراء الصحراء

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 50 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ،ص 310

(2) . الشماخي ، المصدر السابق، ص 310 ؛ البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 50 .

(3) . المصدر نفسه، ورقة51.

إذ كان تاجراً بين جبل نفوسة وبلاد السودان الغربي فقام بدعوة ملك السودان إلي الإسلام الذي رفض في البداية، وبعد عدة محاولات اقتنع الملك وأعلن إسلامه على يد الفرسطائي[1] ، ثم أسلمت رعيته حيث كان الناس على دين ملوكهم. وهنا تتضح أهمية جبل نفوسة وإشعاعه الحضاري والديني على المراكز والحواضر الأخرى وغالباً ما كان يستعين أبو زكريا بن أبي عبد الله ـــ والي الجبل في تلك الفترة ـــ بالشيخ أبي يحيي الفرسطائي في الأمور العلمية.

تلاميذه: اهتم أبو يحيي الفرسطائي بالتدريس، ويوجد بقرية فرسطا مسجد يعرف باسمه: (مسجد أبي يحيي زكرياء الفرسطائي) الذي اتخذه أبو يحيي مكاناً للتعليم والتدريس فوفد إليه الكثير من طلاب العلم منهم: أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي، ووارسفلاس أبو محمد بن مهدي.

ومن علماء الفقه بالجبل **الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي:** يرجع أصله إلي قرية تمصمص من قرى جبل نفوسة.

شيوخه: تعلم عند الشيخ أبي يحيي زكرياء الفرسطائي ، وكذلك عند أبي الربيع سليمان بن هارون اللالوتي ، وتبعد قرية تمصمص عن مدينة لالوت حوالي (200 كلم)، قطعها أبو محمد على قدميه قصد التعلم عند الشيخ أبي الربيع وفي طريقه جاز على معلم للصبيان بمنطقة تدعى : تنومات ـــ ويبدو أنه زار إحدى المدارس للمرحلة الابتدائية ـــ فسأله المعلم أين تريد ؟ فقال أبو محمد راحل إلي مدينة لالوت من أجل طلب العلم والتعلم ، فرد عليه المعلم : " نعم ما طلبت ، الدنيا ظلمة والعلم فيها دليل ، ركعتان من عالم خير من عبادة الجاهل ستين سنة "[2].

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 52 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 55 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 313 ـــ 314 .

ونفهم من هذا النص أن أبا محمد في رحلته إلي مدينة لالوت كانت لمواصلة تعليمه العالي ، كما ندرك مدي التشجيع الذي يلاقيه طلاب العلم من مختلف فئات المجتمع وخصوصاً الدعم المعنوي من المعلمين والشيوخ.

تلاميذه: وبعد تخرجه أحس في نفسه القدرة على العطاء العلمي قام بافتتاح مدرسة بقريته تمصمص لتعليم الطلاب ، وفي تلك المدرسة تعلمت أم ماطوس، وتعد من أول الفتيات اللاتي انخرطن في مدارس الفتيان ، وبذلك تكون إحدى تلاميذ الشيخ أبي محمد خصيب ، ومن تلاميذه أيضاً : أبو زكرياء يحيي بن سفيان اللالوتي ، وأبو هارون موسى بن هارون الملوشائي ، ويوجد بالجبل مسجد يعرف (بمسجد أبي محمد خصيب).

ومن الذين برزوا في **الفقه الشيخ وارسفلاس أبو محمد بن مهدي:** ويرجع نسبه إلي ويغو كما أشار لذلك الوسياني[1]. فقد بدأ تعليمه وهو كبير في السن واجتهد في التعلم نتيجة لموقف أحس فيه بانكسار نفسه كما تخبر المصادر أن وارسفلاس حين مات أبوه لم يهتم بالتعليم، وكان في إحدى المرات راكباً بغلة أبيه في زيارة لمدينة شروس لبعض شؤونه ، فسأله أحد الرجال عن مسألة فقهية فلم يحسن الإجابة، فرد عليه الرجل: لو سألت عنها بغلة أبيك لأجابتك، فأحس بالإهانة والانكسار، وكان ذلك الموقف بمثابة الدافع والحافز لطلب العلم، فدخل مكتبة شروس بقصر (ولم) واجتهد في التعلم وبقي فيها مدة طويلة دامت اثنتى عشرة سنة حتى صار من علماء زمانه[2].

---

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 165 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 104 .

ويشير الشماخي إلي اجتهاد وارسفلاس واهتمامه بالعلم حتى في الظروف الصعبة : " ووقع حرب بين أهل ويغو بلده وأهل شروس سبعة أعوام ، ومكث في داره يدرس ديوان أبيه ، ولا يرى خارجاً إلا إلي حاجة الإنسان ، فقام في العلم وجربه المشايخ بكثرة الأسولة في المشكلات وغيرها فما وجدوا عنده خطأ "[1].

شيوخه: ويرى أصحاب المعجم أن وارسفلاس أخذ العلم عن أبي يحيي زكرياء الفرسطائي[2]. إلا أن الباحث لا يرى ذلك وإنما والده هو الذي أخذ عن أبي يحيي الفرسطائي ، وصار وارسفلاس من المعلمين في الجبل .

تلاميذه: ومن أبرز تلاميذه : أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي ، وأبو يعقوب يوسف بن يعقوب ابن تيمال.

ومن فقهاء الجبل **الشيخ أبو نصر زار بن يونس التيفستي:** وينسب إلي قرية تيفست ،إحدي قري جبل نفوسة.

شيوخه: درس على الشيخ أبي محمد الكباوي، ومن أقواله المشهورة عنه:" لن ينجو من علماء آخر الزمان إلا مثل ما يسلم من ضوء المصابيح إذا رفعوا من بيت إلي بيت في ليلة ذات ريح، ثم ، قال: هذا في العلماء فكيف الجهال؟ **دود لا يفلت منهم أحد** "[3] وأيضاً من كلامه: " الكلام كله لغو، إلا مسألة في الخير، واستعاذة من الشر، وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف[4]. والنهي عن المنكر، والحمد لله، ولا إله

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 327 .

(2) . محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 445 .

(3) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 209 .

(4) . المصدر نفسه، ص 209 .

إلا الله، والله أكبر "، " ولما حضرته الوفاة أخذ يبكي، فسألوه ما يبكيك؟ قال: خوفاً من الفتيا، قلّت دار من دور نفوسة لم يدخلها فتياي "[1].

تلاميذه: أبو سهل البشر بن محمد التندميرتي، وأبو زكرياء التندميرتي، وأبو يوسف بن وجدليش بن في.

وكذلك يعد **الشيخ أبو يوسف وجدليش بن في** : من الفقهاء الذين ظهروا بالجبل

شيوخه : أخذ العلم عن الشيخ أبي يحيي يوسف بن زيد الدرفي، كما أخذ عن الشيخ أبي نصر زار بن يونس التيفيستي .

تلاميذه : ثم توجه إلي التدريس ، وتخرج على يديه العديد من طلاب العلم من أبرزهم : أبو الربيع سليمان بن موسى، وأبو سهل البشر ابن محمد التندميرتي .

ويعد وجدليش ضمن سلسلة نسب الدين المعروفة في المصادر الفقهية بالجبل، وأن أبو يوسف تعد شخصيته أول من أسندت إليه وظيفة المحتسب بالجبل كما يشير الشماخي لذلك قائلاً : " وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن يشاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة " [2]، وهذا دليل على نجاحه وسمو أخلاقه حتى وثق به الأهالي في وظيفة حساسة لها علاقة بأموال ومصالح المجتمع . كما تذكر المصادر التاريخية أنه في بداية تعليمه كان من شدة حرصه واجتهاده في طلب العلم يعلق لوحه بين عينيه ليقرأ فيه وهو في نفس الوقت يخرط الزيتون[3].

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 229 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 .

(3) . المصدر نفسه ، ص 334 .

والشيخ أبو يوسف مجدول التزغتي: كان من علماء الجبل في الفقه وينتسب إلي قرية تزغت[1]. **شيوخه** : يعد من تلاميذ الشيخين: أبي محمد الكباوي وأبي محمد الدرفي وخاصة في مرحلة تعليمه العليا حيث ظل يتعلم على الأول حوالي خمس عشرة سنة، وعلى الآخر مدة دامت حوالي سبع عشرة سنة[2]، وبالتالي مكث يطلب العلم لمدة اثنتين وثلاثين سنة. وكان طالباً ذكياً دائم السؤال والنقاش مع أساتذته وشيوخه حتى قال له أستاذه أبو محمد الدرفي: " ليس لك هم إلا المسألة يا مجدول "[3]. وكثرة الأسئلة هي الطريق لاكتساب المعارف والعلوم، وفي هذا الصدد قيل: " والسؤال نصف العلم، وقيل: العلم كله، ومعنى ذلك أن السؤال سبب العلم ومفتاحه " [4]. وكان مجدول كثيراً ما يعتز بأستاذيه السالفين ويقول من لم يتعلم عند أبي محمد الكباوي ولا عند أبو محمد الدرفي من أين له ما يفتي به ؟.ولم يقم التزغتي بمهمة التعليم عندما طلب منه ذلك ، واعتذر بانشغاله وأعماله المالية الخاصة به، ولذلك لم يكن له تلاميذ.

---

(1) تزغت : قرية من قري الجبل، تقع في قمة جبل، وهي على شكل مثلث رأسه إلي الغرب وقاعدته إلي الشرق، ويحيط بها فروع وادي أوتلجام من ثلاث جهات الشرق والشمال والجنوب، أما من ناحية الغرب فتحدها قرية أم صفار الحديثة، وسكن أهل تزغت في مراحل متقدمة الغيران قبل انتقالهم إلي حافة الجبل وبنائهم البيوت بالحجارة والطين والجبس، وهي إلي الغرب منها، ولم يعثر الباحث على معلومات تفيد عن الفترة الزمنية التي تم فيها الانتقال بين المرحلتين، وآثار تزغت مازالت قائمة، ومن معالمها التاريخية مسجد الشيخ أبو القاسم جانا التزغتي بجانب منطقة الغيران وهو عبارة عن بناء داخل غار تحت الأرض يقوم الأهالي بصيانته وبذلك فقد بقي متماسكاً، كما يوجد مسجد آخر على الحافة اسمه مسجد الثنية (لم أعثر على اسمه الحقيقي) توجد على أحد جدرانه كتابة ترجع إلي القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي، وربما يكون هو تاريخ صيانة لأن المساجد عادة ما تصان وبذلك يرجع بناؤه إلي ما قبل ذلك العصر، زرتها عام 2004.

(2) . الجيطالي ، المصدر السابق ، ص 92 .

(3) البغطوري، المصدر السابق، ورقة 119 ؛ الشماخي، المصدر السابق، ص 331 .

(4) . أبو العباس أحمد الفرسطائي ، المصدر السابق ، ورقة 46 .

ونلاحظ عملية التواصل العلمية ، وأن الأجيال المتعاقبة تأخذ عن بعضها البعض فهذا العلامة أبو يوسف وجدليش ابن في من علماء القرن الرابع الهجـــري أخذ العلم عن الشيخ أبي نصر زار ابن يونس التيفستي، وكذلك من الشيخ أبي يحيي يوسف بن زيد الدرفي.

وهنا تبرز إحدى نساء الجبل اللاتي اشتغلن بالعلوم ومنها الفقه وهي **أم ماطوس:**

لم أعثر على اسمها في المصادر وإنما ذُكرت بكنيتها، وهي من قرية سماها البغطوري جارا يزرار بينما سماها الشماخي جاراصرا [1] ولم يذكرها المؤرخ الوسياني ضمن نساء الجبل الصالحات. أخذت العلم عن الشيخ أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي، وقيل: " إنما تمشي إلي أبي محمد التمصمصي في الليل فتحضر مجلس الـــذكر "[2]. وكانت مازالت بكراً ويعتبرها بعض الباحثين المعاصرين أول فتاة ليبية تـــشترك في مدارس الفتيان[3]. ولم تتحدث المصادر عن تلك المعلومة.وكانت أم ماطوس تنتقل بين قري الجبل من أجل التحصيل العلمي وزيادة المعرفة وحضور مجالس الـــذكر والوعظ إلي جانب الرجال، حتى ولو كانت في ظروف صحية لا تسمح بـــذلك، وهذا ما أشار إليه المؤرخ البغطوري قائلاً: " مرت إلي تندوزيغ لتحـــضر المجلـــس فولدت بنتاً "[4]، والشماخي في سيره يقول: " وذهبت ذات مرة ليلاً إلي اجناون لتحضر المجلس، وبينهما قرب عشرة أميال ومعها أمتها "[5].

---

(1) . جار اصرا : من القري القديمة بالجبل وهي تقع إلي الشرق من مدينة كباو وغرب قرية تمصمص ، تحيط بها غابات الزيتون، وتجاورها قريتا : أوجارون، وماطس. للأسف لم أقف عليها مباشرة.

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ص 56 ـــ 57 .

(3) . قناطر الخيرات، الجيطالي، تحقيق: عمرو النامي، 90 ؛ أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 145.

(4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 57.

(5) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 317 .

وبذلك يتضح أن بعض النساء في الجبل تمكنّ من البروز وسط مجتمع الرجال في الجوانب العلمية والثقافية فهذه أم ماطوس تعد نموذجاً للمرأة المسلمة التي تحضر المجالس العلمية وتناقش الرجال في قضايا تهم الدين والمجتمع والأخلاق، وتخرج في ظروف صعبة، وتقطع المسافات البعيدة عن قريتها لحضور مجالس العلم والدين.

وكذلك يعد **الشيخ أبو هارون موسى بن هارون الملوشائي**: من الفقهاء المبرزين بجبل نفوسة، **شيوخه**: أخذ العلم عن أبي محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي أنشأ مسجد ابناين وأقام فيه لتعليم الطلاب الذين وفدوا عليه بشكل كبير من مختلف قري ومدن الجبل. ويروى عنه أنه ينعس أحياناً أثناء أداءه الدروس في المجلس العلمي الذي يقيمه لطلابه، فكانوا يذكرون الموت فعند ذلك ينتبه ويستقيظ[1]! وذلك ما للموت من شأن في نفوس العلماء والشيوخ، وأرجح نعاسه أثناء المجلس يعود لمسؤولياته المتعددة في شؤون الحكم والإدارة، ورعاية مصالح الناس، والسهر على راحتهم. بالاضافة إلى شؤونه الخاصة.

وكذلك من فقهاء الجبل المشهورين **الشيخ أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي**: نسبة إلي مدينة لالوت (**نالوت حالياً**) وقد ولد بها وتعلم عند مشايخها ويصفه الشماخي بأنه:" بحر العلم الزاخر وإمام الحكام الفاخر "[2] ويتضح من النص أنه كان عالماً كبيراً، ولم يذكره الوسياني في سيره ولا الدرجيني في طبقاته، ويشير البغطوري إلي ابن جلداسن كان يمكث في شروس فترة طويلة من

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة22.

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 298 .

الزمن عند يحيي بن ماطوس ويفصل بين المتخاصمين ويقول لابن ماطوس: إني أتعلم أنا أيضاً[1]. وبذلك ندرك مدى تواضع ابن جلداسن وذلك هو تواضع العلماء بالرغم من كونه عالماً وحاكماً على لالوت حينذاك. لم تذكر المصادر المشايخ الذين تعلم عندهم.

تلاميذه: أما تلاميذه فمنهم : يحيي بن سفيان اللالوتي، وأبو محمد عبيدة بن أفلح اليجلاني، وجلدين أبو عبيدة البغطوري. ويوجد في مدينة نالوت مصلى يعرف باسمه[2].

والشيخ أبو زكرياء يحيي بن سفيان اللالوتي: يعد من المشائخ الذين أهتموا بالفقه وينسب إلي مدينة لالوت.

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخين : أبي محمد خصيب التمصمصي وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي ، وتشير المصادر إلي أن أبا زكرياء يحيي بن سفيان قد عمّر طويلاً فاجتاز الذين تعلم عندهم والذين تعلم معهم والذين تعلموا عنده[3]. وكانت عنده حلقة علم تخرج على يديه طلاب عديدون منهم : أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي، وبمدينة لالوت (نالوت) مسجد مازال يحمل اسمه[4].

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 115 .

(2) . مصلى ابن جلداسن : هو عبارة عن بناء صغير جداً، كان يتعبد فيه الشيخ ابن جلداسن، وهو في وسط مدينة نالوت، يبدو أنه كان في ذلك الوقت بعيداً عن المدينة وحركة الناس، زرته عام 2004.

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 9 .

(4) . مسجد أبي زكريا يحيي بن سفيان اللالوتي : يقع هذا المسجد في مدخل مدينة نالوت من جهة الشرق، وتم تجديده وصيانته، وهو عبارة عن بناء مربع الشكل تقريبا، وهو صغير لا يتجاوز طوله الأربعة أمتار وعرضه الثلاثة أمتار تقريباً، زرته عام 2004.

ومن مشائخ الجبل أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي: نسبة إلى تملوشايت. أهتم بالفقه وبرع فيه. وأخذ العلم من عدة شيوخ منهم : أبو زكريا يحيي بن سفيان اللالوتي، وأبو سهل البشر بن محمد التندميرتي، وأبو يوسف وجدليش بن في اليجلاني، ووارسفلاس أبي محمد بن مهدي، وكان شيخه أبو زكرياء يحيي يتفرس فيه الذكاء والنجابة حتى قال فيه: " إن لم يفهم هو فلا يفهم غيره "[1]. وكان أبو الربيع كريماً بماله ينفقه على زملائه الطلاب وأساتذته فعندما كان يدرس على الشيخ أبي محمد وارسفلاس، ذهب إلى السوق ليشتري بعض الحاجيات، إلا أنه غيّر رأيه وأشترى ثوراً وقدم به لشيخه وللطلاب وذبحه لهم[2]. وبعد تخرجه صار معلماً في مسجد أبناين الذي أنشأه والده أبو هارون موسى. وله طريقة تفرد بها في إجازته لمن يسندون عليه علمهم، فمن يأتيه بهذا الخصوص ما عليه إلا أن يقرأ عليه العشر كلمات من التوحيد[3]

وبذلك تخرج على يديه مجموعة تلاميذ منهم : أبو زكريا يحيي ابن الخير الجناوني . وأبو محمد عبد الله بن مطكود [4]، وكانت حياته مليئة بالمهمات الصعبة فقد جمع بين الإمارة والقضاء والتدريس ، ويبدو أنه كان يتنقل بين المدن والقري بالجبل وخاصة في شهر رمضان المبارك ليتفقد الناس وأحوالهم، وأنه: " صام ذات مرة رمضان في جادو، وأجتمعوا في القراءة والعبادة، فقال لأبي عمر حجّر عليهم أن لا يرقدوا في الليل فمن كسر حجّرك فترله في الحبس"[5]، وحتى وإن كان في

---

(1). . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 296 .

(2). البغطوري، المصدر السابق، ورق27 ــ 28.

(3). المصدر نفسه، ورقة28.

(4) الشماخي، المصدر السابق، ص 344 .

(5) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة26.

رأيه بعض الشدة إلا أنها في مصلحة المجتمع لأنه يحاول نشر روح العلم والتقـــوى ومحاربة الفساد والكسل، وله عادة حسنة وهي كلما أقبل شهر رمضان يرسل إلى الشيوخ والنساء المهتمات بالعلم والتفقه أن يجتمعوا في بيته ويعقدوا مجالس علمية يتم فيها طرح القضايا الفكرية لمناقشتها ودراستها [1]. وليضرب لهم مثل في الجد والعطاء فقد كان يقوم بتدريس طلابه بعد صلاة العشاء إلي منتـــصف الليـــل[2]. وكان من عادته أن يطالع الكتب ليلاً ، وفي أواخر حياته كانت تصله الكتب من فزان[3]، فيتدارسها بصحبة محمد بن زكريا البغطوري، ومحمد بن يخرز، ونلاحظ هنا استمرار العلاقات الثقافية بين فـــزان وجبـــل نفوســـة خـــلال أواخـــر ق: (4هـــ/10م). ومن المشتغلين بالفقه بالجبل **الشيخ أبو زكريا يحيي بـــن جرنـــاز اللالوتي** : نسبة إلي مدينة لالوت (نالوت)، وهو من علماء ق: (4هـــــ/10م) وهو من علماء الجبل الذين لهم مشاركات علمية خارج الجبل، حيث شـــارك في تأليف ديوان غار امجماج[4] مع سبعة علماء في جزيرة جربة ويوجد في الجبل بمدينة لالوت مصلي يعرف باسمه[5].

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة29.

(2) علي يحيي معمر ، المرجع السابق ، ص 195 .

(3) . جناو بن فتى . المصدر السابق ، ص 21 ؛ البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 27

(4) . غار أمجماج : يوجد هذا الغار في جزيرة جربة، بالقرب من مسجد ابن بيان بين حومتي بازيم وجعبيرة، وهو عبارة عن غار مستطيل الشكل يسع لاثني عشر رجلاً، والعلماء الذين شاركهم ابن جرناز هم : أبو عمران موسى بن زكريا المزاتي الدمري، وأبو محمد عبد الله بن مانوج اللمائي، وأبو عمرو النميلي الزاوغي، وجابر بن سدر مام الجربي، وكباب بن مصلح المزاتي، وأبو مجبر توزين المزاتي، ينظر : سالم بن يعقوب ، المرجع السابق ، ص 97 .

(5) . مصلي الشيخ أبزكريا يحيي بن جرناز : يوجد في مدينة نالوت، ويقع في وسط الجبل الذي يشرف على غابة نالة، ويبعد عن مسجد تيندرار حوالي 100 متر إلي الغرب منه، ويوجد داخله محراب، والمصلي محاط بسور قديم من الحجارة ، وبجانبه مقبرة قديمة، زرته عام 2004.

القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي شهد هذا القرن تطورات واحداثا تاريخية كانت السبب وراء إضعاف الحركة العلمية في بلاد المغرب عموماً وبالتالي فمنطقة جبل نفوسة تأثرت من جراء تلك الظروف والمتمثلة في هجـــرات قبائل بني هلال وبني سليم الغير المنتظمة، التي قام أفرادها بأعمال مـــن شـــأنها أن تزرع القلاقل وأشار ابن خلدون إلي ذلك بقوله : " وسارت قبائل دياب وعوف وزغب وجميع بطون هلال إلي إفريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرون على شيء إلا أتوا عليه حتى وصلوا إلي إفريقية سنة ثلاث وأربعين "[1]. ومن خلال النص ندرك أن المنطقة مرت بأوقات عصيبة واختلط فيها الحابل بالنابل وهذا يؤثر مما لا شك في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي على الحركة العلمية بعـــدما كان العلماء يقومون بواجباتهم الملقاة على عاتقهم في التعليم وإحياء السير والآداب انقلبت الأمور عكس ذلك وكادت أن تنقطع[2].

وكان ظهور العلماء ق: (**5هـــ/11م**)، بشكل قليل اختلف عن القرنين السابقين ومن أشهرهم : **الشيخ أبو زكرياء يحيي بن الخير بن أبي الخير الجناوني** : نسبة إلي قرية اجناون، وذكر محقق كتاب قناطر الخيرات أن أبا زكرياء الجناوني عاش في القرن السادس الهجري ، إلا إنني أرى أنه عاش في أواخر القـــرن الرابـــع الهجري ، وأوائل القرن الخامس الهجري، لأنه معاصر لعديد من علمـــاء القـــرن الخامس الهجري، وسيأتي الحديث عن البعض منهم لاحقاً.

---

(1) . ابن خلدون ، العبر ، ج6 ، ص 18 .

(2) . عبد الله الباروني ، المصدر السابق، ص 24 ؛ عزالدين عمر موسى ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، بيروت: دار الشروق ، 1983 ، ص 16 ــ 17 .

شيوخه: تعلم في مسجد أبناين على يد الشيخ أبي الربيع سليمان ابن أبي هارون موسى الملوشائي، ومكث مدة طويلة في التعلم دامت اثنتين وثلاثين سنة حتى صار من كبار علماء عصره، ويذكر الشماخي في سيره رواية ظريفة للشيخ أبو زكريا يحيى الجناوني الذي لما إراد : " الإنصراف من عند شيخه والموادعة قال: أمهلوني حتى أدخل خلف السترة لأنظرها، ولعلي أن أسأل عنها"[1]. وهذا يبين مدي حرصه على المعرفة والوقوف على الأشياء مهما كانت بسيطة في نظر البعض. وعقب إتمامه التعلم رجع إلي قريته اجناون وأسندت إليه الفتوى — والإفتاء ليس مقتصراً على الجوانب الفقهية فحسب وإنما حتى الجوانب الإدارية وغيرها — ويذكر الشماخي أنه ظل فترة طويلة يفتي للناس: " ولم يتوقف ولو في مسألة واحدة مع كثرة السائلين في أي فن من الفنون سألوا "[2] وجلس للتعليم في قريته وهناك مسجد في اجناون عرف باسمه[3] ويبدو أنه المكان الذي كان يُدّرس فيه طلاب العلم.

ومن تلاميذه: تخرج على يديه الكثير من العلماء منهم: أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي صاحب كتاب التحف المخزونة[4] ، وأبو زكرياء يحيي بن أبي بكر

---

(1). الشماخي، المصدر السابق، ص636.

(2) . المصدر نفسه، ص535 ــ 536.

(3) مسجد أبي زكرياء يحي الجناوني : يوجد في قرية إيجناون، وتم هدمه ولم يبق منه إلا آثاره، وكان في الأصل بناء تحت الأرض، زرته عام 2004 .

(4) كتاب التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية : والكتاب يقع في جزأين الأول عالج فيه القضايا التالية : ما لايسع الناس جهله ، الولاية والبراءة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحقيقة الإيمان والكفر ، مسألة خلق القرآن ، كما تحدث عن جوانب في العقيدة ، أما الجزء الثاني فقد جاء أكثر تجريداً في أبواب منها : باب في الحكمة ، باب في ما الصفات التي هي الموصوف بها ، باب في التوحيد ، والباب الأخير في أسماء الله وصفاته . ينظر : معجم أعلام الاباضية، المرجع السابق، ص 215 ــ 216 .

الوارجلاني (471 ــ 474هـ / 1078 ــ 1082م)، صاحب كتاب سير الأئمة وأخبارهم[1] وداود بن هارون أبو زكرياء الباروني .

أبو محمد عبد الله المجدولي: أصله من قرية تيميجار[2]. من علماء الفقه بالجبل شيوخه : أخذ العلم عن الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون ، وكانت فيما بينه وبين أستاذه مراسلات فقهية وأجوبة ويبدو أنه كان المفضل عند شيخه بين سائر التلاميذ[3].

ومن المهتمين بالفقه **الشيخ أبو زكرياء يحيي الجادوي:** نسبة إلي مدينة جـــادو[4] واهتم بدراسة الفقه، ونسب إليه الشماخي كتاب الوضع حيث قـــال: " وأظنـــه مؤلف كتاب الوضع وهو كتاب مفيد به يقع ابتداء من أراد الفقه والله أعلم "[5]

---

(1) . كتاب سير الأئمة وأخبارهم : يعد من أقدم كتب السير والطبقات الإباضية، واعتمد عليه أغلب كتاب السير الذين جاءوا من بعده مثل : الوسياني، والبغطوري، والدرجيني، والشماخي، والبرادي، اهتم بسير العلماء والمشائخ من أهل المغرب، وبجانب من تاريخ جبل نفوسة، كما تتبع تاريخ الدولة الرستمية، قام بتحقيقه : المستشرق الفرنسي ماسكراى: ونشره باللغتين الفرنسية والعربية عام 1878 م، ثم حققه : إسماعيل العربي كما حققه : عبد الـــرحمن أيوب . ينظر : معجم أعلام الاباضية ، المرجع السابق ، ص 451.

(2) . تيميجار : من مدن الجبل القديمة (أولاد أبو جديد حالياً) تقع في صدر الجبل من الجهة الشمال شـــرقية لوادي أمسين، ومن الغرب يحدها مجري وادي أمسين، ومن الجنوب قرية إمرساون والكرومة. ومن الشمال منطقة أولاد أبو جديد الحديثة، من معالمها التاريخية مسجد الشيخ علي بن يخلف التيميجاري ، وقصرا : المالطي وأولاد أبي جديد . زرتها عام 2004.

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 537 .

(4) . جادو : من المدن الكبيرة في جبل نفوسة، وتحدثت المصادر التاريخية عن أهميتها الـــسياسية والاقتـــصادية والعلمية، وكانت المدينة الثانية في الجبل بعد مدينة شروس ذكرها البكري في مسالكه وممالكه قائلاً : " وفي وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمي جادوا لها أسواق ويسكنها يهود كثير "، وتقع على رأس الجبل، تبعد عن مدينـــة طرابلس حوالي 180 كلم، يحدها من الشرق قرية طرميسة، ومن الغرب قرية مزو، ومن الشمال قرية يـــوجلين وأوشباري، وتلات أرغميران، ومن الجنوب غابات الزيتون . زرتها عام 2004.

(5) . الشماخي ، المصدر السابق، 551 .

إلا أن البرادي يرى أن مؤلف كتاب الوضع هو أبو زكرياء الجناوني وهـذا هـو الرأى الأرجح ، لاهتمام البرادي بمؤلفات الاباضية عموما حيث ألف كتابا في هذا الصدد سماه (تقييد كتب اصحابنا) كما أن أبو العباس الشماخي غير متأكد من روايته حيث يقول: " ولعل هذا الظن خطأ "[1]. وللجادوي مرثية على أبي يحيـي استحسنها أهل البلاغة والمعاني.

وتتواصل الأجيال عبر القرون في التعليم والتعلم والأخذ بعـضهم عـن بعض، ونشر العلوم والدفع بالمسيرة التعليمية في مختلف قرى ومدن الجبـل ومـن أشهر علمـاء ق: (**6هـ/12م**) **وجدليش أبو يوسف الأمللي:** ظهـر خـلال النصف **شيوخه:** أخذ علومه على الشيخ : داود بن هارون ، وهو يعد في سلسلة سب الدين[2]. وأخذ عنه مجموعة علماء منهم : أبو يحيي زكرياء ابن إبراهيم .

ومن علماء الفقه بالجبل في القرن: (7هـ/13م)، **الشيخ أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي**، ينتسب إلى قرية تملوشايت ويعد من العلماء الكبار، أخذ العلم على يد خاله الشيخ أبي يحى زكريا بن إبراهيم الباروني، ونبغ في عدة مجالات منها: (**الفقه، والأصول، وعلم الكلام، والأدب والشعر**)، فهو بذلك يمثل موسـوعة متحركة. وبفضل التكوين العلمي تمكن الشيخ أبو نصر الملوشائي مـن تـأليف مجموعة كتب جاء أغلبها على هيئة قصائد شعرية. فأما ما يخص الفقه فألف مـتن الرائية في الصلاة وأحكامها الفقهية وما يتعلق بها من جميع وظائفها وهي في مائـة وأثنين وأربعين بيتاً، ونقتبس منها بعض الأبيات، وهذا مطلعها:

---

(1) . نفس المصدر والصفحة .

(2) . معجم أعلام الإباضية ، المرجع السابق ، ص 444 .

سما من سما بالجد والعزم والصبر ... وسهر الليالي والسرى والتهجري
وغودر بالتسويف في النوم أو غدا ... أخو العجز والكسل البطيء عن الخير
أحب فتى ماضي العزائم حازماً ... لدنيا وأخرى عاملاً بالتشمر
وأما أخو النومات لا مرحبا به ... ولا بالجثوم الراكد المتدثر

ثم قال:

يفرق هذا الدهر بين أحبة ... من الأهل والأولاد والنشب الدثر
كتفريق بين العبد والكفر حفظه ... على الصلوات الخمس من أول العمر
فمن ضيع المفروض من صلواته ... أو أخّر منها فهو أضيع للغير
ومحرم بعضاً من وظائفها التي ... تتم بها لا عذر إلا لذي عذر
إذا قمت للتوجيه بالقصد فانتصب ... بقلب خلي فارغ من سوى الذكر
وقل خاشعاً وجهت وجهي للذي ... تقدّس عن ضد وند ومنكر
وقف خالياً من العلائق إنها ... مناجاة مولاك الجليل المدبر
ولا تخلها استصحاب حال بنية ... وخوف وإطماع ريائك فاحذر
لدى الكعبة البيت المحرم فانوها ... صلاة وداع بالرحيل إلى القبر
وأحرم بتكبير صحيح مجرد ... من اللحن والتصحيف وأجهر وكبر
فتحريمها التكبير مفتاح بابها ... متى لم تصحح لم تلج دارة الأمر
إذا كبر العبد المصلي بصحة ... تلقاه ترحيب من الواصل البر
مقام شريف ليس يعرف قدره ... سوى من تخلى من علائقه الخشر
وليس خشوع الجسم يوماً بنافع ... إذا غاب قلب في شعاب التدبر
فقل واستعذ بالله قبل قراءة ... وبسمل كما قد جاء في النص والذكر
فمن لم يعوذ فالصلاة نقيصة ... وقيل بإعجام لصاد فقس وأدر
ولا بد من أم الكتاب قراءة ... لفرض ونفل في الجهار والسر

وراء إمـــام أو صـــلاة المفـــرد ... فـــما فـــلّ منها فلـــيعده على الفور
وأما صـــلاة الجـــهر فلـــيقر تالياً ... ثلاثاً ومـــن آى قـــدر ســـورة كوثر
فما دونها عـــجز وخـــزم مذمـــم ... وما فـــوقها فالفـــضل في كـــل أكثر
ورتّل بيـــاناً واحـــتساباً قـــراءة ... بقطـــع الحـــروف المعجمات أو الغير

وجاء في آخرها:

لقد أسهبوا شرح الصـــلاة وأطنبوا ... فما بلغـــوا معـــشار عشـــر ولا عشر
ونظمت فـــيها القافـــيات لأنـــها ... قد أغفلـــها الشـــيخ العـــماني أبو بكر
على أن شمس العـــصر شـــيخ مبرز ... أبيّ ببـــديع الصـــنع بالظـــم للـــنثر
ولم يحـــد منـــوالاً تقـــدم قـــبلة ... بنـــظم علـــوم الفـــقه والـــدين بالشعر
فأعـــجز أهـــل العصر كلا وبعده ... كما أعـــجز الأمـــي مـــن فاه بالسحر
علـــيه ســـلام الله ثـــم صـــلاته ... ورضـــوانه يا حـــبذا طـــيب الذكـــر
فطـــوبى لمـــن كـــان النبي شفيعه ... وراح إلى الفـــردوس مع صالح الزمر

كما ألف الشيخ أبو نصر الحائية، وهي لغرض تحريض الطلبة للاهتمام بطلب العلم والجد والإجتهاد، والتأسي بسيرة اليلف الصالح، وعدم تضييع دقائق العمر الثمينة في توافه الأمور، وكانت في مائة بيت، ونقتبس منها:

الحـــمد لله علـــى مـــــا أراح ... مـــن نعـــــم أو نقـــــم قـــــد أزاح
أحمـــــده حـــــقاً وأشكـــــره ... علـــى الآلاء الظاهـــــرات الوجـــاح
والصـــلوات الطيـــبات علـــى ... نبـــــيه أحـــــمد زيـــــن البـــــطاح
ثم الرضـــــى عـــن أهل قدوتنا ... أئـــــمة الـــدين نجـــوم الفـــــلاح
وبعد حـــــيَّ الله حزب الهدى ... تحـــــية تحـــكي محـــيا الصـــباح
يعـــبق رياها كـــنشر الشـــذا ... كالمســـــك ضـــــوعاً ومتى صين فاح
أهـــــلاً بذكراهم وسهلاً بهم ... ومرحـــــباً بالقســـــمات الوضـــــاح
إن ازدواج العـــــقد مستحسن ... وواســـــط العـــــقد جمـــــال الوشاح

وقال أيضاً:

أكرم بحزب وبمحضرة ... تقطف أزهار الكتب فصاح
لولاهم إذ هم مصابيح الدجا ... نادا عميد الجهل فيحيى فياح
أحيوا علوم الدين من بعد ما ... كادت لتذروها هبوب الرياح
هم لذة الدنيا وسر الفؤاد ... وقرة العين وأنس لصاح
من قام بالإسلام يحيى به ... فهو كمن أحيا قتيل الجراح
كذاك من مات على يده ... كقاتل الناس جميعاً كفاح
جادتهم الرحمة واصبة ... ولا عدتهم صفحات النجاح
يأيها الحزب اسمعوا ثم عُوا ... قول الأخ النصيح أي النصاح
شيخ تملى دهره حقباً ... يغدا عليه بالفنا ويراح
أو في ثنيات الوداع على ... قصم الثنايا بعد غر صحاح
يوصيكم بالجد والإجتهاد ... ويازدياد الخير كل صباح

وقال فيها أيضاً:

فاغتنموا أيامكم إنما ... سحائب الصيف قشاع سراح
أعماركم أسفاركم فاقتضوا ... مآرب الأوبات قبل المراح
إن شباب القوم عارية ... كضيف ليل ومع الفجر راح
فهذه الأنفس مستامة ... يسومها الموت غدواً ورواح
وهذه الآجال موقوتة ... مجهولة الحين غياب المتاح
وهذه الأنفاس معدودة ... وكل معدود سيتفذ صاح
وهذه الأرزاق مقسومة ... فهو حظوظ مثل ضرب القداح

وقال في آخرها:

حذار من دينك أن يخطفوا ... خطف عقنبات لحوم الأضاح
فالدين فلّ يل طريد غريب ... مقلص الأفياء واه قراح
لم إلا رسمه واسمه ... وحرمات الله قد تستباح

فليبك باك أو ينح شجناً ... فما عسى يجديه صاح وناح
وأنشد الله أديباً رآى ... عيباً أقام العذر لي وأشاح
فلست أعني رابعاً للخليل ... ولا لضليل مجون الملاح
لكن خطابي للذي يعتني ... بالعلم والآداب والإفتصاح
هذا كلامي والسلام على ... كل أديب ما أضاءت براح
أبناء جدئي حيثما قطنوا ... وأينما حلوا بأقصى النواح
خصّوا أخاكم بالدعاء إذا ... قرأتوها وأعلموا بالنصاح

كما ألف الشيخ أبو نصر الدالية، المسماة برسالة: (**المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد**)، كما ألف كتاب سماه: مقامات، ويوجد في قرية تملوشايت مسجد مازال يحمل اسم الشيخ أبي نصر التملوشايتي[1].

ومن أبرز علماء الجبل وكان لهم دور بارز سيما في الفقه **الشيخ أبو موسى عيسى بن عيسى الطرميسي**: نسبة إلي قرية طرميسة، وهومن علماء القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، أسهم بشكل بارز في نشر العلوم وترسيخها وتربية الطلاب وتوجيههم توجيهاً علمياً.

شيوخه: تلقى علومه على الشيخ أبي يحيي بن وجدليش الأمللي ، عند إتمامه مرحلة التعلم افتتح مدرسة في قريته . وكان الشيخ أبو موسى يتبع طريقة اختلف بها عن باقي مدارس الجبل وقتذاك وهي توجيه الطلبة نحو التأليف وعدم الاكتفاء بالرواية الشفوية ، فاستجاب لذلك الشيخان المذكورين آنفاً (الشماخي صاحب كتاب الإيضاح و الجيطالي صاحب كتاب قناطر الخيرات). وانتقل الشيخ أبو موسى

---

(1) . مسجد الشيخ أبو نصر فتح بن نوح التملوشايتي : يقع في مدينة تملوشايت القديمة بقرية ماجر، وأنه كان أكبر مساحة من وضعه الحالي، بحيث كان طوله تقريباً 12 متر وعرضه 9 متر، وقد تساقط أكثره ولم يبق منه سوى بيت واحد مازال بحالة جيدة وله باب يفتح على الجهة الشرقية، زرته عام 2004.

عيسي في مرحلة لاحقة من مراحل عطائه التعليمي إلي مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي بقرية مزغورة حوالي عام (700هـ / 1300م)[1]. وعندما حضرته الوفاة أوصى أن تكون مكتبته العامرة من بعده وقفاً لطلبة العلم والفقهاء[2].

تلاميذه : تتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم بالجبل، ومن أبرزهم الشيخ عامر الشماخي، والشيخ إسماعيل الجيطالي. **وفاته:** توفي عام 722هـ/1322م.

ومن الفقهاء الذين نبغوا بالجبل **الشيخ أبو يحيي زكرياء بن إبراهيم بن زكرياء بن أبي هارون الباروني:** سليل أسرة الباروني العلمية . التي أسهمت بدور كبير في نشر العلوم في جبل نفوسة.

شيوخه: أخذ العلم عن أبي يوسف وجدليش الأمللي وبرع في دراسته وأجازه شيخه وصار في سلسلة نسب الدين بالجبل .

وخلال ق: (8هـ/14م) ظهر بالجبل فقهاء بارزون إلا أن **الشيخ أبو ساكن عامر بن علي بن عامر بن سيفاو الشماخي** يعد من أبرزهم، وليس هذا فحسب فالشيخ عامر يعد من الفقهاء على مستوى العالم الإسلامي.

ولد بمدينة يفرن، لم تشر المصادر إلي سنة ولادته !، وبما عاش وترعرع، عرف منذ صغره بالصلاح ، كان يرعى مرة بقرة لأبيه ماسكاً لها بالرسن فجاز عليه أعرابي وقال له : لما تمسكها دون الأطفال ؟ ، فرد عليه عامر : أخشى أن تغشى زروع الناس ، فذهب الأعرابي إلي والده وقال له : إن ابنك ينفع للعلم والدراسة لا لرعي الأبقار[3]. وفعلاً أرسله والده إلي المدرسة ليتعلم ودرس بداية في مدارس يفرن .

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 552 ، 553 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 553 ؛ أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 153 .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 561 .

شيوخه: كان والده من معلميه الأوائل بالإضافة إلي مشائخ مدينة يفرن وهنـــاك تعلم المراحل الأولي ، ثم رحل إلي قرية طرميسة ليكمل تعليمه العالي في مدرســة الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي وظهر نبوغه وتفوقه .

جهوده العلمية : وبعد تخرجه صار معلماً في مدرسة شيخه ، ثم انتقل إلي مدرسة أبي زيد المزغورتي بمزغورة ، وتعاون مع زميله الشيخ أبي عزيز في تنظـــيم بـــرامج المدرسة وطلابها ، حتى استقامت فيها الأمور وعندما أطمأنّ عليها توجه إلي قرية ميتيون[1]، وأنشأ هناك مدرسة وأقام فيها للتعليم والتدريس مدة ثلاث عشرة سنة ، وكذلك الأمر لما أدرك أنها تسير في الاتجاه الصحيح ، رجع إلي موطنه يفرن سنة 756 هـ / 1355 م، وفي قرية المعانيين أسس مدرسة في المـــسجد الكـــبير[2] وأقام يدّرس بها حتى وافاه الأجل .

مؤلفاته: اهتم الشيخ عامر الشماخي بالتأليف بناء على توجيهات شيخه وأستاذه أبي موسى الطرميسي فألف : رسالة متن الديانات في الأصول بناء على طلب أحد تلاميذه وهو حازم بن نوح المرساوني، ويبدو أنه ألفها في قرية ميتيون لقرب قرية المرساوني منها (إمرساون)، وكتاب الإيضاح في الفقه، ويطلق عليه اسم الديوان ويقول الشماخي : " ألف ديوانه في عشرة الثلاثين بعد موت عمنا عيسي، وقبـــل موت عمنا أبي عزيز "[3]، ويعني ذلك أنه ألفه مابين سنة (730 أو 739هـ)،

---

(1) . محمد بابا عمي ، المرجع السابق ، ص 240 .

(2) المسجد الكبير : يقع هذا المسجد في الطرف الشرقي بقرية المعانيين وهوعبارة عن بناء مربع الشكل تقريباً طوله حوالي 16 متر وعرضه مثل ذلك، وهو يعد من أقدم المساجد بجبل نفوسة حيث تشير لذلك كتابة على أحد أعمدة المسجد (على يمين الداخل من الباب الغربي)، وهي : (مائة وسبعة أو مائة وتسعة هجرية)، ينظر الصورة رقم (33) .

(3) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 560 .

أذن فالشماخي ألف كتابه قبل رجوعه إلي يفرن فمن المحتمل أن يكـــون مكـــان التأليف إما في طرميسة وهذا مستبعد لأنه مازال طالباً وقتها والاحتمال الأرجح إما في ميتيون أو مزغورة لأنهما فترة النضج العلمي بالنسبة للشماخي والمقدرة علـــى تأليف كتاب فقهي بهذا المستوى، وقصيدة الأزمنة .

تلاميذه: كما تخرج على يديه مجموعة كبيرة من العلماء منـــهم: ابنـــه موســـى وحفيده سليمان، وأبو يعقوب يوسف بن مصباح، وأبو زكرياء يحيي بن زكريـــاء وأيوب الجيطالي، وأبو القاسم ابن إبراهيم البرادي[1] ، ونوح بن حازم المرســـاوني وأبو عبد الله محمد التفجاني، وأبو ضياء يسفاو الطرميسي، والشيخ ابن محمد ابن الشيخ ، وأبو عمران موسى بن يوسف.

وفاته: وتوفي في مدينة يفرن عام 792هـــ / 1349م، وقبره في قرية القصير[2].

---

(1) أبو القاسم بن إبراهيم البرادي الدمري: كان حياً في سنة:(810هـــ/1407م)، ولد بجبل دمر في الجنـــوب التونسي، درس في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى جزيرة جربة حيث تلقي العلوم فيها على عدة مشائخ منهم: يعيش بن موسى الزواغي، ثم انتقل إلى يفرن بجبل نفوسة وتتلمذ على الشيخ عامر الشماخي، [ونلاحظ هنا اختياره منطقة جبل نفوسة لمواصلة تعليمه بعد دراسته في كلا من: الجنوب التونسي وجزيرة جربة، وهذا يؤكد على أن الدراسة في الجبل وقتذاك كانت على درجة عالية من الإزدهار العلمي والثقافي، وإلا لاختار البرادي مكان آخر أو أكتفي بذلك وتفرغ للتدريس]، ثم رجع إلى دمر ومنها إلى جربة، وأخذ ينشر ما تعلمه وقام بالتدريس، كما تولى رئاسة حلقة الغزابة، وترك البرادي عدة كتب منها: الجواهر المنتقاة، رسالة الحقائق، رسالة في تقييد كتب أصحابنا، البحـــث الصادق، جواب لبعض أهل الخلاف، شرح الطهارات، وغيرها من الكتب. للمزيد انظر: الجعبيري، ملامح عـــن الحركة العلمية، ص.

(2) . قرية القصير: من قري مدينة يفرن وتقع في أقصي شرقها، ومازالت آثارها قائمة بشكل جيد ومنظم، كما أن أحفاد عائلة الشماخي مازلوا يقيمون في نفس القرية، وقبر الشيخ عامر معروف بهذه القرية بجوار مسجد صغير، على الطريق المؤدية شمالا إلي قريتا تاغمة والقلعة، ينظر الصورة رقم (34) .

كما أن الشيخ أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي: يعد ويرجع نسبه إلي قرية جيطال ، لإسهاماته العديدة في مجال العلم والثقافة سواء بالتعليم أو التأليف ونشر العلوم ومحاربة الجهل والفساد ، تعلم أولاً في مد ارس قريته .

شيوخه: ارتحل الجيطالي إلي قرية طرميسة، والتحق بمدرسة الشيخ أبي موسى الطرميسي لإتمام المراحل العليا من التعليم[1].

جهوده العلمية: وبعد التخرج أخذ يتنقل على عادة علماء الجبل بين المدن والقرى مربياً ومدرساً وواعظاً . فأقام فترة من الزمن يدّرس بمدرسة أبي زيد المزغورتي بقرية مزغورة ثم انتقل إلي قرية فرسطا وأقام فيها مدة تسع سنوات وأسهم في نشر العلوم وتقويم الاعوجاج[2]. ذكر أنه يمتاز بذاكرة قوية مكنته من حفظ مجموعة من الكتب منها : كتاب الدعائم ، ومقامات الحريري ، وكتاب العدل والإنصاف للوارجلاني ، وجمل الزجّاجي

رحلاته : ارتحل إلي مدينة طرابلس وهناك تعرض لمحنة السجن، و لم تذكر المصادر التاريخية تفاصيل سجنه ! مثلاً تاريخ السجن ؟ وما هي الدولة الحاكمة حينها لمدينة طرابلس ؟ ومن هو الحاكم الذي سجن في عهده ؟ والمدة الزمنية التي قضاها في السجن ؟ إلا أن الشماخي يقول :" نزل ومعه عبيد أراد بيعهم بمدينة طرابلس فآل أمره إلي أن قال: هل عندكم من علم فتخرجوه لنا فما زال قاضيها وأميرها

---

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص 556 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 558 ؛ والصادق بن مرزوق، أبو طاهر إسماعيل الجيطالي حياته ومآثره ، أعمال الملتقي حول تاريخ جزيرة جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، جربة : منشورات جمعية صيانة جزيرة جربة ، 1986، ص 50 .

يلتمسون عليه الأسباب حتى سجناه ... [قام الجيطالي] بمدح ابن مكي صاحب قابس بقصيدة فتشفع فيه عند صاحب طرابلس "[1]. ، فعلى الأرجح أنه سجن في عهد دولة بني ثابت أثناء حكمهم لطرابلس، لأنهم المعاصرون لحكم بني مكي في قابس، ولكن النص لا يوفر معلومات دقيقة بخصوص اسم الحاكم الذي سجنه، وبذلك يكون أحد ثلاثة : إما في عهد مؤسس الدولة ثابت بن محمد بن ثابت (ت 730 هـ)، أو في عهد ابنه محمد ابن ثابت، أو في عهد ثابت بن محمد الأخير .

كما يفهم من النص أن الجيطالي كان يشتغل بالتجارة ما بين الجبل ومدينة طرابلس حيث يقوم ببيع الرقيق، ويبدو أن تجار الجبل كانوا يقومون بدور الوسيط في نقل البضائع والتبادل التجاري ما بين بلاد السودان ومدن الساحل .

وبعد إطلاق سراحه سافر إلي جزيرة جربة ، وأقام بالمسجد الكبير يدّرس وفي نفس المجلس يؤلف[2].

اعتبر أحد الباحثين المعاصرين أن سبب نبوغ الجيطالي هو إقامته في جزيرة جربة[3]. إلا أن الباحث يرى عكس ذلك فالعلامة الجيطالي ظهر نبوغه في جبل نفوسة الذي فيه تعلم ودرس وتنقل بين مدارسه واحتك بالعلماء والمشايخ هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الجيطالي على ما تذكر المصادر فور وصوله إلي جربة وفي المسجد الكبير أقام يُدّرس ويؤلف الكتب في نفس المجلس ، وهذا دليل

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 556 .

(2) . الصادق بن مرزوق، المرجع السابق، ص 51 .

(3) المرجع نفسه، ص 49 ـــ 50 .

على أنه كان مكتملا علمياً وثقافياً . والذي حدث أن مدارس جيل نفوسة كانت سبب تكوينه العلمي ونبوغه ، أما جزيرة جربة فقد جنت ثمار الجيطالي اليانعة .

وفاته : توفي رحمه الله عام 750 هـ / 1350 م . في جزيرة جربة ودفن في المقبرة المجاورة للمسجد الكبير بحومة الحشان[1].

أبو عزيز إبراهيم ابن أبي يحيي الباروني: من مشائخ الفقه بالجبل، ويرجع لأسرة آل بارون العلمية.

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخ أبي موسى عيسى الطرميسي ، ثم جلس مكانه بعد موته[2]. وصار معلماً وتخرج على يديه تلامذة.

تلاميذه : تتلمذ على يديه كثيرون منهم : أبو عبد الله محمد الباروني

وفاته : توفي عام 746 هـ / 1349 م .

ومن فقهاء الجبل **الشيخ أيوب الجيطالي**: وينتسب إلي قرية جيطال. أخذ العلم عن الشيخ إسماعيل الجيطالي وعندما سافر شيخه إلي جزيرة جربة انتقل يتعلم عند الشيخ عامر بن علي الشماخي، وبعد تخرجه أقام في أحد المساجد لتعليم الطلاب، وكان يفد إليه الطلبة من كل حدب وصوب، وكان يهتم كثيراً بالطلبة الغرباء، وقد لاحظت في أغلب قري ومدن الجبل مقابر تنسب للغرباء[3].

ويعد **الشيخ أبو عمران موسى بن عامر بن علي الشماخي**: من علماء مدينة يفرن وله نبوغ في الفقه.

---

(1) مقبرة المسجد الكبير : بحومة الحشان في جزيرة جربة، وتقع غربي المسجد ومحاطة بسور، زرتها عام 2004 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 554 .

(3) . المصدر نفسه، ص562 ـــ 563 .

شيوخه: تتلمذ على يدى والده الشيخ عامر الشماخي ، اشتغل هو الآخر بالتدريس والوعظ ، وكان مرجع للناس في حل مشاكلهم ، واشتهر بالصلاح والتقوى ، واهتم كثيراً بالفقه والفروع . لم يوفق في بداية تعليمه فطاف على مساجد ومشاهد الجبل وهي عادة كانت متبعة وقتذاك لمن يعجز عن التحصيل العلمي . **وفاته :** توفي عام 807 هـ .

ومن الفقهاء **الشيخ أبو الربيع سليمان بن موسى بن عامر الشماخي:** وهو حفيد الشيخ عامر الشماخي.

شيوخه: تتلمذ على يديه ويقال انه قرأ عليه ثمانين كتاباً[1]. وتولي مكان جده ومرتبته في التعليم وغيره. وفاته : توفي سنة 806 هـ /بمدينة طرابلس ودفن فيها.

والشيخ نوح المرساوني: من المهتمين بالفقه، ينتسب إلي قرية إمرساون[2].

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخ والعلامة أبي ساكن عامر الشماخي ، قام بمهمة التدريس في الجبل وتخرج على يديه كثيرون كان لهم دور بارز في التدريس والإفتاء والإرشاد ، وقد ألف الشيخ عامر رسالة متن الديانات تلبية لطلب تلميذه نوح[3]

وفاته : توفي في 12 رمضان عام 806هـ / م ، ويوجد بقرية إمرساون مسجد مازال يحمل اسمه[4].

---

(1) نفس المصدر والصفحة .

(2) . إمرساون : من القري القديمة في جبل نفوسة، وتقع إحدي سفوحه بنهاية وادي أمسين، يحدها من الشرق غابات الزيتون (خربة مقتل عبد الله)، ومن الغرب غابة زيتون، ومن الشمال وادي أمسين، ومن الجنوب منطقة الظاهر ، وهي عبارة عن خرائب وأطلال دارسة، كم يوجد بها عدداً من الغيران التي كانت تتخذ للسكن ، وبها عدد من صهاريج المياه . ثم انتقلت في فترة لاحقة إلي حافة الجبل ، زرتها عام 2005 .

(3) . معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 440 .

(4) . مسجد نوح بن حازم المرساوني : مسجد يقع على قمة الجبل، ويطل على وادي أمسين ، قام الأهالي بصيانته وترميمه ، وأضافوا إليه بناء لتوسيعه ، زرته عام 2005.

ويعد **الشيخ أبو زكرياء يحيي بن أبي العز الشماخي**: من الذين أشتغلوا بالفقه بجبل نفوسة، وهو سليل أسرة الشماخي العلمية، من سكان قرية تيغرمين. وشرح الدعائم في سفرين، وتبع طريقة الوصاف، وحذف أكثر الشواهد. كما يشير الشماخي إلى اهتمام أبو زكريا الكبير ببنسخ الكتب وله الفضل في نسخه لكتب عديدة، إلى درجة لا تخلو مكتبة من مكتبات جبل نفوسة إلا وفيها كتاب من نسخ يده وبخطه[1].

شيوخه: أخذ العلم عن الشيخين أبي موسى عيسى الطرميسي، و أبي عزيز بن إبراهيم الباروني، وبعد تخرجه من مدرسة شيخه الطرميسي أقام فيها لمدة يعلم الطلاب[2].كما أن **الشيخ أبو يحيي زكرياء بن عيسى الأبدلاني**: وهو ينتسب إلي قرية أبديلان، تعلم على شيوخ زمانه ويعد من علماء وفقهاء جبل نفوسة .

---

(1) . الشماخي، المصدر السابق، ص553.

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 553 .

2) علم التفسير:

اقترن التفسير في عصر النبي محمد ﷺ بالوحي، فقد كان جبريل يترل بالآيات على النبي ومعها تفسيرها، وهذا يدلنا على أن الرسول لم يكن يفسر القرآن برأيه، فقد روى الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: "كان الوحي يترل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك"[1]، وقد نهي الرسول عن التفسير بالهوى أو بغير علم، حيث قال: " من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار"[2]. وندرك من خلال هذه التحذيرات النبوية مدي خطورة التفسير بغير علم وتمكن في اللغة والدين. وهذا العلم يختص بتفسير وتوضيح معاني القرآن الكريم وفق ضوابط وشروط معينة، وينقسم هذا العلم إلي قسمين : الأول تفسير نقلي ويستند في ذلك على الآثار المنقولة عن السلف من الصحابة والتابعين، والثاني : تفسير عقلي، وكثير من الصحابة اتبعوا هذا الأسلوب في التفسير كابن عباس وابن مسعود[3].

وهذا النوع الأخير الذي اهتم به علماء الجبل في تفسيرهم لكتاب الله العزيز، كما اعتنوا في نفس الوقت بالتفسير النقلي. ومن علماء الجبل الذين اهتموا بهذا الجانب من العلوم، **الشيخ أبو المنيب مامد بن يانس الدركلي:** وينتسب إلي قرية دركل، بينما ينسبه البغطوري إلي تملوشايت.

شيوخه :

وهو من الطلاب الأوائل الذين درسوا على حملة العلم فدرس على يد الشيخ إسماعيل بن درار الغدامسي، كما درس على الشيخ عاصم السدراتي. وأفني

---

(1). تفسير القرطبي، ج1، ص39.

(2) . الترمذي، سنن الترمذي، ج11، القاهرة: مطبعة الصاري،ص67.

(3) . أحمد أمين ، فجر الإسلام ، بيروت : دار الكتاب العربي ، ص 200 .

حياته في سبيل العلم كما يشير الشماخي: " قيل قسم عمره بين طلب العلم والزيارة، والحج وقراءة العلم "[1] ، ويبدو أنه اهتم بدراسة تفسير القرآن الكريم ونفهم ذلك من خلال تكفله بعلم التفسير عندما اختاره مشائخ الجبل ضمن الوفد العلمي المتوجه إلي تيهرت لمحاورة ومناظرة علماء المعتزلة[2].

وتشير المصادر التاريخية إلي كثرة عبادة الشيخ أبي المنيب واهتمامه بالصلاة حيث كان له سبعة مساجد يدوام على الصلاة فيها بالرغم من تقدمه في السن[3].
تلاميذه: ومن أبرز الذين تخرجوا على يديه : الشيخ أبو خليل صال الدركلي.
وبعد حياة طويلة حافلة بالكفاح والعطاء، العلمي والثقافي، توفي الشيخ أبو المنيب الدركلي ما بين: (200 ــ 250هـ / 814 ــ 864م).

ومن طرق تعليم هذا الفرع من العلوم هي طريقة الإملاء، وأشار البغطوري لذلك قائلاً : " روى أنه [أبو هارون الجلالمي] وقف عليه يوماً وهو يملي على أبي الحسن الكباوي فكلما وقف لأبي محمد حرف في التفسير يطأطيء عليه أبو علي حتى يعرفه فيكتبه "[4].

3) أصول الدين :

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 169 .
(2) . الشماخي ، المصدر السابق، ص 155 .
(3) الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 180 .
(4) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 37 .

فن من الفنون يعني بمجموعة من القضايا الدينية، اهتم علماء الجبل بمعالجتها وتمخض محيطهم بإنتاج وافر، ونلمس بوضوح أنه كان على مستوى من النضج والقدرة على الاستيعاب، وطرحه في منطق متكامل، ومن أشهر العلماء الذين نبغوا في هذا المجال العلمي: **أبو هارون موسى بن يونس الجلالمي:** ق: (هـ/ م)، ينتسب إلي قرية جليمت[1]، لم تذكر المصادر تاريخ ولادته وإنما كان حياً بعد عام 283هـ / 896 م. شيوخه : تتفق المصادر التاريخية على أن تعليمه كان على الشيخ أبي القاسم البغطوري[2]. ويبدو أنها كانت المرحلة العليا من تعليمه ونفهم ذلك من نص للشماخي الذي يقول: " يعمل شغله إلي ربعه إلي العشية ، فيمضي إلي الشيخ أبي القاسم يتعلم ثم يدرس ثم يرجع مصبحاً شغله وذلك دأبه "[3]. فمن خلال هذا البرنامج ندرك أنه كبير في السن (شغله نهاراً ، وتعليمه ليلاً) ، وأن أبا هارون تعلم عند أبي القاسم مدة ثلاثين عاماً درس خلالها الأصول والمناظرة والحجة[4]، وهذه المواد تدرس في المرحلة العليا كما هو معروف وقتذاك، وقيل عنه : اشتغل بعلم الأصول فتعلق إليه فروع الفقه . وعندما أنهى تعليمه ورأي في نفسه المقدرة على تعليم الآخرين افتتح مدرسة بقريته جليمت، وأنفق علي طلابها من ماله الخاص.

تلاميذه: وتخرج على يديه العديد من العلماء منهم : أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي، وأبو يحيي زكرياء بن يونس الفرسطائي، وأبو حسان عامر السدراتي .

---

(1) . جليمت : قرية قديمة تقع على قمة جبل عال وتشرف على وادي إكراين، تبعد عن مدينة كباو حوالي 10 كلم، وفي أعلى قمة الجبل يوجد بناء أثري مربع الشكل، والصاعد إليها يجد صعوبة ومشقة، زرتها عام 2004 .

(2) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 30 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 278.

(3) . المصدر نفسه ، ص 278

(4) . نفس المصدر والصفحة .

وكان العلماء يشيدون بالجلالمي، وبغزارة علمه وكانوا يشبهونه بأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[1]. وتملأ آراؤه وفتواه وأقواله الكتب ، فلا تخلو منها كتب الفقه والأصول وعلم الكلام[2]، كما كان يقصده الناس للسؤال عن المشكلات الفقهية والعلمية التي لها علاقة بحياتهم، فيقدم لهم الإجابات المرضية والمقنعة في نفس الوقت حتى قال له أحدهم : " إن العالم مثل الحوض من جاءه أستقاء "[3].

رحلاته: كان أبوهارون الجلالمي من علماء الجبل الذين اهتموا بالرحلة خارج الجبل من أجل طلب العلم والاشتغال بالتجارة ، وخاصة مع بلاد السودان الغربي، وأكثر تجارته مع تادمكة[4]، وعاش إلي ما بعد سنة 283 هـ / 896 م أي بعد معركة مانو.

ولكل فترة تاريخية ظروفها التي تؤثر في العطاء والاهتمام بهذا العلم، أو التراجع وقلة الإنتاج، وهذا ما حدث في فترة إكتساح ابن غانية الميورقي لمنطقة بلاد الجريد وجبل نفوسة مما جعل أغلب علماء الجبل يهتمون بالسير ويبتعدون عن الأصول، فانبرى أبو نصر بن نوح الملوشائي من علماء القرن السابع الهجري، شاكياً من تفريط الناس في هذا العلم بقصيدته النونية[5]: (طويل).

سلام على الإخوان في كل موطن بنجد وخيف والسهولة والحزن

---

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 50 .

(2) . علي يحي معمر ، المرجع السابق ، ص 162.

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 31 ؛ والصواب : استقى .

(4) . المصدر نفسه ، ورقة 30 .

(5) أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، ديوان أبو نصر الملوشائي، ص1.

سأهدي إليكم من كلامي قصيدة أقدمها للنفس يوم التغابن
تنبهكم عن بعض ما لم يسعكم فما حكتها بوصف جام ولا دن
أروم بها أحياء علم عقائد درسن فلم يحفل بها كل معتن
ألا بدلوا قافاً بعين وصادها بقاف وصوتها من الصحف واللحن
نظرت إلي قرائنا فوجدتهم بفقه المعاش مولعين بألسن
تناسوا أصول الدين من أجل أنها صعاب وما فيها ثمار لمن يجن .
فأحببت تجديد العهود لنظم ما تناثر من تلك العقود بأمتن
فأول علم يلزم العبد فرضه على الفور توحيد الإله المهيمن

وهذه النونية وضعها أبو نصر الملوشائي في أثنين وثمانين ومائة بيت، جمع فيها أصول الدين، فذاع صيتها وانتشرت في مختلف بيئات الإباضية، واهتموا بحفظها وإنشادها في المناسبات. "وقام الشيخ إسماعيل الجيطالي ق: (8هـ/14م) بشرحها في مجلدين. نهج فيهما منهجاً تحليلياً استدلالياً لا يخلو من نزعة دفاعية"[1] وكذلك من علماء الجبل في مجال أصول الدين الشيخ أبو هارون الجلالمي.

4) علم الكلام :

(1) فرحات الجعبيري، العقيدة عند الإباضية، ص122ـ 123.

"وهو يتضمن الحجاج على العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والـرد علـى المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[1]، واهتم علماء الجبل بهذا الفرع من العلوم دراسة وبحثاً وتأليفاً، واستعمل في إثبـات العقائـد، ولوحظ أن أغلب الفرق الإسلامية لها علماء متخصصون في هذا الجانب يعرفـون بالمتكلمين يدافعون عن أفكار الفرقة ويعملون على دحض أفكار المخـالفين لهـم فكانت تقام المناظرات العلمية بين أولئك المتكلمين في المساجد والمدارس وقصور الخلفاء[2].

ويعد **الشيخ مهدي الويغوي** (ت 196هـ / 812م) ـ ينتـسب إلي قرية ويغو ـ من أبرز علماء الكلام بجبل نفوسة، ومن الذين برزوا في فترة مبكرة ويبدو أنه كان متمكناً في هذا الجانب، وله قدرة قويـة في المحاجّـة والبرهـان، والإستدلال، ويتبين لنا ذلك أثناء حضوره المناظرة العلمية مع المعتزلة بتـاهرت، فيقول الشماخي أنه: غاب يوماً عن أصحابه، وعند عودته سألوه عن سبب غيابه، فقال لهم: أفحمت تسعين عالماً من المخالفين[3]. ويبدو أنه استفاد كثيراً من التعلم على مشائخه الكبار وهم (**حملة العلم الخمسة**) الذين ذكرناهم سـابقاً، وكـان يشتغل بالزارعة شأن أغلب علماء الجبل وذلك لكون مجتمع الجبل زراعيا.

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 423.

(2) . حسن إبراهيم حسن ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 335 .

(3) الشماخي، المصدر السابق، ص 156.

وفاته: توفي الشيخ مهدي سنة (196هـ / 812 م) أثناء حصار الإمام عبد الوهاب الرستمي لمدينة طرابلس[1]، لم نعثر على أسماء من تتلمذوا على الشيخ المهدي .

ومن الذين نبغوا أيضاً في علم الكلام بالمنطقة **الشيخ فرج بن نصر المعروف بتفاث**، ق: (2هـ/8م)، ويري الشيخ سليمان الباروني أنه يرجع إلى قرية تفاثة[2] درس بتاهرت على الامام عبد الوهاب الرستمي[3] وكان له باع طويل في العلم، وكانت له آراوه الكلامية والفقهية التي خالف بها علماء عصره بالجيل ومنها:

1. قوله: إن الله هو الدهر الدائم.
2. إنكاره الخطبة في الجمعة.
3. إنكاره إستعمال الامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطالب بيت مال المسلمين.
4. قوله: إن ابن الأخ الشقيق أحق بالميراث من الأخ للأب.
5. قوله: إن المضطر بالجوع لا يعصي ببع ماله إذا باعه لأجل ذلك وعلى من شهد مضرته تنجيته.
6. قوله: إن الفقد لا يتحقق إلا فيمن تجاوز البحر[4].

ويبدو لي أن **الشيخ أبو نصر التمصمصي**، ق: (2هـ/8م)، عالم من علماء الكلام ـــ وسوف أبين ذلك لاحقاً ـــ وأبو نصر ينتسب من خلال لقبه إلى

---

(1) . الورجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 26 .

(2) . سليمان الباروني، المرجع السابق، ص196.

(3). الدرجيني، المصدر السابق، ص78.

(4). سليمان الباروني، المرجع السابق، ص195 ـ 196.

قرية تمصمص المشهورة بالعلم والمشائخ. إلا أن المؤرخ عبد السلام الوسياني، في سيره ينسبه إلى قرية أخرى وهي: (تين ضج)[1] ، ويعد أبو نصر من العلماء الأولين بالجبل فقد أخذ علومه عن: الشيخ عاصم السدراتي أحد حملة العلم الخمسة. وتصنيفنا للشيخ أبو نصر من ضمن المهتمين بـ(علم الكلام)، لإشتغاله الطويل والمستمر بالتصدي لأفكار الشيخ والعالم نفاث بن نصر الذي خرج على طاعة الرستميين وكون فرقة وأتباع لهم آراؤهم الفقهية والكلامية، وكذلك كان للشيخ أبو نصر ردود على أفكار خلف بن السمح الذي ثار هو الآخر — في جبل نفوسة بمدينة يفرن — على الدولة الرستيمة. ولما كانت هذه الأفكار (النفاثية، والخلفية) تسبب قلاقل وعدم استقرار (سياسي، اجتماعي، فكري) بولاية جبل نفوسة، توجب على علماء الجبل الموالين للدولة الرستمية وخاصة المتمكنين — حسب ما أرى — كلامياً وجدلياً وفقهياً، أن يكونوا في الصدارة لمحاربة هذه الأفكار والتصدي لها، وهذا ما قام به الشيخ أبو نصر التمصمصي.

كما لا نستبعد أن يكون **الشيخ أبو المنيب مامد الدركلي** متمكناً من علم الكلام وندرك ذلك من حواره البسيط مع زميله مهدي الويغوي أثناء بدء المناظرة مع المعتزلة حيث طلب المهدي من أبي المنيب أن يناظر خصمه في علم الكلام،فقال له أبو المنيب: بل ناظره أنت ولست بأعلم مني[2]. ويبدو أن علماء ذلك الزمان لم يقتصروا على تخصص بعينه وإنما طبيعة العصر العلمية يقضي بأن يكون العالم على صلة بأكثر من فرع من فروع العلم ومن ناحية أخرى كانت

---

(1) الوسياني، المصدر السابق.

(2) . المصدر نفسه ، ص 157 .

العلوم حينها في طور تأسيسها وما زالت لم تستقل بذاتها. فهذا الشيخ أبي المنيب الدركلي تحدثنا عنه كأحد المفسرين للقرآن الكريم بالجبل، وهو الأن ضمن علماء الكلام.

أيضاً هناك عالم أخر جهبذ من جهابذة الإسلام في هذا المجال بجبل نفوسة وهو يعد موسوعة متنقلة، ألا وهو **الشيخ العلامة المتكلم أبو حفص عمروس بن فتح المساكني**، ذكرناه سابقاً كفقيه وهو أيضاً له إسهام بالغ في علم الكلام ومن مؤلفاته في هذا الصدد: (**كتاب أصول الدينونة الصافية**)، المعروف بـ(**العمروسي**) في الأصول، وسبب تأليفه أن أحد علماء فزان[1] في علم الكلام وهو مؤلف لكتابين في الأصول، طلب منه أن يؤلف له كتاباً في الأصول، وبالفعل قام عمروس تلبية طلب العالم الفزاني فكان (**كتاب العمروسي**) الذي قرأه العالم الفزاني فقال: " النفوسي أقوي من الفزاني "[2]، وهذا اعتراف صريح من عالم متخصص يشهد للعلامة عمروس بالقوة العلمية والكفاءة في التأليف في هذا المجال، وهو صاحب كتابين معروفين في أصول الكلام، وهذا الاتصال العلمي يشير إلي وجود صلات وثيقة بين أهالي جبل نفوسة وبين منطقة فزان، تربط المنطقتين بروابط علمية وثقافية[3]، وهذا الأمر يؤيده السياق التاريخي للأحداث ففي ذلك العصر أمتد نفوذ الدولة الرستمية وأتسع ما بين تاهرت غرباً إلي سرت شرقاً كما سيطرت على المدن والواحات الداخلية.

---

(1) . العالم الفزاني : هو الشيخ عبد الخالق الفزاني أحد علماء الإباضية بفزان وخاصة في علم الكلام ، جناو بن فتي وعبد القهار بن خلف، أجوبة علماء فزان، تحقيق : عمرو خليفة النامي وإبراهيم محمد طلاي، قسنطينة : دار البعث، (د . ت)، ص 20 ؛ البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133 .

(2) البغطوري . المصدر السابق، ورقة 133 .

(3) جناو بن فتي وعبد القهار بن خلف، المصدر السابق، ص 17 .

ويورد البغطوري في سيره نصاً يفيد محاورة في علم الكلام دارت بين شخصيات علمية، وشاركت فيه إمرأة في مجلس علم بقرية تلات: فقد أثار أبا حسان بن أبي عامر مسألة كلامية وهي: أن لله يد وأشار ليده، ولله أذن وكذلك أشار لأذنه، ولله لحية ولحيته هذه، فرد عليه الشيخ أبو عيسى الدرفي والتلاميذ: تب لربك من هذا الكلام. إلا أنه أصّر على موقفه! وكانت حاضرة في ذلك المجلس إمرأة جالسة خلف ستار[1]، فأيدت رأى أبا حسان. ومن الحاضرين أيضاً الشيخ أبو يحيى الفرسطائي وكان ملازماً للصمت!، حتى قال له أبو عيسى تكلم، وهنالك قال الشيخ أبو يحيى: تب لربك يا أبا حسان، فعندها تراجع أبا حسان عن رأيه وتاب. من خلال هذا النص ولو كان مقتضباً دون توسع إلا أننا ندرك بعض المسائل الكلامية المثارة حينذاك. كما نستخلص منه مشاركة النساء في الحوارات والمناقشات العلمية.

ومن العلماء الذين اشتغلوا بعلم الكلام الشيخ **داود بن هارون أبو زكرياء الباروني** ق: (5هـ/11م)، سليل أسرة الباروني العلمية في جبل نفوسة. ينتسب إلي قرية آت بارون[2]. شيوخه: أخذ العلم عن أبي زكرياء يحيي بن الخير الجناوني ، وكذلك عن الشيخ عبد الله بن مطكود، ويبدو أنه اهتم كثيراً بعلم الكلام قال عنه البغطوري : " قال بعض المغاربة سرت في البلاد شرقاً وغرباً فلم أر مثل داود بن هارون"[3] أما المؤرخ الشماخي فقال: " وأنه في أيامه تضرب إليه أكباد الإبل في

---

(1). يبدو أنهم مجموعة نسوة كانوا يشاركون في المجالس العلمية على عادة مجالس الجبل.إلا أن المتحدثة هي التي ذكرها البغطوري ولم يورد لنا أسمها.

(2) . قرية آت بارون تقع في وادي إكراين أحد الوديان الكبيرة بمدينة كباو، وأغلب أثار القرية قد أندثر ما عدا مسجد الشيخ أبي الربيع ما زال قائماً وبحالة جيدة، زرت القرية في عام 2004م.

(3) البغطوري ، المصدر السابق .

إيضاح كل مشكل وتفسير كل غريب وجواب كل سؤال وشـــهرته في التقـــي والورع في بلاد نفوسة بل في جميع المغرب أشهر من أن تخفى "[1].

تلاميذه: وأنشأ حلقة علم تخرج منها العديد من الطلاب منهم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن مطكود حفيد شيخه، وعيسى بن أحمد، وأبـــو يوســـف وجـــدليش الأمللي، وللشيخ داود الباروني بعض المولفات منها: كتاب المسائل وأجوبـــة إلي الأمير أبي منصور الباروني. كما يعد الشيخ أبو نصر الملوشائي ق (7هـــ/13م) من المشتغلين بعلم الكلام، وله إسهامات بارزة في هذا المجال فألف النونية في خلق القرآن والقصيدة البائية في الأخلاق، وديوان شعر في العقيدة والأخلاق.

---

(1) الشماخي، المصدر السابق، ص537.

5) العلوم اللغوية والآداب :

وهذه العلوم جاءت أهميتها لدراسة العلوم الدينية والشرعية وهي متنوعة منها : اللغة ، والنحو ، والإعراب ، والبيان ، والأدب بقسميه : (الشعر والنثر) .

وكان علماء ومشائخ الجبل يحفزون طلابهم لدراسة اللغة العربية، ومن أقوالهم المأثورة : " من تعلم حرفا من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع، وتعلم مسألة من الفروع كعبادة ستين سنة "[1]. وكان أبو عبيدة الأعرج من علماء القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي عالماً بالعربية يدرس لطلابه كتاب إصلاح اللغة لعبد الله بن مسلم بن قتيبة[2].

ومن الذين أهتموا بالجانب الأدبي وبخاصة في الشعر بالجبل **الشاعرة: مترو بنت أبي عثمان الدجي المزاتي**[3]، ق: (3هـ/9م)، ترجع إلى قرية دجي[4] من قري جبل نفوسة، وكانت إمرأة زاهدة، وعابدة، وورعة هكذا عرفت بين أهلها وذويها. إلى درجة أنها تمنت أن تتزوج زوجاً فاجراً لتتحمل أخلاقه السيئة وتصبر عليه لكي تؤجر وتفوز بالجنة، وبالفعل كان لها ما تمنت من الزواج القاسي[5]

---

(1) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 95 .

(2) . سليمان الباروني، المصدر السابق، ج2 ، ص 244 .

(3) . الشيخ أبي عثمان الدجي المزاتي: من أبرز شخصيات قرية دجي، أهتمت أغلب كتب السير بذكر أخباره ويبدو أنه كان من الأغنياء. رأيت مسجد بدجي مازال قائماً ينسب إليه زرته عام 2004م.

(4) دجي: قرية من قري جبل نفوسة القديمة، مبانيها محفورة بطريقة عجيبة في الجبال الطينية، وقصرها مبني فوق صخرة كبيرة وعالية، وللأسف لم أعثر على معلومات تفيد المكان الذي هاجر إليه أهالي دجي الأصليين، وأخبرني بعض أهالي البدارنة، أن السكان هاجروا إلى جزيرة جربة بتونس، كما أفادوني بأن البدارنة قد سكنوا في محلهم وبيوتهم (لم يتم تحديد الزمن بدقة) إلا أنهم كانوا فيها حتى أواخر الستينات من القرن الماضي. زرتها عام 2004م.

(5). الشماخي، المصدر السابق، ص .

وكانت معاصرة للشيخ أبي زكريا يحي بن يونس السدراتي، إذ قالت له لما زارها: " أزلت عني الوحشة وعلمتني العلم"[1]، كما أنها انشدت له بيتاً من الشعر بالأمازيغية، معناه: لا أحد يزور في الله أحد، فيذهب غم النفوس، ويزيل الوحشة. إذن كانت مترو من الشاعرات باللغة الأمازيغية واحتفظ لنا الوسياني بعضاً منه ويدور حول يوم القيامة والميعاد والحساب والقبر والموت وفي الوعظ والارشاد. وبذلك يكون شعرها من جنس شعر أبو العتاهية في الزهد والابتعاد عن زخارف الدنيا.

ومن الذين كان لهم اهتمام بالشعر، الشاعرة: **زيديت بنت عبد الله الملوشائية** ق: (3هـ/9م)، كانت من نساء الجبل المشهورات بالورع والصلاح، وكان أغلب قصائدها بالأمازيغية، وهي في أغراض النصح والإرشاد، وكثيراً ما كانت تنصح النساء اللاتي يجتمعن لعمل الصوف من غزل ونسج، وتقول لهن بدل أن تغنين عليكم بذكر الله والإستغفار، وكل ذلك بقصائد شعرية فيها: ذكر لفظاعة الموت، وعذاب القبر، وأهوال الميعاد ويوم القيامة من حساب وسؤال.

وكذلك من العلماء الذين اشتهروا في الآداب، وبالذات في الشعر، الشيخ الشاعر **أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي**، ق: (7هـ/13م)، وقد لاحظت أن أغلب مؤلفاته جاءت على هيئة قصائد شعرية، منها متن النونية في التوحيد وأصول الدين:

ويمكن أن نقتبس بعضاً أبياتها:

فأول علم يلزم العبد فرضه على الفور توحيد الإله المهيمن

---

(1). الشماخي، المصدر السابق.

فإن أدرك التوحيد درّج غيره ... وإلا فما أحراه شبهاً بذي الوثن
فقل ونبئني لمن أنت عامل ... ما كنت تدعوا يا أخا الجهل من عن
أقول بأن الله حق حقيقة ... وقد كان لا كينونة من مكون
كما كان قبل الخلق قد كان بعده ... وقد سبق الأوقات كوناً بلا كون

بكل مكان كان لا كون جوهر ... ولا كون تحلال تعالى عن الكُن
وليس ككون الشيء في الشيء والجا ... ولكنه بالعلم والحفظ والصون
تقدّس عن حد وشبه وصورة ... وجلّ عن التكييف والحيث والأين

دنا ونا معنى يرانا ولا يُرى ... فماذاته تحوي بعين ولا أذن
فكل الذي أضحى على البال سانحاً ... فذلك غير الله فانف عن الذهن
على العرس والخلق أستوى فإستوآءه ... بنقض وإبرام وإتقان متقن

وليس كمعقول إستواء أميرهم ... على سرر معهودة للتمكن
له المثل الأعلى وليس كمثله ... مثال ولا شيء يشابه في الكون
فهذا إعتقادي في إلهي وخالقي ... حمايّ ومحياي بإيمان موقن[1]

كما ألف منظومة الرائية في الصلا ة وأحكامها، وكانت غاية في الروعة والاتقان ونقتبس منها:

فما كل من صلى يقال مصلياً ... فشتان بين الاسم والفعل فانظر
صلاة إمريء ندل بغير طهارة ... كمن لم يصل البت فافهم وطهر
إملاك الصلاة في الطهارة والنقا ... لباس وأبدان وأمكنة طهر

---

(1). أبو نصر فتح بن التملوشايتي، ديوان الشيخ أبو نصر التملوشايتي ، طبعة حجرية ، القاهرة : المطبعة البارونية ، 1304 هـ، ص1 ــ 2.

وقد شرع الله الوضوء تعبداً ... وسن رسول الله باقي التطهر
وأما الأذان والإقامة سنة ... مرادهما الإعلام للوقت بالحصر
وليس على الغداة من ذاك ملزم ... وليس عليهم الإمامة في المصر
وقد وسع الله المواقيت منّة ... وفضلاً ولم يحصر مداها على الفور

فكل صلاة وقتها حاصل لها ... وشدد في ذا قائلوه على إصر
وأفرط ما قد قيل فيها اشتراكها ... نهاراً وليلاً فطّرح ذا على حجر
وأوسطها فالظهر والعصر شركة ... كذاك صلاة الليل وقت لها يسر

وأما صلاة الصبح فالشمس حدها ... فإن طلعت حقت عليه عُرى الكفر
ومن كان صلى قبل وقت فإنه ... يعيد ولو صلى بألف على طهر
كذاك الفروض اللازمات لوقتها ... على الأصل لا تجزيك قبل التحضر
ومن نام عنها أو تناسى فوقتها ... إذا قام والنسيان ينسخ بالذكر[1]

وألف الحائية وعَرضها تحريض طلبة العلم، قال فيها:

دعاكم الله لدار السلام ... قولوا ألا لبيك داع الفلاح
فالله ثم الله في عزمكم ... ما دامت الأرسان طلقاً فساح
جدّوا فإن الأمر جدّ بكم ... والجد معوان الفهوم لقاح

لا يستوي من جد عزماً كمن ... قيده العجز عن الإكتداح
العلم زين والتقى شرف ... والورع والصدق تمام الصلاح

---

(1) . أبو نصر فتح التملوشايتي، المصدر السابق، ص207.

وأمّ دفـــر كلـــّها ظلـــم والعلـــم فيـــها كـــتباً شير الصباح
مـــن ضـــيع التعلـــيم في وقته فأخـــــر الصـــــاد يُرى كل صاح
من أدمـــن الـــدرس ونادمـــه بشراه بالعـــــــلم علـــــى الإمتياح
من لم يعـــــود نفـــــسه دائماً قـــراءة الكـــــتب كلـــــيْل السواح

من حـــــالف النـــــوم ولازمه فـــــآية الكـــــهف له فـــي إتضاح
من فـــــارق الإبريق في نســـكه جاحـــــت علـــــيه الصلوات وجاح
والعـــــمل المقـــــبول لله لا لعـــــلة أوجـــــرّ نفـــــع رقـــــاح

لا ينفـــــع العلـــــم بلا عمل ولا أجـــمّ القـــرن عـــــند النـــطاح
وشجـــــر الدفـــلا ذميم الجنا شبْـــهاً لـــذي العلـــــم العقيم المصاح
من صاحـــــب الدنيا بغير التقا فهـــم غـــــثآء وجُـــــفَاء كُـــساح[1].

ومنظمومة الدالية، المسماة رسالة المسترشد وكفاية المستنشد في الوعظ والإرشاد، ومتن النونية في خلق القرآن الكريم، ومتن البائية في الأخلاق، وديـــوان شـــعر في العقيد والأخلاق، وله مرثية في خاله الشيخ أبو يحيى زكريا بن إبراهيم البـــاروني، ومطلعها: قام الخطيب يبكي الناس.

(1) أبو نصر فتح التملوشايتي، المصدر السابق، ص19.

ب) العلوم العقلية :

1) علم المنطق (الجدل) :

" وهو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المُعرفة للماهيات والحجج المفيدة للتصديقات " [1]، وكذلك معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، وبرع فيه مجموعة علماء من أشهرهم : الشيخ مهدي الويغوي النفوسي، ق: (3هـ/9م)، وينتسب إلي قرية ويغو، وهو غير الشيخ المهدي الويغوي المذكور آنفاً من ضمن علماء ق: (2هـ/8م)، كما يشير إلي ذلك الشماخي قائلاً : " ومنهم مهدي المتكلم الويغوي، وليس هو بالمهدي صاحب الامام ... بل هو آخر في القرن الثالث "[2] وأثني عليه الدرجيني قائلاً: " ومنهم مهدي النفوسي هو المقوم في علم الجدال، الذي له اليد العليا في البرهان الاستدلال،وهو المحتج على إمكان الممكن واستحالة المحال"[3].

وترك الشيخ المهدي تأليفاً في علم المنطق والجدل كتبه باللغة الأمازيغية[4] ، ولم يكتبه بالعربية ربما لأن أغلب الأهالي وخاصة الطلاب في تلك الفترات المبكرة من التاريخ الإسلامي مازالوا حديثو عهد باللغة العربية، وسبب تأليفه لهذا الكتاب محاربة الأفكار والقضايا الكلامية التي كان يتبناها أحد علماء الجبل ممن عارض الدولة الرستمية حينذاك وهو الشيخ فرج بن نصر الملقب (بنفاث)، وبذلك يمكن أن يعد هذا الكتاب من أقدم مؤلفات الجبل الإسلامية.

---

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 451 .

(2) الشماخي ، المصدر السابق، ص 328 .

(3) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 313 ــ 314 .

(4) . نفس المصدر والصفحة، لم أقف على هذا الأثر العلمي بعد.

2) علم النجوم :

"وهو معرفة الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوي الكواكب وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة "[1]. وهو جانب من جوانب المعرفة التي اهتم بها بعض علماء الجبل. ومن هذا العلم نشأ (علم الفلك)، واهتم العلماء المسلمون بدراسة النجوم في مساراتها، وتحديد مواقعها وسرعة حركتها، وقد اختلط بالتنجيم أو (النجامة). وعلم الفلك استقام أمره وهو من العلوم الاستقرائية الرياضية له قواعده وأسسه باعتماده على الملاحظة ويستند على الإرصاد لتعليل حركة النجوم وتفسير الظواهر الفلكية[2].

ومن أشهر علماء الجبل الذين تخصصوا في هذا المجال العلمي أبو أيوب التمنكرتي، المنتسب لقرية تمنكرت ويبدو أنه كان متعمقاً بشكل كبير في هذا المجال إلى درجة أن قال: " عرفت ما كان في السماء كما عرفت ما كان في الأرض"[3].
وكذلك الشيخ أبو يحيي يوسف بن زيد بن أفصيت الدرفي وهو من علماء القرن: (4هـ/ 10م) : نسبة إلي قرية إدرف . جعله أصحاب المعجم من أعلام القرن الخامس الهجري إلا أنه عاش قسماً من حياته في أواخر القرن الرابع الهجري ، تتلمذ على يدى والده الشيخ أبي محمد الدرفي كما تعلم عند الشيخ أبي محمد

---

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، ص 478 .

(2) . توفيق الطويل ، المرجع السابق ، ص 52 .

(3). البغطوري، المصدر السابق، ورقة119.

الكباوي ، وكان متخصصاً في علم النجوم[1]. ومن هنا نفهم أن علم النجوم كان معروفاً لدى طلاب وعلماء جبل نفوسة وأسهموا فيه ببراعة . وكان أبو يحيي الدرفي يقول عن نفسه :" أخذت العلم بالقصعة وفرقته بالأقداح"[2]، ويشير إلي الفروق الفردية بينه وبين الطلاب الآخرين في التحصيل العلمي بكثرة فهمه وقلة فهم غيره . وقام بمهام التدريس ومن تلاميذه : أبو الخير توزين الجناوني، وأبو يوسف وجدليش بن في ، وأبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي.

(1) . المصدر نفسه ، ص 286 ــ 287 .

(2) . المصدر نفسه ، ص 286 ــ 287 .

3) علم التاريخ والسير :

وهو من العلوم العقلية التي اهتمت بها مختلف الأمم والشعوب، : " وهـو في ظاهره لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول . . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق "[1]. وبالتـالي فنلاحظ أن علماء الجبل كانوا يهتمون كثيراً بهذا الجانب من المعرفة لما له من علاقة بتراجم الأعلام البارزين وسيرهم، وكذلك من الدوافع للكتابة في التاريخ تـوفر المادة التاريخية والقصص التاريخي في القرآن مما دفع بمفسري القرآن إلي البحث عن معلومات تاريخية لتفسير ما جاء فيه، ومع مرور الزمن صار الاهتمام بالمادة التاريخية أحد فروع المعرفة التي تمت بالارتباط بالقرآن[2] فألفوا فيه عدة مصنفات تمـتم بالروايات والأحداث التاريخية المختلفة دينياً واجتماعياً واقتصادياً المتعلقة بمنطقـة جبل نفوسة وغيرها من المناطق المحيطة به . واعتمد كتّاب التاريخ والسير على عدد كبير من الرواة من أشهرهم : آبو خليل صال الدركلي ، وأبـو صـالح ياسـين الدركلي ، ونفاث بن نصر النفوسي ، وأبو ميمون الجيطالي ، وأبو محمد عبد الله المجدولي ، وأبو عثمان سعيد بن سليمان الفساطوي ، وأبو زكريـاء يحيـي بـن وجدليش ، وصالح المزغورتي[3]، وغيرهم كثيرين.

ومن أشهر المؤرخين: **الشيخ أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن مطكود** أخذ العلم عن الشيخ داود بن هارون الباروني وكانت له شهرة علمية حتى قال فيه

---

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 10 .

(2) . فرانز روزنتال ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مراجعة : محمد توفيق حسين ، بغداد : مكتبة المثنى ، 1963، ص 41 .

(3) . هؤلاء الرواة أستخرجهم الباحث من بطون كتب التاريخ والسير مثل : كتاب بدء الإسلام لابـن سـلام الإباضي ، وسير الأئمة لأبي زكرياء الوارجلاني ، والطبقات للدرجيني ، والسير للبغطوري ، والسير للشماخي .

بعض معاصريه:" سرت البلاد غربها وشرقها فلم أر مثل داود بن هـارون وهـذا الشيخ يعني: أبا محمد وكل ما وجدت رواية وسيرة في أخبـار مـشايخ نفوسـة وعلمائها فالأكثر من ذلك هو راويه وكان إماماً تعلم منه بشر كثير وله فـضائل ومواعظ "[1]. يتضح من هذا النص أن الشيخ أبا محمد يعد من الرواة للأخبار ومن المهتمين بالتاريخ وسير الأعلام.

أبو يحيي توفيق بن يحيي الجناوني: نسبة إلي قرية اجناون ، أخذ مباديء العلوم على مشايخ قريته، ثم تنقل بين عدد من مدارس الجبل لطلب العلم . وبعد تخرجه اشتغل بالتدريس . ومن أبرز تلاميذه : مقر بن محمد البغطوري ، وإبراهيم بن أبي يحيي أبي عزيز . ومن مؤلفاته في التاريخ والسير: (**كتاب التقييدات**)، صنف فيه أعلام الجبل البارزين بحسب الترتيب الزمني.

والمؤرخ **مقر بن محمد البغطوري** نسبة إلي قرية بغطورة . عاش في القرن السادس الهجري درس على الشيخ: توفيق بن يحيي الجناوني، وأبو محمد عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن مطكود المجدولي، ومن ضمن اهتماماته الفقه والتاريخ فألف كتاباً في السير والتاريخ سماه : (**كتاب سير نفوسة**) ، قال عنه الشماخي : " ذكر أنه أكمل الكتاب في أواخر شهر الربيع الآخر عام تسعة وتسعين وخمسمائة مـن الهجرة في ايجناون في محضرة الشيخ أبي يحيي توفيق رحمهما الله"[2] وهو كتـاب يدل على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في الجبل وخصوبة الروايـات، وتعـدد

---

(1) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 542 ـــ 543.

(2) . المصدر نفسه، ص 548 .

الرحلات العلمية داخل الجبل وخارجه بقصد زيارة المراكز الحضارية لطلب العلوم والمعارف[1]. وبذلك يمكن أن يعد مقرين البغطوري ضمن أبرز وأهم مؤرخي جبل نفوسة في العصور الوسطى.

وأبو موسى عيسى ابن سليمان بن أبي يعقوب الشماخي: عاش في أواخر القرن السادس الهجري، كان من سكان قرية تيغرمين ـــ قبل أن تنتقل عائلة الشماخي إلى مدينة يفرن ـــ أخذ العلم عن الشيخ توفيق بن يحيى الجناوني، والشيخ مقر بن محمد البغطوري. وهو من الذين اهتموا بالتاريخ وسير الأعلام، وألف كتاباً في السير، ويعد في الكتب المفقودة اليوم، وهو أحد المؤرخين الذين نقحوا كتاب البغطوري في السير[2].

---

(1) . علي مصطفى المصراتي ، مؤرخون من ليبيا مؤلفاتهم ومناهجهم ، طرابلس : منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، 1977 ، ص 16 .

(2) . تاديوش ليفيتسكي ، المرجع السابق ، ص 94.

4) علم الحساب (الفرائض) :

يصنف ابن خلدون في مقدمته علم الفرائض من ضمن العلوم العددية ويقول فيه: " هي صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوي الفروض في الوراثات إذا تعددت وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته أو زادت الفروض عند اجتماعها وتزاحمها على المال كله "[1]. ويري أحد الباحثين المعاصرين أن أهمية علم الفرائض (علم المواريث) هي التي دفعت بالرياضيات العربية إلي التطور والتجدد، وليس ذلك فحسب وإنما ظهور الجبر العربي يرجع إلي الفقه والفقهاء المسلمين[2].

وبرز من الجبل علماء كثيرون اهتموا بهذا الجانب من العلم ومن أشهرهم : الشيخ إسماعيل الجيطالي الذي ألف فيه كتاباً عرف باسم: (كتاب الحساب وقسم الفرايض)، جمع فيه ألغاز الفرائض للدرجيني، كما اهتم بالعمليات الحسابية وخصوصاً بالكسور تسهيلاً لمعرفة نصيب الوارثين حسب الشرع الإسلامي[3]. وللأسف لم أعثر على علماء في هذه الفترة اهتموا بهذا الجانب، ربما لم تهتم المصادر الإباضية بذكرهم، إلا أنهم من غير شك موجودين على كل حال، بالإضافة إلى علوم وفنون أخرى كان يتعاطاها العلماء المسلمون في المراكز الحضارية الكبيرة كبغداد ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وفاس ومراكش، لم تتطرق إليها تلك المصادر مثل: الطب، والهندسة، والجغرافية، والكيمياء، وغيرها.

---

(1) . ابن خلدون ، المقدمة ، ص 447.

(2) . محمد عابد الجابري ، المرجع السابق ، ص 99 .

(3) . الصادق بن مرزوق ، المرجع السابق ، ص 52 .

2. الوظائف العامة للعلماء:

من خلال البحث والدراسة في موضوع الحياة العلمية وتتبع سير العلمـــاء والمشائخ في جبل نفوسة تبين لي أن الطلاب فور الإنتهاء من مراحل تعلمهم، أنهم يمتهنون بعض الوظائف التي لها أهمية في المجتمع سواء كانت إدارية أو قانونيـــة أو سياسية أو تعليمية، وكل هذه الوظائف لها علاقة مباشرة بطلب العلم، ولا يمكـــن لمنفذوها من الإتيان بها على وجهها الصحيح ما لم يتدرجوا في مسالك ومراتـــب التعلم.

والغرض من تناولي لهذا الموضوع هو معرفة مدي تأثير الجانب العلمي والثقافي على مختلف مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في مجتمع جبل نفوسة؟. ولكن السياق يطرح السؤال التالي: هل للدولة أو للسلطة المركزية دور في تحديد وظائف أولئك المشائخ والعلماء؟ أم أن هذه المهمة موكولة إلى والي الجبل؟ أم هي متروكة للشخص نفسه؟ ومن ناحية أخرى ما هي الوظائف الـــتي عرفها علماء ومشائخ الجبل ومارسوها في واقعهم المعاش؟ للإجابـــة علـــى هـــذه التساؤلات الهامة يمكن الرجوع إلى المصادر والمخطوطات التاريخية، والتي تطـــرق بعضها في فقرات بسيطة، ومعلومات شحيحة عن بعض المهن والوظـــائف الـــتي عرفها مجتمع الجبل ومنها:

1. الـــولاية: (الوالي).

لم تولي المصادر اهتمام بالوظائف كما اهتمت بهذه الوظيفة، فالمعلومات التي وصلتنا عنها تفوق أية وظيفة أخرى، كما اهتمت المصادر بذكر عدة اســـماء

لشخصيات تولوا إدارة شؤون هذه الوظيفة ـــ سنتطرق إليهم فيما بعد ـــ كما نود الإشارة إلى أن هذه الوظيفة قد مارسها بعض الولاة إلى جانب وظائف أخرى في نفس الوقت مثل: القضاء والحسبة.

والولاية من الوظائف الإدارية المهمة والحساسة، فهي تمثل أعلى وظيفة (سياسية) في المجتمع، وبذلك صارت محل صراع ونزاع، وخاصة مع بعض المنشقين[1] الذين عارضوا الدولة الرستمية. وكانت من صلاحيات الإمام الرستمي تعيين الولاة على الأقاليم، ومن بينها جبل نفوسة، والوالي له في بعض الأحايين صلاحية تعيين العمال على العمالات ويؤكد ذلك ما جاء في رسالة الإمام عبد الوهاب للجبل بعد وفاة الوالي السمح بن المعافري، عندما قال: " فليرجع كل عامل استعمله منكم السمح على عمالته التي ولي عليها "[2]. ونلاحظ أحياناً ترك الإمام الرستمي الحرية لأهالي الجبل إختيار الوالي المناسب لهم، كما فعل الإمام عبد الوهاب بعد وفاة واليه أبا الحسن أيوب بن العباس، فكان إختيارهم لعبد الحميد الجناوني[3] وبعد سقوط الدولة الرستمية انتقلت هذه المهمة لأهل الحل والعقد من شيوخ وعلماء الجبل، وصاروا يرشحون من يرونه مناسباً ليكون والياً عليهم. ولهم الحق أن يعزلوا الوالي متى شاءوا، وحتى بدون سبب[4]، وأحياناً يطالب الأهالي من والي الجبل أن يعيّن عليهم من يسير لهم أمورهم مثلما فعل أهالي

---

(1). مثال للمنشقين في جبل نفوسة عن الدولة الرستمية: خلف بن السمح المعافري، وفرج بن نوح المعروف بنفاث، ذكرناهم سابقاً راجع ص .

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص181.

(3). المصدر نفسه، ص182.

(4) . هناك بعض الولاة والعمال تم عزلهم حسبما تذكر المصادر التاريخية الاباضية دون حدث أي دون سبب ومثال ذلك: الوالي أبي عبد الله بن أبي عمرو. وأبو محمد بن زارود التغرميني.

بني زمور[1] عندما طلبوا من الشيخ أبو الربيع الملوشائي أن يجعل عليهم عاملاً، ويبدو أن هذا الطلب جاء نتيجة حاجة قانونية، ويفسر ذلك ما قاله أحد رجال أهل زمور لأبي الربيع: " إلى متى يطلقن نساء بني زمور تلحية لحقوقهن "[2] وهذا يبين أن من صلاحيات والي الجبل تعيين العمال على عمالات الولاية. ومن أولويات المعايير المطلوبة فيمن يتولي هذه الوظيفة هي الإلتزام الديني والعلم، ونذكر أبرز من تولي هذه الوظيفة **حسب التسلسل الزمني:**

أولاً: الولاة الذين تولوا زمن الدولة الرستمية:

السمح بن أبي الخطاب: (171هـ/222م) أول الولاة في زمن الأمام عبد الوهاب الذي خلفه على الولاية. وجاء بعده **أبو الحسن أيوب بن العباس:** (حي بعد سنة 204هـ). ثم **عبد الحميد أبو عبيدة الجناوني:** (ت بعد 211هـ/826م). الذي تولي زمن عبد الوهاب واستمر إلي زمن ابنه أفلح بن عبد الوهاب[3] وفي ولايته ثار خلف بن السمح[4] وتورد المصادر التاريخية أنّ أبا عبيدة الجناوني لم يقبل منصب الولاية في بداية الأمر واعتذر بضعفه فرد عليه

---

(1) . بني زمور: من القبائل الأمازيغية التي كانت تستقر في العصر الوسيط نواحي مدينة جادو، وقد كانت موجودة منذ نهاية القرن الثاني هـ/ الثامن م. تاديوش، تسمية شيوخ جبل نفوسة، المرجع السابق، ص119.

(2) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة29.

(3) .أفلح بن عبد الوهاب: ثالث الأئمة الرستميين (208 ــ 258 هـ) تولي الحكم بعد وفاة أبيه وكان معروفاً بالذكاء والحصافة، وهو من العلماء المشهورين، وله قصيدة طويلة يحث فيها على طلب العلم . ينظر: سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 166 ــ 190.

(4) خلف بن السمح: (221 هـ / 826 م)، وهو حفيد الإمام أبي الخطاب، وابن السمح أول والٍ على الجبل، ثار على الدولة الرستمية زمن الإمام عبد الوهاب وحاول الاستقلال بالأجزاء الشرقية من الجبل ناحية يفرن وما جاورها. ينظر: الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص 68 ــ 76.

الإمام: إن كنت ضعيفاً في المال فبيت مال المسلمين يقويك وإن كنت ضعيفا في البدن فالحق يقويك، وإن كنت ضعيفاً في العلم فعليك بأبي زكرياء اللالوتي فاستعن به في أمورك، بينما يورده الشماخي:(أبو زكريا يصليتن التوكيتي)، وقبل أن يوافق بشكل رسمي رأى ضرورة استشارة إحدي عجائز الجبل! [1] كانت معروفة بالعلم والدين والصلاح في أمر قبوله للولاية من عدمها فأشارت عليه بالموافقة في حالة عدم وجود من هو أفضل منه، ورأى في نفسه الكفاءة في قبول الأمر[2]. ويتضح خوف الوالي أبي عبيدة من تحمل المسؤولية وأعباء الحكم وذلك ما اقتضته طبيعته الدينية " فأحسن السيرة في جميع أموره "[3]، ولم يخش في سبيل إحقاق الحق من أحد ولو كان الإمام الرستمي نفسه، وتشير بعض المصادر المواقف الجريئة لأبي عبيدة وذلك: " أن الفرس تزوجوا إماء بني زمور في مدة إقامة الإمام بنفوسة، فلما أرادوا الرجوع إلى تيهرت حملوا أولادهم منها، فقال أبو عبيدة لبني زمور: خذوا عبيدكم فأنزلوهم عن السروج "[4].

وبعد وفاة أبو عبيدة تولي **العباس بن أيوب**: (حي في 208هـ/823م). زمن الإمام أفلح ويقول الشماخي ليس على الجبل فقط وإنما على ما أدركه من البلاد يقصد المناطق المجاورة للجبل. ومن ولاة الجبل **الشيخ مدمان الهرطلي**: ق: (3هـ/9م). تولي الحكم في عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، الذي اختبره الإمام فبعث إليه كتابين في الأول عزله وفي الآخر تثبيته، وأمر أن يقدم له كتاب

---

(1). يقال أن العجوز المعنية هي: تانا مارن، ويوجد مسجد بقرية جماري بجادو ينسب إليها زرته عام 2004م.

(2) الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 28 ــ 29؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج 1، ص 70ــ 71، الشماخي، المصدر السابق، ص 183.

(3) . الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة 29.

(4). الشماخي، المصدر السابق، ص180.

العزل أولاً ليرى ردة فعله، ثم يقدم له الكتاب الآخر في حالة قبوله العزل فلما قرأه، قال: رحم الله الإمام قد علم أني لست أهلا لهذا المقام، ثم قرأ الكتاب الثاني ، فقال: رحم الله الإمام قد علم أن ليس أحد يحل مكاني[1]. ومن الذين تولوا الولاية وكان زاهداً فيها **الشيخ أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي**: ق: (3هـ/9م)، ودعا الله أن لا يمكث طويلاً في هذا المنصب، فلم يتجاوز السبعة أشهر[2] في الولاية حتى توفي رحمة الله عليه.

ومن الولاة المشهورين **الشيخ إلياس أبو منصور التندميريّ**: الذي تولي ولاية الجبل خلال عهد الإمام أبي اليقظان ثم في عهد الإمام أبي حاتم، وهو الذي هزم العباس بن أحمد ابن طولون الذي حاول السيطرة على بلاد أفريقية[3]. وهو الذي أنهي قضية الخلفية.

أما الوالي **أفلح بن العباس**: (حي في 283هـ/896م). ففي ولايته قامت الحرب مع الأغالبة بمانو. تولي زمن الإمام أبي اليقظان، وأقيل بعد معركة مانو (283هـ/896م)، ثم تولي مرة أخرى.

وبعد معركة مانو التي تعد كارثة بالنسبة للحياة العلمية في الجبل وذلك لموت عدد كبير من العلماء قدره البعض بحوالي أربعمائة عالم[4] وأول والي على الجبل بعد تلك الواقعة: **أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي**: (حي بعد 283هـ/896م). تولى بإتفاق مشائخ الجبل.

---

(1) . مقر بن محمد البغطوري، سيرة أهل نفوسة، مخطوط، ورقة 16، مكتبة سالم بن يعقوب، جربة، بدون تصنيف.

(2). الشماخي، المصدر السابق، ص216 ــ 217.

(3) . الشماخي، المصدر السابق، ص 225 .

(4). سليمان الباروني، المرجع السابق، ص280 ــ 284.

ثانياً: الولاة الذين تولوا بإتفاق مشائخ الجبل:

بعد سقوط الدولة الرستمية صار تعيين الولاة على الجبل بإتفاق أهل الحل والعقد، وهم العلماء والمشائخ، حيث قاموا بتولية كل من: **أبويحيى زكريا الأرجاني:** (ت: 325هـ/936م). كان بعض الأهالي يخشون منصب الولاية لما فيه من مسئولية وأمانة، وعندما تولي أبو يحيى الأرجاني: "جعلت أمه وأخته تبكيان وتقولان له: أحرقوك وشووك يا حبيبي"[1] وما قالوا ذلك إلا خوفاً عليه من فتنة الحكم، إلا أنه سار سيرة حميدة بين رعيته وليس هذا فحسب فحتى الطوائف الأخرى كان يعاملها معاملة حسنة، فذات مرة زاره جماعة من اليهود ليباركوا له في مولوده الجديد وقدموا له أربعون ديناراً هدية المولود فأبي أن يأخذها منهم فتعجبوا من ورعه وقالوا: " ما رأينا مثل هذه البلاد بلدة لا يأخذ سلطانها ولا يطمع في أموال الناس"[2].

أبي عبد الله بن أبي عمر: (حي في: 325هـ/936م). وهو حفيد إلياس أبو منصور، كانت ولايته فترة قصيرة ثم أقيل عن الحكم. ؟؟؟؟ **أبي زكريا يحيى الأرجاني:** (حي بعد عام: 340هـ/951م). دامت فترة ولايته حوالي ستون عاماً ومات بعد عودته من إحدى المعارك ضد العبيديين، وأغتاله رجل من قرية طرميسة.

أبو يحيى سليمان بن ماطوس: (حي في 283هـ/896م). أصله من مدينة شروس، وكان حازماً في ولايته ويقول: " أنا إن لم أقدر على الكل تركت

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة151.

(2). المصدر نفسه، ورقة152.

الكل"[1]، وفي ذلك إشارة إلى عدله وإنصافه بين الناس، وفي حالة عدم تمكنه من ذلك فما عليه إلا ترك الولاية لمن هو أهل لها. **أبو محمد زيد بن أقصيت الدوفي:** (عاش ما بين: 300 ــ 350هـ/ 912 ــ 961م). تولي بإتفاق مشائخ وعلماء الجبل، واشتغل بالقضاء وكانت إقامته بمدينة جادو.

أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي: (عاش ما بين: 300 ــ 350هـ/ 912 ــ 961م). **أبو زكريا يحي بن سفيان:** (حي ما بين: 350 ــ 400هـ/ 961 ــ 1009م). يرجع أصله لمدينة لالوت (نالوت حالياً). **أبا سليمان التندميري:** (ق:4هـ/10م). يرجع أصله لقرية تندميرة، وتنازل عن الحكم لأبو عمرو الشروسي طواعية.

أبو عمرو ميمون الشروسي: (حي ما بين: 350 ــ 400هـ/ 961 ــ 1009م). يرجع أصله لمدينة شروس، وفي عهده شاع العدل والأمن في المنطقة، وذلك لشدته في الأمر والنهي ومحاربته للفساد ويروى: أنه سمع بمجلس للخمر في القحص[2] وبعد عنه بحوالي ستة أميال فمضي إلى هناك ومنعهم من شرب الخمر واحتجزهم، وكانت له علاقات ممتازة مع بلاد السودان الغربي، وفي ولايته جاز الجبل تجار من التكرور وتعاملوا مع تجار وأهالي الجبل.

أبو الفضل سهل: (ق4هـ/10م). تمكن من إعادة الهدوء للجبل بعد سيطرة القبائل الأخرى عليه ومنها قبيلة وناتة، كما أصلح الأوضاع والفساد في مدينة

---

(1) ـ المصدر نفسه ورقة81.

(2) ـ اليغطوري: المصدر السابق ورقة81 ــ 82.

غدامس. **أبو محمد عبيدة بن زارود التغرميني**: (أوائل ق4هـ/10م). يرجع أصله لتغرمين، لم يوفق كثيراً في الحكم فتنازل لأبو اسحاق الإشاري بكل طواعية، عندما أشار عليه أبو هارون بأنه لا يصلح لهذه الأمور ولا الناس يصلحون له وما عليك إلا اللحاق ببيتك والاهتمام بشئون عبادتك، وكان رد أبو محمد التغرميني لأبي هارون: رزقك الله الأجر[1].

أبو إسحاق الإشاري: ق: (4هـ/10م). يرجع إلى قرية إشارن (بالرجبان حالياً). وهو من العلماء الذين وظفوا علومهم في السير بين الناس، ومن أقواله المشهورة لأهل أشارن: " أضمنوا لي أربعاً أضمن لكم أربعاً: الصلاة، والآذان، وحفظ الخط، وتعليم القرآن، يسلم مسافركم، وينمو أرزاقكم، وتطفأ نار الحرب عنكم، ويرتفع القحط "[2]. ونجده في هذا النص أن الشيخ أبو إسحاق يركّز على تعليم القرآن الكريم، والكتابة وهي حفظ الخط، بمعنى آخر هو يربط أهمية العلم بسلامة ونجاح الناس في حياتهم وإستقرارها. كما نجده في موضع آخر يحث الناس على الصلاة في المساجد ويقول لأهل قريته: " يأهل إشارن، صرتم إلى إشارن "[3] عندما لا يجد مصلين بالمسجد.

أبو هارون موسى الملوشائي: (أواخر ق: 4هـ/10م). أصله من قرية تملوشايت، وعندما أسندت له وظيفة الوالي أستقر في قرية إيياناين التي كثيراً ما كان يتردد عليها قبل ولايته. **أبو الربيع سليمان الملوشائي**: ق: (5هـ/11م). من مدينة تملوشايت، وهو نجل الوالي السابق. **هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى ابن هارون الياروني**: ق: (5هـ/11م). سليل عائلة الياروني المشهورة

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة166.

(2) . الشماخي، المصدر السابق، ص247.

(3) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة71. وإشارن : كلمة أمازيغية ومعناها: الأظافر.

بالحكم والعلم بجبل نفوسة خلال العصور الوسطى. **أبو زكريا يحيى بن إبراهيم:** ق: (5هـ/11م). **إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروني:** (حي في عام: 722هـ/1322م).

2. القضاء:

تؤكد الدراسات الإجتماعية والتاريخية أن الإنسان لا يستطيع العيش بمفرده وأنه مدني بطبعه[1]، وهوميال إلى لقاء الناس والاجتماع بهم والتأنس معهم وكل ذلك يتم في إطار المجتمع، المتكون من مجموعة بشر مختلفون في الطباع والأخلاق، وهذا الاجتماع من شأنه يؤدي أحياناً إلى الصراعات بفعل الاحتكاك وتضارب المصالح والحريات، وهنا يكون المجتمع أي مجمتع في حاجة إلى قضاء ليفصل في المنازعات والخلافات، وبذلك رأي أهالي الجبل الحاجة ماسة إلى وظيفة القاضي، سيما القاضي الذي يقضي في الأحكام الشرعية والجنائية بين الناس، ويحاول أن يصل إلى حلول شرعية في الفصل بين المتخاصمين في شتى معاملاتهم من: أحكام الدماء، والديات، والنكاح، والمواريث، وسائر النزاعات بين الخصوم.

ويرجع للإسلام الفضل في ظهور هذه الوظيفة الحساسة، ولكن ما علاقة العلم وهذه الوظيفة؟ وكيف يكون لها أثر إيجابي في ترسيخ قيم الحق والعدل؟ إن القاضي النزيه ينبغي أن يتسم بعدة خصائص أهمها العدل، وأول الإشارات الواردة في المصادر التاريخية للقضاء بجبل نفوسة، هي ما ذكره المؤرخ ابن الصغير: "وكانت

---

(1). ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص48.

نفوسة تلي عقد تقديم القضاة "[1] ولو أن نفوسة المعنيون في هذا النص ليسوا مقيمين بجبل نفوسة، وإنما إقامتهم بتاهرت، إلا أنهم منحدرين من الجبل. وقادمون من تلك البيئة الحضارية. وتتبين أيضاً أهمية النفوسيين في الدولة الرستمية من ناحية توليهم مناصب حساسة كالقضاء وغيرها!. وللأسف لم يذكر لنا ابن الصغير شخصيات معينة تولوا منصب القضاء في تاهرت ترجع أصولهم لجبل نفوسة.

وتروي لنا كتب التاريخ روايات ظريفة تبين الكيفية التي يختار بها أهالي الجبل قضاتهم، ويروي لنا المؤرخ الوسياني أن أناساً: " أرادوا إستقضاء رجل فقالت لهم عجوز أبعثوه لي، فبعثوه إليها، فأخذت عجيناً فعملت رغيفاً فجعلته في المقلا فخرجت عنه وتركته والرغيف في المقلا على النار وترك الرغيف و لم يقلبه حتى انحرق فرجعت ووجدت رغيفها قد انحرق، فقالت: ليس بصاحبكم رجل متكبر مضيع أو عاجز مهين وتركوه، ثم أرادوا أخر فارسلوه إليها فجربته أيضاً بما جربت به الأول، فقام إلى الرغيف فجعل يقلبه حتى نضج فوجدت رغيفها نطيجاً فأخبرتهم بذلك فاستقضوه"[2]. من خلال هذا النص نستنتج الوضع الاجتماعي والعلمي الذي اكتسبته المرأة في مجتمع جبل نفوسة، بالإضافة إلى حكمتها وحسن تدبيرها.

ومن علماء الجبل المشهورين في القضاء، الشيخ القاضي عمروس بن فتح، ق: (3هـ/9م)، وكان قاضياً في ولاية الشيخ إلياس أبو منصور التندميرتي، وخلال عهد الإمام عبد الوهاب الرستمي، وعرف عمروس بالحزم وعدم التهاون في قضائه بين الناس، حتى قال ذات يوم للوالي أبو منصور: " إن لم تأذن لي بثلاثة

---

(1). ابن الصغير، المصدر السابق، ص63.

(2) . الوسياني، المصدر السابق، ورقة16.

فخذ خاتمك يا إلياس: مانع الحق يقتل، والطاعن في دين المسلمين يقتل، والجاسوس يقتل"[1]. إلا أن من طبع الإنسان التسرع أحياناً فيورد البغطوري رواية أخرى يظهر فيها تسرع القاضي عمروس والوالي أبو منصور بالقصاص من رجل جاء فيه كتاب من عامل قرية تيمتي[2] بأنه قام بأعمال يستحق عليها القصاص، ولولا تدخل أحد أهالي إيجناون، وهو أبو الليث الجناوني وإيقافهم لضرب الرجل، وقال لهم: أبسواد في قرطاس تمرق الدماء، ولما تحروا في الأمر تبين أن هذا الرجل مظلوم وتم إطلاق سراحه[3]. ونفهم من هذا النص أن بعض الناس كانوا يقفون مع الحق حتى في وجه القضاة والولاة دون خوف أو وجل.

ولاحظت أن وظيفة القاضي كان يمارسها الوالي في نفس الوقت. ومثال ذلك الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي هارون موسى الملوشائي، الذي كان والياً قاضياً في ذات الوقت. فقد قسم يومه بين تلك المهام: " فإذا افترق المجلس اشتغل بالقضاء بين الناس إلى زوال الشمس فيقوم ويشتغل بالصلاة"[4]. ومن القضاة الولاة الشيخ أبو يحيى زكريا الأرجاني، وتبين لي أن مدينة جادو هي المكان الذي كان يجلس فيه الشيخ أبو يحيى للقضاء بين الناس ويمكث فيها من أول النهار إلى آخره[5]، وروى عنه : " إذا جلس للقضاء بين الناس يقول: اللهم أعطي الحق لذي

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة62.

(2). تيمتي: قرية من قرى جبل نفوسة كانت آهلة بالسكان خلال العصور الوسطى، وهي اليوم خرائب وأثارها على الحافة الغربية لعين البرائمة (القرية الشرقية في الرجبان)، رواية شفوية: الاستاذ إبحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26.

(3). المصدر نفسه، ورقة63.

(4) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة27.

(5) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة153.

الحق يا ذا الحق، ولا حجة لمحتج إذا أحتج بلا حق"[1]. فهو دائم الإستعانة بـــالله العظيم ويطلب توفيقه فهو يعلم مدي المسئولية الملقاة على عاتقه.

3. الحسبة:

كانت وظيفة المحتسب معروفة لدى أهالي جبل نفوسة، وقد مارسوها لما لها من إيجابيات في توفير الأمن والنظام، فالمحتسب على عاتقه تقع مسئولية مراقبة الأسواق من نظافتها ودقة المكاييل والموازين، وتخفيف المتـــاع والبـــضائع علـــى الدواب، وبشكل عام القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وللأسف لم تتطرق المصادر المتاحة لهذه الوظيفة بشكل مستفيض، فلـــم تعطينا أسماء للأشخاص الذين تقلدوا هذه المسئولية، ماعدا الإشارة لأبو يوســـف وجدليش الذي يعد أول من أسندت إليه وظيفة المحتسب بالجبـــل كمـــا يـــشير الشماخي لذلك قائلاً : " وكان أمر سوق جادو إليه يأذن لمن يشاء أن يبيع ويمنع من في ماله شبهة "[2]، وهذا دليل على نجاحه وسمو أخلاقه حتى وثق به الأهالي في وظيفة حساسة لها علاقة بأموال ومصالح المجتمع. ويذكر البغطوري حادثة بسوق جادو مفادها أن رجل جاء "إلى سوق جادو ليبيع غنمه، فـــسأله أبـــو يوســـف وجدليش، من تكون؟ فرد: أنا أبن فلان من أهل إينو[3] فسمح له بدخول السوق

---

(1). البغطوري، المصدر السابق، ورقة152.

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 334 .

(3). أهل إينو: من قرى جبل نفوسة وهي اليوم من ضمن قرى مدينة الرحيبات، وهي شمال غرب قرية تمـــزدا، وتعني إينو: الجبهة أو المقدمة، أي مقدمة الشيء، ومازالت آثارها ماثلة للعيان، منها مباني القرية وقصر إينو ماسين، ومسجد الشيخ أبو سليمان الإينوي. رواية شفوية: الأستاذ إبحمد البوجديدي، طرابلس، 2008/1/26م.

ومزاولة البيع والشراء، ثم جاء رجل أخر ، فسأله أبو يوسف مثلما سأل به الأول، فقال: أنا ابن فلان من أهل أغل، فنهره الشيخ وقال له: أتبيع حرام أبيك هنا، وطرده من السوق، ففر هارباً والشيخ يلاحقه حتى بلغ **ماطس**[1]. وواضح ما يقوم به المحتسب الشيخ أبو يوسف وجدليش من محاربة الفساد، والضرب على أيدي المفسدين بكل قوة وحزم لكي ينتشر الخير والصلاح في المجتمع.

وأحياناً نجد تداخل بين عمل الوالي والمحتسب، فمثلاً ما قام به الوالي أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني من سلوك يخص المحتسب عندما : " حجر على أهل إجناون خرط زيتونهم إلى وقت معلوم، فكسر بعضهم الحجر، فأدبه، قال: أتضربني على مالي يا بن فحمس، قال له: حاش لله أن أضربك على مالك وإنما ضربتك على الحق "[2]. وبالفعل كان الوالي الجناوني لا يهدأ له بال إلا بعد أن يطمئن بخروجه إلى غابة إيجناون ويقوم بما يقوم به أهل الحسبة من تفقد للأشجار وأملاك الناس ويمنع الفساد، وخاصة إذا علمنا أن : " عين إجناون تدور على أثنى عشر ألف زيتونة "[3]، ويرى في نفسه هو المسئول الأول عنها.

---

(1) . ماطس: من قري جبل نفوسة وهي واقعة بالقرب من مدينة جادو.

(2) . المصدر نفسه، ص179.

(3) . الشماخي، المصدر السابق، 189.

3. الإنتاج العلمي (المؤلفات) :

من نتائج الحركة العلمية والثقافية في جبل نفوسة بمختلف مستوياتها ومنذ القرن: (2هـ/8م)، خلفت/ تركت كماً هائلاً من الإنتاج العلمي في صورة مؤلفات ومصنفات شملت نواحي عدة من العلوم والفنون المعروفة وقتذاك لاسيما العلوم الدينية من فقه وتفسير وعلم كلام، بالإضافة إلي الدراسات اللغوية والأدب ومؤلفات في السير والتاريخ والفلسفة والحساب .

واهتم علماء الجبل بالكتاب تأليفاً ونشراً، ومن الأقوال المأثورة في الاهتمام بالكتب قولهم : " ومن حمل كتاباً إلي بلاد لم يكن فيه خير من حمل ألف حمل دقيق فتصدق بها عليهم "[1]. والسياق هنا يطرح بعض التساؤلات التالية: ما هي المواد التي استخدمها علماء ومشائخ الجبل في صناعة الكتاب؟ والورق المستعمل هل هو محلي الصنع؟ أم أنهم كانوا يستوردونه من خارج الجبل؟ فإذا كان كذلك فمن أين؟

ويمكن أن نتحدث عن أهم الكتب حسب تسلسل زمن تأليفها وذلك لكي تتضح ظروف المؤلف وتأليفه، والأسباب التي دعت إلي نوعية وإختصاص ذلك النشاط، والنتائج المترتبة على عموم المؤلفات، وملاحظة تطور التأليف عبر القرون.

أهم مؤلفات القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي :

يبدو أن الإتجاه نحو التأليف في جبل نفوسة بدأ منذ القرن الثالث الهجري، وهو بدون شك أمر طبيعي يتماشى مع المنطق التاريخي للمنطقة، لإعتبار القرون السابقة وخاصة (القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) فترة تأسيس وبناء لمختلف

---

(1) الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 95 .

عناصر ومقومات الحياة العلمية (ترسيخ العلم والتعلم ، تشييد المساجد والمدارس وغيرها)، لكي يتمكن المصنف للعلوم من الإنتاج والعطاء الفكري، وما يؤكد ذلك أن المصادر لم تشير إلي ظهور تأليف قبل القرن الثالث الهجري .

من أقدم المؤلفات التاريخية في جبل نفوسة، كتاب: (بدء الإسلام وشرائع الدين)، لمؤلفه: الشيخ لواب بن سلام الأغرميماني (ت بعد: 273هـ/887م)، يرجع أصله إلى قرية أغرميمان. وقام كل من الشيخ سالم بن يعقوب والمستشرق الألماني شفارتز بتحقيقه وطبعه سنة 1975م.

وكذلك من مؤلفات الجبل في تلك الفترة التاريخية المبكرة، كتاب للشيخ نفاث فرج بن نصر، أحد علماء الجبل خلال القرن (3 هـ / 9 م)[1]، لم تذكر المصادر التاريخية اسم الكتاب، ويبدو أن سبب تأليفه لهذا الكتاب لنشر أفكاره الفقهية، والسياسية، والكلامية، التي عارض بها مذهب الدولة الرستمية، وترى بعض المصادر التاريخية السبب في معارضته وإعلان عصيانه طمعه السياسي في الوصول إلي منصب الولاية على الجبل، إلا أنه فشل في ذلك المسعى[2]. فأخذ يثير المتاعب للدولة الرستمية بالطعن في أهلية وسلوك أئمتها[3]، فأستخدم كل الوسائل المتاحة ومن بينها التأليف لإنجاح مطلبه، وتعميم أفكاره .

وفي نفس الفترة الزمنية يلاحظ ظهور كتاب للشيخ مهدي الويغوي النفوسي (ق 3 هـ / 9 م)، ألفه باللغة الليبية القديمة ، وهو في مجال علم

---

(1) . الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 33 .

(2) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ص 77 ــ 83 .

(3) الوارجلاني ، المصدر السابق ، ورقة 33 .

الكلام ، وسبب تأليفه للرد على آراء الشيخ نفاث ابن نصر الفكرية، ومن المعروف عنه في المصادر التاريخية أنه : " أشتهر عنه أنه أحد من صد مكايد نفاث بن نصر النفوسي "[1]. ويبدو أن أحد أساليب صده هو تأليف الكتب ونشرها .

ويبدو أن حركة نفاث بن نصر شكلت نوعاً من الخطورة والتأثير على الدولة الرستمية، إلي درجة أن يقوم بالرد على مؤلفاته عدداً من العلماء فإلي جانب ردود الشيخ مهدي الويغوي المذكور سابقاً ، نجد عالماً أخر يقوم بالرد عليه وهو الشيخ أبو القاسم سدرات البغطوري، في صورة أجوبة رداً على تساؤلاته وهي نتيجة أتاحتها الظروف العلمية السائدة حينذاك . فتنافس وحوار الأفكار أعطى مجالا خصبا وحيويا لمزيد من المؤلفات المتعددة والمتنوعة في مختلف المجالات . ويلاحظ أن بعض الكتب ظهرت للرد على كتب وأفكار أخرى مما يعني دوام النشاط الفكري ، وغليان الساحة الثقافية .

وكذلك من مؤلفات الجبل ما تركه العلامة عمروس بن فتح المساكني (ت 283 هـ / 896م)، من أهمها : كتاب (**أصول الدينونة الصافية**) المعروف بـ(**العمروسي**)[2]، وتشير المصادر إلي سبب تأليفه لهذا الكتاب بناء على طلب

---

(1) الدرجيني،المصدر السابق، ج2، ص 314 ؛ الشماخي ، المصدر السابق،ص 170 .

(2)- يرى الدكتور إحسان عباس في كتابه: تاريخ ليبيا، المرجع السابق، ص112، أن هذا الكتاب ألفه صاحبه في مجال الفقه، إلا أن (العمروسي) يعد من ضمن كتب التراث الكلامي عند الإباضية، وهذا ما أشارت إليه بعض المصادر التاريخية: أن أحد علماء الكلام الإباضيين يفزان بعث للشيخ عمروس يطلب منه أن يؤلف له كتاباً في الكلام والأصول، فألف له الكتاب المعروف بالعمروسي، وجميع الكتب المنسوبة للشيخ عمروس لم يصلنا منها سوى كتاب واحد فقط وهو كتاب: (أصول الدينونة الصافية)، وأظنه هو نفسه كتاب العمروسي المذكور، لأن أصول الدينونة في مجال علم الكلام، للمزيد انظر: البغطوري، المصدر السابق، ورقة133؛ والشماخي، المصدر السابق، ص229.

أحد مشايخ فزان وهو الشيخ عبد الخالق الفزاني ويبدو أنه من المهتمين بعلم الكلام[1].

وهذا التأليف يكشف عن جانب أخر في إطار علاقات جبل نفوسة العلمية ومدى تواصله الثقافي مع المناطق الأخرى من حيث تبادل الكتب ونشرها ـــ كما أشارت الدراسة في عدة مواضع ـــ . ويعد هذا الكتاب في مجال أصول الدين ، أبرز فيه عمروس ثلاث نقاط رئيسية وهي : موقف الإباضية من المؤمنين والمشركين والمنافقين ، مواطن الخلاف بين الفرق الإسلامية مثل المرجئة[2] والمعتزلة، والصفرية[3] ، مع ذكر الأدلة باختصار ، تحليل مالا يسع جهله طرفة عين ، وما يسع جهله مع الإيمان والعمل حتى يحل وقته[4]. كما ألف **رسالة أخرى في الرد على الناكثة**[5] وأحمد بن الحسين . والتأليف الثاني يأتي في إطار متابعة ما يجري على الساحة الفكرية الإسلامية ومحاولة الإسهام فيها بمصنفات وكتب

---

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 133؛ والشماخي، المصدر السابق، ص 229؛ أحمد مختار عمر، المرجع السابق، ص 139.

(2) . المرجئة: فرقة من الفرق الإسلامية التي ظهرت في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي، ومن أسسها أنه لا يضر مع الإيمان معصية، وأن طاعة الإمام الجائر واجبة، فلا ثورة ولا خروج، ويرجون النجاة لكل المؤمنين يوم القيامة، وإن ماتوا على المعصية ولذلك سموا بأهل الوعد . ينظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص 332 ـــ 333 .

(3) . الصفرية : فرقة كبيرة من الخوارج، أتباع زياد بن الأصفر، انفصل عن الأزارقة بسبب قضية الإستعراض (قتل أطفال المسلمين المخالفين لهم ونسائهم)، أسس الصفريون دولة بني مدرار بسجلماسة سنة 155 هـ ، ينظر: إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 342 .

(4) . عمروس بن فتح المساكني، أصول الدينونة الصافية، مخطوط، ورقة 1 ـــ 11 . مكتبة الاستاذ صلاح الدبلي ، طرابلس ، بدون تصنيف .

(5) . الناكثة: إن هذه الفرقة لها عدة مسميات، في الأساس هي فرقة النكار الذين أنكروا إمامة عبد الوهاب الرستمي سنة 171 هـ ، على رأسهم يزيد بن فندين وهو الافتراق الأول للإباضية ، كما يطلق عليهم : النجوية، والملحدة، والشعبية، ينظر : إسماعيل العربي ، المرجع السابق ، ص 280 .

أخذت مكانها في المكتبة العربية الإسلامية . وتشير المصادر إلي عزم عمروس لتأليف كتاب فقهي أراد أن يتبع فيه منهج جديد في التأليف عما هو متعارف عليه وقتذاك إلا أن وفاته كانت هي الأسبق[1].

كما ألف الشيخ أبو يحيي سليمان بن ماطوس من علماء مدينة شروس خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، كتاباً في أصول الدين لم تذكر المصادر اسم الكتاب ، وهو من العلماء الذين تمتلئ بطون الكتب بأقوالهم وآرائهم وفتاواهم . وهذه الملاحظة تتكرر مع أكثر من عالم لم نعثر له على مؤلفات بعينها وإنما توجد آراؤه مثبتة في كتب أخرى . كما ألف ابن ماطوس كتاب آخر في الشريعة عرف بـ (كتاب أبن ماطوس)، كان الإماء والخدم يتدارسونه عند خروجهم لجمع الحطب، وجلب المياه.

أهم مؤلفات القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي :

يتضح تطور التأليف في هذا القرن حيث ظهر التأليف الجماعي للمؤلفات ، يلاحظ هنا إسهام بعض علماء الجبل بالاشتراك مع علماء آخرين من خارج الجبل في تأليف الموسوعات الفقهية (الخاصة بالعبادات والمعاملات والأحكام)، وكانوا الرواد في ذلك الأمر[2] وعرفت تلك الموسوعات في المصادر التاريخية باسم (الديوان) ومنها : (ديوان الأشياخ) و (ديوان العزابة)، وقام بتأليف الأول سبعة علماء في غار ابجماج بجربة. ومن ضمن أولئك العلماء هناك عالم من جبل نفوسة وهو أبو زكريا يحيي بن جرناز اللالوتي النفوسي ، ويرجع نسبه إلي مدينة

---

(1) . البغطوري، المصدر السابق، ورقة 131 ؛ الدرجيني، المصدر السابق، ج2 ، ص 321 .

(2) . محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3 ، ص 388 ــ 389 .

لالوت (نالوت) ، وشارك في هذه الموسوعة كما أشار لذلك الشماخي قائلاً : " ومنهم أبو زكرياء يحيي بن جرناز النفوسي وكان من جملة أصحاب الغار وممن ألف في الديوان "[1]. وأن هذا الديوان ألفه علماء من أصول مختلفة منهم من جبل نفوسة ومن مزاتة ومن جربة ولماية ، وليس كما أورد أحد الباحثين المعاصرين بأن هذا الديوان ألفه سبعة من كبار علماء نفوسة[2].

أما ديوان العزابة الذي يقع في خمسه وعشرين جزءاً ، فقد ألفه ثمانية من العلماء من مختلف الجهات، منهم اثنان من علماء جبل نفوسة وهم : يخلفتن بن أيوب، ومحمد بن صالح المسناني النفوسي، كما أشار إلي ذلك الوسياني : " وذكر أن الشيخ يخلفتن بن أيوب النفوسي ففتح الله له أن صار واحدا من واضعي كتب العزابة ، وهو الذي ألف " **كتاب النكاح ومسائل الخالات** "[3]، وأمّا محمد بن صالح فقد ألف **كتاب الوصايا**[4]. وبذلك تتضح مشاركة علماء الجبل في التأليف الموسوعي المبكر مع غيرهم من علماء المغرب الإسلامي.

كما أنّ للمناخ العلمي دوراً كبيراً بما يحوي من نشاط ثقافي وبروز مسائل ومشكلات جديدة سواء كانت فقهية أو مدنية (**معاملات**) ، نتيجة للتطورات الاجتماعية والاقتصادية ، وتشابك المصالح بين أفراد المجتمع ، تقف جميعها تتحدى فكر وذهن الفقيه العالم لكي يعطيها حلولا وفتاوى نابعة من الشرع وبما يتماشى مع أعراف المجتمع ، وهذا الجو يتفاعل فيه العلماء فيما بينهم ويشاركهم في ذلك طلابهم النابغون فظهرت كتابات في صورة أجوبة على تساؤلات مطروحة أو

---

(1) . الوسياني، المصدر السابق، ورقة 54 ــ 55 ؛ الشماخي ، المصدر السابق ، ص 402

(2) . أحمد مختار عمر ، المرجع السابق ، ص 168 .

(3) . الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 269 ــ 270 .

(4) . الدرجيني ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 456 .

مسائل نازلة ما يعرف بـــ(النوازل) ومن نماذج تلك **الأجوبة** في أواخـــر القـــرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : **أجوبة الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون** إلي تلاميذه منها أجوبة لأبي محمد عبد الله المجدولي ، ولأبي زكرياء يحيي الباروني .

أهم مؤلفات القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي:

أجوبة أبي زكرياء يحيي الجناوني لداود أبو سليمان بن هارون، **وأجوبـــة داود بن هارون** لأبي عبد الله محمد بن أبي زكرياء.

كما ظل الخلاف الفكري من العوامل التي نشطت حركـــة التـــأليف في الجبل، وغيره من المناطق. وتلك سُنة طبيعية في المجتمعات البشرية ، ولكي يدافع أصحاب الآراء عن صحة أرائهم أستخدموا علم الكلام الذي حفز العلماء علـــى التأليف ووضع الشروح أو الاختصارات، ومنها على سبيل المثال: **كتاب المسائل** لأبو سليمان داود بن هارون. كما أسهم **أبو زكرياء يحي بن الخير الجنـــاوني** في هذا الصدد بمصنفات منها: **رسالة عقيدة نفوسة**، وهو مختصر تعليمي أســـتخدم للتدريس في مدارس الجبل، وله **كتاب الوضع** في الأصول والفقه ومن الملاحظ أن المصادر نسبت هذا الكتاب لعدة مؤلفين وهم: أبو زكرياء الجناوني وأبي زكريـــاء الجادوي، وأبي زكرياء يحيي بن إبراهيم الباروني، والأرجح أن مؤلفـــه هـــو أبـــو زكرياء الجناوني، وهو ما ذهب إليه أبو القاسم البرادي[1]، الذي أهتم بمؤلفـــات الجبل فمن المؤكد أن تكون له مصادره الوثيقة، حيث درس في جبل نفوسة علـــى يد الشيخ عامر الشماخي .

---

(1) . البرادي ، الجواهر المنتقاة، ص 219 .

ومن مؤلفات أبي زكرياء يحيي الجناوني : (**كتاب الوضع**) وهو مختصر في الأصول والفقه، حققه الشيخ أبو اسحاق إبراهيم أطفيش، وطبع عدة مرات، كما عمل الشيخ أبي ستة محمد بن عمر حاشية على كتاب الوضع. و(**كتاب الرهن**)، و(**كتاب النكاح**)، و(**كتاب الأحكام**)، و(**كتاب الصوم**). وكان أهالي الجبل يعتمدون على كتب الشيخ يحى الجناوني حفظاً وفتيا، لسلاسة أسلوبه ولأنها مفيدة في التوحيد وفقه العبادات والأحكام، أودع فيها الراجح من الأقوال، وربما يذكر فيها الخلاف وكتبه مفيدة في الأحكام[1]. كما ألف الشيخ أبو عبد الله محمد الفرسطائي العديد من الكتب خلال هذا القرن (5هـ/11م)، وأشار لذلك المؤرخ أبو زكريا يحى بن أبي بكر بقوله: " وله في كل فن تآليف كثيرة "[2]، ولكن لم يصلنا منها شيء.

ومن مؤلفات ذلك القرن ما ألفه العلامة الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفرسطائي، وفي الواقع أن هذا الشيخ له مؤلفات كثيرة نذكر منها: **القسمة وأصول الأرضين**[3]، وكتاب: التوحيد، وكتاب: السيرة في الدماء والجراحات، وكتاب: الديات، وكتاب: أبي مسألة، وكتاب: تبيين أفعال العباد، وكتاب: الألواح، وسمى بهذا الأسم لأنه توفي قبل إنجازه وتركه في الألواح، وكتاب: الجنازو. ويعد من ضمن العلماء الذين أشتركوا في تأليف ديوان العزابة، وكانت مساهمته تأليف كتاب: الحيض.

---

(1). معجم أعلام الإباضية: ؛ والشماخي، المصدر السابق، ص535 ــ 536.

(2). الوارجلاني، المصدر السابق، ورقة

(3). طبع هذا الكتاب في ثمانية أجزاء، في سلطنة عمان وبتحقيق الدكتور: محمد ناصر والشيخ بلحاج بكير، وأعيد طبعه في الجزائر، منشورات جمعية التراث.

أهم مؤلفات القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي :

ألف الشيخ أبو موسى عيسى بن عيسى النفوسي (**كتاب السؤالات**)، وأن الشيخ توفيق بن يحيي الجناوني ألف (**كتاب الطهارات**)، وهو في مجال العبادات ، كما اهتم بالتاريخ والسير فألف فيها كتاب سماه : (**التقييدات**)، ومن عنوان الكتاب يبدو أنه قيد فيه معلومات عن سير الأعلام وبعض الأحداث التاريخية على غرار كتب السير المعروفة في الجبل وقتذاك ، إلا أنه من الكتب الضائعة فلم يصلنا . ومن الذين اهتموا أيضاً بالتأليف في المجال التاريخي والسيري الشيخ مقر بن محمد البغطوري، الذي ألف **كتابا** في السير ووردت له عدة تسميات منها : (**كتاب سير ومشايخ نفوسة**)، (**كتاب سير أشياخ نفوسة**)، (**كتاب السير**)، (**كتاب سير نفوسة**)، (**كتاب سير الجبل**)[1]. ويفيد البغطوري أنه أتم تأليف كتابه في ربيع الآخر عام 599 هـ / الكانون 1202م .

ومن المهتمين بالسير والتاريخ الشيخ أبو موسى عيسى بن سليمان الذي ألف هو الأخر **كتاباً في السير**. وفي نفس المجال هناك **كتاب لمؤلف مجهول** كما يرى المستشرق ليفيتسكي بعنوان: " **تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم** "[2].

---

(1) . تاديوش ليفيتسكي ، المرجع السابق ، ص 156 . ويبدو أن المستشرق ليفيتسكي لم يرى هذا المخطوط لأنه يقول : ولم يصلنا هذا المصنف ولا نعرفه إلا من خلال المقتطفات التي أوردها الشماخي وهذا صحيح لأن تاديوش توفي قبل أن يعثر الشيخ سالم بن يعقوب على مخطوطة سير البغطوري في السبعينات بمكتبة البغاطر في حومة والغ ، وهذا ما أخبرني به محمود سالم بن يعقوب نجل المرحوم الشيخ سالم بن يعقوب في زيارتي إلي جزيرة جربة في (1 / 2 / 2004).

(2) . المرجع نفسه ، ص 177 .

أهم مؤلفات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي :

ومن أهم مؤلفات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي مجموعة مصنفات للشيخ أبي نصر فتح بن نوح التملوشايتي ، واتبع في كتاباته أسلوب القصيدة الشعرية ، والتساؤل المطروح لماذا كتب أبو نصر مؤلفاته بهذا الشكل ؟ أما المجال الذي اهتم بالتأليف فيه هو الفقه والأصول فألف : (**النونية في أصول الدين**)، من مطلعها : (**طويل**)

سلام على الإخوان في كل موطن بنجد وخيفٍ والسّهولةِ والحَزْنِ[1]
سأهدي إليكم من كلامي قصيدة أقدمّها للنفس يوم التغابُنْ
تنبهكم عن بعض ما لم يسعكمُ فما حُكْتُها بوصفِ جان ولا دَنْ
أروم بها إحياء علم عقائد درسن فلم يحفل بها كلّ مُعْتَنْ
ألا بدلوا قافاً بعين وصادها بقاف وصوها من الصحف واللحن
نظرت إلي قراءنا فوجدتهم بقفه المعاش مولعين بألسن
تناسوا أصول الدين من أجل أنها صعاب وما فيها ثمار لمن يجن[2]

ونقتطف أبيات من آخر القصيدة :

خذوها وخطّوها ولا تزدروا بها ولا تلحظوا فيها بطرف التّهجّنْ
وأنشدكم بالله أن تتصفحوا عن الفلتاتِ الصادراتِ عن اللّكَنْ

---

(1) . الحزن : الأرض الصعبة .

(2) . أبو نصر التملوشايتي ، المصدر السابق، ص 1 .

فيارب عفواً عن عُبَيْدكَ إنه تكلف شعرا بالروىّ المنوّن
وآخر قولي الحمد لله وحده واستغفر الرحمن من خطاء من
ومني سلام الله ما ذرّ شارق على أحمد الهادي إلي خير موطن[1]

فهذه النونية وضعها صاحبها في اثنين وثمانين بيتاً جمع فيها أصول الدين ، وانتشرت في مختلف مدارس الجبل واعتني بها العلماء والطلاب ، وقام عدداً من العلماء والشيوخ بشرحها، منهم على سبيل المثال: الشيخ إسماعيل الجيطالي في ثلاث مجلدات، بمنهج تحليلي استدلالي، مقارناً فيما بينها وبين ما ألفه الآخرون في هذا الصدد . كما قام بشرحها الشيخ عمرو بن رمضان التلاتي ووضع لها عنوان: (اللآلىء الميمونية على المنظومة النونية). ومن شراحها أيضاً: قاسم بن يحيى الويراني، والشيخ عبد العزيز الثميني معنونة بـ(النور).

كما ألف (الرائية في الصلاة) من مطلعها : (طويل)

سما من سما بالجد والعزم والصبر وسهر الليالي والسّري والتهجرِ
وغودر بالتسويف في النوم أو غدا أخو العَجز والكسل البطيء عن الخير
أحب فتى العزائم حازماً لدنيا وأخرى عاملاً بالتشمر
وأما أخو النومات لا مرحباً به ولا بالجَثُوم الرّاكِدِ المتدثّر[2]
فمن ضيّع المفروض من صلواته أو أخّر منها فهو أضيع للغير
ومحرم بعضاً من وظائفها التي تتم بها لا عذر إلا لذي عذر

(1) . المصدر نفسه ، ص 13 .
(2) . التملوشايتي ، المصدر السابق ، ص 203 .

إذا قمتَ للتوجيه بالقصد فانتصب بقلب خلي فارغ من سوى الذّكرِ
وقل خاشعاً وجهت وجهي للذي تقدس عن ضد وند ومنكر
وقف خالياً من العلائق إنها مناجاة مولاك الجليل المدبر

ومن آخرها :

ولم يجد منوالاً تقدم قبله بنظم علوم الفقه والدين بالشعر
فأعجز أهل العصر كلا وبعده كما أعجز الأمي من فاه بالسحر
عليه سلام الله ثم صلاته ورضوانه يا حبذا طيب الذكر
فطوبي لمن كان النبي شفيعه وراح إلي الفردوس مع صالح الزمر[1]

وقام أيضاً عدة علماء بشرح هذه المنظومة (الرائية في الصلاة) منهم: الشيخ إ"سماعيل الجيطالي، وقاسم بن يحيى الويراني، وعبد الله بن زياد العماني، وعبد العزيز الثميني، ومحمد بن سليمان بن إدريسو.

كما ألف الشيخ أبو نصر النونية في خلق القرآن ، و الحائية المسماة : (تحريض الطلبة) من مطلعها : (سريع)

الحمد لله على ما أراح من نعم أو نقم قد أزاح
أحده حقاً وأشكره على ألآ لاء الظاهرات الوجاح
والصلوات الطيبات على نبيه أحمد زين البطاح
ثم الرضي عن أهل قدوتنا أئمة الدين نجوم الفلاح[2]

وآخرها :

هذا كلامي والسلام على كل أديب ما أضاءت براح
أبناء جدي حيثما قطنوا وأينما حلوا بأقصى النواح

---

(1) . المصدر نفسه ، ص 211 .

(2) . التملوشايتي ، المصدر السابق ، ص 17 .

كما ألف (**الدالية**) المسماة: **رسالة المسترشد وكفاية المستنشد** في الوعظ والإرشاد، كما ألف كتاباً سماه: (**مقامات**)، قام بشرحه الشيخ عبد الرحمن بكلي البكري، وألف القصيدة: (**البائية في الأخلاق**)، وله ديوان شعر أغلب مواضيعه في الأخلاق والعقيدة.

أهم مؤلفات القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي :

من مؤلفات جبل نفوسة خلال هذا القرن **كتاب الإيضاح**[1] للشيخ عامر الشماخي في الفقه ، الذي قال فيه أبو العباس أحمد الشماخي : " وهذا التأليف ما أظن ألف في المذهب مثله، جمعاً وتعليلاً، واختصاراً غير مخل وتطويلاً غير ممل، ولا مكرر، وهو اعتماد أهل المغرب في وقتنا خصوصاً نفوسة "[2]، ونستنتج من نص الشماخي أن هذا الكتاب جامع لفقه المذهب في مختلف المسائل الفقهية في العبادات والمعاملات، وبذلك يكون من الكتب المهمة في المكتبة العربية الإسلامية، وشهدت له بعض الدراسات المعاصرة بالإبداع والموسوعية وإمكانية اعتباره من كتب الفقه المقارن[3]. كما ألف الشيخ عامر **رسالة متن الديانات في الأصول** ، **وقصيدة الأزمنة** . ومن أبرز مؤلفي الجبل الشيخ إسماعيل الجيطالي الذي أثرى المكتبة العربية الإسلامية بمؤلفات عدة منها : (**قواعد الإسلام**) و (**كتاب**

---

(1) . كتاب الإيضاح للشماخي تمت طباعته سنة 1970 في، بيروت: مطبعة الوطن وكان في أربعة أجزاء .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 560 .

(3) .عبد الكريم عبد الله بلقاسم، عامر بن علي الشماخي، منهجه الفقهي من خلال كتابه الإيضاح، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، كلية التربية، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، مارس 1984، ص 330 .

قناطر الخيرات)[1]، و(شرح النونية لأبي نصر بن نوح التملوشايتي) في جزأين[2]، وألف (كتاب الحساب وقسم الفرائض)، و(كتاب مناسك الحج)، و(عقيدة الجيطالي) و(تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان) في الأدب.

وألف الشيخ أبو عزيز بن إبراهيم بن أبي يحيي كتابا سماه : (لقط أبي عزيز)، وهو مزيج من السير والأخبار والفقه .

وألف الشيخ أبو يحيي زكرياء بن عيسى الأبدلاني كتابا في العبادات سماه : (المناسك). وألف الشيخ أبو عمران موسى بن عامر الشماخي كتابا في الفقه سماه : (لقط أبي عمران موسى بن عامر).

مؤلفات مجهولة المؤلف :

ومن مؤلفات الجبل مجهولة المؤلف كتاب : (روايات أهل الجبل)، أورده الوسياني في سيره[3]، ويبدو من عنوان الكتاب أنه في مجال التاريخ، كما أن الشماخي يذكر عنوان كتاب دون التطرق لمؤلفه بعنوان: (أخبار علماء نفوسة ومناقبهم)[4] وهذا الكتاب يصنف في كتب التراجم والطبقات، ومن الملاحظ أن علماء الجبل اهتموا بهذا الجانب من الكتابة والتأليف.

---

(1) . كتاب قناطر الخيرات : يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء قام د . عمرو خليفة النامي بتحقيق الجزء الأول من قنطرة العلم والإيمان ، وطبع في القاهرة سنة 1965 ف ، وبقيت الأجزاء الأخرى دون تحقيق . ينظر : معجم علماء الاباضية ، المرجع السابق ، ص 57 .

(2) . كتاب شرح النونية لأبي نصر الملوشائي : مازال مخطوطاً .

(3) الوسياني ، المصدر السابق ، ورقة 169.

(4) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص234 .

الفصل الرابع

(الحياة العلمية في الجبل وتأثيرها على بلاد السودان الغربي)

1. جغرافية بلاد السودان الغربي .
2. ممالك بلاد السودان الغربي .
3. علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي .
4. الطرق والمحطات التجارية .
5. التأثير الديني والثقافي .

1. جغرافية بلاد السودان :

تطلق المصادر (الجغرافية والتاريخية العربية) لفظ السودان للدلالة على أرض وسكان المناطق التي تلي الصحراء الكبرى جنوباً، وأولي المؤرخون والجغرافيون العرب اهتماماً كبيراً بدراسة تلك البلدان في كتاباتهم فتحدث عنها شمس الدين المقدسي قائلاً: " **وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذا الأقليم ومصر من قبل الجنوب ، وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وهم أجناس كثيرة** "[1].

ونجد الجغرافي الأصطخري (عاش في النصف الأول من ق: (4هـ/ 10م)، يصفها: " **وبلدان السودان بلدان عريضة ... ليس في أقاليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم هو أوسع منه، ويمتدون إلي قرب البحر المحيط مما يلي الجنوب، ومما يلي الشمال على مفازة ينتهي إلي مفاوز مصر من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة** "[2].

كما وصفها القزويني (عاش خلال ق: (7هـ / 13م)، بقوله:" **هي بلاد كثيرة، وأرض واسعة، ينتهي شمالها إلي أرض البربر، وجنوبها إلي البراري وشرقها إلي الحبشة وغربها البحر المحيط، أرضها محترقة لتأثير الشمس فيها** "[3].

كما تحدث ابن خلدون (732 ــ 808هـ / 1332 ــ 1406 م) عن أمم السودان قائلاً : " **وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة ... ويليهم البجاوة وهم نصاري ومسلمون ، ويليهم الزغاوة**

---

(1) . شمس الدين المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت: مكتبة خياط 1906، ص341 .

(2) . ابن اسحق الأصطخري، المصدر السابق، ص 34 ــ 35.

(3) زكرياء بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت: دار صادر، 1960 ، ص 24.

وهم مسلمون ... ويليهم الكانم وهم خلق عظيم ... ويليهم من غربهم كوكو ... وبعدهم نغالة والتكرور ... ويتصلون بالبحر المحيط إلي غانية "[1].

من خلال ما تقدم عرضه من أقوال المؤرخين والجغرافيين العرب نتسطيع أن نصل تقريباً إلي الحدود الجغرافية لبلاد السودان، فهي تشغل مساحة شاسعة من البحر الأحمر شرقاً إلي المحيط الأطلسي غرباً، ومن الشمال الصحراء الكبرى وجنوباً الغابات الاستوائية. إلا أن هذه المناطق تعرضت في فترة الاستعمار إلي تقسيم ورسم حدود مصطنعة فظهرت إلي الوجود خريطة لثلاث مناطق للسودان ما يعرف : (السودان الغربي ، والأوسط ، والشرقي).

1 ــ **السودان الغربي:** ويشمل المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجري الأعلى لنهر فولتا[2].

2 ــ **السودان الأوسط:** ويشمل المناطق المحيطة ببحيرة تشاد.

3 ــ **السودان الشرقي:** ويمتد شرقاً حتى البحر الأحمر وغرباً إلي حدود اقليم دار فور ويضم الحوض الأعلى والأوسط لنهر النيجر[3].

وتبين من خلال المصادر أن جبل نفوسة كانت علاقاته (التجارية والثقافية) محصورة بشكل كبير بين منطقتي السودان الغربي والأوسط، وكان لهم اهتمام ببلاد السودان الغربي.

---

(1) . ابن خلدون ، العبر ، مج 6 ، ص 235 ــ 236 .

(2) . محمد بن عمر التونسي ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل عساكر وآخرين ، القاهرة : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1965 ، ص 132 ؛ الشيخ الأمين عوض الله ، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغاى ، جدة : دار المجمع العلمي ، 1979 ، ص 41 ؛ عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 15 .

(3) . محمد بن عمر التونسي ، المصدر السابق، ص 132 .

ممالك السودان الغربي :

تتميز بلاد السودان الغربي بمميزات جغرافية واقتصادية من شأنها أن تجعلها منطقة جذب لمختلف الهجرات، وبذلك يكون سكانها خليط من القبائل الأفريقية والعربية سمحت لهم طبيعة المكان الجغرافي حرية الانتقال والتنقل بكل انسابية لعدم وجود حواجز طبيعية تعوق حركة تلك الهجرات. كما أن المنطقة تتمتع بثروات طبيعية: (معدنية ، نباتية ، بحرية). ويأتي معدن الذهب على رأس الثروة الاقتصادية جعل لبلاد السودان الغربي شهرة عالمية مما جعل القزويني يطلق على أرضهم منبت الذهب[1]. وهذا المعدن قامت عليه تجارة واسعة مع مختلف المناطق وخاصة دول الشمال الأفريقي بما فيها منطقة جبل نفوسة. كما تميزت المنطقة بكثرة مناجم النحاس الذي تقوم عليه أدنى شك بعض الصناعات المحلية.

ويشير الرحالة المغربي ابن بطوطة إلي هذا المعدن قائلاً: " ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليه في الأرض ، ويأتون به إلي البلد، فيسكبونه في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم ، فإذا سكبوه نحاساً أحمر صنعوا منه قضباناً في طول شبر ونصف، بعضها رقاق وبعضها غلاظ "[2]، حسب حاجتهم من الأدوات وغيرها، وكان هذا المعدن من المواد المصدرة خارج بلاد السودان ويحصلون مقابله على الذهب[3].

---

(1) . محمد بن عمر التونسي ، المصدر السابق، ص 132 .

(2) . أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1964 ، ص 697 .

(3) . أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، دار بيروت للطباعة والنشر ، 1964 ، ص 697 .

ونظراً للبيئة الجغرافية للبلاد ومناخها عاشت فيها عدة أنواع من الحيوانات مثل: الفيل والكركدن والزارفة، وهذه الحيوانات تعد من ذوات الأعشاب، ولا تعيش إلا في المناطق التي تحتوي على غطاء نباتي كبير لاستمرار حياتها وهذا ما أشار إليه الرحالة والجغرافيون[1]. كما تنبغي الإشارة إلي الثروة السمكية الهائلة لوقوع المنطقة على الشواطيء البحرية (**المحيط الأطلسي**)، بالإضافة إلي جريان الأنهار فيها (نهر السنغال ونهر النيجر)، وشكلت الأسماك غذاءً رئيسياً لسكان تلك المناطق[2]. ونتيجة لهذه المقومات شهدت بلاد السودان الغربي قيام عدة ممالك وإمبراطوريات سوف يتم التركيز على مملكتي: (**مملكة غانا الوثنية، ومملكة مالي الإسلامية**) لما لهما اسهام بالغ في الأهمية من حيث تطوير المنطقة حضارياً وخلفت إرثاً ثقافياً وإنسانياً يشهد على عمق الحضارة والتاريخ في بلاد إفريقيا فيما وراء الصحراء ، وهي في نفس الوقت المناطق التي تعامل معهما تجار جبل نفوسة.

1) مملكة غانا الوثنية:

تعاقبت على منطقة السودان الغربي عدة ممالك وإمبراطوريات عبر تاريخها وتعد مملكة عانا الوثنية أقدم الممالك التي ظهرت في تلك المناطق ولعلها أول تجربة من تجارب الحكم الوطني الناجح. وتكاد تتفق معظم المصادر بخصوص تأسيس مملكة غانا في القرون الميلادية الأولي، ويرون في القرنين: (**الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين**) قرون الازدهار والرقي الحضاري.

---

(1) - القزويني ، المصدر السابق ، ص 24 .

(2) - الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1999 ، ص 280.

كما اهتمت المصادر التاريخية والجغرافية بتلك المملكة وأفاضت الحديث عنها، فيحدد الإدريسي (493 ـ 460 هـ/ 1100 ـ 1164 م) الرقعة الجغرافية التي شغلتها غانا قائلاً: " تتصل من غربيها ببلاد مفزاوة، ومن شرقيها ببلاد ونقارة وبشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر ، وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية وغيرها "[1].

والملاحظ أن لفظة غانا تطلقها المصادر أحياناً على الامبراطورية وأحياناً أخري تقصد بها المدينة أو الملك والسكان، فنجد ابن حوقل يعني بها الإمبراطورية حيث يقول: " ومن أودغست إلي غانة بضعة عشر يوماً بالمفردة، ومن غانة إلي كوغة نحو شهر"[2]. في حين نجد في مكان آخر يعني بها الملك نفسه قائلاً: "وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها، بما لديه من الأموال والمدخرة من التبر"[3] وهذا ما ذهب إليه البكري حين قال: "وغانة سمة لملوكهم واسم البلد أوكار"[4].كما يتفق مع ابن حوقل في المعنى الأول قائلاً:" ومن سجلماسة تدخل إلي بلاد السودان إلي غانة"[5]. أما الإدريسي فيري أن اسم الملوك يأتي على اسم البلاد نفسها، فسمي الملك غانا على البلاد (غانا)، وملك كوغة اسمه كوغة[6].

---

(1) . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 24 .

(2) . ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 91 .

(3) المصدر نفسه ، ص 98 .

(4) . البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص 871.

(5) . المصدر نفسه ، ص 837 .

(6) . الإدريسي ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 185 .

ويذهب شمس الدين الأنصاري إلي أن : " غانة اسم علم على بلاد كما تقول خراسان والشام "[1].

أما ياقوت الحموي (ت 626 هـ / 1228 م) فيهتم بالموقع الجغرافي للبلاد ، ويشير إلي أهميتها الاقتصادية ، حيث يقول : " غانة ... كلمة أعجمية لا أعرف لها مشاركاً من العربية، وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار "[2]. ويتضح مما سبق أن مملكة غانا شملت معظم حدود السودان الغربي وهي رقعة جغرافية كبيرة، وسبب تلك السيطرة الواسعة، ترجع لتمكن شعب غانا من استعمال الحديد سلاحا قبل غيره من الشعوب الافريقية[3]. ويمكن أن يضاف إلي ذلك موقعها الجغرافي الممتاز الأمر الذي ترتب عليه سيطرتها على طرق القوافل من ناحية، ومن ناحية أخرى وقوع مناجم الذهب تحت سيطرتها[4]. ويبدو أن معدن الذهب كان متوفراً بصورة كبيرة إلي درجة أن أطلق بعض الجغرافيين على أرضهم: " منبت الذهب "[5] وهذا المعدن هو الذي سيعطي للمنطقة بعداً استراتيجياً عبر توالي الممالك عليها كما سيجعل تجار جبل نفوسة يتوجهون مع غيرهم من تجار الشمال الإفريقي للاتجار مع بلاد السودان الغربي.

---

(1) . شمس الدين الأنصاري، المصدر السابق، ص 110 .

(2) . الحموي ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 184 .

(3) عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 17 .

(4) . نفس المرجع والصفحة .

(5) . القزويني ، المصدر السابق ، ص 24 .

ويبدو أن الإسلام كان متغلغلاً في مملكة غانة، وهذا ما يتضح من نص البكري الذي يقول: " ومدينة غانة مدينتان سهليتان واحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون ، وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجداً أحدهما يجتمعون فيه ، ولها الأئمة والمؤذنون والراتبون ، وفيها فقهاء وحملة علم ... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمون "[1]. ومن الصعب تحديد الفترة الزمنية التي انتشر فيها الإسلام في مملكة غانة الوثنية . إلا أنها فترة مبكرة تسبق وصول المرابطين إلى هناك ويشير القلقشندي لأسلام أهل غانة قائلاً: " وكان أهلها قد أسلموا أول الفتح "[2]. وهذا ما يؤكده نص البكري من حيث بروز مظاهر الحياة الإسلامية المتمثلة في كثرة المساجد، الأمر الذي يفيد أن انتشار الإسلام في تلك المنطقة أخذ زمناً طويلاً حتى وصل إلي ذلك المستوى، والتساؤل المطروح هل كان لتجار جبلا نفوسة أية أدوار في نشر الإسلام في مملكة غانا الوثنية ؟.

2) مملكة الصوصو:

أستغلت قبائل الصوصو ــ وهم من السوننكة وكانوا تابعين لغانا ــ الظروف السياسية الحرجة التي تمر بها إمبراطورية غانا بعد تعرضها للهجمات المتتالية من قبل المرابطين الذين كان هدفهم الأساسي نشر الإسلام ومحاربة الشرك في تلك المناطق من المعمورة، حيث تمكن أبو بكر بن إبراهيم من السيطرة على العاصمة (كومبي صالح) في سنة 469 هـ / 1076 م[3]. وبالفعل نجح المرابطين

---

(1) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 871 ــ 872 .

(2) . أبو العباس أحمد القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5 ، القاهرة : وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، (د . ت)، ص 284 .

(3) . الهادي الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 45 .

في تحويل جزء من السكان الوثنيين إلي الدين الإسلامي[1]. وتحت ظروف المرابطين وإنشغالهم بمشاكل دولتهم في الأندلس قرروا الإنسحاب من المنطقة تاركين فراغاً سياسياً أستغلته قبائل الصوصو لإقامة دولة مستقلة عن غانا.

وقبائل الصوصو كما يشير ابن خلدون هم أمة تجاور غانة من ناحية الشرق[2]، ويتزعمهم فرع من أسرة سركلة يعرف (بجرسو)[3]، وفي عام 1180 م استطاع (جوة كنته) إسقاط تلك الأسرة عن الحكم والزعامة ليحل محلها وهو أيضاً يعود إلي السركلة[4]. وتمكن هذا الملك من توحيد إقليمي كانياغا وصوصو في مملكة واحدة، ثم خلفه ابنه الملك (سوماورو) الذي تولي الحكم فيما بين (1200 ــ 1235 م) وتمكن هذا الملك من إحراز عدة إنتصارات حتى امتد سلطانه إلي كل المقاطعات التي كانت خاضعة قديما لحكم غانا ما عدا منديه[5]، التي عندما شرع في غزوها لتوسيع مناطق نفوذه جنوباً هزم أمام قبائل الماندنجو في معركة فاصلة بـ(كبرينا) حوالي عام 633 هـ/ 1235 م، وفر من بقى من الصوصو إلي منطقة التكرور[6]. وبذلك تسنح الفرصة لقيام مملكة مالي الإسلامية بمنطقة السودان الغربي .

---

(1) . عبد الرحمن بن خلدون ، العبر ، مج 6 ، ص 237 .

(2) . نفس المصدر والصفحة .

(3) . الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 46 .

(4) . عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع، 1961 ، ص 87 .

(5) . جبريل. ت . نياني، مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ إفريقيا العام ، مج 4 ، (الفصل السادس)، اليونسكو ، ص 137 .

(6) . الدالي ، مملكة مالي الإسلامية ، ص 21 .

وقد أرتبطت مملكة الصوصو بالرغم من قصر فترة حكمهـــا بعلاقـــات اقتصادية مع دول المغرب الاسلامي لاسيما الدولة الرستمية وسيأتي الحديث عنها ضمن مبحث علاقات جبل نفوسة مع منطقة السودان الغربي لاحقـــاً . ومـــن الملاحظ بخصوص هذه المملكة لم يهتم بها أبرز مؤرخي السودان أمثال : (**محمود كعت في كتابه الفتاش، و عبد الرحمن السعدي في تاريخ السودان**) ، وبـــذلك تواجه الدراسة صعوبة في الوصول إلي المزيد من المعلومات التي من شـــأنها إبـــراز دورها السياسي والاقتصادي والثقافي .

2) مملكة مالي الإسلامية :

يبدو أن البكري هو أول من أورد ذكر مالي ، التي سماها (**ملل**) ثم تعرض لها مؤرخون، وجغرافيون، ورحالة في صور عديدة[1]، وهي التي خلفت إمبراطورية غانة الوثنية في حكم المنطقة بعد جهاد المرابطين عام 460 هـــ / 1076م[2].

لقد أسست هذه الإمبراطـــورية قبائل الماندنـــــجو القاطنـــة في إقلـــيم (**كانجاب**) بقيادة : (**سنـــدياتا كيتا**) والملقب : بـــ (**ماري جاطة**)[3]. وهو الذي تغلب على قبائل الصوصو في معركة (كيرينة) عام 633 هـــــ / 1235 م[4]، الذين نافسوهم في وراثة حكم المنطقة بعد سقوط غانة الوثنية ، وقـــام ســـنديانا

---

(1) . اختلف المؤرخون والجغرافيون العرب في ضبط مالي ، والملاحظ أن البكري يسميها (ملل) ، في حين نجد كلا من العمري وابن بطوطة والوزان يطلقون عليها (مالي) ، أما أبرز مؤرخي السودان أهالي المنطقة المؤرخ لها يسميها محمود كعت (مل) أما عبد الرحمن السعدي (ملي) .

(2) . عبد الرحمن السعدي، تاريخ السودان، نشر السيد هوداس والسيد بنوة، باريس: 1981 ، ص 9 ؛ الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 48 .

(3) . وتعني بالعربية : الأمير الأسد .

(4) . عبد الرحمن زكي ، المرجع السابق ، ص 97 .

بتحويل العاصمة من جاربا (Jariba) في كانغابا (Kangaba) إلي مدينة نياني (Niani) عام 638 هـ / 1240 م، ـ ونياني هي التي اشتهرت فيما بعد باسم مالي ـ ويعد هذا التحول بداية التوسع لمملكة مالي الإسلامية ، حيث امتد سلطانها حتى شمل البلدان التي تقع بين بلاد برنو شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً ، والمنطقة الصحراوية شمالاً والغابات الاستوائية جنوباً ، وهي نفس المناطق التي كانت خاضعة لإمبراطورية غانا[1]، ومملكة مالي تشمل خمسة أقاليم كل إقليم منها عبارة عن مملكة مستقلة وهي : ـ

1) **إقليم مالي** : ويتوسط باقي أقاليم المملكة ، ويقع ما بين إقليم الصوصو من الغرب ، وإقليم كوكو من الشرق ، وعاصمته مدينة نياني .

2) **إقليم الصوصو** : ويقع إلي الغرب من إقليم مالي .

3) **غانة** : وتقع غربي إقليم صوصو ، وتمتد إلي المحيط الأطلسي وبه مناجم الذهب وإلي هذا الإقليم يصل تجار جبل نفوسة وهنا نشروا الثقافة الإسلامية .

4) **كوكو** : يقع إلي الشرق من إقليم مالي وعاصمته كوكو .

5) **التكرور** : وتقع في شرق كوكو، وعاصمته مدينة تكرور[2].

بلغت مملكة مالي الإسلامية درجة عالية من الازدهار والرقي الحضاري وتحدث عنها عدد من المؤرخين والجغرافيين فأشار إليها: شهاب الدين العمري قائلاً : " وهذا الملك هو أعظم ملوك السودان المسلمين، وأوسعهم بلاداً، وأكثرهم عسكراً، وأشدهم بأساً، وأعظمهم مالاً، وأحسنهم حالاً، وأقهرهم للأعداء،

---

(1) . محمود كعت ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، نشر السيد هوداس والسيد دلافوس، باريس: 1964 ، ص 38 .

(2) . أبو العباس القلقشندي، صبح الأعشى، ج 5 ، ص 283 ـ 286 .

وأقدرهم على إفاضة النعماء "[1]. وأما مؤرخو السودان فنجد محمود كعت يقول : " وأما ملّ فإقليم واسع ، وأرض كبيرة عظيمة مشتملة على المدن والقرى ويد سلطان ملّ مبسوطة على الكل بالقهر والغلبة ، وكنا نسمع من أعوام عصرنا يقولون سلاطين الدنيا أربعة ، ما خلا السلطان الأعظم ، سلطان بغداد ، وسلطان مصر ، وسلطان برن ، وسلطان ملّ وبلده "[2].

كما اشتهرت مملكة مالي كذلك باسم (**بلاد التكرور**) إلا أن التكرور تعد كما اتضح سابقاً من ضمن أقاليم المملكة الخمسة وهذا ما لا يقبله سلطان مالي لو سمعه كما أشار لذلك العمري : " وصاحب هذه المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور ولو سمع هذا أنف منه ، لأن التكرور إنما هو إقليم من أقاليم مملكته ، والأحب إليه أن يقال : صاحب مالي لأنه الإقليم الأكبر وهو به أشهر "[3].

وتعاقب على حكم مالي عدة ملوك وحكام ، إلا أن المملكة شهدت ذروة مجدها في عهد السلطان منسا موسى (707ـ 733هـ/ 1312ـ1337 م) وذلك لاتساع المملكة وحسن تنظيمها وسيطرتها على مناجم الذهب الذي أكسبها ثروة اقتصادية هائلة ، كما أن رحلة الحج التي قام بها منسا موسى كانت بمثابة رحلة إعلامية حيث ذاع صيته ، وبلغت مالي شهرة عالمية .

إن للدول والممالك أعماراً ونهايات كما أشار لذلك ابن خلدون عندما تصل الدولة إلي مرحلة الشيخوخة ، وهذا ما حدث لمملكة مالي الإسلامية التي

---

(1) شهاب الدين العمري ، المصدر السابق، ج 4 ، ص 108 .

(2) . محمود كعت، المصدر السابق، ص 38 .

(3) . العمري ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 107 ـ 108.

أصابها الضعف والانكماش خاصة بعد وفاة أبرز سلاطينها منسا موسى ، فتعرضت الدولة لمشاكل الانقسامات الداخلية ، وكثرة الفتن بين الأقاليم مما أدي إلي تفككها ، وتوالت عليها الغارات من مختلف القبائل ، كالموشي من الجنوب ، والطوارق من الشمال إلي أن تمكنت قبائل السنغاى من السيطرة على الأوضاع ، وأقامت مملكتها خلفاً لمملكة مالي الإسلامية .

الإسلام في إمبراطورية مالي :

وبخصوص انتشار الإسلام في هذه المملكة فهو أمر على ما يبدو قديم فيها ، ومن أبرز الأدلة على ذلك إسلام أحد ملوكها منذ زمن مبكر من تاريخها ، قال البكري : " بلد اسمه ملل وملكهم يعرف بالمسلماني ... أسلم وأخلص نيتـــه ... وصح إسلامه وإسلام عقبه ، وخاصته ، وأهل مملكته مشركون ، فوسموا ملوكهم مذ ذاك بالمسلماني "[1]. من هنا يتضح لنا أن أول من أسلم من ملوك مالي هـــو (المسلماني) ، إلا أن البكري في راويته يصمت عن أشياء كثيرة منها : مـــا هـــو الاسم الحقيقي لهذا الملك ؟ وكذلك من هو الداعية الذي أسلم الملك على يديه ؟ . هذا ما سيتناوله الباحث في الأوراق التالية .

وبلغت مملكة مالي الإسلامية ذروة مجدها أثناء حكم السلطان منسا موسى (712 ــ 738 هـــ / 1307 ــ 1332 م)، لما تميز به عصره من اتـــساع في الرقعة الجغرافية، والتنظيم الإداري، والازدهار الاقتصادي، كما اشتهر هـــذا السلطان برحلته إلي الحج عام (725 هـــ / 1324 م)، الـــتي ذاع صـــيتها،

---

(1) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 875 ــ 876.

وأعطى المملكة شهرة خارج حدودها لدي العرب والأوربيين، هي الرحلة التي خرج فيها 60 , 000 ألف حمال و500 خادم في حلل مذهبة، ويحمل كل واحد منهم عصا من الذهب[1]، ويذكر كعت : " أنه كان معه حمل أربعين بغلة من الذهب "[2]، وفي أثناء عودة الرحلة اصطحب معه الشاعر والمهندس أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الطويجن، وعبد الله الكومي الموحدي الغدامسي إلي مالي، وهما اللذان أدخلا الطراز الهندسي الأندلسي في البناء ، حيث قاموا ببناء جامع سنكري ومساجد أخري بالمنطقة[3]. وبخصوص التأثير المعماري الذي تركه الشمال الأفريقي في مناطق السودان الغربي والأوسط، يشير بعض المستشرقين أن هناك العديد من المباني وخاصة المساجد مبنية على الطريقة والهندسة الإباضية، ومما لا شك فيه أن لتجار ودعاة جبل نفوسة دور بالغ في ذلك التأثير، لأنهم كانوا على إتصال دائم ومستمر مع تلك المناطق.

---

(1) . السعدي، المصدر السابق، ص 7 ؛ الدالي ، مملكة مالي الإسلامية ، ص 30 ــ 36 .

(2) . محمود كعت، المصدر السابق، ص 36 .

(3) . ابن خلدون ، العبر، مج 6 ، ص 238 ؛ الدالي ، مملكة مالي الإسلامية ، ص 36 .

2) علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان :

كما اتضح في بداية البحث أن منطقة جبل نفوسة تعد ضمن بلاد المغرب الأدنى ، وأن موقعه الجغرافي المتميز جعله يتوسط العديد من المدن والأقاليم من ناحية ، ومن ناحية أخرى يعتبر نقطة تلاقي طرق القوافل التجارية القادمة من الواحات الداخلية ومن بلاد السودان (الغربي والأوسط) والمتجهة نحو ساحل ومدن البحر المتوسط الجنوبية مثل طرابلس وتونس والأسكندرية وغيرها ، وبذلك لتكمل البضائع التجارية طريقها صوب المشرق الإسلامي وجنوب أوربا[1]. ويؤكد ذلك ما ذكره أبو عبيد البكري : " كانت هناك عدة طرق تربط بين تادمكة وكاوكاو، وتمتد إلي غانا والقيروان عبر وارجلا والجريد وطرابلس مارة بغدامس وجبل نفوسة "[2].

إذن نفهم الدور التجاري الذي أدّاه الجبل في محيطه الجغرافي بين مختلف المناطق وخاصة بلدان السودان الغربي والأوسط ، غير أن السؤال المطروح هو إلي أي فترة زمنية ترجع علاقات الجبل مع بلاد السودان ؟ وما هي تطوراتها عبر العصور الوسطى ؟ . هناك بعض الباحثين من يرى أن العلاقات ترجع إلي عهود تاريخية قديمة (**الفترة القرطاجية والرومانية بالمغرب**) واعتبروها سلسلة ربطت بلاد الشمال الإفريقي بأراضي السودان الغربي والأوسط عبر الصحراء الكبري[3].

---

(1) . محمد فرج دغيم ، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل ، ص 615 .

(2) . البكري ، المسالك والممالك ، ج 2 ، ص 879 ــ 881 .

(3) . أحمد إلياس حسين ، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبري ، (ندوة الصحراء الكبري) ، إعداد : عماد غانم ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1979، ص 211 .

فما مدي صحة هذا الرأي؟ وهل هذا الأمر يشمل منطقة الجبل ؟ فإذا تحقق ذلك الأمر فهو يتناقض مع ما ذكره محمد علي دبوز حين رأي أن الدولة الرستمية هي التي مهدت لأهل جبل نفوسة القيام بالرحلة إلي السودان للتجارة ونشر الدين بحكم كونهم من رعاياها في بعض الفترات التاريخية[1]. الواضح أنه من العسير الوصول إلي حقائق تاريخية في هذا المجال لندرة المعلومات المتعلقة بتاريخ جبل نفوسة القديم.

ومن الملاحظ أن العلاقات بين المنطقتين قد ارتكزت على التجارة العابرة للصحراء الكبرى، إذن لم تشكل الصحراء عائقاً وحاجزاً يفصل بينهما، وإنما هي محل اختراق تجاري وثقافي[2]. وهذا رد على دعاوى بعض المستشرقين الذين يرون أن الصحراء تشكل حاجزا طبيعيا دون التواصل بين مناطق شمال إفريقيا وبلاد السودان. بل بالعكس من ذلك فالملاحظ أن العلاقات كانت قوية وعميقة نتيجة للانتقال وترحال الأهالي من كلا المنطقتين إلي الطرف الأخر. كما أشار لويسكي إلي وجود جماعات من السودان تقطن بجبل نفوسة في القرن الثاني الهجري[3] وهي تعد فترة مبكرة. وفي المقابل كان بعض التجار من الجبل يسافرون إلي مناطق في السودان الغربي ويقيمون هناك[4]. ومن تلك المناطق التي انتظم تجار جبل نفوسة لزيارتها : ملاحات أوليل والتكرور، وغانا، وغيارو، والأخيرة تعد المصدر الرئيسي

---

(1) . محمد علي دبوز ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 352 .

(2) . بنعزوز فريدة ، قراءة في ابحاث تاديوش لفيتسكي ، أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية على جانبي الصحراء ، كلية الدعوة الاسلامية ، طرابلس ــ ليبيا ، 1998 ، ص 456 .

(3) . محمود إسماعيل عبد الرزاق ، المرجع السابق ، ص 282.

(4) . باولو فرناندو دي مواريس فاوياس ، نظام تجارة تادمكة وجاو وكاوكاو وكوكيا في اطار تاريخ الاتصالات الثقافية على امتداد طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، السنة الثالثة ، العدد الأول ، 1981 ، ص 47.

لتجارة الذهب والرقيق، وكذلك الأمر يتاجرون مع مالي وخاصة الذهب بالإضافة إلي وصولهم إلي كوكو وتادمكة[1].

هذا الأمر يفسر إتقان الكثير من أهالي الجبل لبعض اللغات الإفريقية ، كما أشار إلي ذلك الشماخي بقوله : إن أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني يحسن اللغة الكانمية[2]. وأن مسألة إتقان مجتمع للغة مجتمع أخر تعني عمق التواصل وتغلغل العلاقات وتشابكها إلي حد بعيد فاللغة هي وسيلة التخاطب والتفاهم ومشروع لنجاح العلاقات وتقويتها . يمكن أن يطرح السؤال نفسه هنا عن وسائل تعلم أهالي الجبل للغات الإفريقية . هل تتم في مدارس أم كانت عن طريق الاختلاط والاحتكاك ؟ في حالة عدم توفر معلومات دقيقة في هذا الخصوص يمكن ترجيح الرأي الأخير .

ويؤيد الأراء السابقة ما شاهده ابن بطوطة (القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)، من وجود مجموعتين من البيض في مملكة مالي في بلدة تسمي زغاري بين ولاتة والنيجر وكانت إحدي هاتين المجموعتين جماعة من الإباضية[3]، ولا شك أن يكون البعض منهم من جبل نفوسة، وهذا ما يشير أيضاً إلي أن التجارة الصحراوية مع بلاد السودان الغربي ما زالت حتى القرن الثامن الهجري تحت أيديهم.

وينبغي هنا الإشارة للوفد الذي أرسله الإمام أفلح بن عبد الوهاب الرستمي إلي مملكة الصوصو برئاسة محمد ابن عرفة وهو من جبل نفوسة حاملاً

---

(1) . جاك تيري ، المرجع السابق ، 533 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 185 ؛ سليمان الباروني ، المرجع السابق ، ص 180.

(3) . ابن بطوطة ، المصدر السابق ، ص 680 .

الهدايا لمؤازرة انتصارات الصوصو التي حققتها ببلاد السودان الغـــربي، ولتوثيـــق العلاقات بين الطرفين وتشير المصادر إلي إعجاب ملك الصوصو بابن عرفة قائلاً له : " أنت حسن الوجه حسن الهيئة والأفعال "[1].

وهذا النص يوضح عمق التفاهم، والرغبة في إقامة واستمرارية الإتصالات بمختلف جوانبها بين المراكز الحضارية على جانبي الصحراء . كما يلاحظ وقوع أراضي جبل نفوسة محل طرق الحجاج التكرور ، ونستدل بذلك بما أوردته المصادر التاريخية : أن الشيخ أبا عمرو ميمون بن محمد الشروسي وكان حاكماً على الجبل وقتذاك (مابين 350 ــ 400 هـ / 961 ــ 1009 م) حيث جاز عليهم جماعة من التكرور يريدون الحج فقام باستقبالهم أحسن استقبال ، وأمر بإغلاق الأسواق والخروج إلي أولئك الجماعة للتعامل معهم بالبيع والشراء وقد عبروا عن إعجابهم به أيما إعجاب لأدبه وعلمه وحيائه ، وامتنع عن أخذ أي مقابل رغم تقديمهم له مبلغ أربعمائة دينار[2].

وظلت التجارة العابرة للصحراء الكبري، حتى أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، تحت سيطرة الإباضيين في كل من : مزاب، وبلاد الجريد، وغدامس، وجبل نفوسة[3].

ونفهم من ذلك أن العلاقات كانت متينة بين الطرفين وتعبر عن خلفيـــة تاريخية وثقافية واجتماعية بين سكان الشمال الأفريقي عموماً وبلاد السودان .

---

(1) . ابن الصغير، المصدر السابق، ص 17 ؛ سليمان الباروني، المصدر السابق، ص 223 .

(2) البغطوري،المصدر السابق، ورقة 82 ؛ الشماخي،المصدر السابق، ص273ــ 274 .

(3) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 535 .

3) الطرق والمحطات التجارية[1]:

اهتم أهالي جبل نفوسة كغيرهم من سكان بلاد المغرب الكبير بالتجـــارة وهي تعد من الأنشطة الاقتصادية الهامة إلي جانب الاشتغال بالزراعـــة كغراســة أشجار الزيتون والكروم والأعناب وزراعة القمح والشعير ، وبعض الـــصناعات المحلية مثل صناعة الجرود وصياغة الذهب والفضة ، والصناعات الفخارية ، وأغلبها يعتمد على المواد الطبيعية المحلية ، إلا أن جّل اهتمامهم بالتجارة نتيجة لمـــوقعهم الجغرافي حيث يمثل جبل نفوسة حلقة وصل واتصال بين القارة الإفريقية وبين مدن الساحل على البحر المتوسط الذي تنتقل منه البضائع صوب جنوب أوربا والمشرق الإسلامي .

وتجارة الجبل اتخذت سبيلين الأول : محلي مع المدن والمناطق المجاورة مثل : طرابلس وغدامس وزويلة والقيروان وغيرها ، ويتحدث أبو الحسن بن سعيد المغربي عن العلاقة التجارية فيما بين جبل نفوسة وطرابلس ، ويورد أنواعا من الإنتـــاج الزراعي كانت تعد من البضائع المصدرة حيث يقول : " ومنه (أي مـــن جبـــل نفوسة) تمتار طرابلس بأنواع من الخيرات حتى الخضر والفواكه ، وفيه الزيتـــون والزيت والزبيب والتمر "[2]. إذن نفهم أن مدينة طرابلس كانت تعتمد على جبل نفوسة فيما تحتاجه من الغلال (الخضر والفواكه) ، حيث إن المسافة بين المنطقتين تعتبر قريبة نسبياً فهي لا تتعدى الثلاثة أيام[3].

---

(1) . ينظر الخريطة رقم (2) .

(2) . أبو الحسن المغربي ، المصدر السابق ، ص 145 ــ 146.

(3) . الحموي ، المصدر السابق ، ص 305 ؛ الحميري ، المصدر السابق ، ص 389 .

أما السبيل الآخر : فخارجي ومن ضمن ما يتمثل فيه التجارة مع بلاد السودان (الغربي والأوسط) ، وحيث إن البحث يهتم بعلاقات الجبل مع بلاد السودان فسوف يتم التركيز على طرق القوافل التجارية التي يسلكها تجار الجبل للوصول إلي مدن وحواضر بلاد السودان ، والتعرض لأهم المحطات التجارية التي تعد حلقات وصل للتجار .

1) طريق جبل نفوسة ــ غدامس ــ تادمكة ــ (كاوكاو ــ غانا) :

بداية هذا الطريق من مدينة شروس أكبر مدن الجبل في اتجاه غدامس والمسافة بينهما سبعة أيام[1]. وغدامس من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية ونظراً لموقعها التجاري المميز إلي الجنوب من الجبل فهي تأتي على طريق القوافل المتجهة لبلاد السودان ، ومن هنا فيما يبدو جاءت أهمية هذا الخط التجاري ، ومن غدامس يتجه الطريق نحو تادمكة والمسافة بينهما أربعون مرحلة[2]. وتمثل تادمكة مفترق للطرق التجارية منها ما يتجه جنوباً إلي كاوكاو (كوكو) ــ جاو لمدة تسعة أيام، ومنها ما يتجه ناحية الجنوب الغربي صوب غانا، لمدة خمسين يوماً وبذلك تكون المسافة ما بين جبل نفوسة وغانا حوالي سبعة وتسعين يوماً تقريباً، وما بين الجبل وكوكو حوالي ستة وخمسين يوماً تقريباً .

---

(1) . نفس المصدر والصفحة .

(2) . البكري ، المسالك والممالك ، ج2 ، ص 881 .

2) طريق جادو ــ زويلة ــ كاوار :

الطريق التجاري الثاني الذي يسكله تجار الجبل يبدأ من مدينة جادو وهي أيضا من المدن الكبيرة في الجبل ، ويشير البكري إلي هذا الطريق بقوله : " من أراد الطريق من نفوسة إلي زويلة فإنه يخرج إلي مدينة جادو المذكورة ، ثم يسير ثلاثة أيام في صحراء ورمال إلي موضع يسمى تيري ... ثم يصعد في ذلك الجبل فيمسي في صحراء مستوية نحو أربعة أيام لا يجد ماء ثم يترل على بئر تسمي أودرف ، ومن هناك يلقي جبالاً شاهقة تسمي تارغين يسير فيها الذاهب ثلاثة أيام حتى يصل إلي بلد يسمى تامرما فيه نخيل كثير يسكنه بنو قلدين وفزانة ... ويسير من هذا البلد إلي بلد سباب يومين ... ويسير من سباب في صحراء مستوية ... ومن هذه الصحراء إلي زويلة يوما "[1]. ومن خلال هذا النص ندرك بوضوح المدن والمحطات التي يمر بها السالك لهذا الطريق فقد اهتم البكري بذكرها : (جادو ، تيري ، بئر أودرف ، تاغرين ، تامرما ، سباب ، زويلة) . ثم يستمر الطريق بعد زويلة إلي مدينةسبها وهي على مسيرة خمسة أيام ، ومن هناك تتجه القوافل نحو كاوار ، وهذا الطريق الأخير يستشف من نص للبكري : " مضي عقبة من فوره إلي قصور فزان فافتتحها قصراً قصراً حتى انتهى إلي أقصاها ثم سألهم : هل وراءكم أحد ؟ قالوا : نعم أهل خاوار "[2]. وبالتالي يمكن أن نستنتج المسافة ما بين جبل نفوسة وزويلة حوالي ثلاثة عشر يوماً تقريباً، ومن زويلة إلي كوار 15 يوماً، وبالتالي فالمسافة ما بين الجبل وكوار حوالي 28 يوماً .

---

(1) . المصدر نفسه ، ص 656 ــ 657 .

(2) . البكري : المسالك والممالك ، ج 2 ، ص661 .

إذن نفهم من خلال تلك الطرق نشطت الحركة الاقتصادية بين الطرفين والمتمثلة في التجارة وعمليات البيع والشراء ونقل البضائع ، والملاحظ أن التجار المسلمين إلي جانب نقلهم البضائع إلي بلاد السودان نقلوا معهم أفكارهم ودينهم وحضارتهم ، تلك المعاني التي جسدوها على أرض الواقع ، وترجموها سلوكاً ومعاملة مع الآخرين الذين اقتنعوا لما رأوه من أخلاق ونظافة وقيم ومباديء ، كما ينبغي الإشارة إلي نقطة هامة وهي أن كثير من تجار جبل نفوسة إلي بلاد السودان كانوا علماء وفقهاء ، يدركون مهماتهم الدينية فعملوا على نشر اللغة العربية والدين الإسلامي ، في إفريقيا فيما وراء الصحراء ، إلي جانب اشتغالهم بالتجارة .

ومن الطبيعي أن تقف القوافل التجارية المنطلقة من جبل نفوسة صوب بلاد السودان في عدة محطات ، وهذا ما يميز الطرق التجارية عندما تتوفر على محطات للراحة وللتزود بالمياه والمؤن ، وكذلك تتم فيها عمليات البيع والشراء ، ويمكن أن نستخلص المحطات من خلال النصوص السابقة ، فمن أبرزها على سبيل المثال :

أ) **غدامس** : وهي من أهم الواحات في بلاد المغرب الأدني ، وكانت مأهولة بالسكان قبل الفتح الإسلامي، وتسمى: (**سيداموس**)[1]، وقد شاهدت فيها رسم منقوش على إحدي الصخور لحيوان وهو على ما يبدو رسم لبقرة بجانب مقبرة سيدي البدري، مما يدل على وجود الإنسان منذ التاريخ القديم بمدينة غدامس ،

---

(1) . الطاهر الزاوي ، معجم المدن الليبية ، ص 241 .

قام بفتحها القائد العربي عقبة بن نافع سنة 42 هجرية[1]. وتميزت غدامس بموقعها الجغرافي الهام فهي على مفترق الطرق التجارية ، وترتبط مع جبل نفوسة بعلاقات تجارية وثقافية .

ب) زويلة: من الواحات المشهورة في الصحراء الليبية ، تقع ضمن إقليم فزان ، وتنطلق منها القوافل التجارية إلي مختلف مدن السودان ، كما تعد نقطة ملتقى القوافل عبر الصحراء الكبرى .

إذن نفهم من خلال هذه الطرق أن منطقة جبل نفوسة كانت تربط ما بين طرق القوافل التجارية القادمة من بلاد السودان الغربي والأوسط ، والطرق التجارية المتجهة صوب مدن ساحل البحر المتوسط، وبذلك تمت عمليات التبادل التجاري ونقل البضائع ما بين المنطقتين شمالاً وجنوباً ، وينبغي الإشارة إلي جانب نقل تجار جبل نفوسة البضائع التجارية إلي بلاد السودان نقلوا معهم أفكارهم الدينية والأخلاقية والثقافية وتأثر بهم أهالي السودان مباشرة وبطرق غير مباشرة .

---

(1) . محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المصدر السابق، ص 42 .

3) التأثير الديني والثقافي :

تغلغلت علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان (الغربي ، الأوسط) بحكم التبادلات التجارية، التي عرفت قبل مجيئ الإسلام وازدادت عمقاً بعده، فأتاحت ظروفاً من الاحتكاك والاختلاط جعلت الطرفين يتعرف كل منهما على ثقافة وفكر الآخر، وتأسيساً على ذلك تسربت التأثيرات الحضارية (دين، فكر، علوم) إلي بلاد السودان، لاسيما وأن تجار الجبل يحملون في وجدانهم الدين الإسلامي ، الأمر الذي جعلهم يتصفون بصفات أخلاقية عالية مثل : الأمانة والصدق والنظافة وحسن المعاملة . بالإضافة إلي محافظتهم على أداء صلواتهم ، كما ينبغي الإشارة إلي أن بعض التجار كانوا علماء في الدين والشريعة، ويدركون أن القرآن يأمر أتباعه بدعوة غير المسلمين إلي الإسلام، ونرى ذلك بوضوح في العديد من الآيات القرآنية كقوله تعالي : ﴿ **ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتي هي أحسن** ﴾ [1]. وقال عز وجل : ﴿ **كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ، ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون** ﴾ [2].

وبذلك كانوا من الرواد في نشر الدين الإسلامي واللغة العربية في بلاد السودان الغربي[3].

---

(1) . سورة:النحل، الآية: 125.

(2) . سورة: آل عمران، الآية: 104.

(3) Z. DRAMANI - ISSifou, Les Relations Historiques Entre La LanGue Arabe Et Les LanGues Africaines. Tunis, 1992 . P. 41

ويبرز سؤال هنا : كيف تأثر أهالي السودان بالإسلام ؟ إن مسألة، انتشار الإسلام في بلاد السودان جاءت بطريقة عفوية وسلمية من ناحية انتشر الإسلام بطرق غير مباشرة ودون وضع الخطط والبرامج وهو بتأثر أهالي السودان بأخلاق التجار المسلمين من مختلف بلاد الشمال الأفريقي الذين ساروا بينهم حسب تعاليم الدين الإسلامي ، ومن ناحية أخرى انتشر بفعل جهود العلماء والدعاة الذين كانوا في نفس الوقت يزاولون التجارة ، حيث يرون من واجباتهم الدينية نشر العقيدة الإسلامية واللغة العربية في الأوساط الأخرى الغير المسلمة دون إكراه خاصة وأن ظروف الرحلات التجارية وفّرت تلك الفرص .

كما ينبغي طرح سؤال حول من هم العلماء من الجبل الذين قاموا بنشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان ؟ تشير المصادر إلي الشيخ أبي يحيي الفرسطائي من الذين كانوا يتاجرون في بلاد السودان وقام بدعوة أحد ملوك السودان إلي الإسلام ونجح في ذلك وهذا ما أشار إليه البغطوري قائلاً : " روي عن أبي يحيي أنه سافر إلي بلاد السودان ، فوجد مليكهم ناحل الجسم ضعيفاً ، فسأله : لما صار حالك هكذا ! ؟ فقال : عندنا ها هنا شيء إذا نزل ببعضنا أزاله وذهب به ، ويعني به الموت . قال أبو يحيي : فأخبرته عن ذلك : الله عز وجل وصفة الجنة وثوابها لمن أطاع الله وأخبرته عن النار وعقابه لمن عصى الله ، فقال لي : كذبت لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلي هنا لطلب الدنيا ، فما زلت أحاوله وأذكر له الله ونعمائه ، وأرغب في الإسلام حتى أسلم وحسن إسلامه "[1]

(1) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 52 .

وبتحليل النص نستخلص بعض المعلومات ، منها أن الشيخ أبو يحيي عاش خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أي أن نشره للإسلام في بلاد السودان يعود لفترة مبكرة تسبق غيرها من المحاولات ، إلا أن السؤال من هو هذا الملك السوداني ؟ وما هي مملكته ؟ وفي أي بقاع السودان ؟ هذه الأسئلة لم يفصح عنها المؤرخ البغطوري !! فلماذا ؟ ، إلا أن رواية البغطوري تفيد أن الفرسطائي كان بالفعل من الدعاة ، أي أنه يضع الدعوة إلي الإسلام قضية من قضاياه ويتضح ذلك من إصراره واستمراره في دعوة الملك السوداني ، وقيامه بتوضيح عقائد الإسلام المتمثلة في معرفة الله سبحانه وتعالي ، والإيمان بالجنة والنار ، فهو يدرك أن الناس على دين ملوكهم في ذاك الزمان، وبإسلامه سوف يكسب إسلام أهالي المملكة جميعاً .

ويبدو من خلال النص أن المحاورة استمرت أياماً حيث يقول : فما زلت أحاوله والملك يكذبه ... الخ . ويتضح من رد الملك أن أبا يحيي كان تاجراً حيث قال له : لو كان عندك يقين بما تصف لم تأت إلي هنا لطلب الدنيا ، وطلب الدنيا يقصد بها طلب التجارة ، كما نفهم من النص أن أبا يحيي الفرسطائي كان على صداقة قديمة مع هذا الملك وذلك من خلال سؤاله لما صار حالك هكذا ! ؟ أي أنه كان على معرفة بحاله الأول وتعجب من سوء حالته . كما يمكن أن نفهم من علاقة الشيخ الفرسطائي بملك السودان ، أن التجار المسلمين عموماً يحظون بدرجة عالية من التكريم والتقدير في تلك المجتمعات . والأهم من ذلك كله هو نجاح أبي يحيي في إقناع الملك بالإسلام وهذا يمثل أعمق تأثير ديني وثقافي لعلماء الجبل في بلاد السودان .

كما يورد الشماخي رواية تفيد جهود الشيخ علي بن يخلف التيمجاري[1] في سبيل نشر الإسلام واللغة العربية في بلاد السودان الغربي قائلاً : " علي بن يخلف فكان عالماً تقياً ... ومن أعظم كراماته ما اشتهر عند الموافق والمخالف ، وذكر ذلك البكري في المسالك والممالك إلا أنه لم يسمه وسماه غيره ، وهو أنه سافر إلي دواخل غانة تاجراً فقام بها وله مكان عند ملكها وكان عظيماً تحته اثنا عشر معدناً يستخرج منها التبر ، ووقع القحط ببلادهم ، فاشتكت الرعية إلي السلطان ، وذلك بمدينة مالي ... وكان الشيخ علي على ارتحال ، فقال له الملك : لدع ربك لعله يغيثنا ، فقال : لا يجوز وأنتم تعبدون غيره ، قال : كيف صفة الإسلام ، فما زال به حتى وحّد وتكلم بكلمة الحق "[2].

وبتحليل نص الشماخي يتضح أن هذه المعلومة التاريخية الخاصة بالشيخ علي بن يخلف النفوسي التيميجاري ، مدونة في مصادر تاريخية أخرى كانت متوفرة للشماخي و لم تصل إلينا . إلا أن السؤال لماذا لم يذكره البكري في مسالكه وممالكه ؟ وهذا ما أشار إليه الشماخي. بالرغم من تطابق رواية كل منهما للآخر!. إلا أن البكري يشير إلي اسم الملك (المسلماني)[3] ، وهذا ما لم يذكره الشماخي ! . في حين تذكر بعض الدراسات التاريخية المعاصرة أن اسم ملك غانا (برو مند انه)، هو الذي أسلم على يدي الشيخ علي بن يخلف، وصار اسمه

---

(1) . نسبة إلي قرية تيميجار إحدي قرى مدينة الرحيبات بالجبل، وكان من التجار المشهورين. ينظر: الحبيب الجنحاني، دراسات مغربية في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الاسلامي، بيروت: دار الطليعة، 1980 ، ص 94 ــ 95 .

(2) . الشماخي ، المصدر السابق ، ص 457 .

(3) . البكري ، المسالك والممالك ، ص 875ــ 876 .

(المسلماني)، كما أسلم عدد من رعيته[1]، وهو نفس الاسم للملك السوداني (برمندانة) الذي يرى ابن خلدون : " أنه أول من أسلم منهم "[2].

ومن الشخصيات التي أدت دوراً في نشر الإسلام والثقافة واللغة العربية الشيخ أبو هارون بن يونس الجلالمي الذي كان من التجار الذين يسافرون كثيراً إلي تادمكت ببلاد السودان ، ونجح في تجارته بكسبه مالاً كثيراً [3]. ويعد أبو هارون من علماء الجبل الكبار وقام بتأسيس مدرسة في الجبل تخرج منها العديد من العلماء البارزين ، فمن الطبيعي أن يترك آثاراً ثقافية ودينية بحكم سفره المستمر إلي بلاد السودان واختلاطه بالأهالي هناك .

وتتساءل باحثة معاصرة عن مدي مصداقية وصحة روايات مؤرخي الجبل قائلة : " وهل كان ما رمى به أهل السنة الخوارج من الخروج سبباً في أن يحاول كتابهم أن يضيفوا عليهم أمجاداً وبطولات تبين جهودهم في نشر الإسلام كرد فعل لما رموا به ؟ "[4]. من ناحية الإباضية ليسوا من الخوارج[5] ، ومن ناحية أخرى فقد أشارت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية العربية ـــ كما هو واضح في الأوراق السابقة من البحث ـــ إلي علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان منذ ما قبل الإسلام وتمثلت تلك العلاقة في التجارة ، وبعد مجيء الإسلام ازدادت

---

(1) . الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي ، ص 10 .

(2) . ابن خلدون، العبر، ج6 ، ص 237 .

(3) . البغطوري ، المصدر السابق ، ورقة 30 .

(4) . نبيلة حسن محمد، في تاريخ الحضارة الإسلامية، القاهرة: دار المعرفة الجامعية ، بيروت : (د . ت)، ص 25 .

(5). يعد إطلاق لفظ الخوارج على الاباضية من الدعايات المغرضة التي نشأت عن التعصب السياسي أولاً ثم المذهبي ثانياً، فلما ظهر غلاة المذاهب وقد خلطوا بين الاباضية والأزارقة والصفرية والنجدية، فالاباضية لم يجمعهم جامع بالصفرية والازارقة ومن لحا لحوهم إلا إنكار التحكيم بين علي ومعاوية، وهو رأي علي قبل الضغط عليه بقبول التحكيم، والاباضية لا يستبيحون مال المسلمين ولا دماء الموحدين. للمزيد انظر: صالح باجيه، المرجع السابق، ص 4 .

وترسخت تلك الصلات . وفي هذا الصدد تشير بعض المراجع إلي جهود تجـــار جبل نفوسة وتاهرت، في نشر الإسلام وترى : " أن أول أشكال الإســـلام الـــتي عرفها السودان كان الإباضية "[1]، كما يؤكد صحة هذا الرأي بعض المستشرقين مثل ليفيتسكي وماسكراى والأخير: " أكد أن الإسلام وصل حتى بلاد غانة عـــن طريق التجار الإباضية من رعايا الدولة الرستمية "[2] فمن الطبيعي أن يقوم تجـــار الجبل خاصة العلماء والفقهاء منهم، وهم على مستوى عال من التفقه بمـــسئولية الدعوة، " وإذا ما دخل مثل هذا الرجل قرية وثنية فسرعان ما يلفت الأنظار بكثرة وضوئه وانتظام أوقات الصلاة والعبادة ... وإن ما يتحلي به من سمو عقلي وخلقي ليفرض احترامه والثقة به على الأهالي الوثنيين "[3]. كما يمكن ترجيح أسماء أخرى كان لها نفس الدور لم تذكرها المصادر بسبب الإهمال من ناحية، أو ضياع بعض المصادر التاريخية من ناحية أخرى .

---

(1) . جاك تيري، المرجع السابق، ص 528 .

(2) نقلاً عن محمود إسماعيل عبد الرازق، المرجع السابق، ص299 ــ 300.

(3) . توماس أرنولد ، الدعوة إلي الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن و عبد المجيد عابدين، ط 2 ، القـــاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1957 ، ص 391 .

الخاتمة

انتهت ولله الحمد والمنّة هذه الدراسة التاريخية، المتعلقة بدراسة الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيراتها على بلاد السودان الغربي والأوسط، من القرن الثاني الهجري ــ الثامن الهجري / القرن الثامن الميلادي ــ الرابع عشر الميلادي، ويمكن أن نجمل أبرز ما أوضحته هذه الدراسة في النقاط التالية:

1) أنّ جبل نفوسة يقع ضمن سلسلة جبلية طويلة متصلة، تمتد من جبال أطلس (المغرب الأقصي) غرباً إلي مدينة الخمس بليبيا شرقاً (مرتفعات النقازة). وتطلق على أجزاء من هذا الجبل أسماء محلية منها : جبل درن (أطلس) بالمغرب والجزائر، وجبل الأوراس بالجزائر ، وجبل دمر ومطماطة بتونس، وجبال طرابلس في ليبيا وتسمي مسافة منه جبل نفوسة .

2) أنّ تسمية جبل نفوسة جاءت نسبة إلي قبيلة نفوسة المستوطنة بالجبل منذ أوائل العصر الوسيط، إلي جانب عدة قبائل أخري منها : هوارة، وزناتة، ولواتة، وسدراتة، ومغراوة، وتمكنت قبيلة نفوسة من السيطرة على تلك القبائل تدريجياً، وبذلك كانت تسمية الجبل بنفوسة، إلا أنها تعد تسمية متحركة تتمدد وتتقلص حسب الظروف السياسية والاجتماعية، وأقصي امتداد لها من مدينة نالوت غرباً إلي مدينة يفرن شرقاً ، ويبدو أن هذه الوضعية للتسمية لها علاقة في إختلاف آراء الجغرافيين العرب حول تحديد طول جبل نفوسة .

3) تفاعل سكان الجبل مع بيئتهم الطبيعية التي تجمع ما بين ثلاثة أشكال جغرافية وهي: (الجبل، والجفارة، والظاهر) ومنحتهم أنماط وأساليب للعيش تميزوا بها عن غيرهم، فجمعوا ما بين حياة الحضر والاستقرار بمعرفتهم للزراعة ، وبناء البيوت والمنازل، والاشتغال بالتجارة، وحياة شبه البداوة التي مارسوها في فصول أخري من السنة، وذلك بخروجهم إلى الجفارة للمراعي.

4) يعد الجبل من المناطق المأهولة بالسكان منذ التاريخ القديم، ودلت على ذلك الاكتشافات والدراسات الأثرية (رسوم، نقوش) وبذلك كان للجبل حضارته القديمة التي تطورت عبر العصور فأنشأ العديد من القرى والمدن على طول جغرافية الجبل، ولوحظ السكن في الغيران (الكهوف)، ثم عرف بناء البيوت بالمواد الطبيعية المحلية (الحجارة، والطين، والتراب، والجبس)، وعرف الزراعة ومن مغروساته: الزيتون والتين والكروم واللوز والحمضيات والنخيل كما زرع القمح والشعير والبقوليات، كما عرف الصناعة وقام بصناعة بعض من حاجياته اليومية مثل : المحراث ، والرحى ، والأواني الفخارية ، والملابس والأغطية الصوفية .

5) تعاقبت الأديان على جبل نفوسة، وتعاصرت في نفس الوقت فمن الوثنية المتمثلة في عبادة وتقديس الأصنام والصخور، وعبادة الشمس والشجر ، إلي الديانات السماوية (اليهودية، والمسيحية) إلي مجيئ الإسلام الذي دخل فيه الأهالي، وكانت له الغلبة على كافة الأديان الأخري، حيث تحول الناس تدريجياً للإسلام طواعية ودون إكراه.

6) وصل الإسلام إلي جبل نفوسة على يد القائد عمرو بن العاص سنة 23 هـ، زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وفتح أهم مدنه شروس وكانت عاصمة الجبل وقتذاك، ويبدو أن الجبل تم فتحه صلحاً، ودخل أهله في الإسلام .

7) أدّى سكان الجبل دوراً مهماً في الحياة السياسية ببلاد المغرب الاسلامي (الأدني، والأوسط) وساهموا بشكل أساسي في قيام الدولة الرستمية التي عاشوا في كنفها حتى سقوطها ، كما كان لهم حضور اقتصادي قوي بسيطرتهم على طرق التجارة العابرة للصحراء التي مكنتهم من الاتصال ببلاد السودان (الغربي والأوسط) ، وتفاعلوا مع سكانه تأثيراً وتأثراً .

8) في ظل الحضارة الإسلامية التي تدعو إلي التسامح والعدالة الاجتماعية، والحرية بمختلف معانيها ومستوياتها، فقد تعايشت الأقليات الدينية (اليهودية ، المسيحية) في جبل نفوسة إلي جانب سكانه المسلمين دون المساس بحريتهم الدينية والفكرية والاجتماعية إلي أن تحولوا تدريجياً وبطواعية إلي الدين الإسلامي .

9) بفعل تعاليم الدين الإسلامي توجه سكان الجبل إلي العلم والتعليم، فقاموا بالرحلات العلمية فرادي وجماعات إلي المراكز الحضارية العربية الإسلامية، وعادوا إلي الجبل لنشر العلوم والفنون، واهتموا ببناء المساجد والمدارس في مختلف قرى ومدن الجبل، وخاصة في المناطق التي تخلو من المدارس والمعلمين

وأنشأوا المكتبات العامة، وزودوها بالكتب في مختلف التخصصات، وبـــذلك خلقوا المناخ العلمي لطلاب العلم والمعرفة .

10) ظهر بجبل نفوسة عبر القرون الوسيطة العديد من العلمـــاء والعالمـــات والفقهاء والمفكرين، الذين أسهموا بشكل كبير في ازدهار الحركـــة العلميـــة والثقافية بالجبل، فقاموا بتدريس الطلاب والتلاميذ الذين صاروا علماء فيمـــا بعد، وقام بعض العلماء والمشايخ بالتجول في قرى ومدن الجبل لنـــشر العلـــم ومحاربة الجهل، والاهتمام بالعلوم والفنون بحثاً ودراسة، كما ألفوا الكتـــب في مختلف الفروع والمجالات، وقاموا بنسخها ونشرها.

11) أصبح لجبل نفوسة مكانة علمية وثقافية في بلاد المغرب، فقصده الطلاب من خارج الجبل فدرسوا في مساجده ومدارسه، ورجعوا إلي أوطانهم حـــاملين معهم علوم الجبل ونشروها في مختلف البقاع .

12) رحل العديد من علماء وفقهاء الجبل إلي مناطق أخرى في بلاد المغـــرب الأدني والأوسط : (فزان ، غدامس ، جربـــة ، بـــلاد الجريـــد ، الجنـــوب الجزائري)، وساهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية .

13) ارتبط جبل نفوسة ببلاد السودان (الغربي والأوسط) بروابط وصلات وعلاقات منذ القدم، وخاصة العلاقات التجارية كغيره من منـــاطق الـــشمال الإفريقي ومنطقة إفريقيا فيما وراء الصحراء، وبعد وصول الإسلام إلي بـــلاد المغرب عامة، قام علماء وتجار الجبل بنشر الدين الإسلامي، واللغـــة العربيـــة، والثقافة العربية الإسلامية في تلك البقاع .

التوصيات

أتضح من خلال هذه الدراسة أن منطقة جبل نفوسة تعد من المراكـــز الحضارية ببلاد الغرب الإسلامي، وهي ما زالت منطقة بكر فلم تستوفي حقها من البحث والدراسة العلمية الجادة وخاصة الدراسات الأثرية والتاريخية ، فهذه المنطقة تزخر بالعديد من المخطوطات والوثائق في مختلف المجـــالات (دينيـــة ، وتشريعية ، ولغوية، وأدبية، وتاريخية، وفلسفية وغيرها)، إلا أنها مشتتة عنـــد الأهالي وأغلبها مخزنة بطريقة غير علمية . كما تتميز منطقة جبل نفوسة بوجود كم هائل من الآثار بعضها يعود إلي فترة التاريخ القديم، والبعض الآخر ـــ وهو الأكثر ـــ يرجع إلي التاريخ الإسلامي، إلا أن المؤسف في الأمر أغلـــب تلـــك الآثار في حالة سيئة للغاية وتتعرض للدمار والضياع، وتجنباً لتلك المخاطر توصي هذه الدراسة بما يلي : ـــ

1 . إنشاء وتأسيس متحف يهتم بالآثار (صيانة وترميم) بالاضافة إلي الاهتمام بإجراء البحوث والدراسات الأثرية للمنطقة .

2 . إنشاء وتأسيس مركز للمخطوطات والوثائق ، وأن يهتم هذا المركز بجمع كافة المخطوطات والوثائق، ومن ثم تقوم عليها الدراسات والبحوث التاريخية .

الملاحق

ـــ نماذج من المخطوطات.

ـــ قائمة المساجد الأثرية بجبل نفوسة.

ـــ قائمة الولاة على جبل نفوسة.

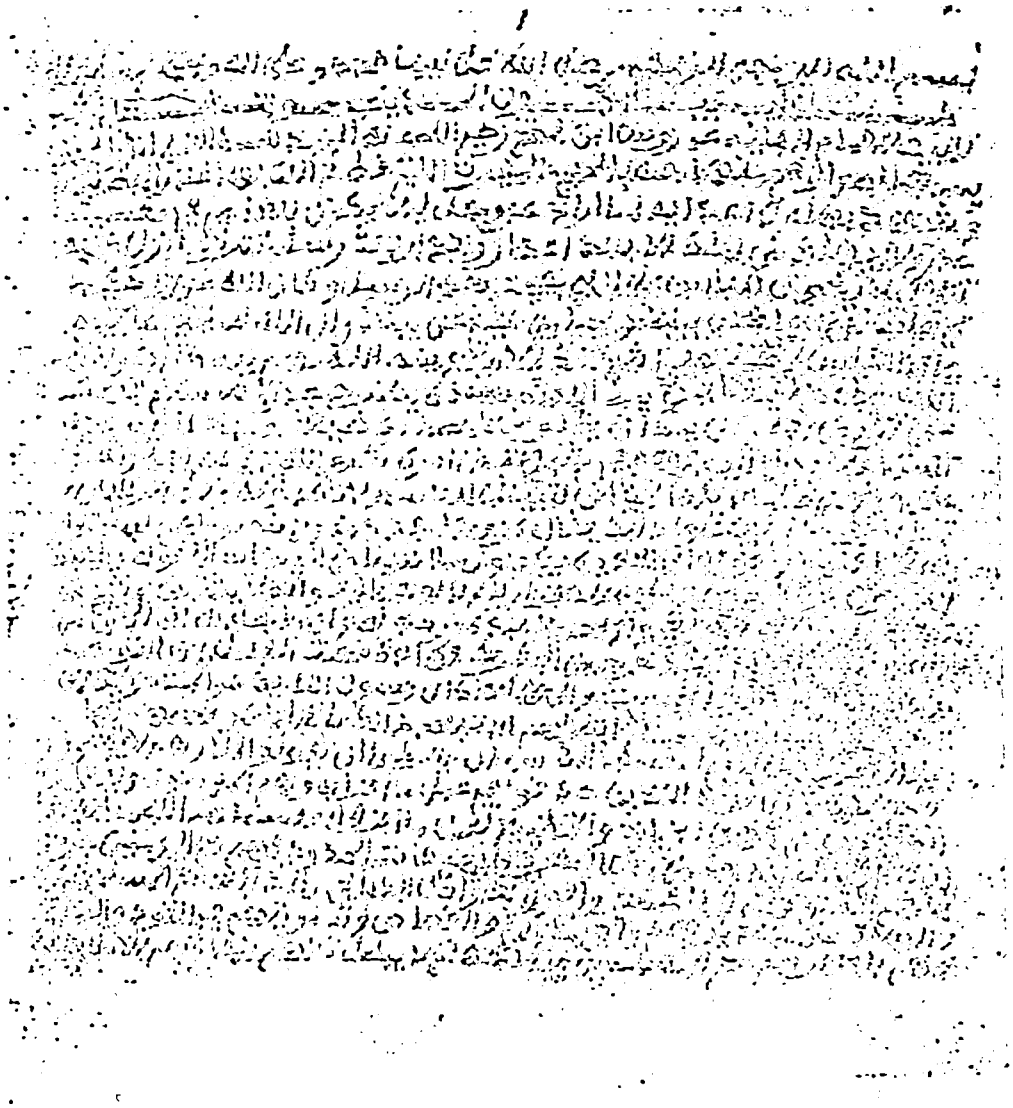
ـــ الخرائط.

ـــ الصور الضوئية.

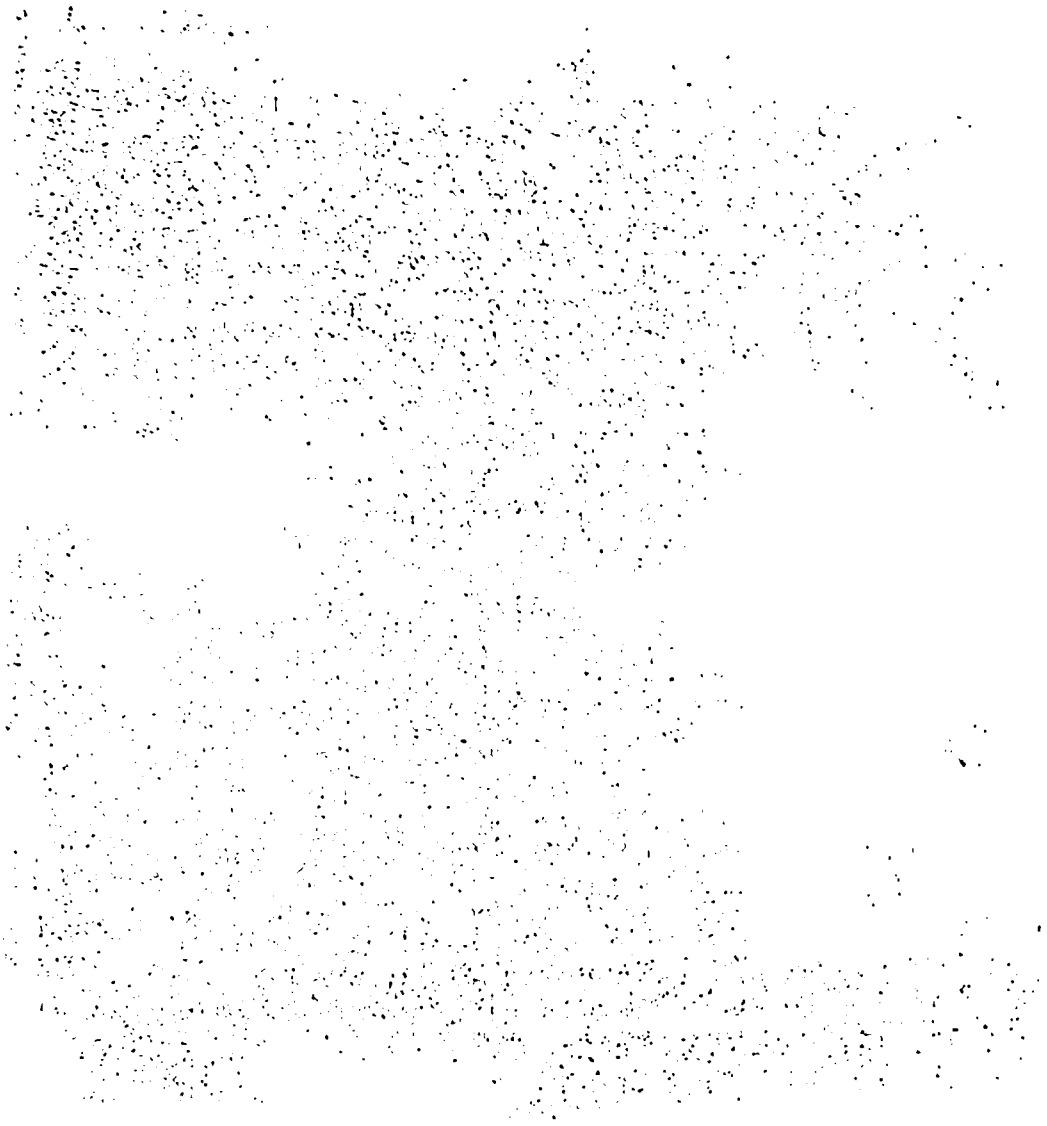
****

نماذج من المخطوطات

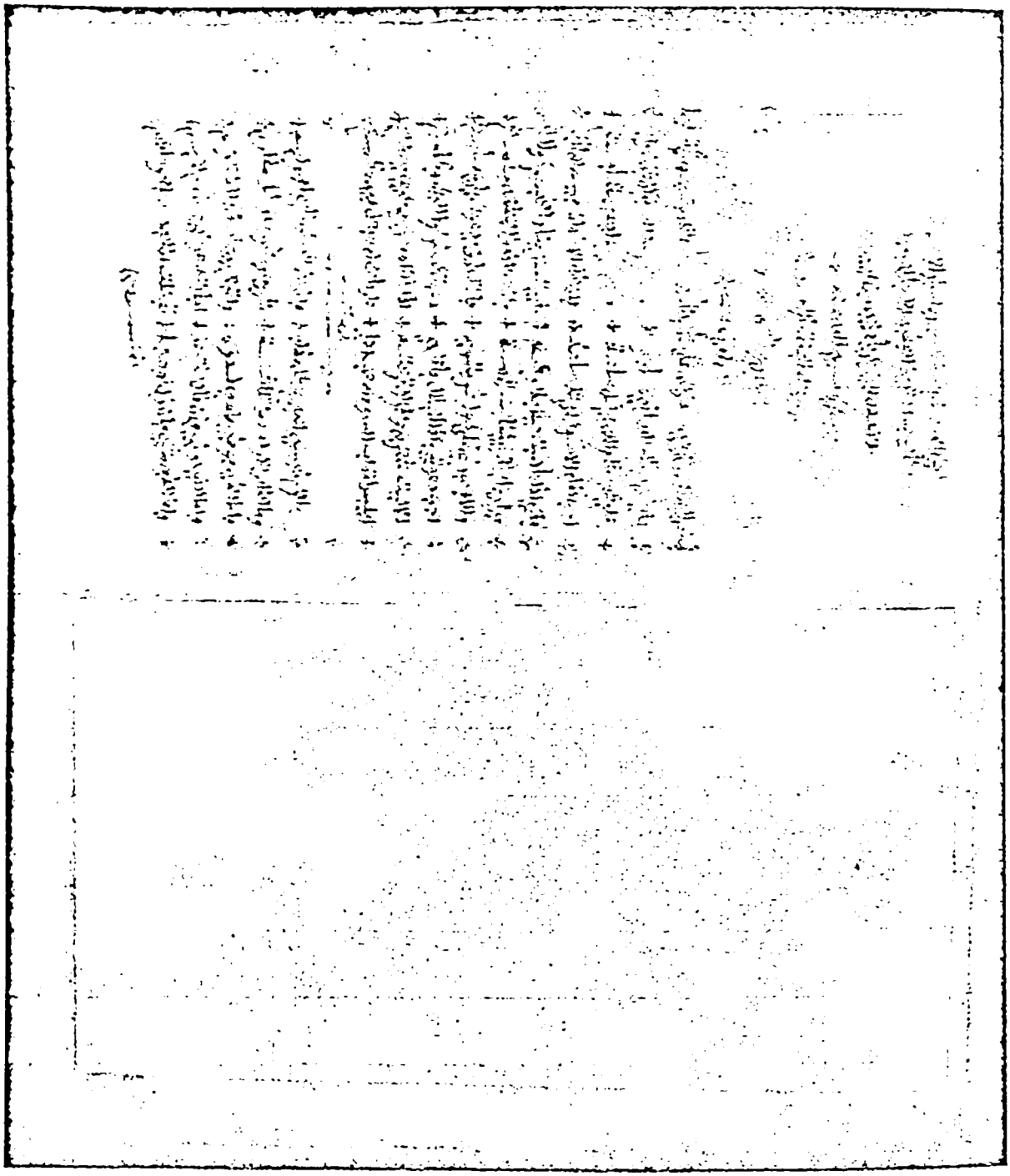
****



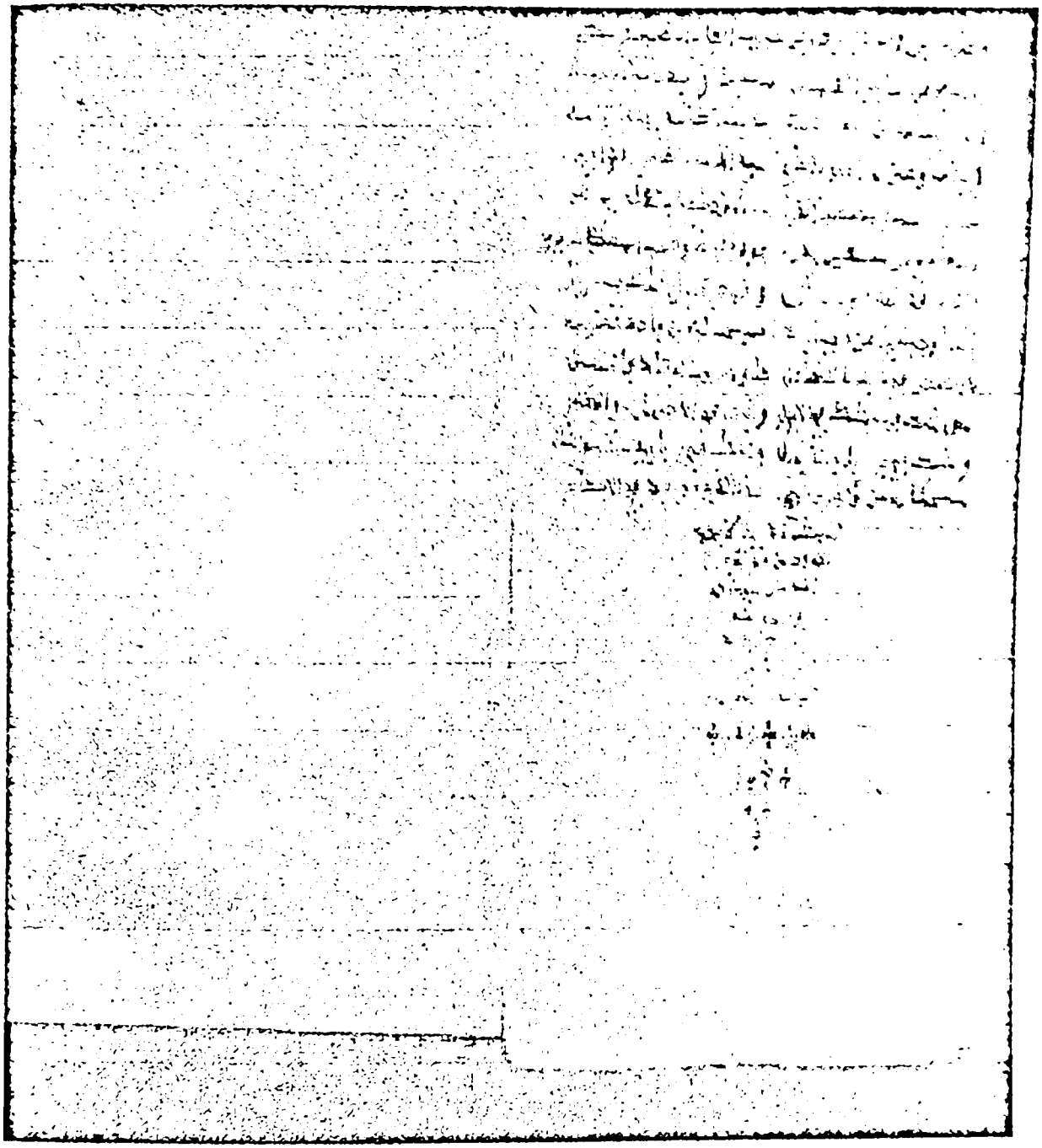
الورقة الأولي من مخطوط : (أصول الدينونة الصافية)
تأليف : الشيخ عمروس بن فتح المساكني .
(القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي)



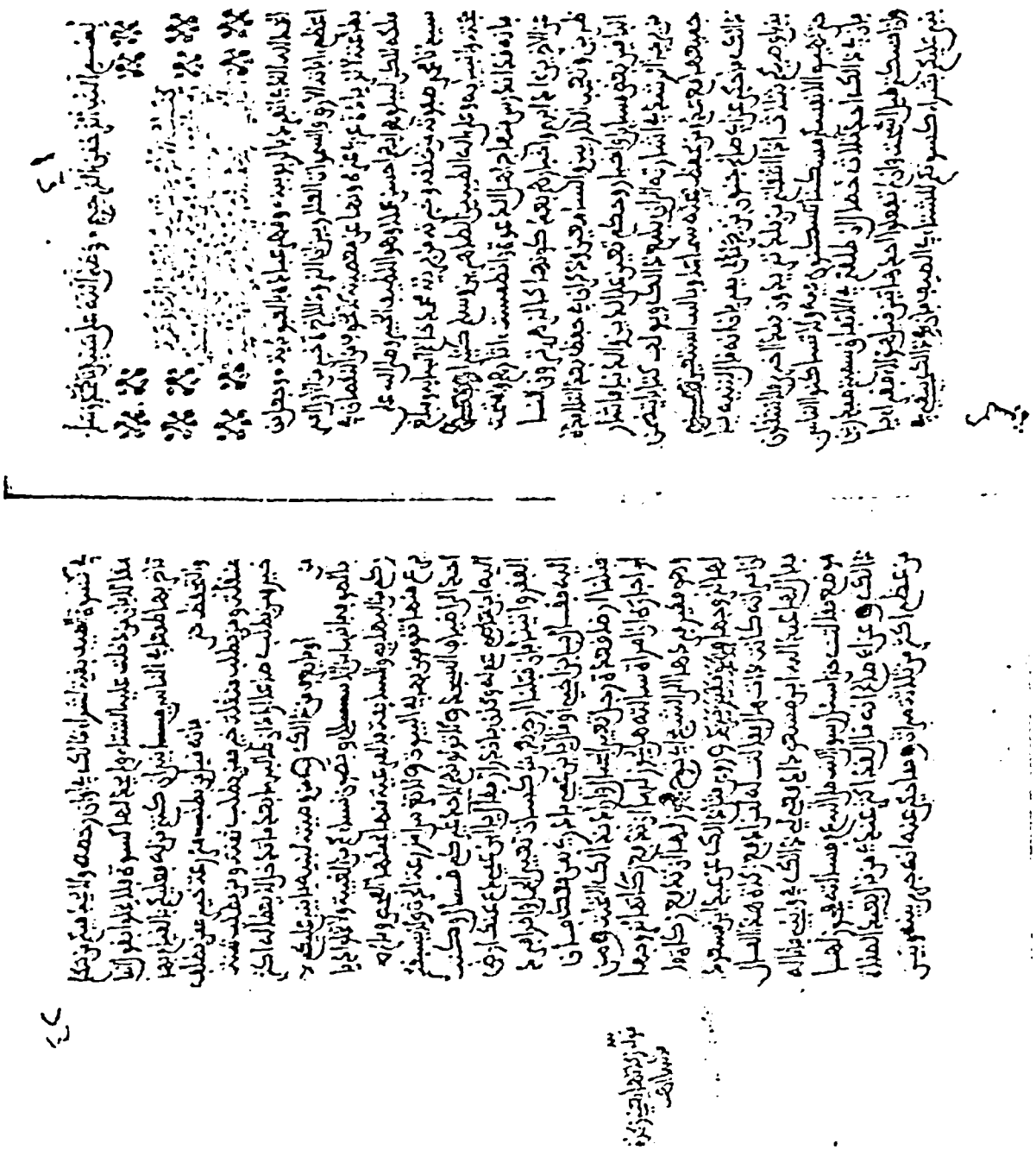
الورقة الأخيرة من مخطوط : (أصول الدينونة الصافية)
تأليف : الشيخ عمروس بن فتح المساكني .



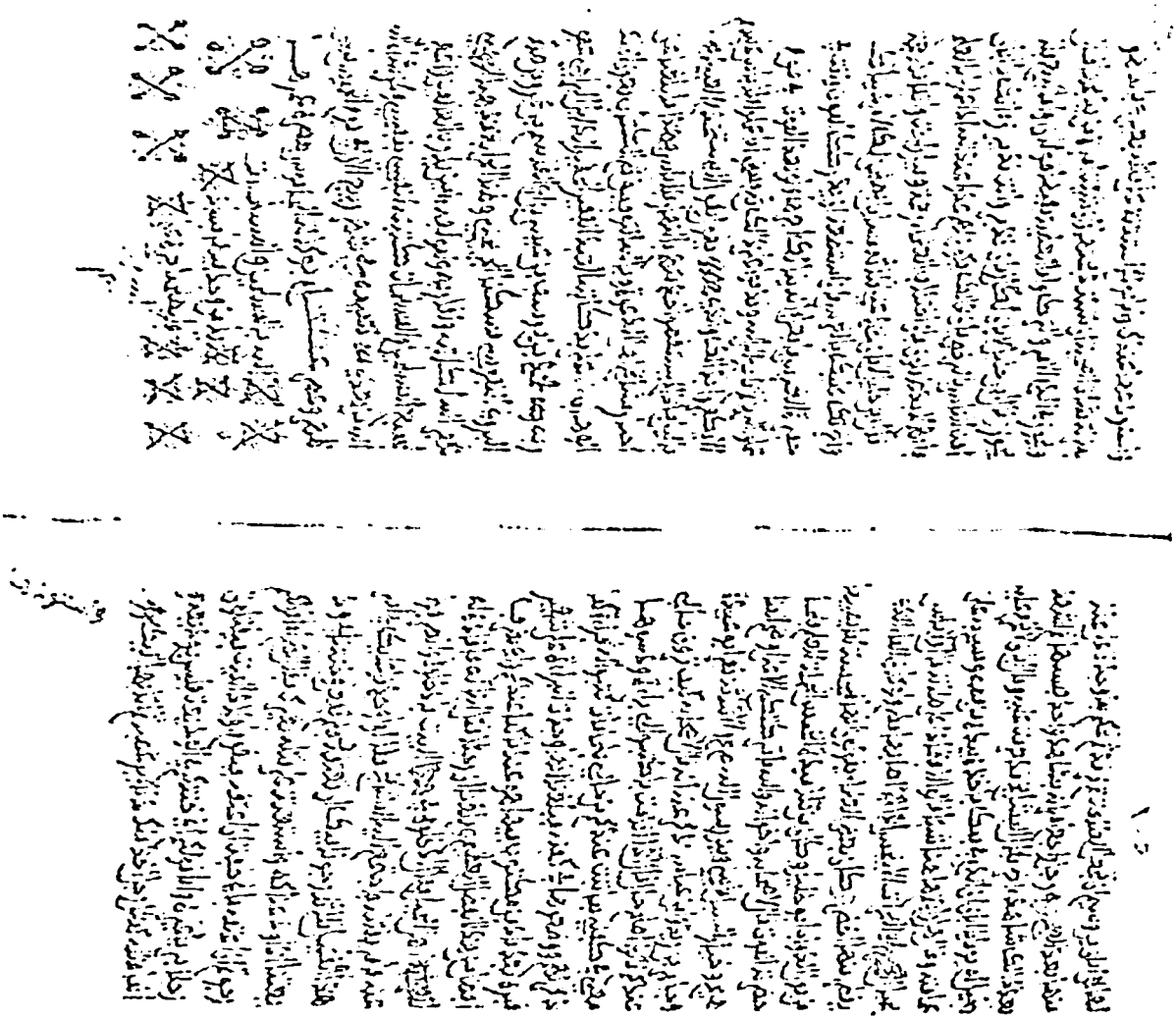
الورقة الأولى من مخطوط : (السير وأخبار الأئمة)
تأليف : الشيخ أبي زكرياء يحيي بن أبي بكر الوارجلاني .
(القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)



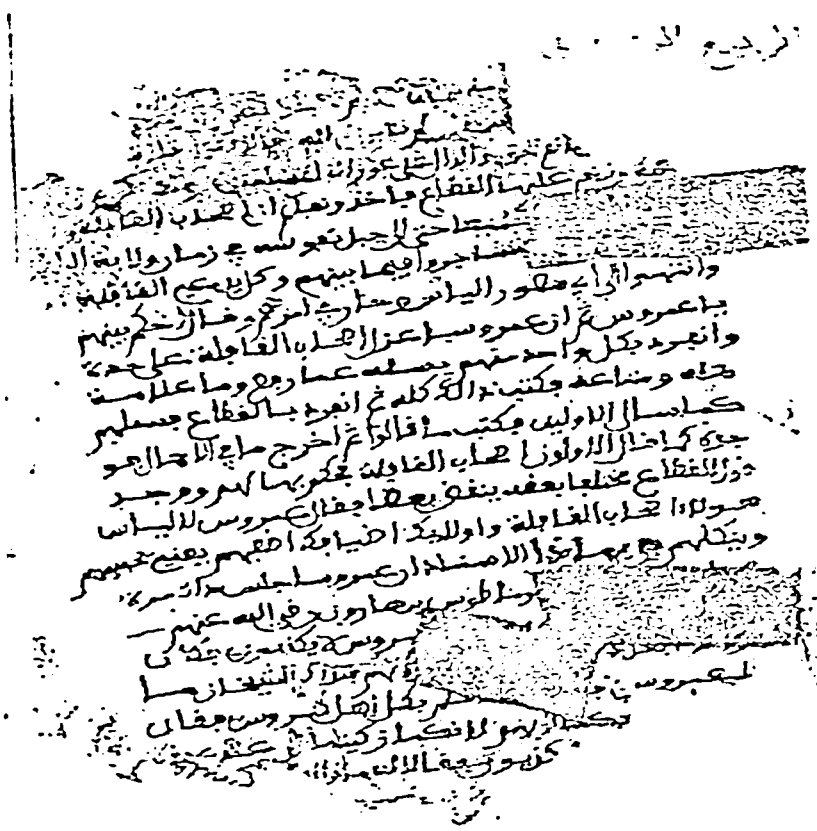
الورقة الأخيرة من مخطوط : (السير وأخبار الأئمة)
تأليف : الشيخ أبي زكرياء يحيي الوارجلاني .



الورقتين الأولي والثانية من مخطوط (الألواح)
تأليف : الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر الفرسطائي
(القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي)



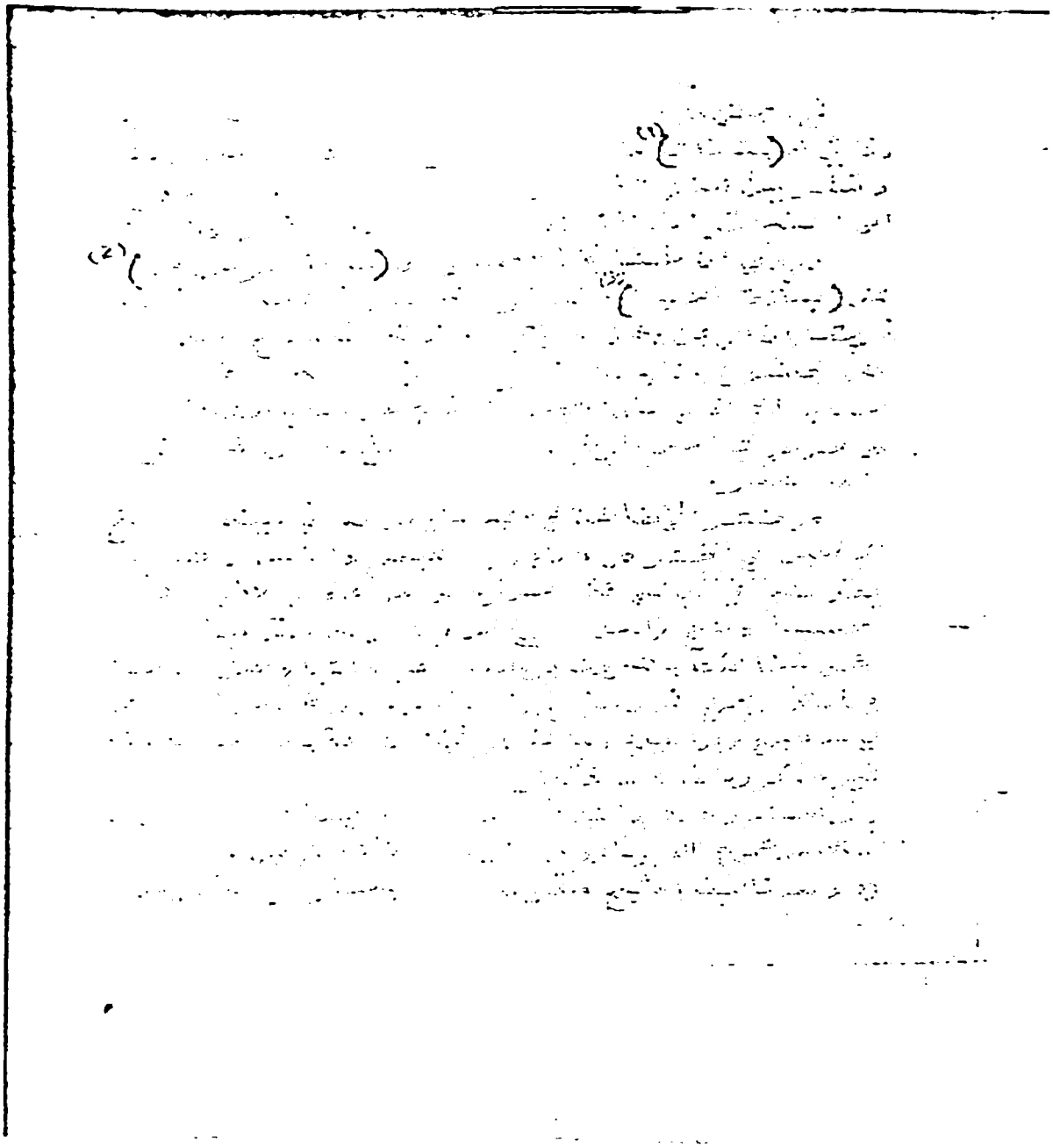
الورقتين الأخيرتين من مخطوط : (الألواح)
تأليف : الشيخ أبو العباس الفرسطاني .



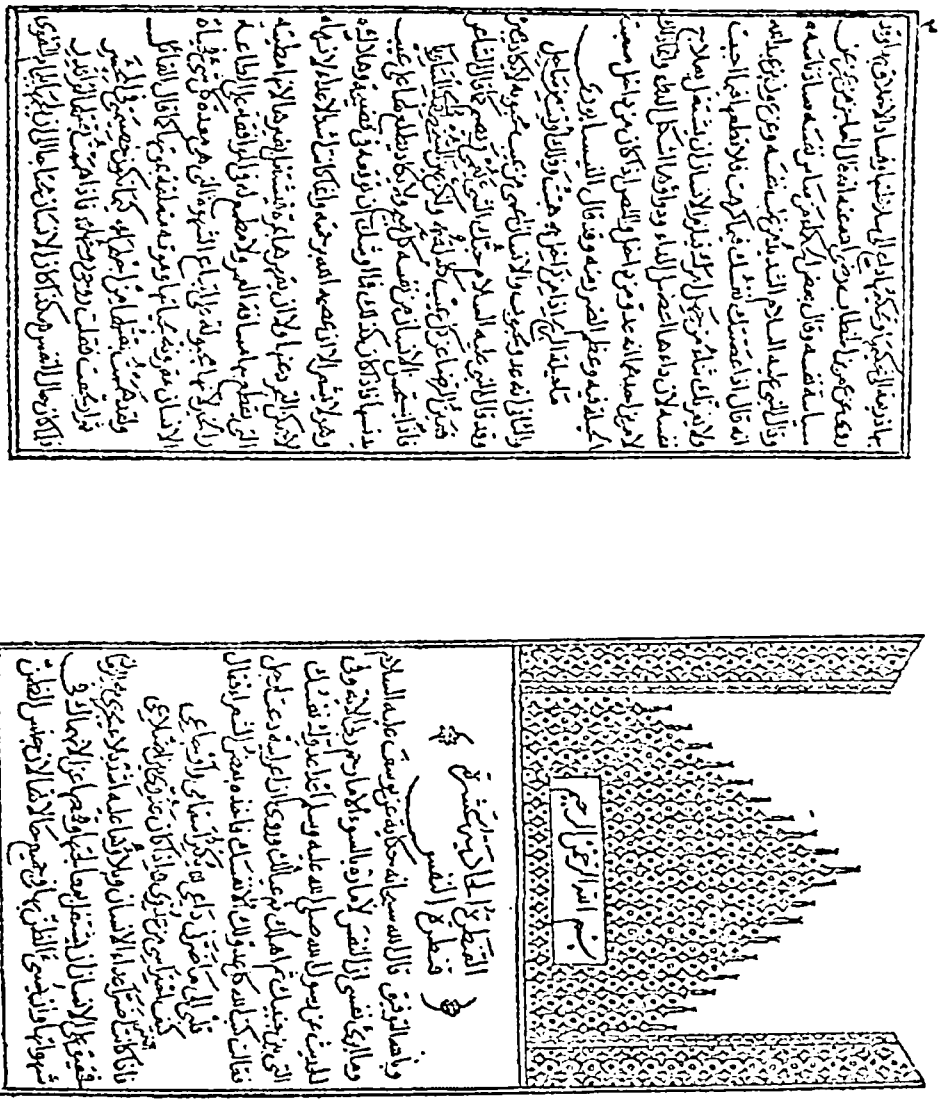
الورقة الأولي من مخطوط : (سير أبي الربيع)
تأليف : الشيخ أبو الربيع سليمان الوسياني .
(القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)



الورقة الأولي من مخطوط : (سيرة أهل نفوسة)
تأليف : الشيخ مقر بن محمد البغطوري .
(القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي)

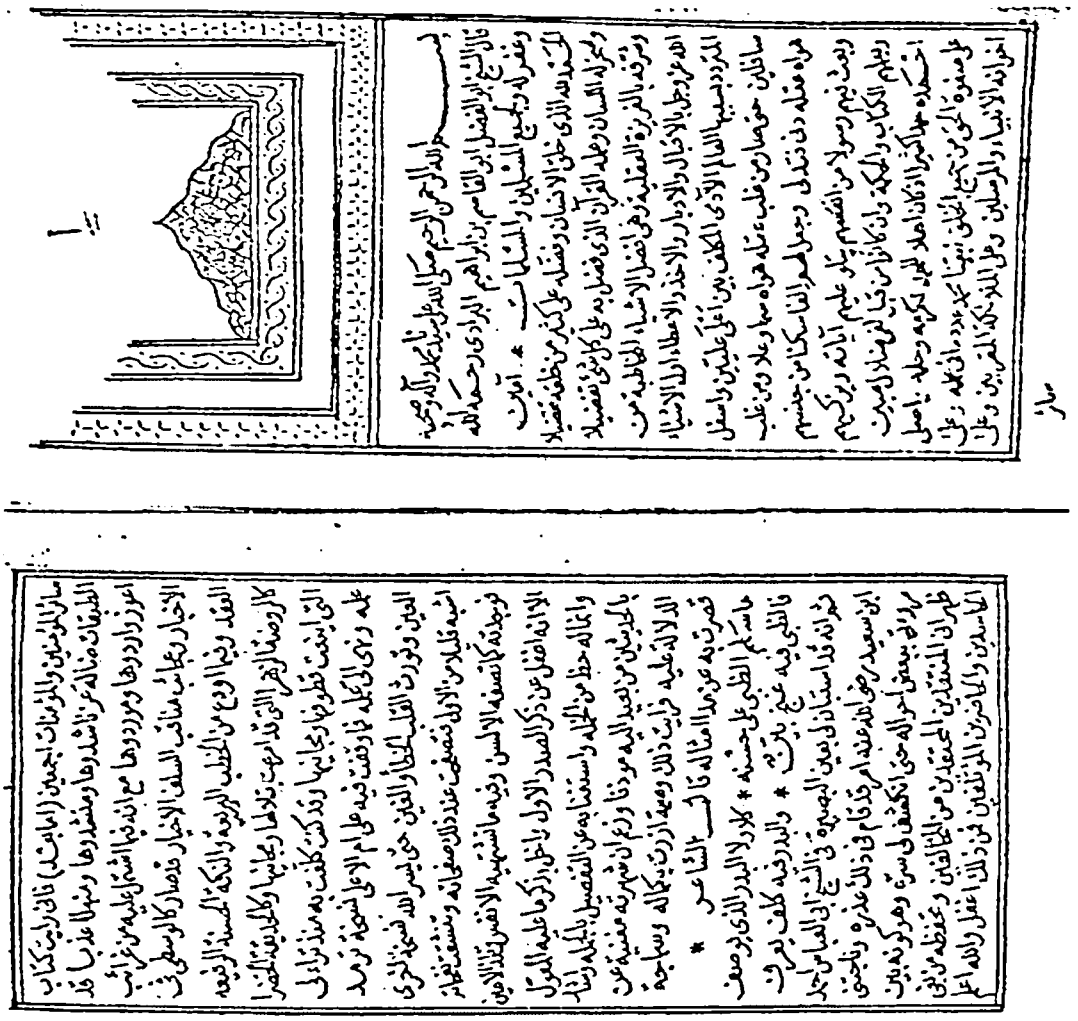


الورقة الأخيرة من مخطوط : (سيرة أهل نفوسة)
تأليف : الشيخ مقر بن محمد البغطوري .

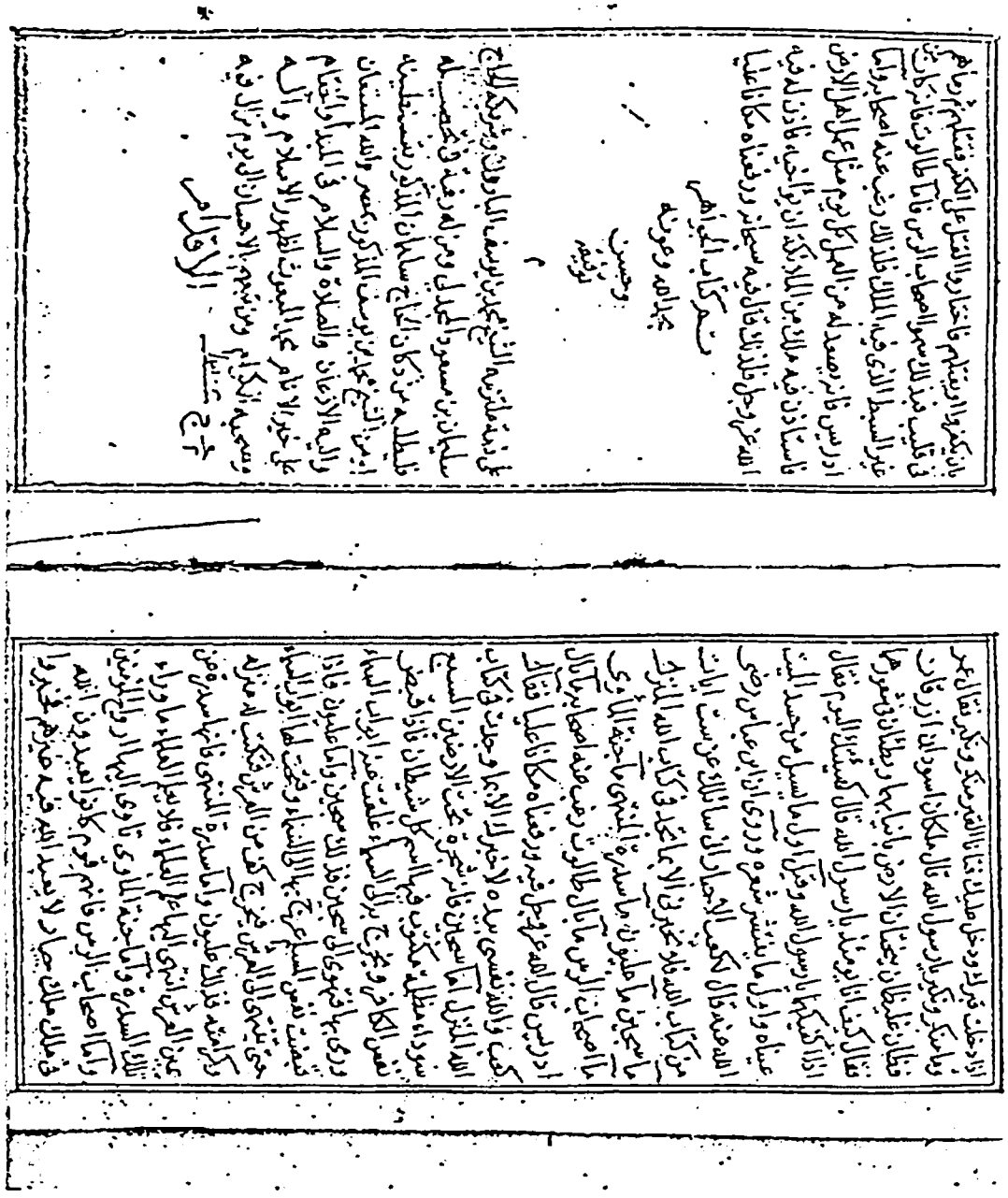


الورقتين الأولي والثانية من مخطوط : (قناطر الخيرات)
تأليف : الشيخ أبو طاهر إسماعيل الجيطالي .
(القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)

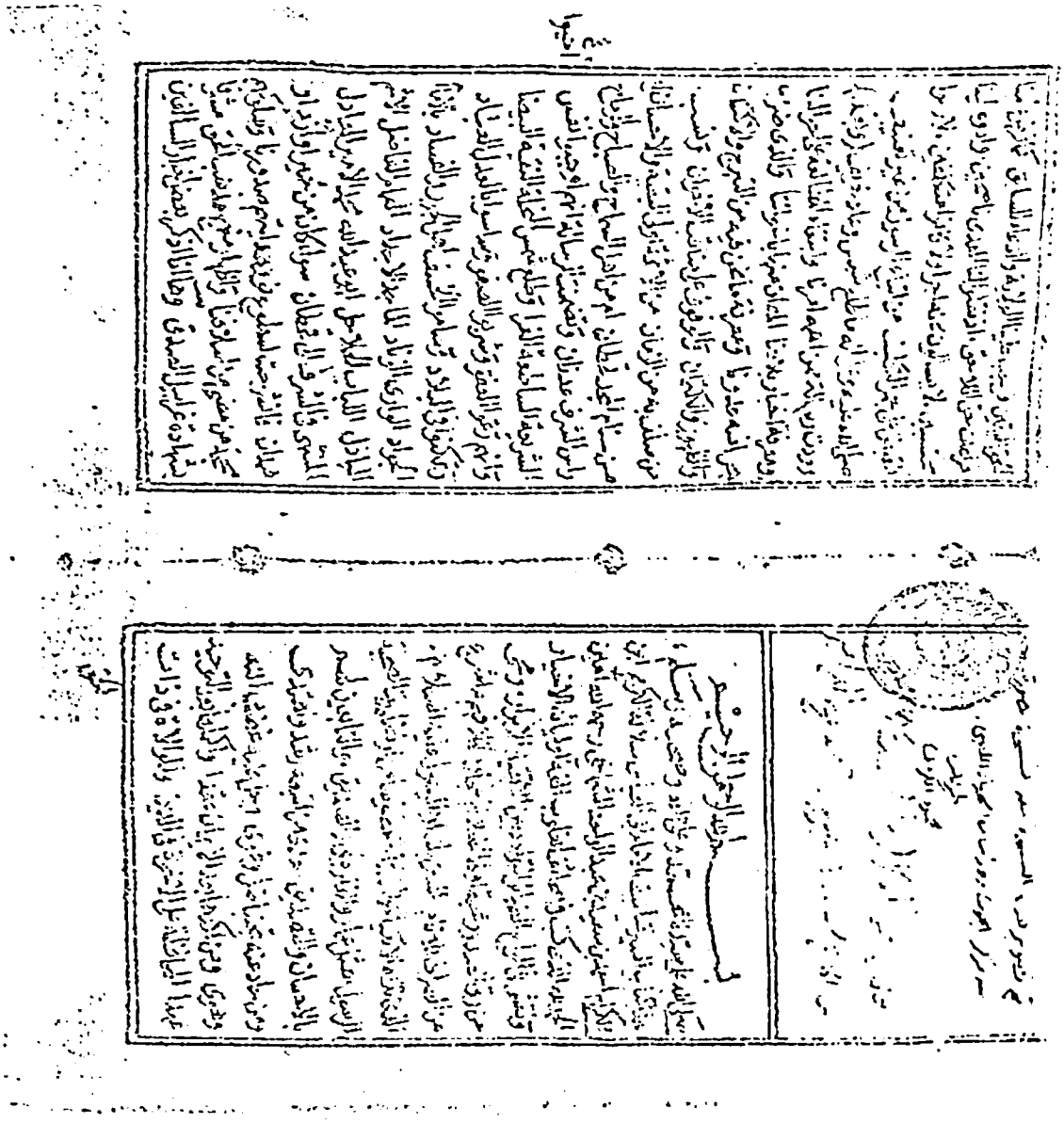
الورقة الأخيرة من مخطوط : (قناطر الخيرات)
تأليف : الشيخ إسماعيل الجيطالي .



الورقتين الأولي والثانية من مخطوط : (الجواهر المنتقاة)
تأليف : أبو الفضل بن إبراهيم البرادي
(القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي)



الورقتين الأخيرتين من مخطوط (الجواهر المنتقاة)
تأليف : أبو الفضل البرادي .



الورقتين الأولي والثانية من مخطوط : (السير)
تأليف : الشيخ أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي
(القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)

الورقتين الأخيرتين من مخطوط : (السير)
تأليف : الشيخ أبو العباس أحمد الشماخي .

قائمة المساجد الأثرية في جبل نفوسة

****

قائمة المساجد الأثرية* بجبل نفوسة

مرتبة من الغرب إلى الشرق:

ر.ت	اسم المسجد	مكانه	ملاحظات عامة
1	مسجد أبو خليل الدركلي	قرية دركل (الحرابة)	وهو عبارة عن (غار) بناء تحت الأرض، وتوجد به كتابة تاريخية تعود لسنة (535هـ/1130م) نسبته إلى الشيخ أبو خليل
2	مسجد أبو عبيدة الجناوني	قرية إيجناون (جادو)	لم يبق منه سوى جدار بسيط أسفل المسجد الحديث (زرته ووثقته بالصور الضوئية)
3	مسجد أبي عثمان سعد بن يونس	طمزين	مازال بحالة ممتازة وذلك لتعاهد أهالي طمزين بصيانته وترميمه
4	مسجد الشيخ أبو معروف	مدينة شروس	وهو البناء الوحيد الذي مازال قائماً بشروس وحالته جيدة

*. هذه المساجد التي زرتها ووقفت عليها بمناطق الجبل وبعضها معروف التسمية وبعضها الأخر لم أوفق حالياً في معرفة أسمه ومن بناه فنسبتها للمنطقة الواقعة فيها، وأغلبها كان له دور علمي وثقافي بالغ، وبذلك تعد ثروة وطنية لبلادنا ليبيا الحبيبة، وعنوان لحضارتنا وتراثنا وأود الإشارة هنا وبالحاح شديد أنها في حاجة ماسة جداً للصيانة والترميم لحمايتها من الضياع والإندثار.

5	مسجد إلياس أبو منصور	في تندميرة بموقعها الأول قبل أن تنتقل في موقعها الحالي على الحافة	مازال بحالة جيدة لإهتمام وعناية أهالي تندميرة به بالرغم أن أخر صيانة له كانت عام 1964م، توجد به كتابة على لوحة حجرية حمراء اللون تعود للقرن ؟
6	مسجد عمروس بن فتح المساكني	قرية أموساكن (قطرس حالياً)	مازالت حالته جيدة لوقوعه بالقرب من مساكن أهالي قطرس حالياً
7	مسجد إيباناين	قرية إيباناين	هذا المسجد بالرغم من وقوعه بقرية إيباناين المهجورة من السكان إلا أن حالته جيدة ومازال قائماً
8	مسجد إمسراتن	مدينة جادو	المسجد الأثري قد هدم لأكثر من مرة على مر السنين واليوم مستحدث المسجد على الطراز الحديث
9	مسجد أبو يحيى الفرسطائي	قرية فرسطا	حالته جيدة ومازال قائماً وبه في الداخل كتابة حديثة على رخام بيانات ومعلومات حول الشيخ أبو يحيى كتبها الشيخ علي منصور

10	أبو المنيب مامد بن يانس	قرية الجزيرة	هذا الامسجد عبارة عن غار تحت الأرض وبه أقواس
11	مسجد أبي محمد خصيب التمصمصي	قرية تمصمص	مازال قائماً وبحالة جيدة
12	مسجد أبو موسى عيسى الطرميسي	قرية طرميسة	حالته جيدة وهو بمدخل القرية
13	مسجد أبو زيد التمزغورتي	قرية مزغورة	عبارة عن غار تحت الأرض وتم فوقه بناء مسجد حديث
14	مسجد أبو ساكن عامر الشماخي	مدينة يفرن بقرية المعانين	هذا المسجد يعود لفترة تسبق الشيخ عامر وتوجد به في الداخل على إحدي أقواسه كتابة وتاريخ ربما يعود لسنة مائة وسبعة أو تسعة هجرية
15	مسجد أبو نصر التملوشايتي	مدينة تملوشايت	لم يتبق من هذا المسجد سوى بيتين والقسم الأكبر منه قد تساقط وتهدم ويبدو أنه كبير المساحة
16	مسجد عيسى بن زرعة التملوشايتي	مدينة تملوشايت	مازال قائماً وبحالة جيدة وهو بجوار الطريق العام بقرية ماجر

17	مسجد أبو هارون التملوشايتي	مدينة تملوشايت	—
18	مسجد أوتلجام	قرية أوتلجام	هذا المسجد متساقط البناء وحجارته متراكمة كبقية المباني الأخرى في القرية لهجرة ورحيل سكانها، لم أعثر على أسمه أو معلومات تاريخية حوله
19	مسجد الجزيرة	قرية الجزيرة	لم يتبق من هذا المسجد سوى حجارة الأساسات بإرتفاع لا يتجاوز المتر الواحد ويبدو أنه كان مسجداً كبيراً ومتسعاً ولم أعثر على أسمه أومعلومات تاريخية حوله
20	مسجد تحارت	طمزين	هذا المسجد هو عبارة عن غار تحت الأرض ربما يعود لفترة قري ومدن الغيران والكهوف
21	مسجد ولي العهد المرقسي	قرية مرقس	
22	مسجد أبو الحسن الإبديلاني	قرية إبديلان	قسماً منه بحالة جيدة والقسم الأخر متساقط
23	مسجد إبديلان	قرية إبديلان	لم أعثر على اسمه

24	مسجد تحواريت (الداخلية)	قرية تمزدا	مازال بحالة جيدة
25	مسجد تحواريت (الخارجية)	قرية تمزدا	مازال بحالة جيدة
26	مسجد الحواريين	قرية فرسطا	مازال بحالة جيدة
27	مسجد أبو زكريا الأرجاني	قرية أرجان	—
28	مسجد تغليس	قرية فرسطا	حالته جيدة
29	مسجد علي بن يخلف التيميجاري	قرية تيميجار (أولاد بوجديد حالياً)	كما يسمى مسجد بين القصرين لوقوعه بين قصري المالطي وأولاد بو جديد ونظراً لقربه من مساكن الأهالي فحالته جيدة ومازال يصلي به الأهالي إلى يومنا هذا
30	مسجد أبو نصر	قرية تمزدا	حالته جيدة
31	مسجد جادو	جادو	حالته جيدة
32	مسجد تحواريت	قرية طرميسة	حالته جيدة
33	مسجد أرجان	قرية أرجان	—
34	مسجد أبو زكريا	قرية مزو	حالته جيدة
35	مسجد الأعلى	مدينة لالوت (نالوت حالياً)	حالته جيدة
36	مسجد الرحبة	مدينة لالوت (نالوت حالياً)	أقدم زمناً من الأعلى

37	مسجد تيندرار	مدينة لالوت (نالوت حالياً)	قسم منه قد تمت صيانته حديثاً وقسم مازال بحالته الأثرية وهو بجوار الطريق العام في صعود جبل نالوت
38	مسجد أمنا حواء	مدينة يفرن قرية قصبة بن مادي	هذا المسجد مازال قائماً وحالته جيدة ولموقعه بين منازل الأهالي تمت صيانته من قبل فضلاء قصبة بن مادي وحالياً تقام فيه الصلوات الخمس
39	مسجد أم الصفار	قرية أم الصفار	حالته جيدة
40	مسجد جريجن	قرية جريجن	عبارة عن بناء أثري مازال قائماً ومهجور
41	مسجد أبو قفة	قرية بغطورة	لم يتبق منه سوى بقايا الجدران ومكان المحراب ينسب هذا المسجد للشيخ أبو القاسم البغطوري
42	مسجد أبو شيبة الدجي	قرية دجي	مازال قائماً وبحالة جيدة رغم هجرة السكان من القرية
43	مسجد أبو عثمان المزاتي	قرية دجي	كذلك بحالة جيدة
44	مسجد أبو الليث	ما بين قريتي تلات أونميرن وإيجناون	حالته جيدة
45	مسجد الشيخ يونس	قرية تندباس	حالته جيدة

46	مسجد الشيخ يونس	مدينة جادو	—
47	مسجد نانا مارن	قرية جماري	—
48	مسجد أبو محمد عبد الله الونزيرفي	قرية ونزيرف	حالته جيدة لأهتمام فضلاء قرية ونزيريف به
49	مسجد ونزيرف	قرية ونزيرف	هذا المسجد حالته متهالكة وحجارته في قسم منه متراكمة ولم أعثر على اسمه
50	مسجد أبو يحيى زكريا السدراتي	قرية ونزيرف	—
51	مسجد سيدي سليمان	قرية فرسطا	عبارة عن غار
52	مسجد أبو زكريا التوكيتي	قرية توكيت	عبارة عن بناء تحت الأرض تمت تسويته وتهذيبه وحالته جيدة
53	مسجد أبو ميمون الجيطالي	قرية جيطال	حالته جيدة
54	مسجد إسماعيل الجيطالي	قرية جيطال	—
55	مسجد أبالي الفساطوي	جادو	عبارة عن غار
56	مسجد أبو محمد الكباوي	مدينة كباو	عبارة عن غار تحت الأرض وحالته من الداخل جيدة لأهتمام فضلاء مدينة كباو به وهو اليوم مجاور لمسجد القشقاشة
57	مسجد أبو رغوة	في وادي إكراين	يبدو أن صيانته مستمرة
58	مسجد أبو ربيع	في وادي إكراين	مازال قائماً وحالته جيدة
59	مسجد آت بارون	قرية آت بارون	مازال قائماً وحالته جيدة

60	مسجد الحاجة مسعودة	طمزين	لوقوع هذا المسجد بين منازل الأهالي فتتم صيانته من قبل فضلاء قرية طمزين بشكل مستمر
61	مسجد الثنية	قرية تتزغت	هذا المسجد الأثري حالته جيدة لموقعه بين صخور الثنية توجد به كتابة على سقفه تعود للقرن 9هـ/13م لم أعثر على أسمه الأول
62	مسجد تتزغت	قرية تتزغت	حالته جيدة وينسب إلى أبو القاسم التزغتي
63	مسجد توزنزرت	قرية توزنزرت	قسماً منه تساقط
64	مسجد الميتيونية	قرية ميتيون	حالته جيدة
65	مسجد نوح المرساوني	قرية إمرساون	حالته جيدة لإهتمام فضلاء قرية إمرساون به
66	مسجد أبو محمد	قرية تنومات	—
67	مسجد أبو سليمان الكمزيني	قرية كمزين	—
68	مسجد وشيشال	ككلة	—
69	مسجد تكيت		—
70			

قائمة ولاة جبل نفوسة

****

قائمة ولاة جبل نفوسة

تولي حكم جبل نفوسة مجموعة من الولاة، بعضهم تولي زمن الدولة الرستمية، والبعض الآخر بعد سقوطها بإتفاق العلماء والمشائخ، وينبغي الاشـــارة إلى أن معظم أولئك الولاة كانوا على درجة عالية من العلم، وامتهن بعضاً منـــهم إلى جانب وظيفة الوالي وظائف أخرى مثل: القضاء والحسبة والتدريس وغيرهـــا. وهذا ما يتضح من خلال الإشارات الواردة في المصادر، وسوف نـــورد أهـــم أولئك الولاة وزمن توليهم، حسب التسلسل التاريخي على النحو الآتي:

أولاً: الولاة زمن الدولة الرستمية:

ر.ت	اسم الوالي	الفترة الزمنية	ملاحظات تاريخية
1	السمح بن أبي الخطاب	171هـ/222م	تولي زمن الامام عبد الوهاب الرستمي
2	أبو الحسن أيوب بن العباس	حي بعد: 204هـ	تولي زمن الامام عبد الوهاب الرستمي
3	أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني	ت بعد: 211هـ/826م	تولي زمن الامام عبد الوهاب الرستمي، ثم عاصر أفلح بن عبد الوهاب، ومركزه مدينة جادو، وأمتهن مهنة المحتسب إلى جانب الولاية

4	العباس بن أيوب	حي في: 208هـ/823م	زمن الامام أفلح بن عبد الوهاب
5	أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي	عاش في ق: 3هـ/9م	لم تتجاوز ولايته سبعة أشهر، تولي زمن الامام أفلح بن عبد الوهاب
6	أبو منصور إلياس التندميري	حي في: 261هـ/874م	تولي زمن الإمام أبي اليقضان، ثم زمن الإمام أبي حاتم، وفي عهده تم القضاء على الحركة الخلفية.
7	أفلح بن العباس	حي في: 283هـ/896م	تولي زمن أبي اليقظان، وأقيل بعد معركة مانو، ثم تولي بعدها مرة اخرى
8	أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي	حي بعد: 283هـ/896م	تولي بعد معركة مانو مباشرة باتفاق مشائخ الجبل، كما مارس مهنة القضاء

ثانياً: الولاة بعد سقوط الدولة الرستمية، وتولوا بإتفاق مشائخ وعلماء الجبل:

ر.ت	اسم الوالي	الفترة الزمنية	ملاحظات تاريخية
1	أبو يحيى زكريا الأرجاني	ت عام: 325هـ/936م	مارس مهنة القضاء إلى جانب كونه والياً، مات في معركة تيركت ضد العبديين
2	أبي عبد الله بن أبي عمر	تولي عام: 325هـ/936م	وهو حفيد إلياس أبو منصور، تولي فترة يسيرة ثم أقيل عن الحكم
3	أبو زكريا بن أبي يحيى الأرجاني	حي بعد: 340هـ/951م	دامت فترة ولايته حوالي ستون عاماً ومات بعد عودته من إحدى المعارك ضد العبيديين، وأغتاله رجل من طرميسة
4	أبو محمد زيد بن أفصيت الدرفي	عاش ما بين: 300 ـ 350هـ/912 ـ 961م	تولي إلى جانب الحكم القضاء وكان مقره بجادو
5	أبو يحيى سليمان بن ماطوس	حي في: 283هـ/896م	أصله من مدينة شروس
6	أبو عبد الله بن جلداسن اللالوتي	حي مابين: 300 ـ 350هـ/912 ـ 961م	تولي بإتفاق العلماء والمشائخ بالجبل

7	أبو زكريا يحيى بن سفيان	حي مابين: ــ 350 ــ 400هـ/ 961 ــ 1009م	أصله من مدينة نالوت
8	أبا سليمان التندميري	ــ	تنازل عن الحكم طواعية للشيخ أبو عمرو الشروسي
9	أبو عمرو ميمون الشروسي	حي مابين: ــ 350 ــ 400هـ/ 961 ــ 1009م	شاع في عهده الأمن والعدل وكانت له علاقات طيبة ومتينة مع حكام وأهالي بلاد السودان الغربي
10	أبو الفضل سهل	عاش خلال ق: 4هـ/10م	له جهود قوية في إعادة الهدوء والسلام للجبل بعد سيطرة القبائل الأخرى عليه ومنها قبيل ة زناتة، كما له جهود مباركة في إصلاح الفساد في مدينة غدامس
11	أبو محمد عبيدة بن زارود التغرميني	أوائل ق: 4هـ/10م	لم يوفق في الحكم فتنازل طواعية للشيخ أبو إسحاق الإشاري
12	أبو إسحاق الإشاري	ق: 4هـ/10م	أصله من قرية إشارن وهي حالياً من ضمن قرى الرجبان

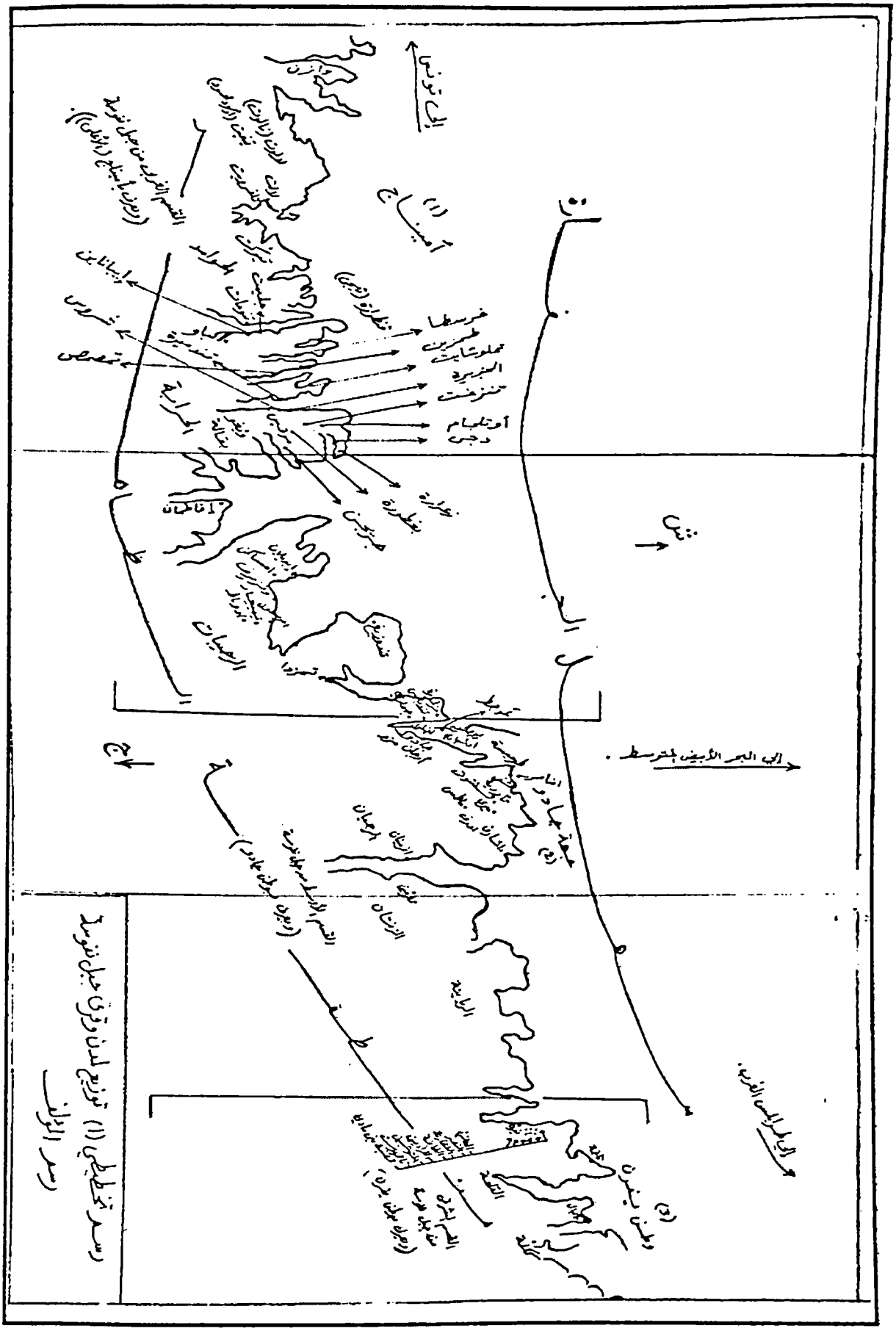
13	أبو هارون موسى التملوشايتي	أواخر ق: 4هـ/10م	أصله من مدينة تملوشايت، وعندا صار والياً أقام في قرية إيباناين وله هناك مسجد منسوب إليه زرته وهو مازال بحالة جيدة
14	أبو الربيع سليمان بن موسى التملوشايتي	ق: 5هـ/11م	من مدينة تملوشايت وهو نجل الوالي السابق
15	هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى بن هارون الباروني	ق: 5هـ/11م	سليل أسرة الباروني العريقة في السياسة والعلم بجبل نفوسة خلال العصر الوسيط
16	أبو زكريا يحيى بن إبراهيم	ق: 5هـ/11م	—
17	إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروني	حي في عام: 722هـ/1322م	سليل الأسرة البارونية المشهورة
18			

الخرائـــــط

ـــ خريطة (1) توزيع القري والمدن في جبل نفوسة

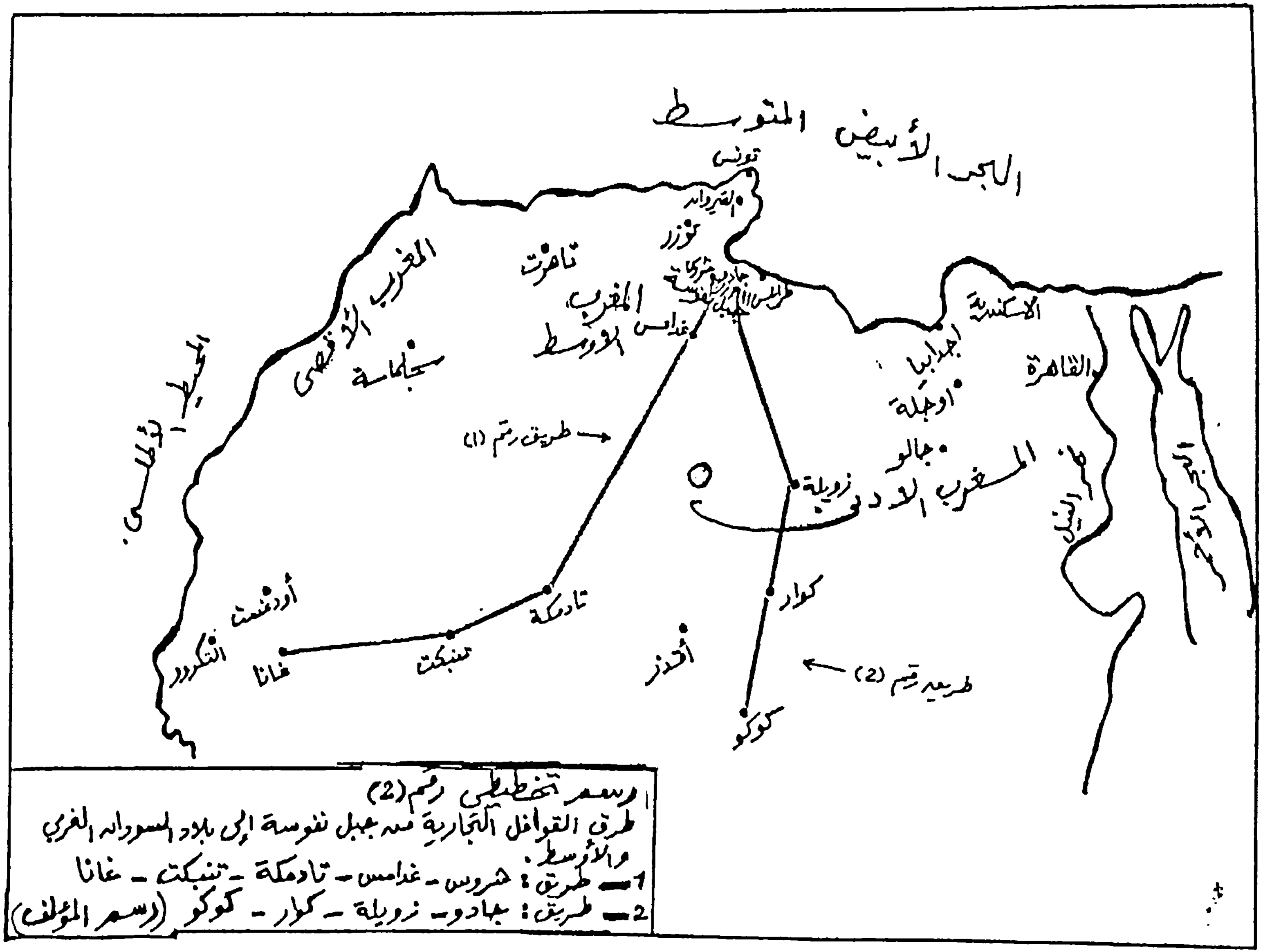
ـــ خريطة (2) طرق القوافل التجارية من جبل نفوسة إلى بلاد السودان الغربي والأوسط.

****



رسم تخطيطي (١) توزيع لمدن وقرى جبل نفوسة

رسم المؤلف



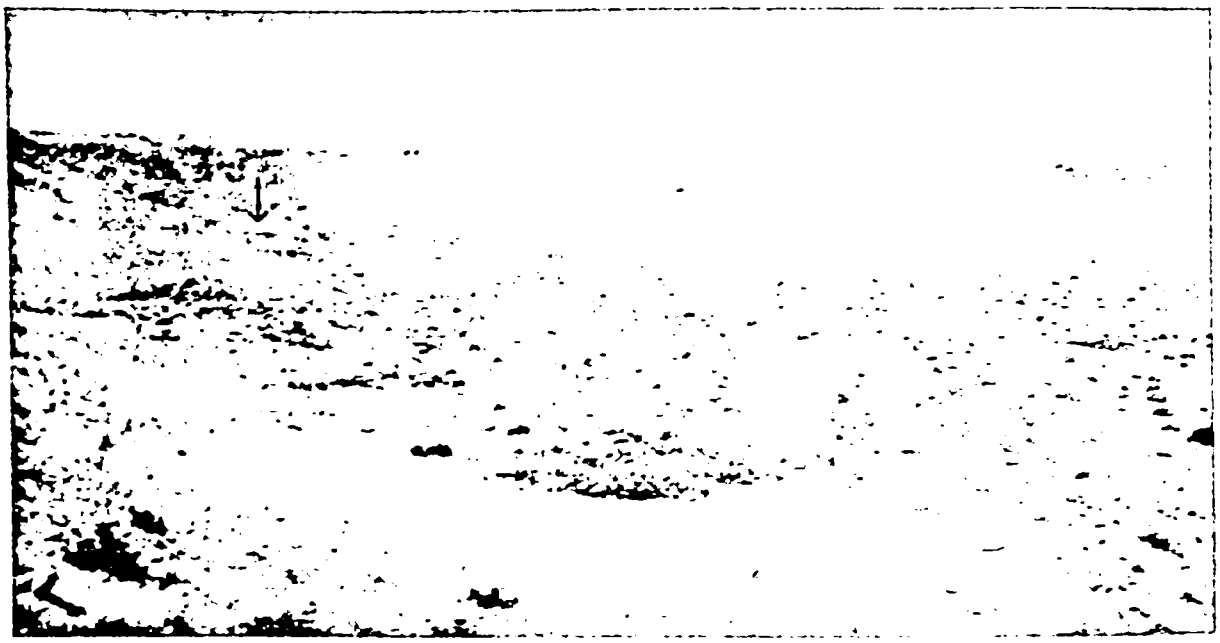
رسم تخطيطي رقم (2)
طرق القوافل التجارية من جبل نفوسة إلى بلاد السودان الغربي والأوسط:
1 — طريق: شروس - غدامس - تادمكة - تنبكت - غانا
2 — طريق: جادو - زويلة - كوار - كوكو (رسم المؤلف)

الصـــور الضـــوئية

لبعض القري والمدن

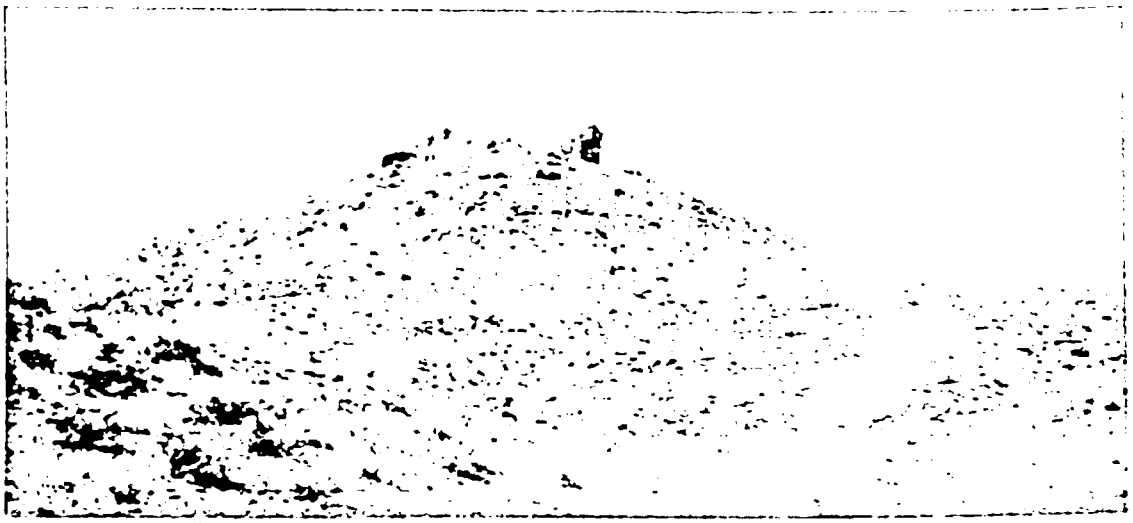
وأهم المعالم التاريخية والأثرية بجبل نفوسة

****



الصورة رقم (1)

مدينة شروس من الناحية الغربية، والمدينة تحولت إلي أطلال دارسة لم يبق منها سوى مسجد أبو معروف المشار إليه على يسار الصورة ، وإلي يمينه بقايا قصر فوق الربوة، وهي من أكبر المدن وأشهرها وكانت عاصمة الجبل في العصور الوسطي، وتحيط بها الجبال من جميع الجهات ماعدا من الشمال حيث ممر الوادي ، ومدخل المدينة . زرتها يوم الجمعة عام 2004 .



بقايا قصر في مدينة شروس ، كان يستعمل لتخزين قوت وتموين الأهالي ويقع فوق ربوة عالية لتسهل حمايته والدفاع عليه، وهو بجوار مسجد أبو معروف على يمينه، وقد تساقطت حجارته ولم يبق منه إلا أجزاء بسيطة.



الصورة رقم (2)

قرية إيجناون من الناحية الجنوب شرقية إحدي قرى مدينة جادو تبعد عنها حوالي 4 كلم ، وأختلطت فيها المباني الحديثة بالقديمة ، وتقع في سفح جبل أسفل عين وقرية تموجط، ويوجد بها مسجد أبو عبيدة الجناوني ، وهي محاطة بين ثلاث جبال من الشرق والغرب والجنوب، وهي واقعة تحت الجبل الشرقي، الذي توجد فيه ثلاث قرى وهي : يوجلين، وأوشباري، وتلات أونميران، ويحدها من الغرب جبل فوقه ثلاث قرى أخرى وهي : مزغورة، وتندباس، وجماري وقرية إيجناون مرت بعدة مراحل منها : مرحلة سكن الغيران في سيح أقمار، والثانية أسفل الجبل وأشتهرت القرية بصناعة الفخار أو القلال، وحجر الرحى لطحن الحبوب . زرتها عام 2004 .



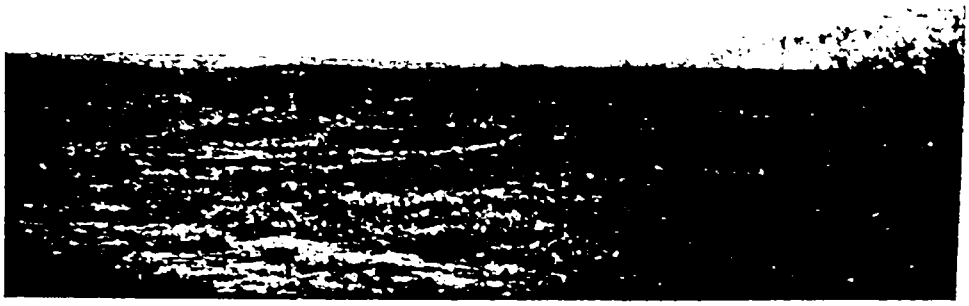
بساتين قرية إيجناون التي كانت قديماً حدائق وجنائن، تعتمد على مياه عين تموجط التي تظهر في أعلي الصورة، ويذكر الشماخي : " أن عين إيجناون تدور على أثني عشر ألف زيتونة " . كما كانت تشتهر بغراسة النخيل، وهذا يشير إلي الإزدهار الزراعي للقرية







صورة رقم (3): تبين ثلاث نماذج من قصور الجبل المتعددة: (الأعلى قصر فرسطا)، و(الأوسط قصر كباو)، و(الأسفل قصر دركل).



الصورة رقم (4)

مدينة ويغو من الناحية الغربية، وتظهر في الصورة آثار الأبنية والغيران التي كانت تتخذ مساكن للأهالي، ومن خلال تناثر المباني يتضح إتساعها وكبر حجمها، وهي تقع جنوب الحرابة حوالي 10 كلم، زرتها عام 2004 .





نماذج لبعض الأبنية بمدينة ويغو، وهي تظهر الفن المعماري الإسلامي .



الصورة رقم (5)

قرية دركل من الناحية الغربية، وتبعد عن مركز الحرابة حوالي كم، وتقع فوق ربوة عالية تشرف على وادي دركل، الذي يصب في وادي شروس، ويتجه شمالاً ناحية سهل الجفارة، ويظهر في أعلى قمة الربوة قصر دركل، وتحيط به آثار بناء المساكن والبيوت، وهي حاليا عبارة عن خرائب وآثار هجرها أهلها . زرتها عام 2004 .



المؤلف جالس وسط ركام، وبين آثار قرية دركل



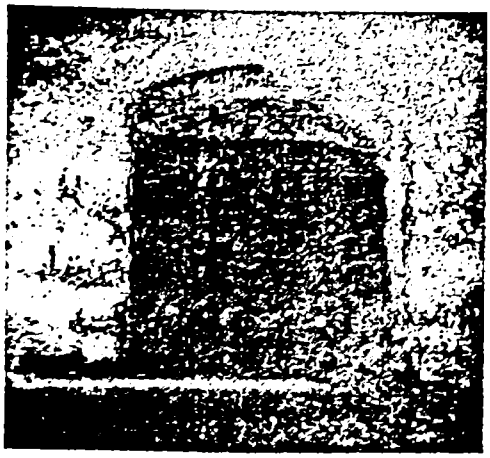
المدخل الغربي لقصر دركل ويقع في أعلى الربوة ، مازالت آثاره باقية ومن الناحية الشرقية يفصله خندق طبيعي ليكون محصنا .



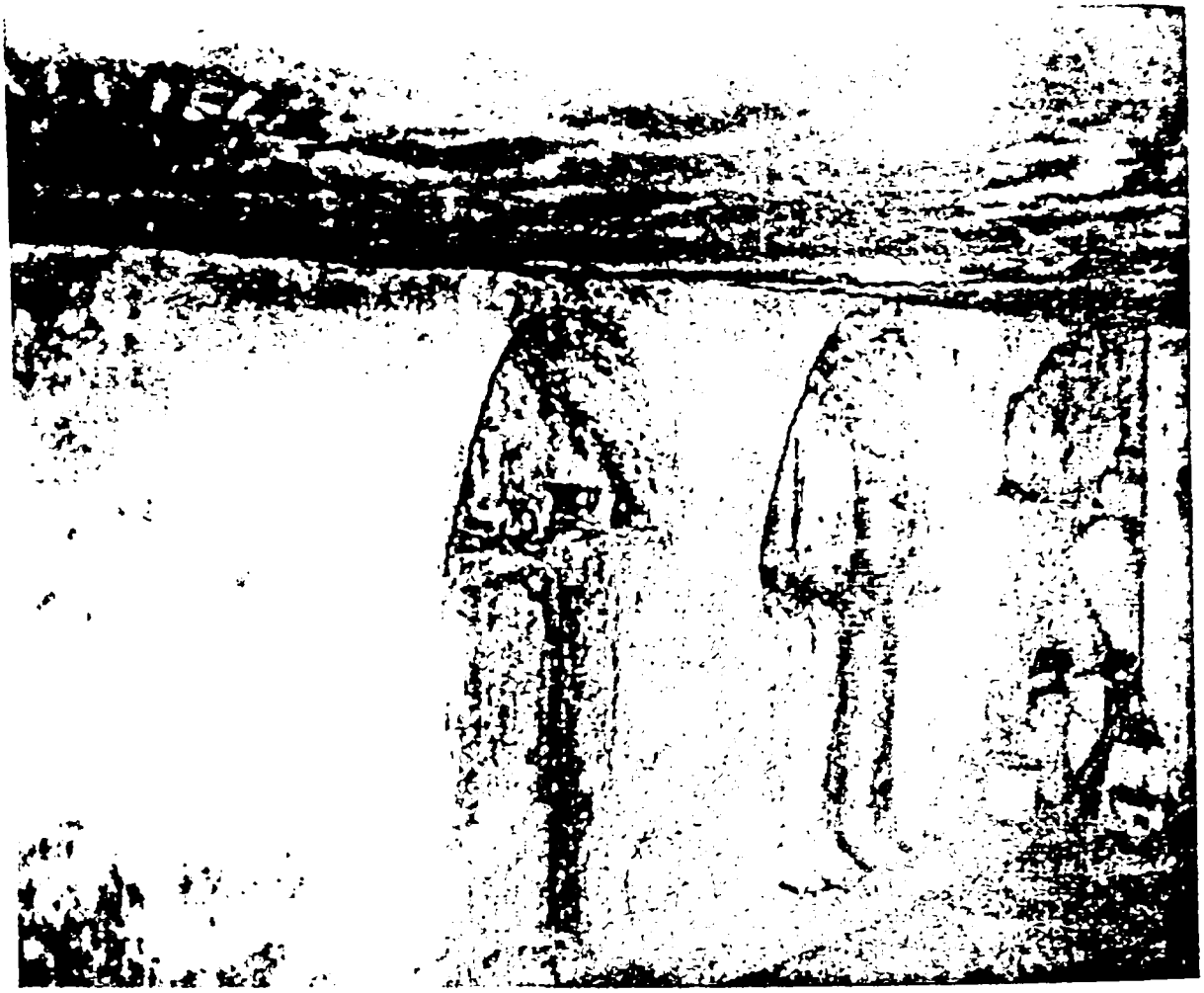
صورة رقم (6) المؤلف أمام مدخل المسجد الذي نسبه إلى الشيخ أبو خليل الدركلي بقرية دركل، ويقع أسفل الربوة وآثار القرية ومساكنها. وفي هذا المسجد توجد كتابة تبين سنة 535هـ.

أقواس من داخل مسجد أبو خليل الدركلي..



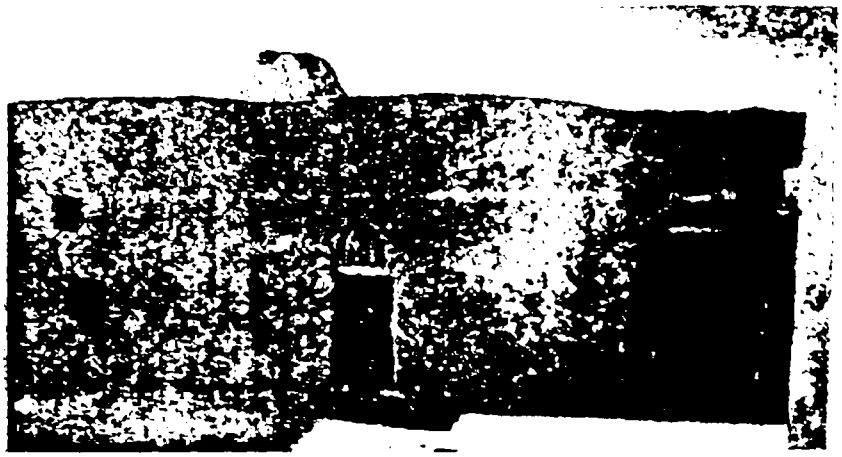


محراب المسجد في حالة عودة إلى طبيعته الأولي.

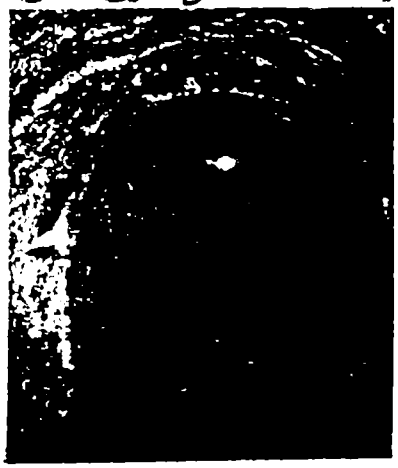


الصورة رقم (7)

جدار من مسجد الشيخ أبو عبيدة عبد الحميد الجنـــاوني، بقريـــة إيجناون، هذا الذي تبقي من المسجد الأثري حيث قـــام الأهـــالي وللأسف الشديد بهدم المسجد الأثري في إطار بناء مسجد حديث عام 1392 هـــ / 1972 م والمسجد على ما يبدو كان متسعاً أيام الشيخ عبد الحميد خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، حيث تذكر المصادر التاريخية : أجتمع به سبعون عالماً . وكـــان هذا المسجد أحد المؤسسات التعليمية حيث قام الشيخ عبد الحميد بالتدريس فيه، زرته عام 2004 .



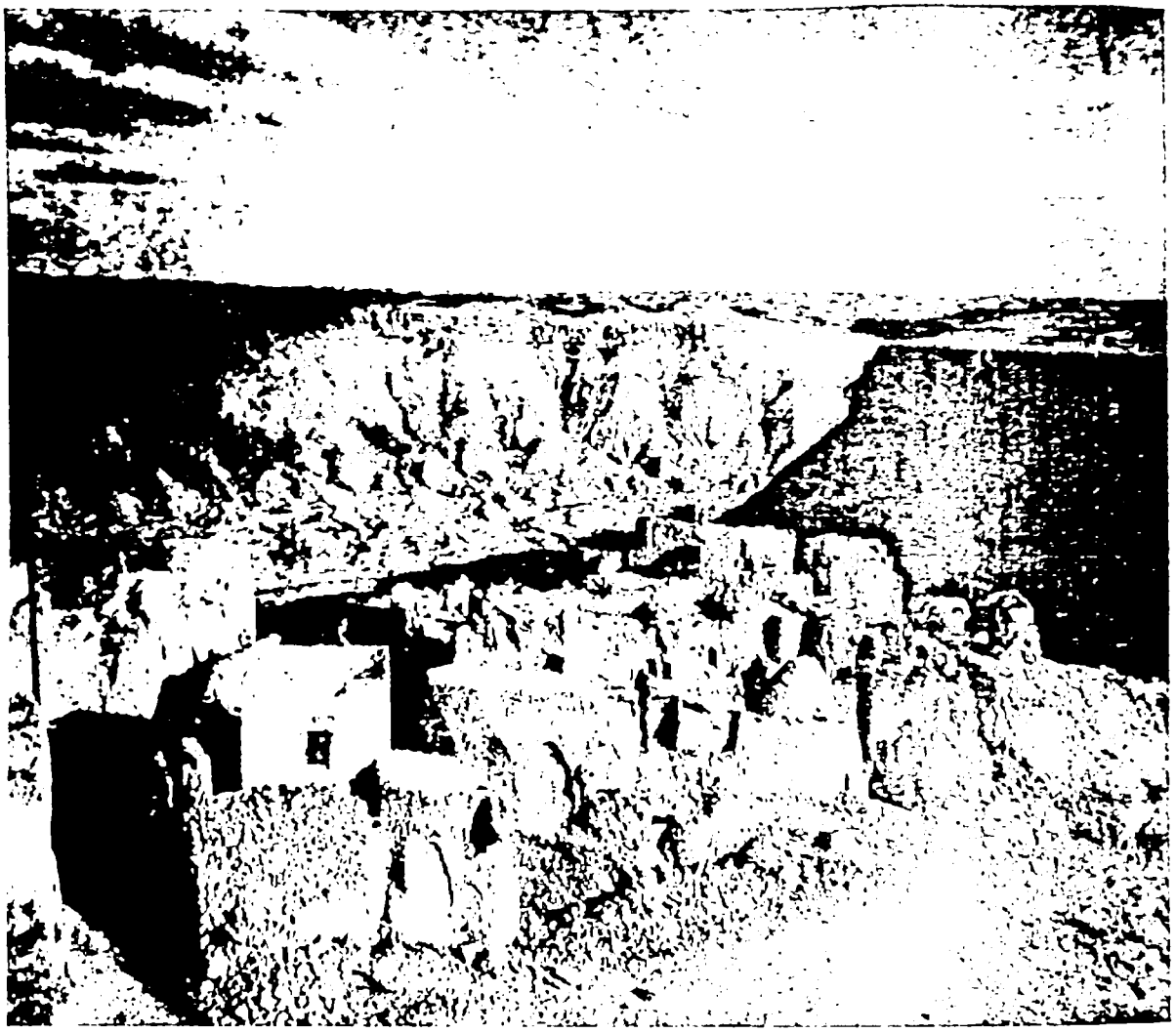
الصورة رقم (8) مسجد ومدرسة الشيخ أبو عثمان سعد بن أبي يونس الطمزيني، في منطقة أبو خروية بمدينة طمزين ، وهذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان قبل الإنتقال إلى حاقة الجبل، والمسجد ما زال بحالة جيدة، وهو متسع نسبيا فطوله حوالي تسعة أمتار وعرضه ثمانية ونصف أمتار ، بابه يفتح من الناحية الشرقية ، وفوقه مئذنة صغيرة . قام الشيخ سعد بالتدريس فيه ، كما درس به العديد من المشائخ ، ولعب دورا كبيرا في نشر العلوم والفنون ، وأمتد نشاطه حتى القرن الثامن الهجري ، زرته عام 2004 .



من داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبوعثمان

محراب مسجد ومدرسة الشيخ أبوعثمان





الصورة رقم (9)

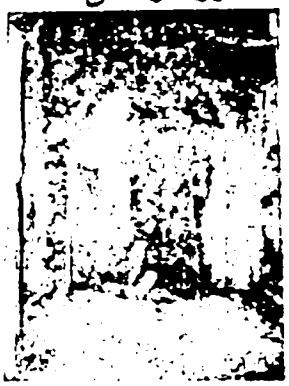
قرية طمزين من الجهة الشرقية ، وتظهر منازل وبيوت القرية على حافة الجبل وتطل على وادي طمزين ، تأسست في أواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي . وذلك لوجود تاريخ مكتوب على صخرة بجانب قصر طمزين (775هـ) وشاهد الأهالي هذا التاريخ، وقبل تأسيسها كان الأهالي يسكنون إلي الجنوب منها في منطقة تحارت في مرحلة سكن الغيران والكهوف، والتي مازالت آثارها باقية . وقرية طمزين يحدها من الشمال وديان وجبال ثم سهل الجفارة، ومن الجنوب منطقة الظاهر، ومن الشرق وادي طمزين، ومن الغرب حافة الجبل ووادي عميق يفصلها عن قرية فرسطا ، زرتها عام 2004.



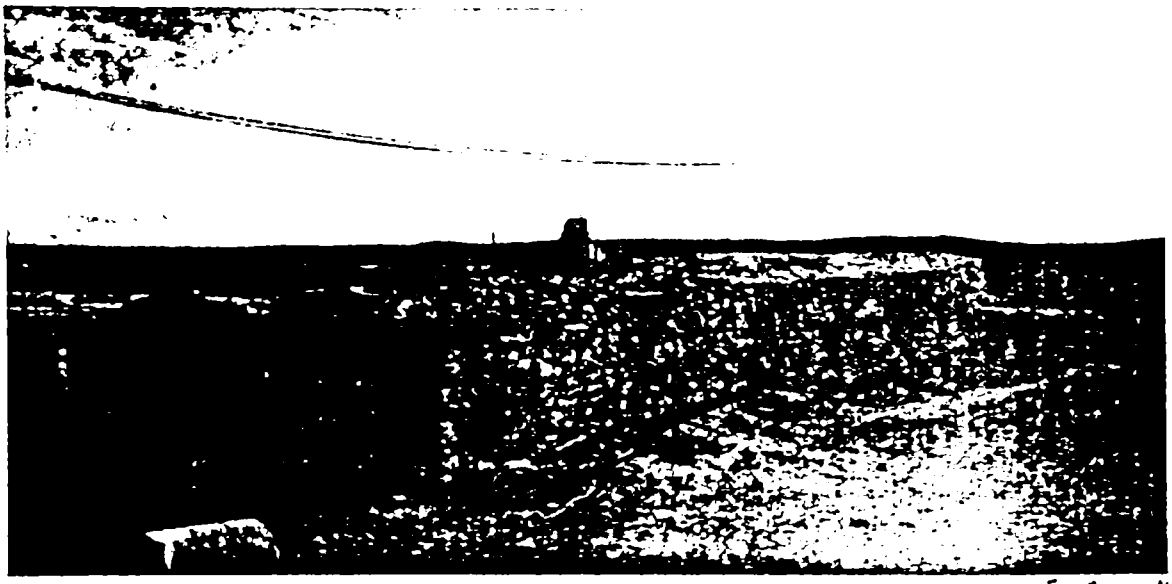
الصورة رقم (10) المؤلف أمام المدخل الشرقي لمسجد الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد، بمدينة شروس، والمسجد مازال بحالة جيدة، وهو البناء الوحيد تقريباً الذي مازال قائماً وسط ركام وحطام المدينة ، وهو من المساجد الكبيرة في الجبل، طوله 15 متر وعرضه 15 متر ، ويرجع بناؤه إلي القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وهي فترة مبكرة في التاريخ الإسلامي، وللمسجد بابان شرقي وغربي، وكانت توجد فوق الباب الغربي من الخارج كتابة عربية بالخط الكوفي إلا أن يد العابثين قد عبثت بها، كما توجد فوق سطح المسجد مئذنة من الناحية الجنوبية، والمسجد مبني على الطراز الإسلامي به بعض الزخارف وبه بعض الآيات القرانية ، ساهم في نشر العلوم والفنون الإسلامية ،ويبدو أن أخر صيانة تمت للمسجد كانت عام 1275 هـ ، وهو التاريخ المكتوب على أحد سقوف المسجد، على يد محمد فرج الوازني ، والمسجد اليوم في حاجة ماسة إلي الصيانة والترميم كما هو في حاجة إلي الدراسات الأثرية والتاريخية ، زرته عام 2002 و 2004 .



جانب أخر من داخل مسجد الشيخ أبو معروف ويدران بن جواد وتظهر الأعمدة والأقواس من فنون العمارة الإسلامية في مساجد جبل نفوسة خلال العصور الوسطى .



محراب مسجد الشيخ أبو معروف وهو معرض للخراب وقد سقط العمود الرخامي الأيسر .



الصورة رقم (11)

مسجد الشيخ أبو منصور إلياس ، ويظهر بابه الشرقي وتعلوه مئذنة صغيرة، والمسجد كان أكبر حجماً من حجمه الحالي، ويتضح ذلك من خلال الآثار الملاصقة للمسجد من الناحية الشمالية وطوله حوالي 5 . 18 متر ، وعرضه كان 16 متر ، سقط منه حوالي 9 أمتار فبقي 7 أمتار والمسجد يتكون من خمسة بيوت كل بيت حوالي ثلاثة أمتار عرض . والمسجد له بابان شرقي وشمالي، ويوجد به عشرة أعمدة قديمة دعمت فيما بعد بعرصات أخري لدعم هيكل المسجد، وتوجد به لوحة مثبتة على الجدار بجانب المحراب على يساره مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً (كلمتين غير واضحتين) المسجد في شهر الله المبارك محرم عام خمس وسبعين سنة بعد ثمن مائة في القرن التاسع، وكتب سعيد ابن مصباح ابن إبراهيم ، رحمه الله رحمه الله . وأخبرني أحد أهالي تندميرة (الحاج إمحمد صالح التندميرتي) وهو شاهد عيان : أن المسجد تمت له أخر صيانة عام 1946 ف قام بها أهالي تندميرة . زرته عام 2004.



محراب مسجد الشيخ أبو منصور إلياس ، ويحيط بالمحراب حوالي 26 قطعة حجرية مزخرفة بزخرفة إسلامية، ومبلط من الداخل بحوالي 32 قطعة مزخرفة .



الصورة رقم (12) جانب من قرية تندميرة القديمة الواقعة على حافة الجبل، وتطل على وادي تندميرة وفي أعلى قمة الجبل يوجد قصر تندميرة، وتحيط به المساكن والبيوت من جميع الجهات، وإلي الشمال من القرية كان يوجد خندق حفره الأهالي كتحصين للقرية والقصر، توضع فوقه جذوع النخيل كجسر للعبور يستعملونها نهاراً، وتتنازع ديلاً زيادة في التحصين، وكانت تندميرة في مراحلها السابقة تقع إلي الغرب من هذه الأبنية، في مرحلة مساكن الغيران والكهوف ويوجد بها مسجد أبو منصور إلياس وبقايا قصر قديم فوق ربوة بجانب المسجد .



الطرف الجنوبي لقصر تندميرة، حيث تظهر بقايا آثار الأبنية الخاصة بالقصر، وهو يقع في أعلى قمة الجبل ، يتوسط المساكن ، وهو على شكل مستطيل طوله حوالي 50 متر وعرضه 15 متر ، ويتضح من الآثار الباقية وجود دور أرضي للقصر ، والقصور في الجبل عموماً تستعمل لتخزين قوت وتموين الأهالي ، كما يقام فيه سوق محلي تتم فيه عمليات البيع والشراء ، ويوجد بداخله مسجد يعرف بمسجد القصر ، وبه صهريج لمياه الشرب ، وغرفة الحارس وهي في الجهة الشمالية من القصر.



الصورة رقم (13) المؤلف أمام مسجد الشيخ أبو حفص عمروس بن فتح المسلكني أحد علماء القرن الثالث هـ / التاسع م ، يوجد هذا المسجد في قرية إمسلكن (تطرس حاليا) من قري مدينة الرحيبات ، وما زال المسجد محافظ على متانته وبقاؤه بفضل اهتمام وصيانة الأهالي للمسجد ، وهو كبير ومتسع طوله من الشرق إلي الغرب 15 متر وعرضه حوالي 7 أمتار ، وإرتفاعه 5 .3 متر تقريباً ، والمسجد مقسم إلي بيتان تفصل بينهما مجموعة من الأعمدة والاقواس، له بابان من الناحية القريبة تم إغلاق أحدهما: (خلف الباحث مباشرة) زرته عام 2005 .



من داخل مسجد الشيخ عمروس بن فتح المسلكني



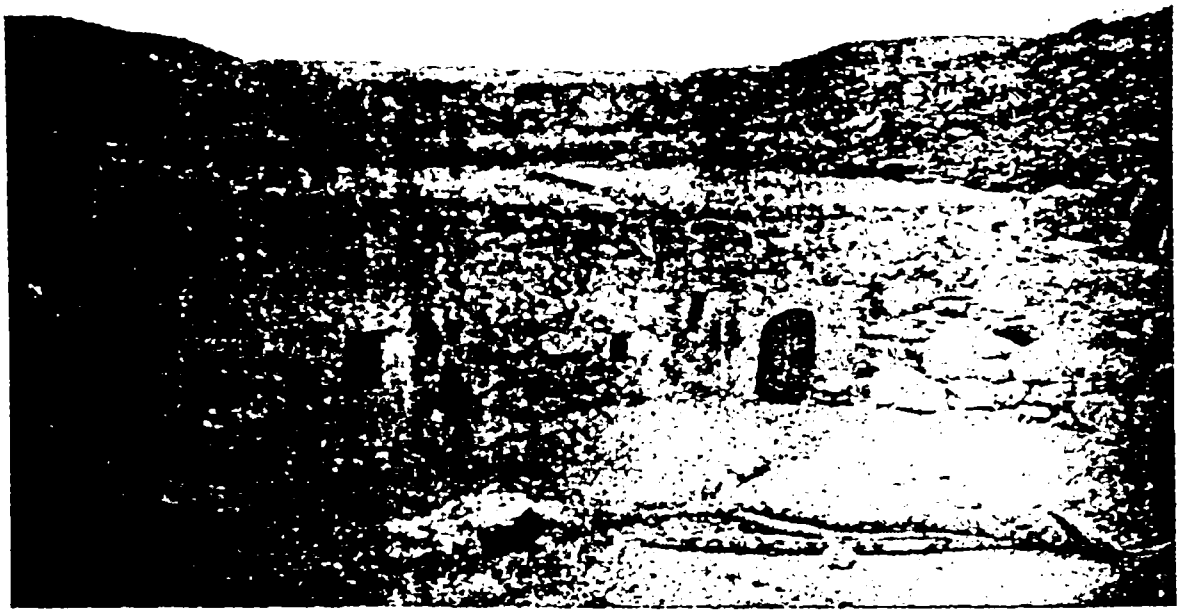
محراب مسجد الشيخ عمروس بن فتح المسلكني.



الصورة رقم (14) مسجد إيباناين بناه الشيخ أبو هارون موسى التملوشايتي خلال القرن الرابع هـ / العاشر م ومازال المسجد في حالة جيدة ، طوله 8 أمتار وعرضه 10 أمتار، ويظهر في الصورة بابان لدخول المصلين، إحدهما للرجال والأخر للنساء ، وبه عدد 5 فتحات للإضاءة والتهوية، وبه عدد من الأعمدة والأقواس، وبجواره توجد ساحة مسورة بسور قصير بها صهريج لحفظ مياه الأمطار، زرته عام 2004 .

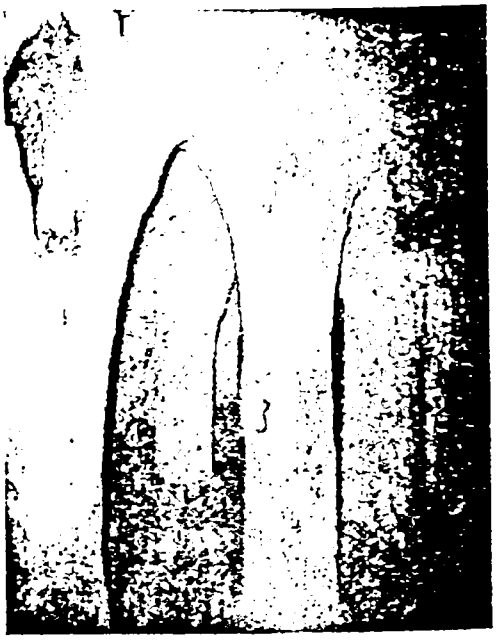


الصورة رقم (15) جبل إيباناين، و تقع في أعلى قمته قرية إيباناين التي تبعد عن مدينة كياو حوالي 15 كلم غرباً، ومازالت آثار بيوتها ومساكنها باقية تحيط بقصر القرية، وهي حالياً قرية مهجورة السكان وهناك عدة كهوف كانت تستعمل كسكن ، وهذا ما يشير إلى أنها قرية قديمة التأسيس ، والجبل يطل على وادي إكراين الفسيح الذي يتجه شمالاً صوب سهل الجفارة . زرتها يوم 22 / 11عام 2004 .

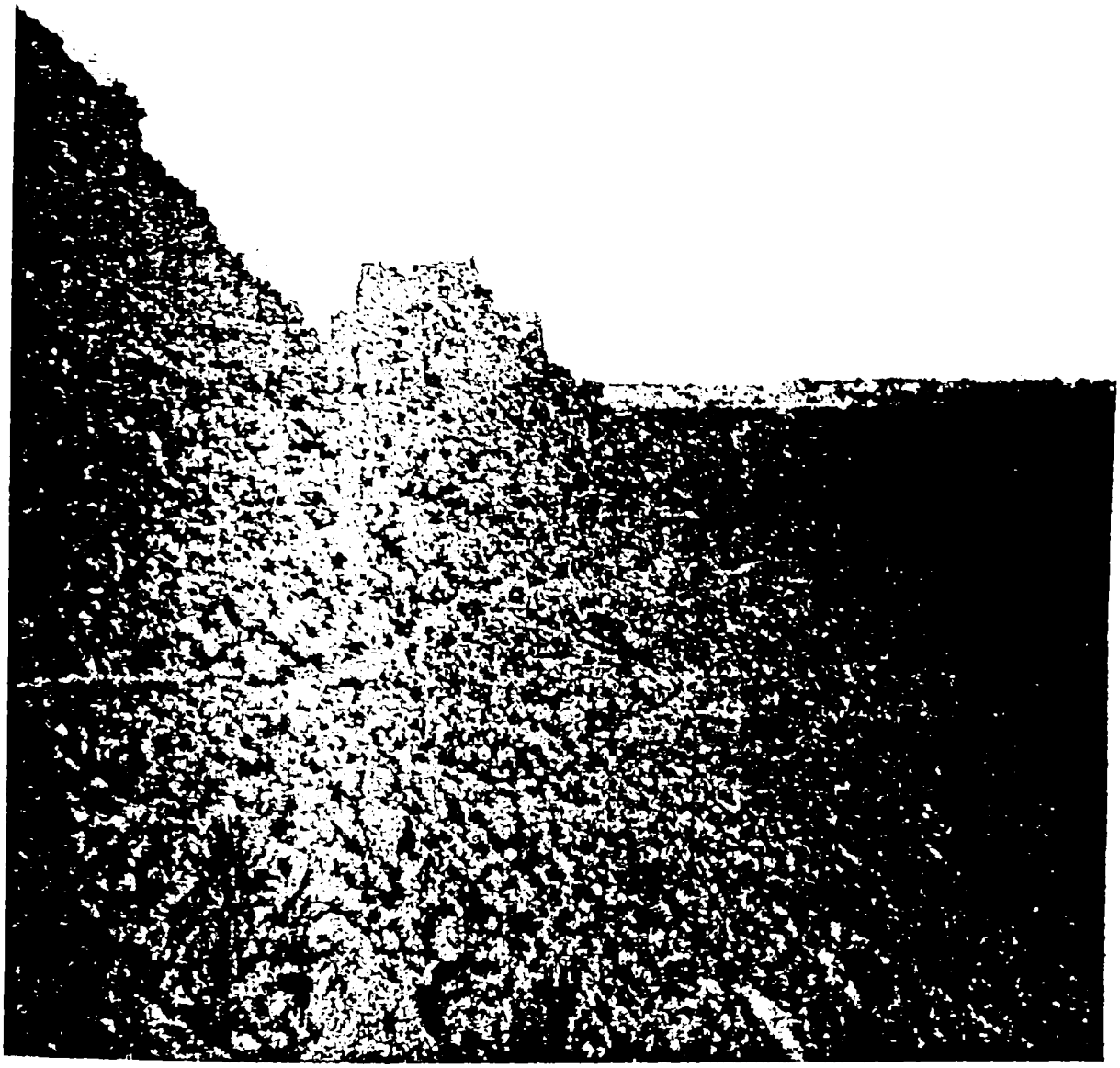


الصورة رقم (16) واجهة مسجد الشيخ أبو يحيي زكريا الفرسطائي، ويقع أسفل قرية فرسطا في وسط الجبل، طوله 11 متر ، وعرضه 14 متر تقريباً، له بابان شمالي وجنوبي، والمسجد بحالة جيدة ، كما توجد خارجه ساحة بها محراب تستعمل للصلاة ، زرته يوم الأثنين 16 ــ 2 ــ 2004 .



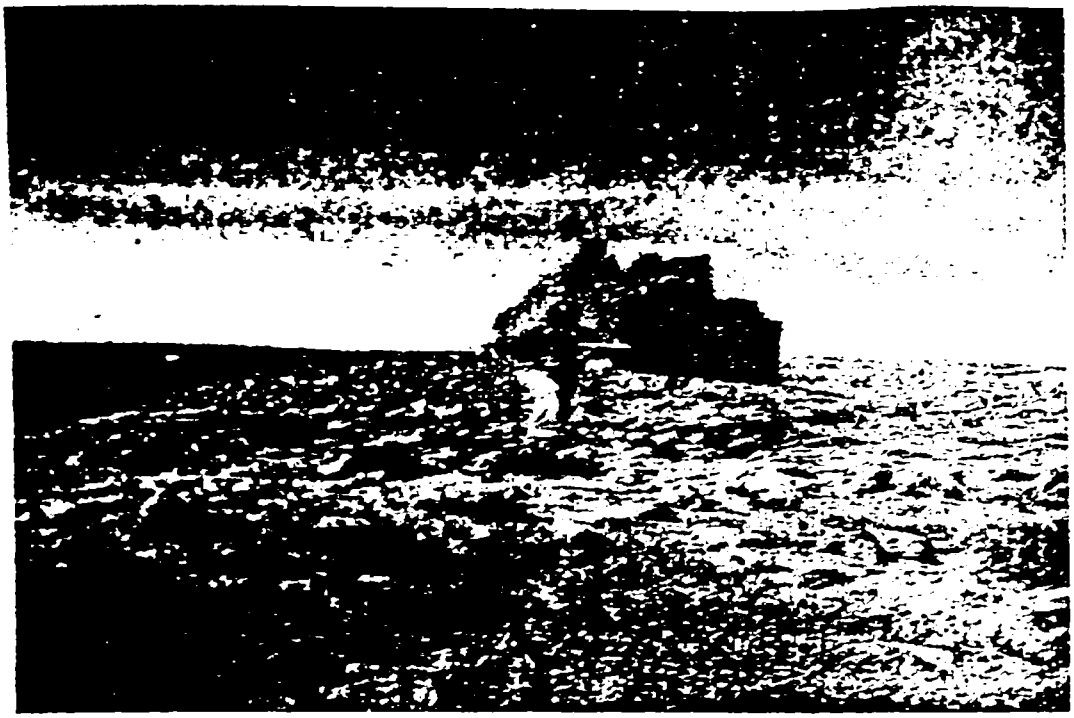


الصورة على اليمين من داخل مسجد الشيخ أبو يحيي زكريا الفرسطائي وتظهر الأعمدة والأقواس، أما على اليسار محراب المسجد .



الصورة رقم (17)

قرية فرسطا القديمة، تقع على قمة جبل فرسطا ، وتطل على وادي يعرف باسمها، وهي واقعة بين قريتين قديمتين تابعتين لها الأولي : تازات على شرقها ، والثانية : بنغوري غربها ، وتقابلها من الناحية الشرقية قرية طمزين ، زرتها يوم الأثنين بتاريخ 16 ــ 2 ــ 2004 .



الصورة رقم (18) مدينة إيقاطمان

المؤلف في وسط مدينة إيقاطمان ، والمدينة تحولت إلي أطلال دارسة لم يبق منها سوى بعض بقايا البيوت ، وتلك القصبة التي مازالت منتصبة تعاند الزمان في بقائها ، ومن خلال الآثار يتضح أن المدينة كانت تشغل مساحة كبيرة ، وفي هذه المدينة أسست أول مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادىء القراءة والكتابة وهي مدرسة : الشيخ عمر بن يمكتن خلال القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، زرتها عام 2004 .



بقايا آثار لبناء في إيقاطمان.



الصورة رقم (19) جبل الجزيرة ، تقع فوقه قرية الجزيرة ، وسميت بذلك الاسم لإحاطة الوديان بالجبل والقرية من ثلاث جهات ماعدا الناحية الشرقية ومنها يتم الدخول للقرية من مكان ضيق وصعب طلبا للتحصين والحماية، وهي حالياً مهجورة السكان، وتبعد عن مركز الحرابة حوالي كلم، والقرية تشرف على وادي شروس من الشرق الذي يفصلها عن قرية تندميرة، وتحيط بها ثلاثة أودية : وادي شروس، ووادي دركل، ووادي إيندل، وهي شبه مثلث في الشكل قاعدته عند الغرب بطول نصف كليو متر من الشمال إلي الجنوب ، ورأسه عند الشرق، وطول الجزيرة حوالي كيلة ونصف من الغرب إلي الشرق ، زرتها عام 2004.



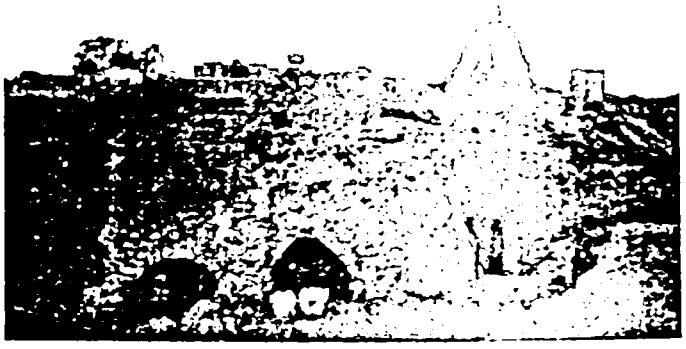
واجهة ومدخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو المنيب
محمد بن ياتس الدركلي (المعروف بالجزيرتي) في قرية الجزيرة ،
وهو عبارة عن بناء تحت الأرض (غار) ، وهذا يدل على قدم المدينة تاريخياً وتحتاج إلي دراسات أثرية لأستجلاء غوامض التاريخ ، زرته عام 2004.



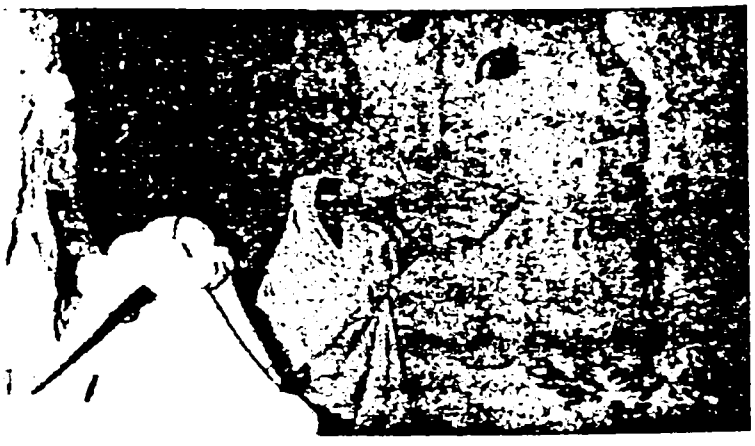
من داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو المنيب محمد بن ياتس وتظهر أعمدة وأقواس المسجد كفن من فنون العمارة الإسلامية في جبل نفوسة.



الصورة رقم (20) مدينة نالوت (لالوت سابقاً)، تقع فوق قمة جبل نالوت، ويظهر وسط أثار المدينة قصر نالوت أحد المعالم التاريخية للمدينة وتحيط به المنازل والبيوت من جميع الجهات، وتنقسم لالوت القديمة إلي العليا والسفلي، ويفصل بينهما القصر، الذي مازال قائماً وبحالة جيدة بفضل اهتمام الأهالي به، ونالوت من مدن الجبل الكبيرة ، وهي تقع في القسم الأول والغربي من جبل نفوسة، زرتها عام 2004 .



واجهة مسجد الرحبة أحد مساجد لالوت السفلي يقع على يمين القصر ناحية الشرق، فوقه مئذنة قديمة تحتاج إلي دراسة معمارية .



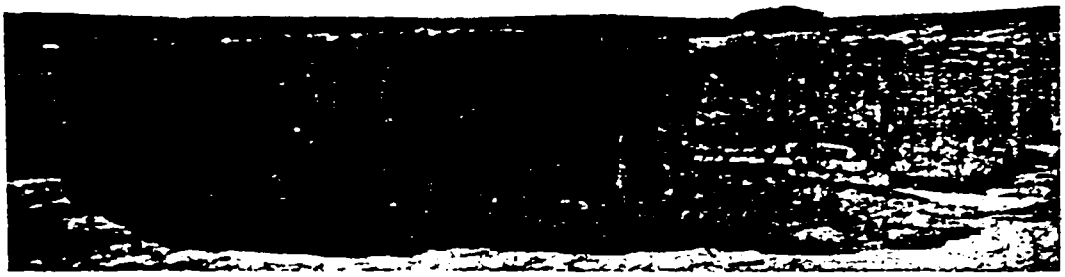
المؤلف من داخل قصر نالوت، في المكان الذي يقام فيه سوق محلي داخل القصر، في 15/ 2/ 2004.



الصورة رقم (21) قرية تمصمص من الجهة الغربية، وهي تبعد عن طمـزين حـوالي كيلـو ونصف، إلي الجنوب الشرقي منها، وهي من القرى القديمة في الجبل حيث تكثر بها الغيـرن والكهوف المستعملة للسكن قديماً، كما يوجد بها آثار الأبنية والمساكن، وعلى يمين الـصورة تظهر مدرسة الشيخ أبو محمد، وعلى اليسار بقايا آثار قصر تمصمص، ويحيط بالقرية غابـة زيتون، زرتها عام 2004.



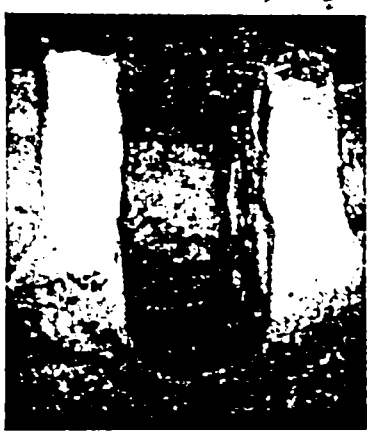
بقايا آثار قصرقرية تمصمص تحول إلي ركام من الحجارة، ويبدو أنه تعرض لدمار في فترة من فترات التاريخ، ويقع القصر في الطرف الجنوبي للقرية، ويشغل مساحة قدرها ألف متر مربع، وتم تشييده فوق ربوة عالية تشرف على مساكن القرية، وكان القصر يستعمل لتخزين المحاصيل الزراعية وغيرها من تموين وقوت الأهالي، زرته في عام 2004 .



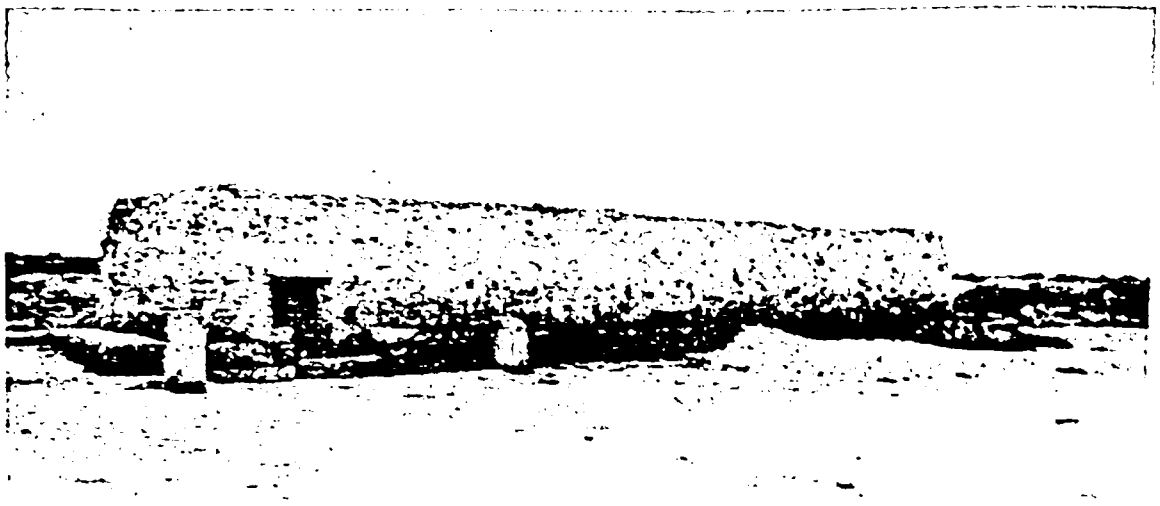
تابع الصورة رقم (21) واجهة مسجد ومدرسة الشيخ أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي، بقرية تمصمص الذي تعد من أبرز مدارس الجبل لتعليم الطلاب، ويقع في قرية تمصمص، والمسجد بحالة جيدة ، طوله حوالي 9 أمتار وعرضه 6 أمتار تقريباً، بابه من الشمال الشرقي، ويقع في الطرف الغربي للقرية، في هذا المسجد درست أم ملطوس أول فتاة ليبية تدرس في مدرسة مع الفتيان، وكانت تأتي من قريتها جاراصرا التي تبعد عن تمصمص حوالي 1 كلم . زرته عام 2004 .



من داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو محمد خصيب، بقرية تمصمص، وتوجد به أربعة أعمدة في الوسط وهي كبيرة الحجم ، كما تظهر في الصورة كوة واحدة للإضاءة.



محراب مسجد الشيخ أبو محمد خصيب التمصمصي .



الصورة رقم (22) مسجد ومدرسة الشيخ أبو موسى عيسي الطرميسي، من أشهر مساجد ومدارس الجبل، ويقع في مدخل قرية طرميسة، مازال بحالة جيدة، طوله حوالي 14 متر ، وعرضه 5 أمتار تقريباً، تحيط به غابات الزيتون، تخرج من هذه المدرسة كبار علماء الجبل، من أبرزهم الشيخين : عامر الشماخي، وإسماعيل الجيطالي، وأبو عزيز، حيث كانت من المدارس العليا بالجبل، زرتها عام 2004 ف .



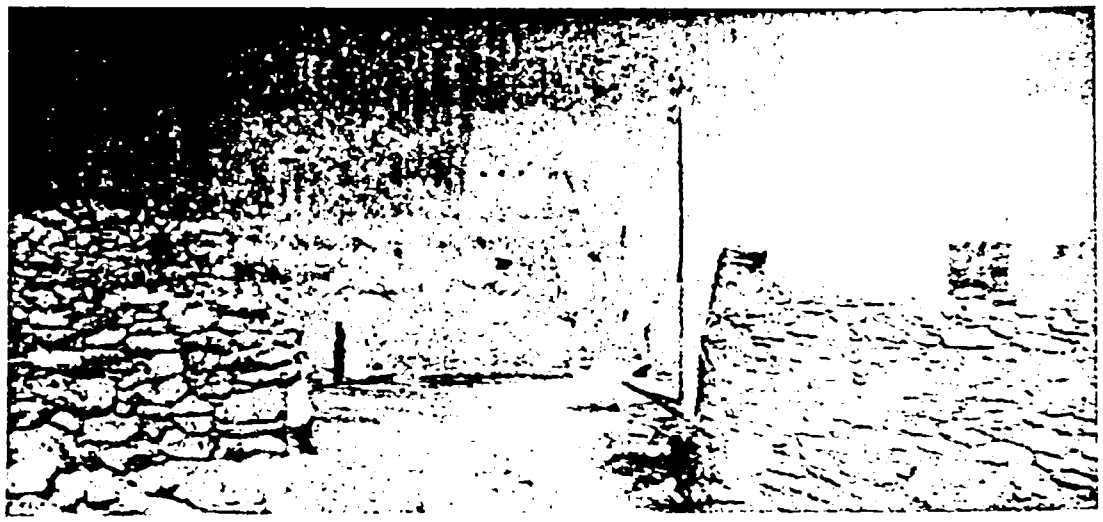
المؤلف داخل مسجد ومدرسة الشيخ أبو موسى الطرميسي، بجوار سلالم المؤذن .



محراب مسجد الشيخ أبو موسى عيسي الطرميسي وهو مستطيل الشكل .



الصورة رقم (23) قرية طرميسة إحدي قري مدينة جادو، وتبعد عنها حوالي 5 كلم، أخذت الصورة من الناحية الشرقية للقرية، وهي تقع فوق قمة الجبل لتكون محصنة بشكل طبيعي، كما يتضح وكأنها جزيرة معلقة، ويفصلها من الناحية الجنوبية خندق أقامه الأهالي لفصل القرية عن محيطها الجنوبي ويقيمون عليه جسر معلق للعبور نهاراً، وينزعونه ليلاً للحماية وتحصين القرية، كما يوجد بها مسجد تحواريت مازال بحالة جيدة ، زرتها عام 2004 .

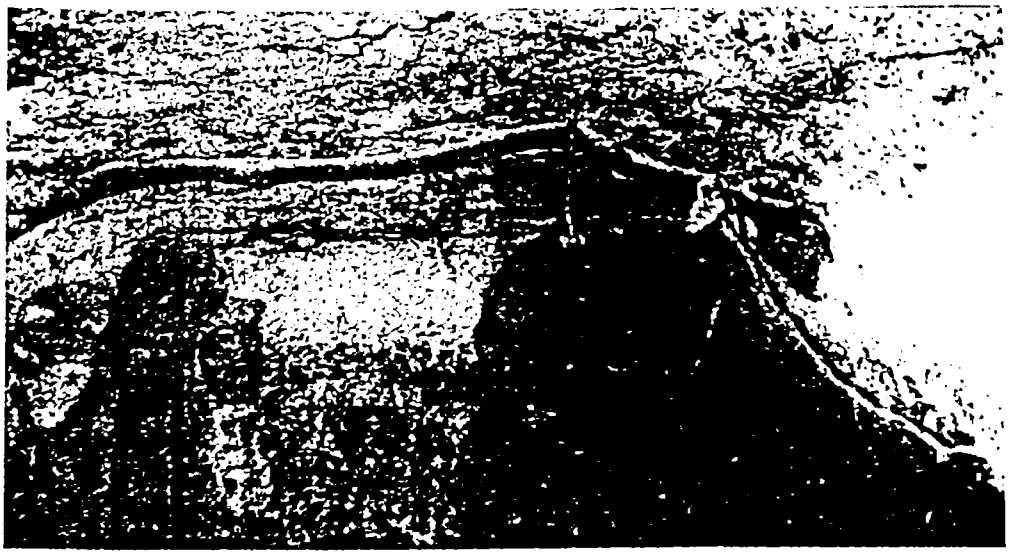


قصبة طرميسة في وسط القرية، كانت تستعمل للمراقبة والدفاع على عادة أغلب مدن وقري الجبل .



الصورة رقم (24)

مدخل مدرسة الشيخ أبي زيد المزغورتي، قام بالتدريس في هذه المدرسة مجموعة مشائخ من بينهم الشخين : عامر الشماخي وإسماعيل الجيطالي، وهو عبارة عن بناء تحت الأرض بقرية مزغورة احدي قري مدينة جادو، وتبعد عنها بحوالي 5 كلم، زرتها عام 2004 .

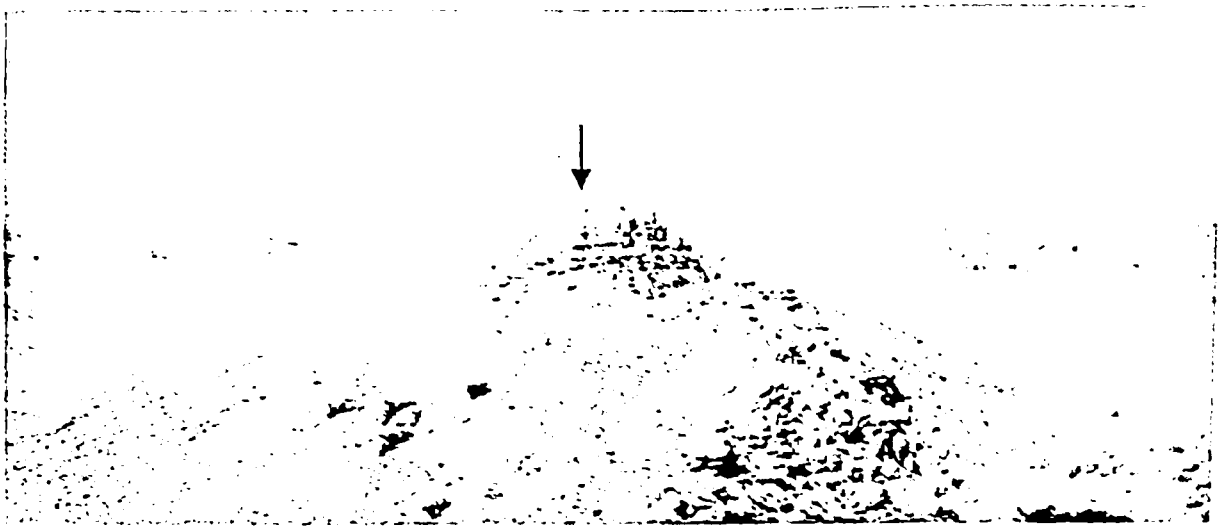


من داخل مدرسة الشيخ أبو زيد المزغورتي .

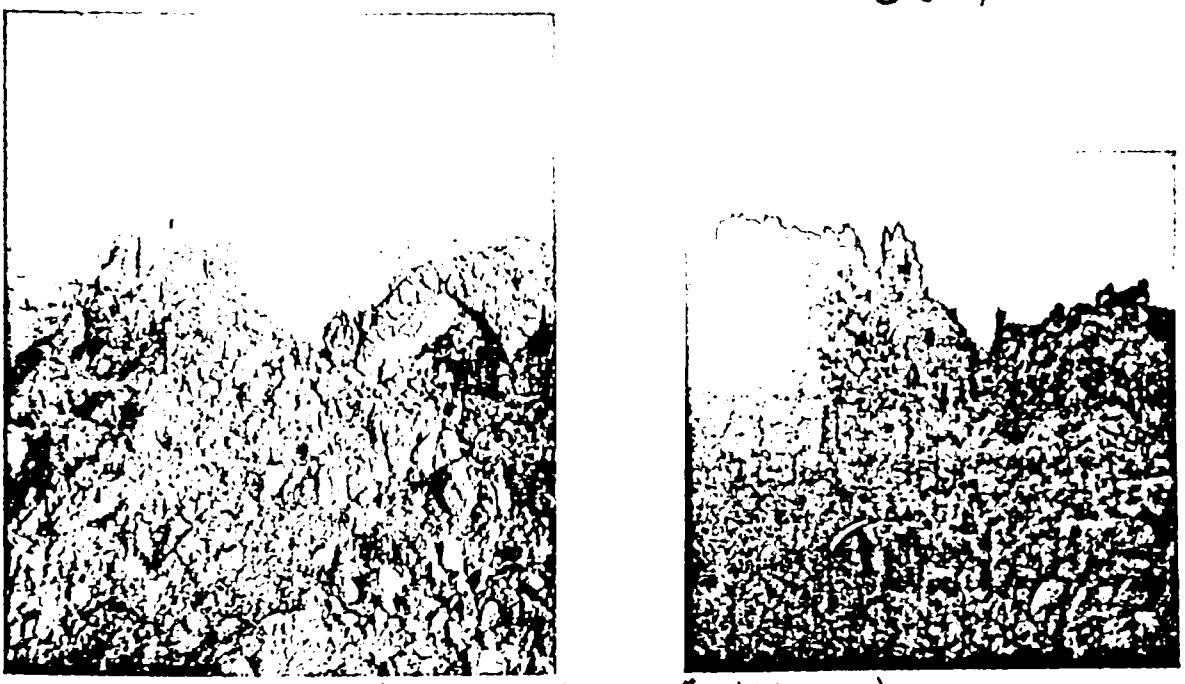


الصورة رقم (25) (قرية المعانيين بمدينة يفرن)

جانب من الشارع السفلاني لقرية المعانيين، إحدي قري مدينة يفرن، وتتوسط باقي قري المدينة، حيث يحدها من الشرق قرية البخابخة، ومن الغرب قرية الشقارنة ويفصل بينهما وادي عيسي توجد به سانية مياه كانت يعتمد عليها سكان القرية، ومن الشمال قريتي : قصبة مادي، والقصير ومن الجنوب قريتي : القراديين والمشوشيين، وفي هذه القرية أسس الشيخ عامر الشماخي مدرسته بالمسجد الكبيرعام 756 هـ / 1355 م ، الذي يعد من أبرز معالمها التاريخية والأثرية كما يوجد بها العديد من معاصر الزيتون القديمة ، بالإضافة إلي عدة مصليات مثل : إزكوان، وكوجليت، وأتوارجان ، وهذه الأسماء ربما تكون لعلماء أو رجال صالحين لم يدون التاريخ معلومات خاصة بهم، كما تظهر على يسار الصورة بقايا من قصبة القرية التي كانت تستعمل للمراقبة والدفاع. ومؤلف هذه السطور ينتمي إلى هذه القرية العزيزة.



الصورة رقم (26) جبل (قصر ولم)، حيث يتربع على قمته قصر ولم (حيث إشارة السهم)، وفي داخل القصر توجد مكتبة، تعد من أكبر مكتبات جبل نفوسة في العصر الوسيط، والمعروفة بـ (خزانة نفوسة)، التي قدر عدد كتبها بثلاثة وثلاثون ألف كتاب، ويطل هذا الجبل على مدينة شروس من الناحية الشمال شرقية، وربما أختار الأهالي هذا المكان بالذات للمكتبة لتكون بمعزل عن نشاط وحركة سكان العاصمة (شروس)، لتوفير الهدوء والسكون لطلاب العلم والباحثين عن المعرفة، بالإضافة إلي فرصة التأمل لهيبة المكان وطبيعته، زرته يوم الثلاثاء بتاريخ : 18 شوال 1425 هـ / الموافق 30- 11- 2004 ف .

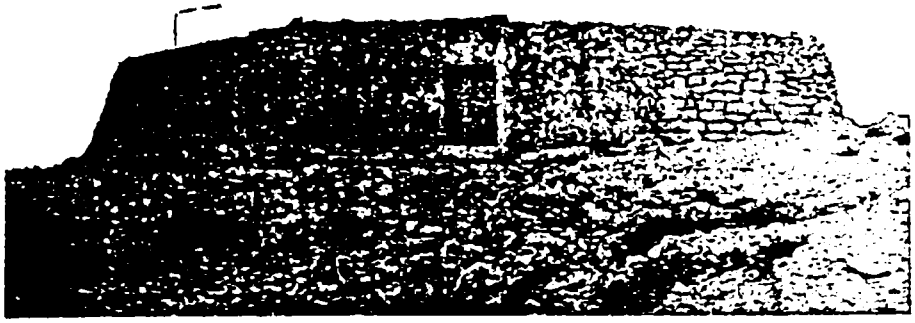


(من داخل قصر ولم الشهير)

الصورة على اليمين : من داحل القصر حيث الممر الذي يقسم القصر إلي قسمين يمين وشمال وكل منهما يحوي على طوابق من الغرف، كانت تستعمل للتخزين، والصورة على اليسار : جانب من بقايا آثار القصر عند نهايته الغربية، وفي مكان ما كانت المكتبة ؟ وهذا ما يستدعي ضرورة إجراء الدراسات الأثرية لجلاء الغوامض التاريخية للمنطقة .



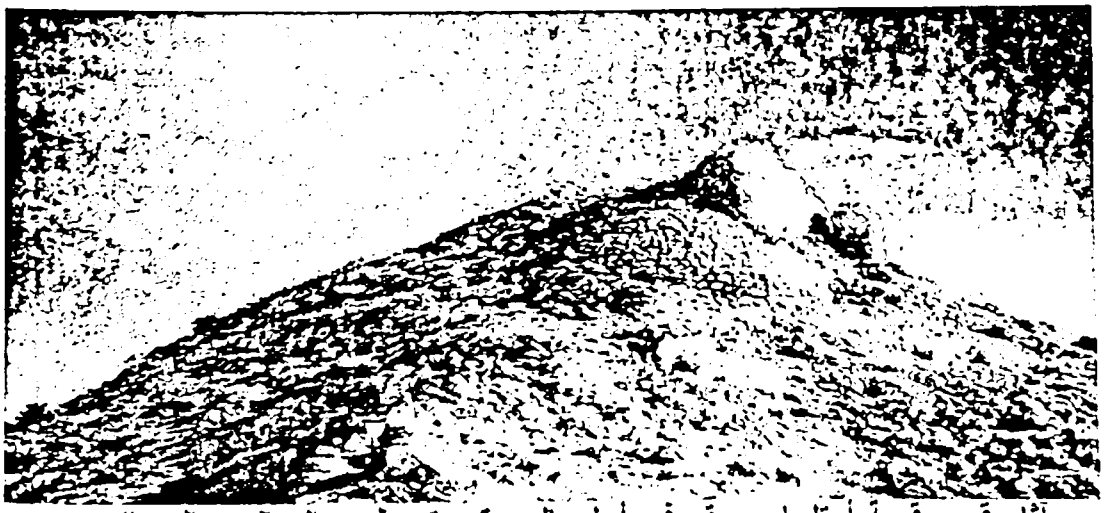
الصورة رقم (27) (مدينة تملوشايت [قرية القصر]) مدينة تملوشايت إحدي مدن الجبل الكبيرة ، وتتكون من عدة قري وهي : قرية القصر ، وقرية ماجر ، وقرية أميطار، وقرية إمحيجل، وقرية آبدليل ، وقرية ثلاث خرب، وقرية توزنزرت وكانت لتملوشايت أهميتها العلمية والثقافية في العصر الوسيط ، حيث أنجبت العديد من العلماء من أشهرهم : أبوهارون موسى التملوشايتي، وأبنه أبو الربيع ، والشيخ عيسي بن زرعة، والشاعر أبو نصرفتح بن نوح التملوشايتي، يظهر في الصورة قصر قرية القصر التي سميت عليه، والملاحظ أن بناء مثل هذه القصور في قري ومدن جبل نفوسة أمر ضروري لإستعماله في أغراض اجتماعية واقتصادية فكان يستعمل لتخزين المحاصيل الزارعية: (القمح والشعير وزيت الزيتون الذي اشتهرت به المنطقة)، وحفظ قوت وتموين الأهالي ، كما استغلت بعض ساحات القصور لتكون أسواق عامة تتم فيها عمليات البيع والشراء . زرتها يوم الجمعة بتاريخ : 14 ــ شوال ــ 1425 هـ / الموافق 26 ــ 11 ــ 2004 .



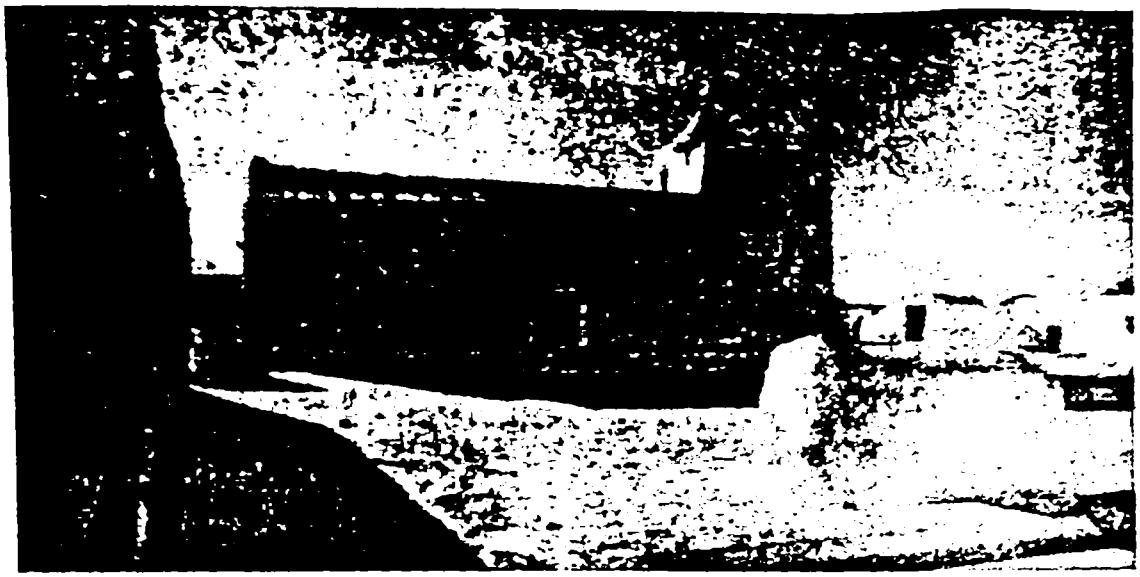
الواجهة الجنوبية لمسجد الشيخ أبو موسى عيسي بن زرعة في قرية ماجر(بمدينة تملوشايت)



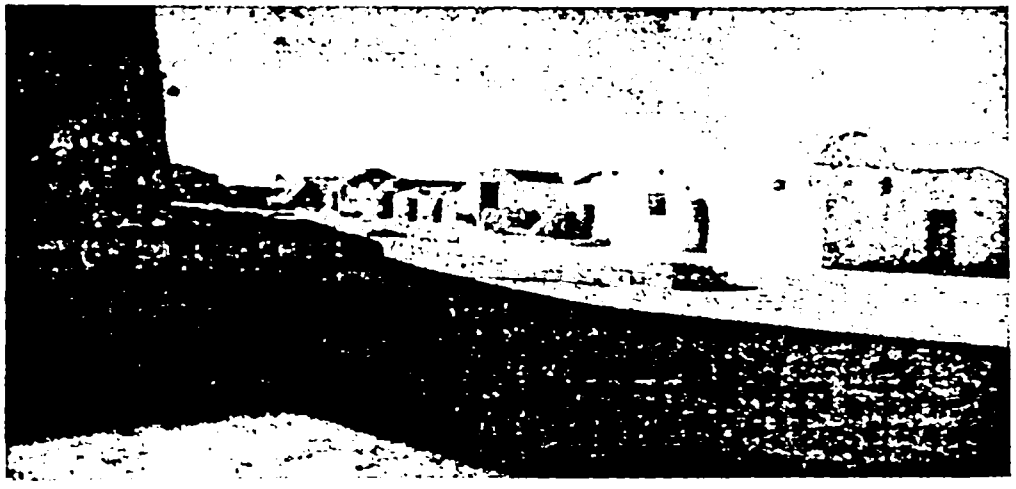
الصورة رقم (28) قرية أوتلجام من قري الجبل القديمة، تقع في أسفل وادي عميق، فوق ربوة عالية وتطل على وادي أوتلجام، وهي محاطة بين مجموعة جبال، كما يحيط بها فرعين صغيرين أحدهما يحدها من الشرق، والآخر من الغرب وهو الأصغر، ومن الشمال يحدها مجري وادي أوتلجام الرئيسي ومن الجنوب فرع وادي أوتلجام، والربوة في أعلاها تنقسم إلي ربوتين (كما يتضح في الصورة)، يوجد على إحداها (الربوة اليمني)، آثار ليقايا قصر القرية، والأخري (اليسري) عليها آثار بناء متساقط ربما تكون القصبة لغرض المراقبة والدفاع . وتحيط بالربوة من جميع الجهات آثار المباني والمساكن، كما توجد آثار مقبرة قديمة جداً إلي الشمال من القرية، كما يوجد مسجد قديم متساقط يقع أسفل الربوة من ناحية الجنوب لم نعثر على اسمه. وتبعد أوتلجام عن قرية تنزغت (إحدي قري الحرابة) حوالي 4 كلم، يفصل بينهما وادي أوتلجام، زرتها يوم الأحد بتاريخ : 16 ــ شوال ــ 1425 هـ / الموافق 28 ــ 11 ــ 2004 .



آثار قصر قرية أوتلجام، ويقع في أعلى الربوة، وتحيط به المباني والمساكن .



الصورة رقم (29) الجامع الكبير في جزيرة جربة بحومة الحصان،(تبعد حوالي 4 كلم متر عن حومة السوق) أسسه الشيخ أبو مسور يسجا بن يوجين اليراسني في أواخر القرن الثالث هـ / التاسع الميلادي، وأوصل به مدرسة، بعد إكمال دراسته وتعليمه في مدارس جبل نفوسة كما قام بنسخ مجموعة كبيرة من الكتب ونقلها معه إلي جربة، وشكل بها النواة الأولي للحركة العلمية بالجزيرة، فقصده طلاب العلم من جميع الأنحاء من بينهم طلاب الجبل، فقام بتدريسهم في هذا المسجد، كما قصده الشيخ إسماعيل الجيطالي في القرن (8 هـ / 14 م)، وأقام فيه مدرساً، وألف فيه العديد من الكتب، وبقي فيه إلي أن وافته المنية، ودفن في مقبرة بجانب المسجد وهذا يوضح أهمية جبل نفوسة في الحركة العلمية والثقافية في بلاد المغرب الإسلامي . زرته يوم الأحد (أول أيام عيد الأضحى) بتاريخ : ـ ذي الحجة ـ 1425 هـ / الموافق 2 ـ 2 ـ 2004 .



الأقسام الداخلية بمسجد ومدرسة الجامع الكبير
حيث كان يقيم الطلاب القادمين من أماكن نائية، وتوجه عدد كبير من طلاب جبل نفوسة للدراسة في هذا الصرح العلمي عبر فترات التاريخ.



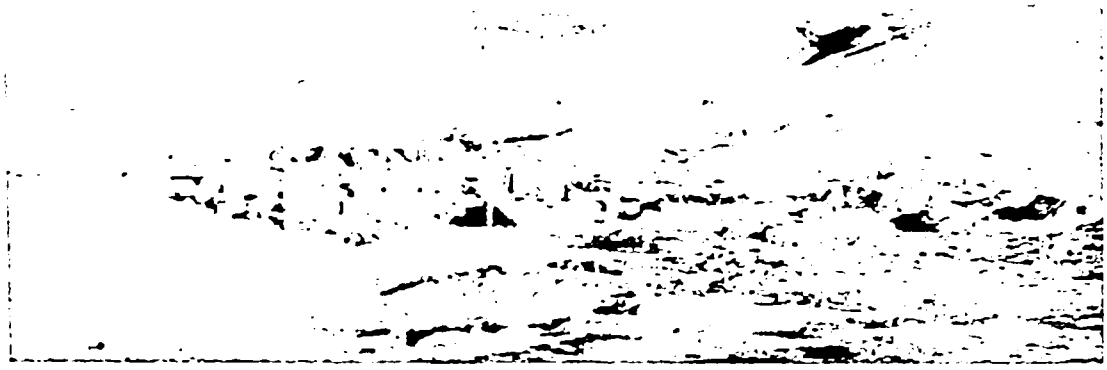
الصورة رقم (30) لقرية بغطورة، وفوق هذه المرتفعات وبين تلك الشعاب كانت قرية بغطورة ومن خلال الآثار الباقية للغيران (الكهوف) وبقايا حجارة المساكن المتناثرة تبدو أنها كانت قرية كبيرة ومتسعة الأرجاء، ويحدها من الشرق قرية تمنكرت (بقيقيلة حالياً) ومن الغرب والشمال تحيط بها غابات الزيتون ومن الجنوب وادي بغطورة (الظاهر في الصورة) الذي يتجه جنوباً ثم يلتف شمالاً ليلتقي مع وادي أبو الرصف الشهير. ومن معالمها التاريخية الباقية مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري، وقصر القرية، زرتها يوم الثلاثاء بتاريخ: 18 ــ شوال ــ 1425هـــ/ الموافق: 30 ــ 11 ــ 2004.



قصر بغطورة ويقع فوق احدي المرتفعات ليشرف على الأماكن البعيدة.



مسجد الشيخ أبو القاسم البغطوري بقرية بغطورة.



الصورة رقم (31) آثار قرية ونزيرف (احدي قرى مدينة الرحيبات حالياً) تقع على جبل ما بين وادي أوجنت شرقاً، ووادي أبو غنداس غرباً، ومن الشمال نهاية وادي قويام الذي ينحدر من وادي أمسين ومن الجنوب تحدها منطقة الظاهر ومرت القرية بمراحل تاريخية منذ نشأتها وتطورها فتنقلت في أكثر من مكان، وكذلك في طريقة البناء وكيفيته شأنها شأن باقي مدن وقر ى الجبل، فمن السكن بالغيران (الكهوف) على ضفاف الوديان إلى البناء على حافة الجبل تاركة آثارها في مختلف الأماكن ، ومن أبرز معالمها التاريخية والأثرية: مسجد الشيخ أبو زكريا يحيى السدراتي ، ومسجد الشيخ أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرفي ومسجد قديم لم أعثر على أسمه كما لم أهتدي إلى بانيه، ويقع في طرف القرية الشرقي بعيداً عن المساكن ويتناقل أهالي ونزيرف روايات شفوية مفادها أن هذا المسجد ألحقت به مدرسة قديمة، كما يوجد بالقرية قصر يقع فوق ربوة عالية . زرت هذه القرية يوم السبت (ثالث أيام عيد الأضحى المبارك) ، بتاريخ: ذي الحجة ــ 1425هـ/ الموافق: 22 ــ 1 ــ 2005.



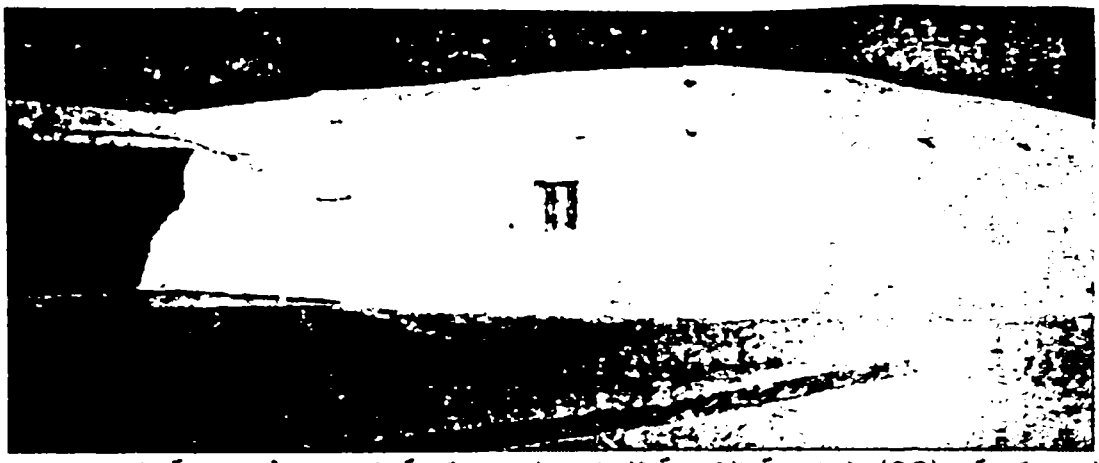
قصر قرية ونزيرف يطل على وادي أوجنت وتقابله في أسفل الوادي عين أجلازن التاريخية وسط واحة صغيرة من النخيل ويفصل القصر عن القرية خندق عميق لحمايته وتحصينه وللقصر مدخلان شرقي وغربي ويظهر في الصورة المدخل الشرقي والبناء الخلفي للقصر . وكان يتكون في أساسه من ثلاثة أدوار ويستعمل لتخزين المحاصيل الزراعية وغيرها من أقوات ومعاش الأهالي . وكان يستعمله الأهالي حتى أواخر الستينات من القرن الماضي.



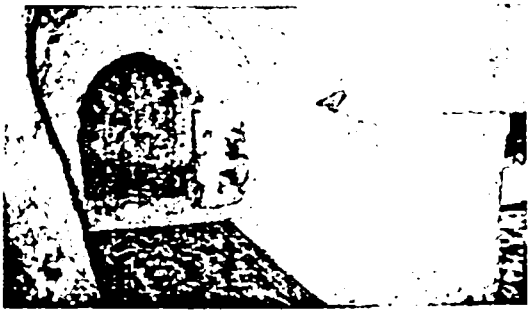
الصورة رقم (32) واجهة ومدخل مسجد الشيخ أبو محمد عبد الله بن الخير الونزيرقي ، أحد وأبرز علماء قرية ونزيرف عاش خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وكان يضرب به المثل حتى قالوا: (من ضيع كتاباً كمن ضيع خمسة عشر عالماً مثل عبد الله بن الخير)، وذلك لبلوغه درجة عالية من العلم والتفقه. والمسجد ما زال بحالة جيدة لإهتمام أهالي القرية به وصيانتهم له، زرته عام 2004.



من داخل مسجد الشيخ أبو محمد عبد الله الونزيرقي، وتظهر أعمدة وأقواس المسجد، وكامور سقف البيت الأول.

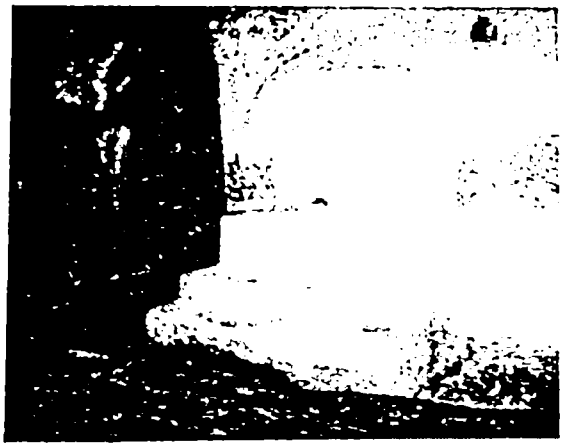


الصورة رقم (33) الواجهة الغربية للجامع الكبير بقرية المعانين في مدينة يفرن وهو الجامع الذي اتخذه الشيخ عامر الشماخي مدرسة لتعليم الطلاب حوالي عام 756هـ/1355م. وتخرج على يديه منها العديد من الطلاب جاؤا من مختلف المناطق، الذين صاروا فيما بعد علماء كبار لهم شأنهم في ميدان العلم والثقافة، وهو مسجد كبير ومتسع طوله 16م، وعرضه 16م تقريبا . وهو مبني بالحجارة والطين والجبس، وتوجد به على أحد أقواسه كتابة تاريخية تشير إلى تاريخ ربما يكون في زمن التأسيس وهو (مائة وتسعة هجرية) هذا إذا صحت قراءته بالشكل الصحيح ، وبذلك يكون هذا المسجد تم بناؤه في تاريخ مبكر ويكون من المساجد القديمة في جبل نفوسة، ولهذا المسجد بابان شرقي وغربي، وبه مجموعة أعمدة وأقواس تدل على الفن الإسلامي في المعمار، ومازال أهالي القرية يتعاهدونه بالصيانة والترميم من فتر ة لأخرى.



مصلي النساء وهو في نهاية المسجد يفصله ستار (مبني من الحجارة) ليفصل الرجال عن النساء ، حيث كانت النساء تحضر الصلاة و الدروس العلمية.

محراب ومنبر الجامع الكبير بالمعانين، والمنبر يتكون من ثلاثة درجات فقط .





الصورة رقم (34) قرية أت غاسروا (القصير) من قرى مدينة يفرن، وهي تقع في طرفها الشرقي، ومازالت آثارها قائمة وبحالة جيدة بالنسبة لباقي قرى المدينة التي يزحف عليها الأسمنت دون الاهتمام بالآثار والمباني التاريخية . وفي هذه القرية عاش الشيخ عامر الشماخي ومازالت سلالة الشمماخة تقيم في هذه القرية، وهي تقع فوق ربوة عالية كما تظهر في الصورة ، وتطل على وادي
بايسي المعروف ببئر(بايسي) كان يشرب منه الأهالي، وأدركت ذلك في السبيعنات من القرن الماضي.

المؤلف أمام منزل الشيخ
عامر الشماخي بقرية القصير



قبر الشيخ عامر الشماخي بقرية القصير توفي رحمه الله عام



792هـ/1349م.

الفـــــهارس

ـ فهرس الآيات القرآنية.
ـ فهرس الأحاديث الشريفة.
ـ فهرس الأبيات الشعرية.
ـ فهرس الكتب.
ـ فهرس القضايا والمصطلحات.
ـ فهرس الأعلام.
ـ فهرس الأماكن والمواضع
ـ فهرس القبائل والجماعات والفرق والدول.

فهرس الآيات القرآنية

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾: ..... / 37.

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين
أوتوا العلم درجات، والله بما تعملون خبير﴾: ..... / 37.

﴿ رب زدني علماً ﴾: ..... / 37.

﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾: ..... / 37.

﴿ ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجـــادلهم بالـــتي هـــي أحسن﴾ : ..... / 262.

﴿ كـــذلك يبـــين الله لكـــم آياته لعـــلكم تهـــتدون
ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف
وينهـــون عـــن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾: / 262.

فهرس الأحاديث الشريفة

﴿إني بعثت معلماً ولم أبعث تاجراً ، فتعلموا العلم لوجه الله وعلموا الناس لوجه الله تكونوا ورثة أنبياء الله ﴾: ..... / 68.

﴿من يرد به الله خيراً يفهمه وإنما العلم بالتعلم ﴾: ..... / 68.

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلمه ﴾: ..... / 68.

﴿ مثل ما بعثني الله به من الهدي والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها اجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة أخري إنما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هُدي الله الذي أرسلت به ﴾: ..... / 68.

﴿نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ثم أدّاها إلى من لم يسمعها، فرب حامل فقه لا فقه له﴾: ..... / 140.

﴿إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين﴾: ..... / 140.

فهرس الأبيات الشعرية

(1)

العلم أبقي لأهـــل العلـــم آثارا ... وليلـــهم بشمـــوس العـــلم قد نارا
يحيي به ذكرهم طول الزمان وقد ... يريـــك أشخاصـــهم روحاً وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع ... إن كان في منـــهج الأبـــرار ما مارا
أو أنها غبرت أشخاصهم ومضوا ... ما مات عبد قضي مـــن ذاك أوطارا
وذو حياة على جـــهل ومنقصة ... ولا يبـــالي أخـــيراً نـــال أم عـــارا
حياته عـــدم فـــي طـــول مدته ... كميت قد ثوى في الرمس أعصـــارا
لله عصبة أهـــل العلـــم أن لهم ... في كل أفـــق مـــن الآفـــاق أنـــوارا
نالوا الأماني به طراً وبان لهـــم ... فضل علـــى النـــاس غياباً وحضّارا

العلم علم كفى بالعلم مكرمة ... ومن يرد غير خـــير العلم ما اختارا
كم جاهل بأمور الدين مختبط ... والجهل جهل كفـــى بالجهل إدبارا
العلم عند اسمه أكرم به شرفاً ... للمرء إذ يكتسي بالعـــلم أطـــمارا
ما للفتى غير نور العلم من رتب ... والجهل عند أسمه أعـــظم به عـــارا

يشرف العلم للإنسان منزلـــة ويجتني مـــن جناه العـــذب أثمـــارا
العلم فخر علا عن كل مرتبة ويرفع العلـــم للإنســـان أقـــدارا
العلم در له فضل ولا أحـــد محص له كل عـــقل دونـــه حـــارا

: .....أفلح بن عبد الوهاب/ قصيدة: (تحريض الطلبة) / 54.

(2)

عَلّم بَنِيكَ صِغَاراً قَبْلَ كِبْرَتِهِمْ
إذْ لَيْسَ يَنفَعُ بَعْدَ الكِبْرَةَ الأدبَ
إنّ الْغُصُونَ إذَا قوّمتَهَا اعْتَدلَتْ
وَلَنْ تلِينَ إذَا قوّمتهَا الْخَـــشبَ .

: ..... / 111.

****

(3)

سما من سما بالجد والعـــزم والصـــبر وســـهر الليـــالي والسرى والتهجري
وغودر بالتسويف في النـــوم أو غدا أخو العجز والكسل البطيء عن الخير
أحب فتى ماضي العـــزائم حـــازماً لـــدنيا وأخـــرى عامـــلاً بالتشمـــر
وأما أخو النومات لا مـــــرحبا به ولا بالجـــثوم الـــراكد المتـــدثـــــر

ثم قال:

يفرق هـــذا الدهـــر بيـــن أحبـــة ... من الأهـــل والأولاد والنشب الدثر
كتفريق بين العبد والكـــفر حفـــظه ... على الصلوات الخمس من أول العمر
فمن ضـــيع المفروض مـــن صلواته ... أو أخّـــر منـــها فهـــو أضيـــع للغير
ومخرم بعضاً مـــن وظائفـــها الـــتي ... تتـــم بها لا عـــذر إلا لـــذي عـــذر
إذا قمت للتوجيه بالقصد فانتصب ... بقلـــب خـــلي فارغ من سوى الذكر

وجاء في آخرها:

لقد أسهبوا شرح الصلاة وأطنبوا ... فما بلغوا معشار عشر ولا عـــشر
ونظمت فـــيها القافـــيات لأنها ... قد أغفلها الشيخ العماني أبـــو بكر
على أن شمس العصر شيخ مبرز ... أتى ببـــديع الصـــنع بالظـــم للنثر
ولم يحد منـــوالاً تقـــدم قبـــلة ... بنظم علوم الفقه والـــدين بالشعـــر
فأعجز أهل العصر كلا وبعده ... كما أعجز الأمي من فـــاه بالسحر
علـــيه ســـلام الله ثم صـــلاته ... ورضوانه يا حـــبدا طـــيب الذكر
فطـــوبى لمن كان النبي شفيعه ... وراح إلى الفردوس مع صالح الزمر

: ..... الشاعر: أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، قصيدة:(الرائية في الصلاة وأحكامها الفقهية) وكانت في 142 بيت. /177، 235.

****

(4)

الحمد لله علـــى مـــــا أراح ... من نعم أو نقم قـــــــد أزاح
أحمـــــده حـــقاً وأشكـــــره ... على الآلاء الظاهرات الوجاح
والصلوات الطـــيبات علـــى ... نبـــيه أحمـــد زيـــن البطـــاح

ثم الرضى عن أهـــل قدوتـــنا أئمـــة الـــدين نجـــوم الفلاح
وبعد حيَّ الله حـــزب الهدى تحية تحـــكي محـــيا الصـــباح
يعبق رياها كنـــشر الشـــذا كالمسك ضوعاً ومتى صين فاح
أهلاً بذكراهم وسهلاً بهـــم ومرحـــباً بالقسمات الوضاح
إن ازدواج العقد مستحسن وواسط العقد جمـــال الوشاح

وقال في آخرها:

حذار من دينك أن يخطفوا خطـــف عقـــنبات لحوم الأضاح
فالدين فلّ بل طريد غريب مقلـــص الأفـــــياء واه قـــراح
لـــــم إلا رسمـــــه واسمـــه وحرمات الله قد تســـتباح
فليبك باك أو ينـــح شجـــناً فما عسى يجديه صاح وناح
وأنشـــــد الله أديبـــاً رآى عيباً أقام العذر لي وأشـــاح
فلست أعني رابـــعاً للخليل ولا لضليل مجـــون المـــلاح
لكن خطابي للـــذي يعـــتني بالعلم والآداب والإفتصاح
هذا كلامي والسلام عـــلى كل أديب ما أضـــاءت براح
أبناء جدئي حيثما قطـــنوا وأينما حلوا بأقصـــى النواح
خصّوا أخاكم بالـــدعاء إذا قرأتوها وأعلمـــــوا بالنصاح

: ..... الشاعر: أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، قصيدة:(الحائية) لغرض تحريض الطلبة بطلب العلم، وهي في مائة بيت./ 178، 236.

****

(5)

سلام على الإخوان في كل موطن بنجـــد وخيف والسهولة والحزن
سأهدي إليكم من كلامي قصيدة أقدمـــها للنفـــس يـــوم التـــغابن
تنبهكم عن بعض ما لم يســـعكم فـــما حكتها بوصف جام ولا دن
أروم بهـــا أحـــياء علم عـــقائد درسن فلم يحـــفل بها كـــل مـــعتن
ألا بدلوا قافاً بعـــين وصادهـــا بقاف وصونها من الصحف واللحن
نظرت إلي قرائـــنا فوجدتـــهم بفقـــه المعاش مولـــــعين بألـــسن
تناسوا أصول الدين من أجـــل أنها صعاب وما فيها ثمار لمـــن يجن .
فأحببت تجديد العهود لنظم ما تـــناثر مـــن تلك العقـــود بأمـــتن
فأول علم يلزم العبد فرضـــه علـــى الفور توحيد الإله المهيـــمن

فأول علـــم يلـــزم العـــبد فرضه علـــى الفور توحـــيد الإله المهـــيمن

فإن أدرك التوحـــيد درّج غـــيره وإلا فـــما أحراه شبـــهاً بـــذي الوثن
فقـــل ونبـــئني لمـــن أنت عامـــل ما كنـــت تدعوا يا أخا الجهل من من
أقـــول بـــأن الله حـــق حقـــيقة وقـــد كـــان لا كيـــنونة مـــن مكون
كما كان قبل الخلق قد كان بعده وقد سبق الأوقـــات كـــوناً بلا كـــون

بكل مكان كان لا كـــون جوهـــر ولا كون تحلال تـــعالى عـــن الكُـــن
وليس ككون الشيء في الشيء والجا ولكـــــــنه بالعلـــم والحفظ والصون
تقـــدّس عـــن حـــد وشبه وصورة وجـــلّ عـــن التـــكييف والحيث والأين

دنا ونئا معـــــنى يـــرانا ولا يُـــرى فمـــاذاتـــــه تحـــــوي بعـــين ولا أذن
فكل الذي أضحى على البال سانحاً فذلـــك غـــير الله فانـــف عـــن الذهن
على العرس والخلق أستوى فإستوآءه بنقـــض وإبـــرام وإتـــقان متـــــــقن

وليس كمعقـــول إستـــواء أميرهم علـــى ســـرر معهـــودة للتمـــــــكن
له المثل الأعلـــى وليـــس كمـــثله مثـــال ولا شـــيء يشابـــه في الكـــون
فهذا إعتقادي فـــي إلهـــي وخالقي ممـــــاتي ومحـــياي بإيـــمـــان موقـــن

: ..... الشاعر: أبو نصر الملوشائي، قصيدة: (النونية في أصول الدين)/ 193، 234.

(6)

فما كل من صلى يقال مصـــلياً فشتان بين الاسم والفعل فانظر
صلاة إمريء ندل بغير طـــهارة كمن لم يصل البت فافهم وطهر
إملاك الصلاة في الطهارة والنقا لبـــاس وأبـــدان وأمكنة طـــهر
وقد شرع الله الوضوء تعـــبداً وســـن رســـول الله باقي التطهر
وأمـــا الأذان والإقامـــة ســـنة مرادهما الإعلام للـــوقت بالحصر
وليس على الغداة من ذاك ملزم وليس عليـــهم الإمامـــة في المصر
وقـــد وســـع الله المواقيت منّة وفضلاً ولم يحصر مداها على الفور

فكل صلاة وقتها حاصـــــل لها وشـــدد في ذا قائلـــوه علـــى إصر
وأفرط ما قد قيل فيها اشتراكها نهاراً وليلاً فطّرح ذا علـــى حـــجر
وأوسطها فالظهر والعصر شركة كذاك صلاة اللـــيل وقـــت لها يسر

وأما صلاة الصبح فالشمس حدها فإن طلعـــت حقت عليه عُرى الكفر
ومن كان صلى قبل وقـــت فإنـــه يعـــيد ولو صلـــى بألـــف على طهر

كذاك الفروض اللازمـــات لوقتها على الأصل لا تجزيك قبـــل التحضر
ومن نام عنها أو تناســـى فوقـــتها إذا قام والنســـيان ينســـخ بالذكـــر

: ..... الشاعر: أبو نصر الملوشائي، قصيدة: (الرائية في الصلاة وأحكامها)/202.

****

(7)

دعاكـــم الله لـــدار الســـلام قولـــوا ألا لبيـــك داع الفـــلاح
فالله ثم الـــله فـــي عزمـــكم ما دامت الأرسان طلـــقاً فـــساح
جدّوا فـــإن الأمـــر جدّ بكم والجـــد معـــوان الفهـــوم لـــقاح
لا يستوي من جد عزماً كمن قيـــده العـــجز عـــن الإكـــتداح
العلم زين والتـــــقى شرف والورع والصـــدق تمـــام الصـــلاح
وأمّ دفـــــر كلّـــها ظـــلم والعلـــم فيـــــها كتـــباً شير الصباح
من ضيـــع التعلـــيم في وقته فأخر الصاد يُـــــرى كـــل صـــــاح
من أدمـــن الـــدرس ونادمه بشـــــراه بالعـــلم علـــى الإمتيـــاح
من لم يعود نفـــسه دائـــماً قـــراءة الكـــتب كلـــيْل الســـواح

من حالـــف النـــوم ولازمه فآية الكهـــــف لـــه فـــــي إتضـــــاح
من فارق الإبريق في نســـكه جاحـــت علـــيه الصـــلوات وجـــــاح
والعـــمل المـــقبول لـــله لا لعـــــلة أوجـــرّ نفـــــع رقـــــــاح

لا ينفع العـــلم بـــلا عـــمل ولا أجـــمّ القـــرن عند النـــطاح
وشجر الدفـــلا ذمـــيم الجنا شبْهاً لذي العلـــم العقيـــم المصـــاح
من صاحب الدنيا بغير التـــقا فهـــم غثـــآء وجُـــفَاء كُـــساح.

: ..... الشاعر: أبو نصر فتح بن نوح الملوشائي، قصيدة:(الحائية) لغرض تحريض الطلبة بطلب العلم، وهي في مائة بيت./203.

فهرس الكتب

(أ)

الأحكام: ..... 232.
الأشعار الستة: ..... 112.
أجوبة، وألغاز: ..... 127.
أبو مسألة: ..... 127.
الاستكشاف عن حقائق أسرار معاني: ..... 132.
الإنصاف والعدل: ..... 132.
الإخوان: ..... 156.
أصول الدينونة الصافية: ..... 6، 197، 227.
الإيضاح: ..... 114، 180، 182، 237.
أجوبة الشيخ أبي الربيع سليمان بن أبي هارون : ..... 231.
أجوبة أبي زكرياء يحيي الجناوني : ..... 231.
أجوبة داود بن هارون: ..... 231.
الألواح: ..... 6، 232.

أخبار علماء نفوسة ومناقبهم: ..... 238.

(ب)

البانية في الأخلاق: ..... 199، 204، 237.
البحث الصادق: ..... 132، 183.
بدء الإسلام وشرائع الدين: ..... 7، 118، 226، 208.

(ت)

تذكرة النسيان وأمان حوادث الزمان: ..... 238.
التوحيد: ..... 71، 232.
التحف المخزونة: ..... 174.
تقييد كتب اصحابنا: ..... 97، 132، 176، 183.
التقييدات: ..... 209، 233.
تبيين أفعال العباد: ..... 232.
تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم: ..... 233.

(ج)

الجنائز: .....
جواب لبعض أهل الخلاف: ..... 97، 132، 183.
الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتاب الطبقات: ..... 6، 97، 132، 183.
جمل الزجاج: ..... 112، 184.

(ح)

الحيض. : ..... 232.
الحائية المسماة : (تحريض الطلبة) : ..... 178، 203، 236، 349، 352.
الحساب وقسم الفرائض: ..... 211، 238.

(خ)

الخليل الصالح: ..... 152.

(د)

الديات: ..... 232.
ديوان الأشياخ: ..... 172، 229.
ديوان العزابة : ..... 112، 123، 229، 230، 232.
ديوان أبي الربيع. : ..... 119.
الدعايم: ..... 112، 188.

(ر)

الرهن : ..... 232.
الرائية في الصلاة : ..... 176، 235، 236، 348، 351.
الرد على الناكثة: ..... 228.
روايات أهل الجبل: ..... 238.
رسالة المسترشد وكفاية المستنشد: ..... 204، 237.

رسالة متن الديانات: ..... 182، 187، 237.
رسالة الحقائق: ..... 132.
رسالة في كيفية إنفاق أوقاف المساجد: ..... 132.

(س)

السؤالات: ..... 233.
السيرة في الدماء والجراحات: ..... 232.
سير نفوسة: ..... 209، 233.
سير الأئمة وأخبارهم: ..... 118، 175.
سير أبوالربيع: ..... 119.

(ش)

شرح النونية لأبي نصر بن نوح التملوشايتي: ..... 238.
شرح الدعايم: ..... 188.
شرح الطهارات: ..... 132.

(ص)

الصوم : ..... 232.

(ط)

الطهارات: ..... 233.
طبقات المشائخ بالمغرب: ..... 7، 50، 127، 132.

(ع)

عقيدة الجيطالي: 238
عقيدة نفوسة: 231
العمروسي: ..... 197، 227.
العدل في أصول الفقه: ..... 114.

(ف)

فتاوي وأجوبة: ..... 132.
الفرائض والحساب. : ..... 127.

(ق)

القسمة وأصول الأرضين: ..... 232.

قصيدة الأزمنة . : ..... 183، 237.
قواعد الإسلام: ..... 237.
قناطر الخيرات: ..... 114، 173، 180، 238.

(ك)

كتاب ماطوس: ..... 156.

(ل)

لقط أبي عزيز: ..... 238.
لقط أبي عمران موسى بن عامر: ..... 238.

(م)

المناسك: 238
المسائل : ..... 199، 231
مدونة أبو غانم الخراساني: ..... 146.
مختصر ابن محبوب: ..... 114.
مقامات الحريري: ..... 112، 184.
مقامات: ..... 180، 237
مناسك الحج: ..... 238.

(ن)

النونية في أصول الدين : ..... 193، 201، 234، 235، 250.
النونية في خلق القرآن: ..... 199، 204، 236.
النكاح: ..... 220، 232
النكاح ومسائل الخالات: ..... 230.

(و)

الوصايا: ..... 230.
الوضع: ..... 112، 175، 176، 231، 232.

فهرس القضايا والمصطلحات

(أ)

الأمازيغية: ..... 201، 205.

(ب)

البعثة العلمية: : ..... 69، 117.

(ت)

التعلم في البيوت: : ..... 66، 102.
التعليم المتنقل: : ..... 66، 102، 106.

(ح)

الحركة النفاثية: : ..... 47، 50، 196.
الحركة الخلفية: : ..... 47، 51، 196، 216، 301.
الحضارة الإسلامية: : ..... 1، 73، 141، 270.
الحلقات المتجولة: : ..... 104.
حملة العلم الخمسة: : ..... 43، 141، 194، 196.

(خ)

خزانة نفوسة: : ..... 12، 100، 123، 334.

(ع)

العائلة التيميجارية: : ..... 125، 126.
العصر الحديث: : ..... 56.
علم العجائز: : ..... 150.
العلوم العقلية: ..... 205، 208.
العلوم النقلية: : ..... 140.

(ق)

قصر ولم: : ..... 12، 100، 334.

(م)

المجالس العلمية: : ..... 66، 70، 74، 81، 106
107، 108، 109، 169
198

المذهب الإباضي: : ..... 42، 43، 159.

معركة مانو: : ..... 55، 109، 121، 136
146، 147، 148، 149
158، 192، 216، 301.

(ن)

نظام العزابة: : ..... 121، 132، 150.

فهرس الأعلام

(أ)

أبا الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري:..... 51،44،43.

أبا زكرياء يحيى بن أبي يحيى: ..... 106.

أبا الحسن أيوب بن العباس: ..... 53، 213.

أبا موسى عيسي ابن زرعة التملوشايتي: ..... 102.

ابن الأشعث: ..... 45.

أبو جعفر المنصور: ..... 44.

أبي الأحوص عمر بن الأحوص العجلي: ..... 44.

أبو اليقظان بن أفلح: ..... 52.

أبي مسألة: ..... 52.

أبو موسى عيسى الطرميسي: ..... 11، 94، 293.

أبي زكريا يحيى بن سفيان اللالوتي: ..... 10، 70، 92، 103، 135

161، 164، 170، 171
218، 303.

أبي زكريا يحيى بن جرناز اللالوتي: ..... 10، 172، 229، 230.

أبي يحيى الفرسطائي: ..... 10، 71، 83، 263، 264، 292،
323.

أبو زيد المزغورتي: ..... 11، 95، 332.
أبي عثمان المزاتي: ..... 12، 200.
أبو محمد الكباوي: ..... 13، 160، 161، 297.

أبو هارون الجلالمي: ..... 13، 83، 90، 91، 113، 135، 149
156، 160، 161، 162، 190، 191
192، 193، 266.

أبي عثمان سعد بن يونس: ..... 14، 62، 77، 89، 113، 291، 316.
أم ماطوس: ..... 14، 92، 164، 168، 169، 329.

أبي نصر بن نوح التملوشايتي: ..... 14، 93، 176، 180، 192، 193، 199
201، 234، 238، 348، 349، 352.

أبي خليل صال الدركلي: ..... 15، 75، 79، 84، 88، 133، 135، 142
143، 154، 190، 208، 291، 314.

أبي المنيب محمد بن يانيس: ..... 15، 87، 135، 189، 190، 196، 197

293، 326.
أبي عبد الله محمد بن الخير الونزيرفي: ..... 15، 144، 149، 150، 155
216، 297، 301، 339، 340.

أبي يحيى السدراتي: ..... 15، 108، 130، 201، 297، 339.
أبي الحسن الإبديلاني: ..... 15، 94.
أبي حازم المرساوني: ..... 15، 97، 182، 183، 187، 298.
أبو علي بن يخلف التيميجاري: ..... 15، 124، 125، 175، 265، 295.

إسماعيل الجيطالي: ..... 15، 95، 114، 127، 131، 180، 181
184، 185، 186، 193، 211، 235
236، 236، 237، 238، 297، 330
332، 337.

أبي ساكن عامر الشماخي: ..... 15، 61، 95، 96، 97، 114، 132
135، 181، 182، 186، 187، 231
237، 293، 330، 332، 333
341، 342.

أبي العباس عبد الله الأغلبي: ..... 50.

إلياس بن منصور النفوسي: ..... 14، 53، 145، 216، 217، 221
292، 301، 319، 320.

أفلح بن عبد الوهاب: ..... 54، 214، 255، 300، 301.
أم الربيع الوريورية: ..... 105، 157.

أبو حسان خيران بن ملال الفرسطائي: ..... 105.
إسماعيل بن عبيد الله الأعور القرشي: ..... 69.

إسماعيل بن عبيد: ..... 69.
أبو عبد الرحمن الحبلي: ..... 69.
أبي الربيع سليمان بن أبي هارون الملوشائي: ..... 81، 135، 174، 175، 231.
أبي يحيي زكرياء الباروني: .....
أبو عبد الله محمد بن سليمان الأبديلاني النفوسي: ..... 94، 127.
أبي محمد عبيدة بن أفلح: ..... 102.

أبوعلي النفوسي: ..... 103، 297.
أبي يحيي بن غانية الميورقي: ..... 58، 136، 192.
أبو النجاة يونس التملوشايتي: ..... 103.
أبو عبيدة جلدين البغطوري: ..... 103، 170.
آمة الواحد: ..... 107.

أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني: ..... 78، 108، 154، 337.
أبو ميمون بن أحمد الجيطالي: ..... 109، 152، 208، 297.
أبو الشعثاء السنتوتي: ..... 109.
أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن يخلف الدرجيني التيميجاري أبي سهل يحى
بن إبراهيم بن سليمان: ..... 126.

أبو الربيـــع سليمان بن يخلـــف المزاتي: ..... 122، 174.
أبو بكر بن يحيى: ..... 122.
أبو يعقوب يوسف بن نفاث التيميجاري النفوسي: ..... 122.

إبراهيم بن مطكوداسن أبي إبراهيم بن يخلف بن مالك الدجمي الغرماني: ..... 123.

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الوارجلاني: ..... 123، 232.
أبو العباس أحمد بن محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي: ..... 123، 232.
أبي محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي: ..... 123، 131.
إسحاق بن أبي العباس: ..... 124.
أبو عبد الله بن محمد النفوسي: ..... 124.
أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: ..... 124، 125.

أبي سليمان أيوب بن إسماعيل اليزماتي المزاتي: ..... 114، 124، 125.
أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني: ..... 114.
أبي عمار عبد الكافي: ..... 125.
أبو جعفر مسعود الزناتي: ..... 126.

أبي الخير الزواغي: ..... 129.
أبي القاسم يزيد بن مخلد: ..... 131.
أبو القاسم البرادي الدمري: ..... 97، 132، 183، 231.

أبو ذر أبان بن وسيم الويغوي: ..... 75، 143، 148، 149، 150، 216، 301.

أبو حفص عمروس بن فتح المساكني: ..... 6، 55، 81، 133، 144 146، 197، 227، 292 321.

أبو غانم بشر الخراساني: ..... 146.
أخت عمروس بن فتح المساكني: ..... 144، 146، 147.
أبو ذر صدوق الفرسطائي: ..... 147.

أبي مرداس مهاصر: ..... 147.
أبو يونس أبدين الفرسطائي: ..... 88، 147.

أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري: ..... 88، 109، 144، 148
296، 338.

أبو زكرياء يحيي بن الخير بن أبي الخير الجناوني: ..... 81، 112، 114، 159
171، 173، 174، 176
198، 231، 232.

أبو غلبون الكزيني: ..... 151.
أبو يحيى الأزدالي: ..... 150.
أم الخطاب الأغرميمانية: .... 150.
أم يحيي تكسليت: ..... 88، 93، 144، 151، 152.

أم زعرور الجيطالية: ..... 152.
أبو محمد التغرميني: ..... 72، 153، 219.
ابن معبد الجناوني: ..... 113، 153.

أبو عبيدة عبد الحميد الجناوني: ..... 52، 53، 153، 154، 214
224، 291، 300، 310، 315.

أبو الربيع سليمان بن هارون اللالوتي: ..... 135، 156، 192.
أم سحنون اللالوتية: ..... 157.
أبو الربيع سليمان بن ماطوس الشروسي: .....120، 158.
أبو صالح بكر بن قاسم: ..... 160.
أبو موسى اليراسني: ..... 160.
أبو محمد ونتين الوريوري: ..... 160، 161.

أبو محمد زيد بن أفصيت الدرفي: ..... 161، 218، 302.

أبو يحيي زكرياء بن يونس الفرسطائي: ..... 10، 71، 83، 90، 135، 159
160، 162، 163، 192، 198
263، 264، 292، 323.

أبي يحيي سليمان بن ماطوس: ..... 162، 170، 217، 229.

أبو محمد خصيب بن إبراهيم التمصمصي: ..... 14، 92، 156، 163
168، 169، 170، 293،
329.

أبو نصر زار بن يونس التيفستي: ..... 160، 161، 165، 166، 168.

أبو يوسف وجدليش بن في : ..... 135، 166، 168، 207، 223
224.

أبو الربيع سليمان بن موسى الشماخي: ..... 166، 187.
أبو سهل البشر ابن محمد التندميرتي: ..... 166، 171.

أبو يوسف مجدول التزغتي: ..... 113، 161، 162، 167.

أبو هارون موسى بن هارون الملوشائي: ..... 81، 164، 169، 171
219، 294، 322.

أبو عبد الله محمد بن جلداسن اللالوتي: ..... 10، 102، 103، 169
170، 218، 302.

أبو محمد عبيدة بن أفلح اليجلاني: ..... 170.
أبو محمد عبد الله بن مطكود: ..... 81، 171.
أبو زكرياء يحيي الجادوي: ..... 112، 175، 231.

أبو يحيي زكرياء بن إبراهيم بن زكرياء بن أبي هارون الباروني: ..... 176.
أبو يعقوب يوسف بن مصباح: ..... 183.
أبو زكرياء يحيي بن زكرياء: .....
أيوب الجيطالي: ..... 183، 186.

أبو عبد الله محمد التفجاني: ..... 183.
أبو ضياء يسفاو الطرميسي: ..... 183.
ابن محمد ابن الشيخ: ..... 183.
أبو عمران موسى بن يوسف: ..... 183.

ابن مكي: ..... 185.

أبو عزيز إبراهيم ابن أبي يحيي الباروني: ..... 186.
أبو عبد الله محمد الباروني: ..... 186.
أبو عمران موسى بن عامر بن علي الشماخي: ..... 186، 238.
نوح المرساوني: ..... 182، 187، 298.
أبو زكرياء يحيي بن أبي العز الشماخي: ..... 188.
أبو يحيي زكرياء بن عيسى الأبدلاني: ..... 188، 238.
أبو حسان عامر السدراتي: ..... 192.
أبو نصر التمصمصي: ..... 51، 195، 196.

أبو الخير توزين الجناوني: ..... 207.
أبو يوسف يعقوب بن سيلوس الطرفي السدراتي: ..... 207.
أبو صالح ياسين الدركلي: ..... 208.
أبو عثمان سعيد بن سليمان الفساطوي: ..... 208.

أبو محمد عبد الله ابن محمد بن عبد الله بن مطكود: ..... 208.
أبو يحيي توفيق بن يحيي الجناوني: : ..... 209، 210، 233.
إبراهيم بن أبي يحيي أبي عزيز: ..... 209.
أبو موسى عيسى ابن سليمان بن أبي يعقوب الشماخي: ..... 210.

أبويحيى زكريا الأرجاني: ..... 58، 217، 222، 302.
أبي عبد الله بن أبي عمر: ..... 213، 217، 302.
أبي زكريا يحيى الأرجاني: : ..... 217، 295، 302.
أبو يحيى سليمان بن ماطوس: : ..... 217، 302.

أبا سليمان التندميريّ: : ..... 218، 303.
أبو عمرو ميمون الشروسي: ..... 218، 303.
أبو الفضل سهل: ..... 218، 303.
أبو محمد عبيدة بن زارود التغرميني: ..... 219، 303.
أبو إسحاق الإشاري: ..... 219، 303.
أبو زكريا يحيى بن إبراهيم: ..... 220، 304.
إبراهيم بن أبي يحيى زكريا الباروني: ..... 220، 304.
أبو الليث الجناوني: ..... 222.

أبو بكر بن إبراهيم: ..... 246.
أحمد بن الحسين: ..... 228.
أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديويّ النفوسي: ..... 119، 120.
ابن الجمع: ..... 119.

أبو القاسم يزيد بن مخلد: ..... 119.
أبو خزر يغلي بن زلتاف: ..... 119.
أبو عمرو عيسى بن سجميمان النفوسي: ..... 119.
أبو الربيع الوسياني: ..... 119، 120، 134.

أبو عبد الله محمد بن بكر بن أبي بكر الفرسطائي: ..... 120، 122.
أبي زكريا فصيل بن أبي مسور: ..... 121، 122.
أبي نوح سعيد بن زنغيل: ..... 121، 122.
أبي عمران موسى بن زكريا: ..... 121.

أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الطويجن: ..... 252.
أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة: ..... 43، 116، 142، 146، 192.
أبو يوسف وجدليش الأمللي: : ..... 176، 181، 199.

(ب)

برو مند انه: ..... 265.
بسر بن أبي أرطاة: ..... 39.
بكر بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي: ..... 120.
بكر بن سوادة الجذامي: ..... 69.
بلال بن الحارث المزني: ..... 68.
بهلولة النفوسية: ..... 144، 150.

(ت)

تبركانت السدراتية: ..... 157.
توزين بن أبي محمد عبيدة بن زارود التغرميني: ..... 104.

(ث)

ثابت بن محمد الأخير: ..... 185.
ثابت بن محمد بن ثابت: ..... 185.

(ج)

جندول التمنكرتي: ..... 151.

(ح)

الحاج محمد: ..... 126.
حبان بن أبي جبلة: ..... 69.
حمزة بن عمرو الأسلمي: ..... 68.

(خ)

خلف بن السمح المعافري: ..... 22، 27، 31، 51
118، 213، 214.

(د)

داود بن هارون: ..... 175، 176، 198، 208
209، 231.

(ز)

زكريا أبن أبي زكريا بن فصيل: ..... 122.
زورغ الأرجانية: : ..... 88، 134، 144، 151.
زيديت بنت عبد الله الملوشائية: ..... 201.

(س)

سليمان بن علي بن يخلف التيميجاري: ..... 125.
سلمة بن الأكوع: ..... 68.
سعيد بن مسعود التجيبي: ..... 69.
سعد بن يفاو: ..... 123.
سدرات بن إبراهيم المساكني النفوسي: : ..... 144، 147.
سنـــدياتا كيتا: 248
سلمة بن سعيد: ..... 43.

(ش)

شكرت الزغوارية: ..... 152.
شيبة الدجي: ..... 12، 55، 296.

(ص)

صلاح الدين الأيوبي: ..... 58.
صالح المزغوري: ..... 208.
صالح بن أفلح: ..... 124.

(ط)

طلق بن حابان: ..... 69.

(ع)

عاصم السدراتي: ..... 117، 190، 196
عمر بن يمكتن : : ..... 12، 85، 86، 87
112، 325.

عيسى بن زرعة: ..... 14، 102، 293، 335.
عبد الله بن الزبير: ..... 38، 69.

عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق: ..... 69.
عبد الرحمن بن رافع التنوخي: ..... 69.
عبد الله بن عمر ابن الخطاب: ..... 69.

عبد الله بن عمرو بن العاص: ..... 69.
عمر بن عبد العزيز: ..... 69.

عبيد الله علي بن سلمان الداعي: ..... 57.
عبد الله بن العباس: ..... 69.
علي بن يخلف بن يخلف التيميجاري: ..... 125.
عبد الخالق الفزاني: ..... 197، 228.
عبد الله الكومي الموحدي الغدامسي: ..... 252.

عمرو أبن العاص: ..... 37، 38، 39، 40
41، 42، 68، 270.
عمر بن الخطاب: ..... 37، 40، 270.
العباس بن أيوب: ..... 52، 53، 215، 301.
عبد الله رحيم: ..... 44.
عمر بن عبد الله المرادي: ..... 43.
عبيد الله بن الحبحاب: ..... 43.
عبد الرحمن بن حبيب: ..... 45.

عبد الوهاب بن رستم: ..... 27، 45، 48، 49، 50
51، 53، 77، 117، 154
195، 213، 214، 215، 221، 300

عبد الملك بن الجـــعد: ..... 44.
عبد الرحمن بن رستم: ..... 44، 45، 46، 48، 117.
العوام بن عبد العزيز البجلي: ..... 44.

(غ)

غومة المحمودي: ..... 15.
غزالة السودانية: : ..... 150، 155، 156.

(ف)

فرج بن نصر المعروف بنفاث: ..... 50، 51، 62، 107، 108
195، 196، 205، 208
226، 227.

(ق)

قراقوش الأرمني: ..... 58.

(ك)

كعب ابن عمرو: ..... 68.
كباوون: ..... 34.

(ل)

لواب بن سلام الأغرميماني التوزري: ..... 118، 226.

(م)

محمد ابن ثابت: ..... 185.
محمد بن فرج الوزاني أو الوازني: ..... 79.
موهب بن حي المعافري: ..... 69.

محمد بن زكريا البغطوري: ..... 172.
محمد بن يخرز: ..... 172.
مصالة بن يحيى: ..... 122.

مهدي الويغوي: ..... 51، 107، 194، 195
196، 205، 226، 227.
مترو بنت أبي عثمان الدجي المزاتي: ..... 200، 201.
مصلوكن المرساوني: ..... 151.

المسلماني ماري جاطة: ..... 251، 265، 266.
محمد بن صالح المسناني النفوسي: ..... 230.
منسا موسى: ..... 250، 251.
محمد ابن عرفة: ..... 255.
مدمان الهرطلي: : ..... 215.

مقر بن محمد البغطوري: ..... 5، 209، 210، 233.
محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني: ..... 86، 116، 117، 141.

(هـ)

هارون بن سليمان بن أبي هارون موسى ابن هارون الباروني: : ..... 219، 304.

(و)

ويدران بن جواد أبو معروف: : ..... 12، 78، 88، 130، 143
144، 154، 318.

وارسفلاس أبو محمد بن مهدي: : ..... 100، 129، 159، 163
164، 165، 171.

(ي)

يحيى بن يونس السدراتي أبو زكريا الونزيرفي: ..... 108، 201.
يونس أبن أبي زكريا بن فصيل: .....
يعقوب بن يعدل: ..... 122.

يخلف بن يخلف التيميجاري النفوسي: ..... 124، 126.
يوسف بن يعقوب بن تميال: ..... 129.

يعيش بن موسى الزواغي: ..... 97، 132، 183.
يصليتن أبو محمد الكباوي: : ..... 160.

يخلفتن بن أيوب: ..... 230.

فهرس الأماكن والمواضع

(أ)

امبراطورية غانا الوثنية: ..... 4، 247، 248، 249.

أرض السودان: ..... 240، 244.

أرض البربر: ..... 240، 244.

أغرميمان: ..... 118، 150، 226.

أوكار: ..... 244.

أودغست: ..... 244.

أريغ: ..... 120، 122، 123، 124.

أموساكن: ..... 32، 81، 93، 94، 144
292، 321.

أدرف: ..... 161، 206.

إفريقية: ..... 39، 40، 50، 68، 69، 90
131، 158، 173، 216.

أجلمم: ..... 74.

أبي خروبة: ..... 77.
أوتلجام: ..... 104، 167، 294، 336.
أنطابلس: ..... 37.
الإسكندرية: ..... 37، 253.
أمسين: ..... 93، 152.

أيجناون: ..... 11، 27، 53، 65، 76
153، 209، 222، 224
291، 296، 310، 315

أوشباري: ..... 11، 27، 53، 175، 310.
إشارن: ..... 27، 219، 303.
إينر: ..... 26، 223.
آت بارون: ..... 13، 25، 71، 198، 297.

تصرار: ..... 13، 25، 71.
إيزبولن: ..... 13، 25، 71.
أبو راوي: ..... 13، 25، 71.
أميتار: ..... 14، 25.

إمحيجل: ..... 14، 25، 102، 335.
أبدليل: ..... 14، 25، 102، 335.
إبديلان: ..... 15، 26، 36، 94
127، 188، 294.

إمرساون: ..... 15، 26، 93، 124، 175
182، 187، 298.

أت غاسروا: ..... 15، 28، 342.

إيباناين: ..... 24، 81، 219، 292
304، 322.

الأندلس: ..... 42، 247.

إدوناط: ..... 26.

أشفي: ..... 27، 28.

إيفاطمان: ..... 12، 26، 325.

آسيا: ..... 22.

أرجان: ..... 11، 151، 295.

أوربا: ..... 22.

إميناج: ..... 22.

(ب)

بلاد المغرب الكبير: : ..... 1، 2، 10، 37، 58
67، 257.

بلاد الزاب: : ..... 2.

بلاد الجريد التونسي: ..... 2، 52، 121، 124، 125

126، 127، 181، 192
253، 259، 271.

بلاد السودان الغربي: : ..... 2، 3، 4، 5، 8، 9، 10، 16، 31
50، 64، 65، 162، 163، 192، 218
241، 242، 243، 245، 247، 248
252، 253، 254، 255، 256، 261
262، 265، 268، 303.

بغطورة: ..... 26، 88، 103، 148
209، 296، 338.

بقالة: ..... 14، 26، 35، 74، 142.
برقة: ..... 21، 37، 38، 64.
البصرة: ..... 43، 116، 117، 142.

بابل: ..... 28، 52.
بادية بني مصعب: ..... 121.
بحيرة تشاد. : ..... 241.
البحر الأحمر : ..... 241.

البحر المتوسط: ..... 18، 20، 23، 44، 64
142، 159، 253، 257.

البخابخة: ..... 15، 16، 21، 28، 96 ، 333.
بنو قلدين: ..... 259.

بئر أودرف: ..... 259.

(ت)

التكرور: ..... 218، 241، 247، 249
250، 254، 246.

تامرما: ..... 259.
تيري: ..... 259.
تارغين: ..... 259.
تاغمة: ..... 15، 21، 28، 183.

تازمرايت: ..... 15، 21، 28.
تاقربوست: ..... 15، 21، 28.

تمصمص: ..... 14، 25، 92، 107، 163
164، 196، 293، 328، 329.

تترغت: ..... 14، 26، 104، 167، 298.

تندميرة: ..... 14، 25، 62، 65، 80، 102
218، 292، 319، 320، 326.

تلات أونميران: ..... 14، 25، 102، 335.
تندباس: ..... 11، 27، 53، 95، 296، 310.

تيركت: ..... 27، 28، 58، 302.
تاردية: ..... 27، 28.
تاهرت: ..... 46، 47، 48، 49، 51، 52، 64
77، 101، 119، 194،
195، 197، 221، 267.

تورغا: ..... 45.
توغرت: ..... 71.
تمايلت: ..... 83، 103.
توزر: ..... 118، 119، 124، 125.

تابديوت: ..... 119.
تين يسلي: ..... 121.
تفاجالت: ..... 121.
تقيوس: ..... 125.

(تين ضج) : ..... 196.
تادمكة: ..... 192، 253، 255، 254، 258.
تيمتي: ..... 222.
تين ماطوس: ..... 123.

تيمصليت: ..... 151.
تكدا : ..... 242.
تاكبال: ..... 28، 52.
تيغيت: ..... 24، 28.

تغرمين: ..... 20، 21، 123، 219.
تيميجار: ..... 15، 26، 96، 124، 127
175، 265، 295.

تمنكرت: ..... 14، 26، 148، 151، 206، 338
توزنزرت: ..... 14، 25، 102، 335.
تلات خرب: ..... 14، 25، 102، 335.

توكيت: ..... 11، 35، 36، 93، 297.
تموجط: ..... 11، 27، 53، 310.

تمزدا: ..... 11، 36، 134، 223، 295.
تملوشايت: ..... 14، 25، 80، 102، 171، 176
180، 189، 219، 293، 294، 304، 335.

(ج)

جبل نفوسة: ..... 1، 2، 3، 4، 18، 19، 21،20، 22، 23، 24
27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 35، 37، 39
40، 42، 44، 45، 46، 49، 50، 51، 53، 56
57، 58، 59، 60، 72، 74، 77، 80، 86، 90
96، 98، 103، 106، 109، 116، 119، 120
122، 125، 129، 138، 152، 221، 223، 225

230، 237، 241، 243، 244، 248، 253، 255
258، 266، 268، 300، 305، 308.

جزيرة جربة: ..... 2، 6، 64، 101، 108، 120، 121، 130
131، 132، 154، 159، 172، 183، 185
186، 200، 229، 230، 233، 243، 271، 337.

جبل درن: ..... 2، 18، 298.

جبل أطلس: ..... 2، 18، 298.

جبال الأوراس: ..... 2، 18، 117، 298.

جبل دمر: ..... 2، 18، 97، 132، 183، 268.

جبال طرابلس: ..... 2، 20، 59، 268.

جاربا : 249

جندوبة: ..... 118.

جبل إيباناين: ..... 25، 322.

الجـــفارة: ..... 19، 29، 30، 31، 50، 59، 60، 71
81، 93، 160، 313، 317، 322.

جيطال: ..... 15، 26، 127، 152، 184
186، 297.

الجزيرة: ..... 15، 26، 36، 58، 75، 87
131، 293، 294.

جريجن: ..... 14، 26، 296.

جارإصرا: ..... 14، 168، 329.
جليمت: ..... 13، 25، 81، 191.

جماري: ..... 11، 27، 53، 95، 215، 297، 310.

جادو: ..... 11، 19، 22، 26، 27، 32، 65، 82
166، 171، 175، 218، 222، 223، 259
291، 292، 295، 297، 300، 302، 310، 331، 332.

جنوب أوربا: ..... 253، 257.

(ح)

الحوض الأوسط: ..... 241.
الحبشة : ..... 240.
حومة الحشان: ..... 130، 131، 186، 337.
الحامة: ..... 120، 124.
الحرابة: ..... 11، 14، 41، 74، 85، 142
291، 312، 313، 326، 336.

(خ)

خراسان: ..... 245.

الخمس: ..... 18، 20، 268.

(د)

درجين: ..... 125، 126، 127.
دار فور: ..... 241.
درج: ..... 65.

دركل: ..... 15، 26، 75، 84، 87، 107، 142، 143
.... 189، 291، 311، 313، 314، 326.

دجي: ..... 11، 12، 26، 60، 104، 200، 296.

(ر)

رقرق: ..... 27.
الرحيبات: ..... 15، 26، 32، 85، 93، 97، 127
151، 152، 223، 265، 321، 339.
الرجبان: ..... 27، 28، 85، 109، 219، 222، 303.

(ز)

زواغة: ..... 129.

الزملة: ..... 31.
زويلة: ..... 37، 38، 64، 119، 159، 160
257، 259، 261.
زعرارة: ..... 11، 12، 26.
زغاري: ..... 255.
الزنتان: ..... 20، 21، 27، 123.

(س)

سواحل أفريقيا الشمالية: ..... 3.
السودان الأوسط: : ..... 241.
السودان الشرقي: : ..... 241.

سلام عليك: ..... 159.
سرت: ..... 44، 45، 48، 50، 197، 198، 209.
سنتوت: ..... 27، 109.

سباب : ..... 259.
سجلماسة: ..... 64، 119، 228، 244.

(ش)

الشياب: ..... 26، 94.

الشمال الإفريقي: ..... 21، 34، 35، 59، 142، 155، 242
245، 252، 253، 256، 263، 271.

شروس: ..... 12، 26، 29، 32، 41، 42، 60، 65، 77، 78
79، 90، 100، 143، 154، 158، 162، 164
165، 169، 217، 218، 229، 258، 270، 291
302، 309، 318، 334.

الشقارنة: ..... 15، 28، 333.
الشام : 245

(ص)

الصين: ..... 42.
صبراتة: ..... 38، 41، 64.
الصحراء الكبري: ..... 37، 44، 121، 240، 241، 261.

(ط)

طرابلس: ..... 2، 6، 10، 11، 13، 14، 15، 18، 19، 20، 31
34، 38، 39، 40، 41، 43، 44، 48، 50، 59، 64
101، 121، 184، 185، 187، 195، 253، 257، 268.

طمزين: ..... 13، 14، 25، 32، 65، 77، 89، 92، 102
291، 294، 298، 316.
طرميسة: ..... 11، 94، 95، 175، 180، 182، 183، 184

217، 293، 295، 302، 330، 331.

طنجة: ..... 43.

(ظ)

الظهر: ..... 19، 59، 60.

(ع)

العطف: ..... 121، 126.

عين إيندل: ..... 32.

عين تموجط: ..... 32.

عبد الغني: ..... 25.

عين تغليست: ..... 10، 24، 32.

عين إينظز: ..... 32.

عين أمسين: ..... 32.

عين نانا تالة: ..... 32.

عين إجلازن: ..... 32.

عين وليوجمي: ..... 32.

عين الزرقاء: ..... 32.

عين الرومية: ..... 32.
عين تامديت: ..... 32.

(غ)

غانة: ..... 244، 245، 246، 247، 248، 249
265، 267.

الغلت: ..... 27.
غابة تالة: ..... 24، 172.

غرداية: ..... 121، 126.

غدامس. : ..... 1، 6، 64، 65، 117، 142، 219، 253
256، 257، 258، 260، 261، 271، 303.

الغابات الاستوائية: ..... 241، 249.

(ف)

فزان: ..... 2، 18، 28، 64، 142، 172، 197
227، 228، 259، 261، 271.

قساطو: ..... 103، 126.

فرسطا: ..... 10، 25، 36، 83، 120، 122، 123، 147
160، 162، 163، 184، 292
297، 311، 317، 323، 324.

(ق)

قابس: ..... 185.
قصطالية: ..... 119، 121.

القيروان: ..... 6، 44، 45، 56، 64، 101، 117
120، 131، 211، 253، 257.
القلعة: ..... 15، 16، 21، 28، 183.

قصبة مادي: ..... 15، 16، 28، 96، 296، 333.
القصر: ..... 14، 25، 102، 335.
القرادين: ..... 15، 21، 28، 96، 333.

(ك)

كاوكاو: ..... 253، 254، 258، 425.
كومبي صالح: ..... 246.
كاوار: ..... 259.
كباو: ..... 10، 13، 19، 24، 25، 65، 160
161، 297، 311، 322.

كمزين: ..... 25، 298.

ككلة: ..... 28، 52، 298.
كوغة : ..... 244.
(كبرينا) : ..... 247.
كانياغا: ..... 247.
كانجاب: ..... 248.
كانغابا: ..... 249.

(ل)

لماية: ..... 121، 230.

لالوت: ..... 10، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 32، 65، 156
157، 163، 164، 169، 170، 172، 218
230، 268، 295، 296، 327.

(م)

المغرب الأوسط: ..... 2، 18، 37، 45، 46، 48، 125.
المشرق العربي: ..... 3، 4، 98، 133، 141.
مليكة: ..... 121، 126.

مغمداس: ..... 45، 85.
مصر: ..... 37، 50، 64، 250.

مزغورة: ..... 11، 27، 53، 95، 97، 181، 182، 183
184، 293، 310، 332.

مرقس: ..... 14، 26، 41، 74، 142، 294.
المغرب الأقصى: ..... 2، 18، 37، 241.
المشوشين: ..... 15، 21، 28، 96، 333.
المحيط الأطلسي: ..... 18، 37، 241، 243، 249.
المعانيين: ..... 15، 21، 28، 96، 132، 182، 333.
ميتيون: ..... 15، 26، 96، 97، 182، 183، 298.

ماجر: ..... 14، 25، 102، 180، 293، 335.
مزو: ..... 11، 175، 295.
ملاحات أوليل: ..... 254.

ميري: ..... 27، 28، 53، 148.
مفزاوة: ..... 244.

(ن)

نيابي: ..... 247، 249.
نهر السنغال: ..... 241، 243.
النوبة: ..... 240.
نفاثة: ..... 195.

نفطة: ..... 121، 124، 125، 126، 127.

النيجر: ..... 2، 141، 241، 255.
نهر النيجر: ..... 243.
نهر فولتا: ..... 241.

(هـ)

هضاب النقازة: ..... 20، 268.

(و)

ونقارة : ..... 244.
وارجلان: ..... 114، 119، 121، 123
124، 125، 126، 127، 159.
وادي ميزاب: ..... 121، 126.
ودان: ..... 39.
وادي أبو غنداس: ..... 26، 149، 339.
وادي لالوت: ..... 24.
وادي الشيخ: ..... 25، 105.

وريوري: ..... 25، 105.
وادي تالة: ..... 10، 26، 85، 94، 144.

وادي أوجنت: ..... 26، 149، 339.
وادي أمسين: ..... 26، 93، 96، 124، 175

يزيد بن أبي مسلم: : ..... 42.

187، 339.

ويفات: ..... 27.

وادي أريغ: ..... 121، 125

وغلانة: ..... 121.

وادي طمزين: ..... 25، 317.

وادي فرسطا: ..... 25.

وطن يفرن: ..... 22، 106.

وازّن: ..... 21، 23.

ونزيرف: ..... 15، 26، 36، 108، 149، 150
155، 297، 339، 340.

ولاتة: 255

وادي إكراين: ..... 13، 24، 297، 322.

وادي شروس الكبير: ..... 26، 41، 74، 87.

ويغو: ..... 11، 26، 65، 74، 88، 129
148، 151، 155، 156، 164
165، 194، 205، 312.

(ي)

يفرن: ..... 15، 19، 20، 21، 22، 23، 27، 28، 31، 32، 52
65، 96، 97، 103، 106، 132، 181، 182، 183
186، 196، 210، 268، 293، 296، 233، 241، 242.

يوجلين: ..... 11، 27، 310.

فهرس القبائل والجماعات والفرق والدول

(أ)

الأمازيغ: : ..... 2، 69.

الأتراك العثمانيين: ..... 15، 56.

الإباضيين: ..... 46، 227، 256.

أهل ودان: ..... 39.

أولاد محمود: ..... 24، 28.

أهل إينر: ..... 223.

أهل أغل: ..... 224.

أهل مرجس: ..... 142.

أهل كزين: ..... 151.

أهل جليمة: ..... 151.

(ب)

البربر: ..... 2، 43، 240، 244.

بني دباب: ..... 58.
بني زمور: ..... 22، 53، 214، 215.
بني أمية: ..... 42.
بجرسو: ..... 247.
بني هلال: ..... 58، 173.
البجاوة: ..... 240.
البجة : ..... 240.
بني سليم: ..... 58، 173.

بني وزمار: ..... 122.
بني ويرُّو: ..... 126.
بني أجاج: ..... 127.
بني يفرن: ..... 22، 27، 119.

(ج)

جوة كنته: ..... 247.
الجندانيين: ..... 28.
الجارامنت: ..... 28.
الجيتول: ..... 28، 29.

(د)

الدولة الأموية: ..... 42.
دولة بني ثابت: ..... 158.

الدولة الرستمية: ..... 27، 45، 46، 48، 49، 51، 52، 53، 55، 56
145، 146، 196، 197، 205، 213، 214، 217
221، 226، 227، 248، 254، 267، 270، 300، 302.
الدولة العباسية: ..... 43، 46.
الدولة الفاطمية: ..... 56، 58.
دياب : ..... 173.

(ر)

الرومان: ..... 2، 33، 35، 142.

(ز)

زناتة: ..... 22، 27، 136، 218، 268، 303.
زغب: ..... 173.
الزغاوة : ..... 240.
الزنج: ..... 240.

(س)

السوننكة : ..... 246.
السكاكية: ..... 122.
سركـــلة: ..... 247.

سوماورو: ..... 247.
سدراتة: ..... 22، 268.
السنغاى: ..... 251.

(ص)

الصفرية: ..... 228، 266.
صوصو : ..... 9، 246، 247، 248، 249
255، 256.

(ط)

الطوارق : ..... 251.

(ع)

عوف: ..... 173.

(ف)

الفينيقيين: ..... 28.
الفاطميين: ..... 56، 136.

(ك)

كوكو : ..... 241، 249، 255، 258.
كتامة: ..... 58.

(ل)

لواتة : ..... 22، 268.
اللملمية: ..... 244.
الليبيين القدماء: ..... 28، 34، 35.
اللوتوفاجيين: ..... 28.

(م)

المسيحية: ..... 2، 35، 36، 40، 269، 270.
مملكة الصوصو: ..... 4، 246، 248، 255.
مملكة مالي الإسلامية: ..... 4، 243، 247، 248، 249
250، 251، 255.
مملكة السنغاي: ..... 4.
مزاتة: ..... 39، 48، 49، 230.
مغراوة: ..... 22، 268.
المرجئة: ..... 228.
الماندنجو: ..... 247، 248.
ماطس: ..... 224.

الموشي : ..... 251.
مسكورة: ..... 22.
ماطوسة. : ..... 22.
المغاربة: ..... 42، 198.
المعتزلة: ..... 49، 190، 194، 196، 228.

(ن)

نفوسة: ..... 19، 22، 39، 48، 49، 55، 98، 99
158، 166، 199، 209
215، 221، 230.
نغالة: ..... 241.

(هـ)

هوارة: ..... 22، 268.

(و)

الوندال: ..... 34.
ورفجومة: ..... 44.
الوثنية: ..... 2، 35، 36، 243، 246، 248، 269.

(ي)

اليهودية: ..... 2، 35، 36، 269، 270.

المصادر والمراجع

****

- المصادر المخطوطة .
- المصادر المطبوعة .
- المراجع .
- المراجع الأجنبية .
- الدوريات .
- الرسائل العلمية .

أولاً : المصادر المخطوطة :

1)البرادي ، أبو القاسم بن إبراهيم ، الجواهر المنتقاة ، طبعة حجرية ، مكتبة الباحث.

2)البغطوري ، سيرة أهل نفوسة ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

3)الجناوني ، كتاب الصوم ، مخطوط ، طبعة حجرية.

4)الجناوني ، الأحكام ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

5)الجيطالي ، إسماعيل بن موسى ، قناطر الخيرات ، طبعة حجرية.

6)الجيطالي ، إسماعيل الجيطالي ، عقيدة الجيطالي ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

7)الجيطالي ، إسماعيل بن موسى ،شرح النونية ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

8)الشماخي، إبراهيم سليمان ، طرق وقصور جبل نفوسة ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

9)الشماخي، أحمد أبو العباس ، السير ، مخطوط ، طبعة حجرية ، مكتبة الباحث .

10)الشماخي، أبو عمران موسى ، لقط أبو عمران ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

11)الفرسطائي، أحمد أبو العباس ، الألواح ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

12)المساكني، عمروس بن فتح ، أصول الدينونة الصافية ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

13)الوارجلاني، يحيي بن أبي بكر ، السير وأخبار الأئمة ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

14)الوسياني، أبو الربيع سليمان ، سير أبي الربيع ، مخطوط ، مكتبة الباحث.

15)التملوشايتي ، أبو نصر فتح بن نوح ، ديوان الشيخ أبو نصر ، طبعة حجرية ، القاهرة: المطبعة البارونية.

ثانياً . المصادر المطبوعة :

1) القرآن الكريم.

2) الإباضي ، ابن سلام ، بدء الإسلام وشرائع الدين ، ترجمة : سالم بن يعقوب وقيرنر شفارتس ، بيروت : دار صادر ، 1986 .

3) الإدريسي ، أبي عبد الله محمد بن إدريس ، نزهة المشتاق في إختراق الآفاق ، مج 1 ، بورسعيد : مكتبة الثقافة الدينية ، 1994.

4) استرابون ، الكتاب السابع عشر من كتاب استرابون (وصف ليبيا ومصر) ، تحقيق : محمد المبروك الذويب ، بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 2003 .

5) الأصطخري ، ابن اسحاق إبراهيم بن محمد ، المسالك والممالك ، تحقيق : محمد جابر الحسيني ، مراجعة : محمد شفيق غربال ، مصر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، 1961 .

6) الأنصاري ، شمس الدين أبي عبد الله ، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ج2 ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، (ب . ت) .

7) الباروني ، سليمان عبد الله ، الأزهار الرياضية في معرفة أئمة وملوك الإباضية ، ج2 ،القاهرة : المطبعة البارونية ، (ب . ت).

8) الباروني ، عبد الله بن يحيي ، سلم العامة والمبتدئين ، القاهرة : مطبعة النجاح ، 1290 هـ .

9) البرادي ، أبو القاسم بن إبراهيم ، رسالة في كتب الإباضية .

10) ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد ، رحلة ابن بطوطة ، بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، 1964 .

11) البغدادي ، صفي الدين ، مراصد الإطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق : علي محمد البجاوي ، بيروت : دار الجيل ، 1992 .

12) البكري ، أبو عبيدة ، المسالك والممالك ، ج 2 ، تحقيق : أدريان فان ليفن وأندري فيري ، تونس : الدار العربية للكتاب ، 1992 .

13) البكري ، أبو عبيدة ، كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، (ب . ت) .

14) البلاذري ، أبي العباس أحمد ، فتوح البلدان ، تحقيق : عبد الله الطبـــاع وعمر الطباع ، بيروت : منشورات مؤسسة المعارف ، 1987 .

15) التجاني ، أبو محمد عبد الله ، رحلة التجاني ، تقديم : حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا ـــ تونس : الدار العربية للكتاب، 1981 .

16) التونسي ، محمد بن عمر ، تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان ، تحقيق : خليل عساكر وأخرون ، القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والنشر ، 1965 .

17) الجناوني ، أبي زكريا يحيي ، كتاب الوضع ،

18) الجناوني ، أبي زكريا يحيي ، عقيدة التوحيد ،

19) الجيطالي ، إسماعيل أبو طاهر بن موسى ، قناطر الخيرات ، ج1 ، تحقيق : عمرو النامي ، القاهرة : 1965 .

20) ابن الحكم ، عبد الرحمن عبد الله ، فتوح أفريقية والأندلس .

21) الحموي ، ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ،

22) ابن خرداذبة ، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، ، تقديم : محمد مخزوم ، بيروت : دار إحياء التراث العربي ، 1988 .

23) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العـــرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مج 6 ، بـــيروت : دار الكتب العلمية ، 1992 .

24) ابن خلدون ، عبد الرحمن ، المقدمة ، ط2 ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الأسكندراني ، بيروت : دار الكتاب العربي ، 1998 .

25) الدرجيني ، أبو العباس أحمد ، طبقات المشائخ بالمغرب ، ج 1 ، تحقيق : إبراهيم طلاي ، قسنطينة : مطبعة البعث ، 1974 .

26) الرستمي ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، مسائل نفوسة ،

27) السعدي ، عبد الرحمن ، تاريخ السودان، باريس: نشر هوداس وبنـــوه، 1964.

28) الشماخي ، عامر بن علي، الإيضاح، نالوت: دار الدعوة. 1971.

29) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تحقيق : محمد ناصر وإبراهيم بحاز ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1986 .

30) العمري ، شهاب الدين أحمد بن فضل الله ،

31) ابن غلبون ، محمد بن خليل ، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بهـــا من الأخيار ، تصحيح وتعليق : الطاهر أحمد الزاوي ، طرابلس : مكتبة النور ، 1967 .

32) فتى بن جناو و عبد القهار بن خلف ، أجوبة علماء فزان ، تحقيق : عمرو خليفة النامي وإبراهيم طلاي ، قسنطينة : دار البعث ، (ب . ت) .

33) القزويني ، زكريا بن محمد ، آثار البلاد وأخبار العباد ، بـــيروت : دار صادر ، 1960 .

34) القلقشندي ، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء ، ج 5 .

35) كعت ، محمود ، تاريخ الفتاش. باريس: نشر هوداس وبنوه، 1964.

36) مجهول ، الإستبصار في عجائب الأمصار ، نشر وتعليق : سعد زغلـــول عبد الحميد ، الدار البيضاء : دار النشر المغربية ، 1985 .

37) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيروت : مكتبة خيـــاط ، 1906 .

38) المغربي ، أبي الحسن علي بن سعيد ، كتاب الجغرافيا ، تحقيق : إسماعيـــل العربي ، بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة والنـــشر والتوزيـــع ، 1970 .

39) المراكشي ، ابن عدارى ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج 1 ، تحقيق : ج . س . كولان و إ . ليفي بروفنسال ، ط 3 ، بـــيروت : دار الثقافة ، 1983 .

40) النصيبي ، أبي القاسم بن حوقل ، صورة الأرض ، ج 1 ، ط 2 ، بيروت : دار صادر ، (ب . ت) .

41) الوزان ، الحسن ، وصف إفريقيا ، ج 2 ، تحقيق : محمد حجي ومحمـــد الأخضر ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1983 .

42) اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب ، كتاب البلدان ، بيروت : دار إحيـــاء التراث العربي ، 1988 .

ثالثا . المراجع .

1) أمين ، أحمد ، فجر الإسلام ، بيروت : دار الكتاب العربي .

2) أنديشة ، أحمد محمد ، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث ، مصراتة : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، 1993 .

3) الأنصاري ، أحمد النائب ، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، طرابلس : مكتبة الفرجاني ، (ب . ت) .

4) بابا عمي ، محمد بن موسى وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج 2 ، بيروت : دار الغرب الإسلامي.

5) بازامة ، محمد مصطفي ، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين ، ج8 ، بنغازي : دار مكتبة الفكر ، 1972 .

6) البخاري ، إصلاح محمد ، انتشار الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا فيما وراء الصحراء (تنبكت ــ غدامس نموذجاً) ، الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 2004 .

7) البرغوثي ، عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي القـــديم ، بـــيروت : دار صادر ، 1971 .

8) البرغوثي ، عبد اللطيف محمود ، التاريخ الليبي الإسلامي ، بيروت : دار صادر ، 1971 .

9) تيري ، جاك ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطي ، ترجمة : جـــاد الله عزوز الطلحي ، مصراته : دار الجماهيرية للنشر والتوزيـــع والاعـــلان ، 2004 .

10) الجابري ، محمد عابد ، تكوين العقل العربي ، ط6 ، بـــيروت : مركـــز دراسات الوحدة العربية ، 1994 .

11) الجابري ، محمد عابد ، العصبية والدولة ، ط3 ، بيروت : دار الطليعـــة للطباعة والنشر ، 1982 .

12) الجعبيري ، فرحات ، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة ، تونس : المطبعة العصرية ، 1975 .

13) الجنحاني ، الحبيب ، دراسات مغربية ،

14) جوتشايلد ، ر . ج ، دراسات ليبية ، ترجمة : عبد الحفيظ فضيل الميار و أحمد اليازوري ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 1999 .

15) حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج2 ، ط 7 ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، 1964 .

16) حسن ، نبيلة ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، (ب . ت) .

17) الدالي ، الهادي المبروك ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء ، القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1999 .

18) الدالي ، الهادي المبروك ، مملكة مالي الإسلامية ، ط 2، الزاوية : مطابع الوحدة العربية ، 1999 .

19) دبوز ، محمد علي ، تاريخ المغرب الكبير

20) روزنتال ، فرانز ، علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مراجعة : محمد توفيق حسين ، بغداد : مكتبة المثني ، 1963 .

21) روسي ، أتوري ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى 1911 ، تعريب وتقديم : خليفة التليسي ، بيروت : دار الثقافة ، 1974 .

22) الزاوي ، الطاهر أحمد ، معجم البلدان الليبية ، طرابلس : منشورات مكتبة النور ، 1968 .

23) الزاوي ، الطاهر أحمد ، تاريخ الفتح العربي في ليبيا ، ط2 ، ليبيا : دار التراث العربي ، 1963 .

24) زبادية ، عبد القادر ، مملكة سنغاي في عهد الإسيقيين ، الجزائر : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، (ب . ت) .

25) زبيس ، سليمان مصطفي ، بين الآثار الإسلامية في تونس ، تونس : منشورات دار الثقافة ، 1963 .

26) زكار ، سهيل ، مائة أوائل ، دمشق : دار حسان للطباعة والنشر ، 1989 .

27) زكي ، عبد الرحمن ، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، القاهرة : المؤسسة العربية الحديثة ، 1961 .

28) سليم ، مريم ، علم تكوين المعرفة ابستمولوجيا بياجه ، بيروت : معهد الإنماء العربي ، 1985 .

29) شاكر ، محمود ، التاريخ الإسلامي ، ج5 ، ط5 ، بيروت : المكتب الإسلامي ، 1991 .

30) شرف ، عبد العزيز طريح ، جغرافية ليبيا ، الإسكندرية : مؤسسة الثقافة الجامعية ، 1962 .

31) الطالبي ، محمد ، الدولة الأغلبية ، ترجمة : المنجي الصيادي ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 1985 .

32) الطاهر ، عبد الجليل ، المجتمع الليبي دراسات اجتماعية وانتربولوجية ، صيدا ــ بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، 1969 .

33) الطويل ، توفيق ، العرب والعلم في عصر الإسلامي الذهبي ، القاهرة : دار النهضة العربية ، 1968 .

34) عباس ، إحسان ، تاريخ ليبيا منذ الفتح العربي حتى مطلع القرن التاسع الهجري ، بيروت : دار صادر ، 1967 .

35) عبد الحميد ، سعد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ،

36) عبد الرزاق ، محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، الدار البيضاء : دار الثقافة ، 1976 .

37) العربي ، إسماعيل ، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية ، المغرب : منشورات دار الآفاق الجديدة ، 1993 .

38) عبد العليم ، مصطفي كمال ، دراسات في تاريخ ليبيا القديم ، بنغازي : منشورات الجامعة الليبية ــ المطبعة الأهلية ، 1966 .

39) عمر ، أحمد مختار ، النشاط الثقافي في ليبيا ، بيروت : مطبعة دار الكتب ، 1971 .

40) عبد الوهاب ، حسن حسني ، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، القسم الأول ، تونس : مكتبة المنار ، 1972 .

41) الغنيمي ، عبد الفتاح مقلد ، موسوعة المغرب العربي ، مج 3 ، القاهرة : مكتبة مدبولي ، 1994 .

42) غوتيه ، أ . ف ، ماضي شمال إفريقيا ، تعريب : هاشم الحسيني ، طرابلس : مكتبة الفرجاني ، 1970 .

43) غوري ، إبراهيم حلمي ، الصحاري والسهول والسهوب ، بيروت : دار الشرق العربي ، (ب . ت) .

44) ليفتسكي ، تاديوش ، المؤرخون الإباضيون في أفريقيا الشمالية ، ترجمة : ماهر جرار وريما جرار ، بيروت : دار الغرب الإسلامي ، 2000 .

45) ليفيسكي، تاديوش، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم (دراسة لسنية في الأنوميا والطوبونوميا الأمازيغية) ترجمة: عبد الله رارو، الولايات المتحدة الأمريكية: مؤسسة توالت الثقافية.

46) متز ، أدم ، الحضارة الإسلامية ، ج1 ، تعريب : محمد الهادي أبو ريدة ، بيروت : دار الكتاب العربي ، (ب . ت) .

47) المصراتي ، علي مصطفي ، مؤرخون من ليبيا ، طرابلس : منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلان ، 1977 .

48) معمر ، علي يحيي ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثانية ــ القسم الأول ، القاهرة : مكتبة وهبة ، 1964 .

49) مفتاح ، صالح مصطفي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتىانتقال الخلافة الفاطمية إلي مصر ،

50) المهدوي ، محمد المبروك ، جغرافية ليبيا البشرية ، بنغازي : منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ، (ب. ت) .

51) موسى ، عزالدين عمر ، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي ، بيروت : دار الشروق ، 1983 .

52) الميار ، عبد الحفيظ فضيل ، الحضارة الفينيقية في ليبيا ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 2001 .

53) الناضوري ، رشيد ، المغرب الكبير العصور القديمة ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1981 .

54) يعقوب ، سالم بن ، تاريخ جزيرة جربة ، تونس : دار الجويني للنشر ، 1986 .

رابعاً . المراجع الأجنبية :

1) Oric Bates , The Eastern Libyens Frank Cass Co. ltd. 1970.

2) Despois . J. : Le Djebel Nefousa. Larore. Editcurs. 1935.

خامساً . الدوريات :

1) آلان ، جيمس ، بعض مساجد جبل نفوسة ، مجلة ليبيا القديمة ، المجلد التاسع والعاشر ، روما : مطابع ج . باردي ، 1977 .

2) باريش ، باربرا ، الجيولوجيا الأثرية للجبل الغربي ، ترجمة : مصطفي عبد الله الترجمان ، مجلة عربيا القديمة ، العدد الأول ، روما : " ليرما " دي بريتشنايدر ، 1995 .

3) حركات ، إبراهيم ، دور الصحراء الأفريقية ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد ، السنة الثالثة ، طرابلس : مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، 19

4) حسن ، محمد ، حول إحدي القبائل البربرية : نفوسة (مجالها الجغرافي وعلاقتها بالسلطة المركزية) ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، العدد العاشر ، الرباط : 1984 .

5) حسين ، أحمد إلياس ، سلع التجارة الصحراوية ، ندوة الصحراء الكبري ، أعداد : عماد غانم ، طرابلس : منشورات مركز جهاد اليبيين ، 1979 .

6) حسين ، أحمد إلياس ، طرق التجارة في الجزء الشرقي من الصحراء الكبري ، ندوة الصحراء الكبري ، أعداد : عماد غانم ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين ، 1979 .

7) دغيم ، محمد فرج ، التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الافريقية الواقعة على جانبي الصحراء ودور ليبيا في هذا التواصل ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي ، طرابلس : منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، 1999 .

8) سمبسون ، و . ج وج . م . رينولدز ، نقوش كتابية من العوينية بالقرب من يفرن ، مجلة ليبيا القديمة ، روما : مطابع ج . باردي ، 1968 .

9) العناق ، جمعة محمد ، ما قبل التاريخ في شمال أفريقيا ، مجلة آثار العرب ، العدد الأول (الفاتح) ، 1990 .

10) العوامي ، عياد موسى ، تأملات في فن الرسم على الصخور ، مجلة آثار العرب ، العدد الثاني ، (مارس) ، 1991 .

11) فايس ، هانس ، الصحراء الكبري في ضوء التاريخ ، ترجمة مكاييل محرز ، مراجعة : عماد غانم ، ندوة الصحراء الكبري ، طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين ، 1979 .

12) فرناندو ، باولو ، نظام تجارة تادمكة وجاو وكاوكاو وكوكيا في إطار تاريخ الإتصالات الثقافية على إمتداد طرق التجارة عبر الصحراء ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ، السنة الثالثة ، 1981 .

13) فريدة ، بنعزوز ، قراءة في أبحاث تاديوش ليفيتسكي حول فجر العلاقات بين المغرب وبلاد السودان ، ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي ، طرابلس : منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، 1999

14) قوجة ، محمد ، الأبعاد الحضارية لجامع أبو مسور في جزيرة جربة ، جربة : جمعية صيانة جزيرة جربة ، 1995 .

15) بن مرزوق ، الصادق ، إسماعيل الجيطالي حياته ومآثره ، أعمال الملتقي حول تاريخ جزيرة جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، جربة : منشورات جمعية صيانة جزيرة جربة ، 1986.

سادساً . الرسائل العلمية :

1) مفتاح ، صالح بن معيوف ، جبل نفوسة وعلاقته بالدولة الرستمية منذ منتصف القرن 2 هـ إلي أواخر القرن 3 هـ ، إشراف : محمد حمام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة محمد الخامس ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، شعبة التاريخ ، الرباط : 2000 ـ 2001 ف .

فهرس المحتويات

الإهـــداء ..... —

كلمة شكر وتقدير ..... —

المقدمة ..... 1.

الفصل الأول (التمهيدي) 17

1. التحديد الجغرافي لمنطقة جبل نفوسة 18

2. التطور الحضاري في جبل نفوسة ..... 24.

أ). التوزيع الجغرافي لقري ومدن جبل نفوسة..... 24.

ب). بداية الإستقرار وأنواع السكن في جبل نفوسة ..... 28.

ج). أساليب وأنماط الحياة في جبل نفوسة ..... 30.

د). آثار وتاريخ جبل نفوسة القديم ..... 32.

و). الديانات السابقة للإسلام في جبل نفوسة .... 35.

3. الفتح الإسلامي لجبل نفوسة ..... 37.

4. دور جبل نفوسة في بلاد الغرب الإسلامي ..... 42.

تمهيد ..... 42.
أ). جبل نفوسة والدولة الرستمية ..... 46.
ب). الأهمية الاقتصادية لجبل نفوسة ..... 59.
أولاً: الزراعة والرعي ..... 59.
ثانياً: الصناعة ..... 61.
ثالثاً: التجارة ..... 64.

الفصل الثاني
(الحياة العلمية في جبل نفوسة) ..... 66.

1. المؤسسات التعليمية وطرق التدريس ..... 67.
أولاً: المساجد ..... 73.
ثانياً: المدارس ..... 84.
ثالثاً: المكتبات ..... 98.

2. التعلم في البيوت والتعليم المتنقل ..... 102.
3. الحلقات والمجالس العلمية ..... 107.
4. المراحل التعليمية ومناهجها الدراسية ..... 110.
5. الرحلات العلمية خارج الجبل ..... 116.
6. طلاب وافدون على جبل نفوسة ..... 129.
7. الاجازات العلمية ..... 133.

الفصل الثالث

(جهود علماء جبل نفوسة ودورهم

في إثراء الحياة العلمية) ..... 137.

1. العلوم والفنون وأبرز العلماء ..... 138.

أ). العلوم النقلية ..... 140.

1. علم الفقه ..... 140.

2. علم التفسير ..... 189.

3. أصول الدين ..... 191.

4. علم الكلام ..... 194.

5. العلوم اللغوية والآداب ..... 200.

ب). العلوم العقلية ..... 205.

1. علم المنطق ..... 205.

2. علم النجوم ..... 206.

3. علم التاريخ والسير ..... 208.

4. علم الحساب (الفرائض) ..... 211.

2. الوظائف العامة للعلماء ..... 212.

أ). الولاية (الوالي) ..... 212.

ب). القضاء ... . 220.
ج). الحسبة ..... 223.

3. الإنتاج العلمي (المؤلفات) ..... 225.

الفصل الرابع
(الحياة العلمية في الجبل وتأثيرها
على بلاد السودان الغربي) ..... 239.

1. جغرافية بلاد السودان الغربي ..... 240.

2. ممالك بلاد السودان الغربي ..... 242.
أ). مملكة غانا الوثنية ..... 243.
ب). مملكة الصوصو ..... 246.
ج). مملكة مالي الإسلامية ..... 248.

3. علاقات جبل نفوسة ببلاد السودان الغربي ..... 253.
4. الطرق والمحطات التجارية ..... 257.
5. التأثير الديني والثقافي ..... 262.

الخاتمة ..... 268.
التوصيات ..... 272.
الملاحق ..... 273.
الفهارس 343
فهرس الأعلام..... 344
فهرس الأماكن والمواضع 360
فهرس القبائل والجماعات والفرق والدول..... 374
فهرس الكتب..... 380
فهرس الآيات القرآنية..... 387
فهرس الأحاديث الشريفة..... 388
فهرس الأبيات الشعرية..... 389
فهرس القضايا والمصطلحات ..... 397.
المصادر والمراجع ..... 398.
فهرس المحتويات ..... 420.